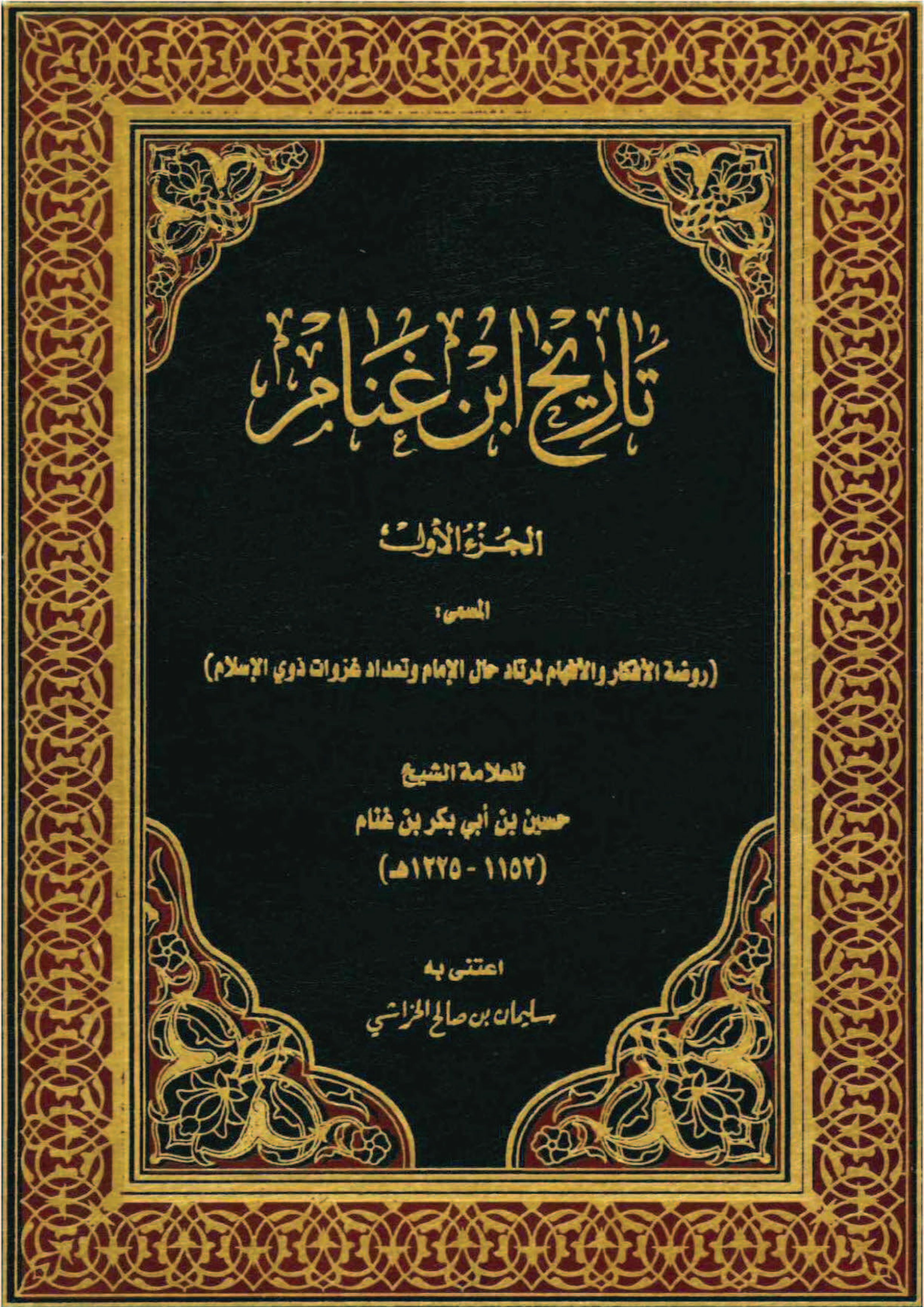

تاريخ ابن غنام
الجزء الأول
المسمى:
(روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام)
للعلامة الشيخ
حسين بن أبي بكر بن غنام
(١١٥٢ - ١٢٢٥هـ)
اعتنى به
سليمان بن صالح الخراشي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن تاريخ ابن غنام رحمه الله يُعد أهم مصدرٍ لتاريخ هذه البلاد «السعودية»، بعد دعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله؛ حيث أرّخ لإرهاصاتها، ثم قيامها، ثم توسعها السياسي، مع ما ضمّن كتابه من رسائل وآثار للشيخ مهمة، حفظت للأجيال تراثه، وجمعت لكتاب ابن غنام بين الجانب السياسي والعقدي، مما جعله عمدة لدى علماء هذه البلاد، وغيرهم، ينقلون منه عند حديثهم عن الشيخ ومبدأ دعوته[1].

---

(١) انظر - على سبيل المثال -: «الدرر السنية» (١ / ٣٢٤)، و(١ / ٣٧٥)، و«منهاج التأسيس والتقديس»؛ للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن (ص ٢٧ - ٢٨)، ومقدمة الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ لطبعة الدكتور ناصر الدين الأسد (ص ٥). وقال الشيخ ابن قاسم في ترجمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «ومن أراد الاطلاع على حقيقة حاله، وما منحه الله في مبدأ أمره ومآله، من النور المبين، وتجديد الملة والدين، وما حباه من نيل مقصوده، وبلوغه الأمل من توحيد معبوده، وما منّ به عليه من الظفَر والتمكين، ولسان الصدق في العالمين؛ فعليه بكتاب «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، وهو تأريخ الإمام الشيخ حسين بن غنام الأحسائي الشافعي رحمه الله تعالى». «الدرر السنية» (١٦ / ٣٤٧).
أما غيرهم؛ فقال صاحب «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» (ص ٢٨٠ - ٢٨١): «وقد رأيت تاريخًا حافلًا للعلامة ابن غنام، من علماء الحنابلة، ترجم لسعود، ووالده، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، وذكر أيامه، وما اشتملت عليه سيرته..». =

ولقد تحدث الأستاذ عبدالرحمن آل الشيخ رحمه الله في ترجمته لابن غنام من كتابه «مشاهير علماء نجد»[١] عن طبعات الكتاب، فقال: «وتاريخه المشهور بتاريخ ابن غنام»، قد سماه: «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، وهو تاريخ مسجوع سجعًا مملًا، لا يكاد قارئه يتخلص من سجعه إلى المعنى المطلوب إلا بعد لأي وجهد، وقد طُبع ثلاث طبعات[٢]:

الأولى: سنة ١٣٣٢هـ[٣] بمدينة بومباي بالهند، على نفقة الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله[٤].

= وقد اعتمده معظم مَن كتب عن تاريخ الدولة السعودية الأولى؛ كمقبل الذكير، وعبدالله بن محمد البسام، وأمين الريحاني، وفلبي، وحافظ وهبة، وسعود بن هذلول، وأمين سعيد، ومنير العجلاني، وحسين خزعل، وغيرهم؛ كأبي حاكمة في «تاريخ الكويت». انظر: «أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية»؛ للدكتور عبدالله الشبل (ص ١٥٥ - ١٥٦).

(١) (ص ١٨٥ - ١٨٨) بتصرف.

(٢) أما طبعة الدار الثقافية للنشر، بمصر، سنة ١٤٢٣هـ، فهي نسخة من طبعة الدكتور الأسد!

(٣) هكذا. ومثله في بحث «عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب»؛ للأستاذ عبدالعزيز الرفاعي رحمه الله، منشور ضمن «بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز» (٢ / ٦٥٢) نقلًا عن الشيخ حمد الجاسر رحمه الله. والصواب أنه طُبع في ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ؛ كما جاء في خاتمة المجلد الأول منه (ص ٣١٢). ويؤكده ما جاء في: «مراجعات في مصادر التاريخ السعودي»؛ للدكتور عبدالله العثيمين (ص ١٧)، و«معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية..»؛ للأستاذ أحمد خان (ص ١٣٦). ولعل كتابة الرقم ٧ على الطريقة الهندية، بما يشابه الرقم ٢، هو الذي أوقعهم في الخطأ السابق. انظر: «طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز»؛ للأستاذ عبدالرحمن الشقير (ص ٤٦).

(٤) تُعرف بـ«الطبعة الهندية». وقد جاء على غلافها: «على نفقة مَن قصده طلب الثواب، من رب الأرباب، رجاء من الرحمن الرحيم، أن يجعله عملًا خالصًا لوجهه الكريم، =

والثانية: بمطبعة البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٨هـ، على نفقة عبدالمحسن بن عثمان أبا بطين رحمه الله، صاحب المكتبة الأهلية سابقًا بمدينة الرياض.

والطبعة الثالثة: سنة ١٣٨١هـ بمطبعة المدني بمصر، بتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، وملتزم نفقات الطبع: الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهم الله، وقد جُرِّد في هذه الطبعة الأخيرة من الأسجاع الممقوتة، لكن مع الأسف تصرف فيه - محققه - تصرفًا مخلًا، حيث حذف منه جميع ما حواه من القصائد، وهي سبع قصائد، اثنتان لمحمد بن إسماعيل اليمني، المشهور بالصنعاني:

الأولى: بائية ومطلعها:

أما آن عما أنتَ فيه متابُ   وهل لك من بعد البُعاد إيابُ

والثانية: الدالية المشهورة ومطلعها:

سلامي على نجدٍ من حلّ في نجدِ   وإن كان تسليمي على البُعد لا يجدي

وخمس قصائد للمؤلف الشيخ حسين بن غنام: الأولى: هائية ومطلعها:

نفوس الورى إلا القليل ركونُها   إلى الغي لا يُلفي لدينٍ حنينُها

تبلغ أبياتها ستة وثلاثين بيتًا، وتقع في (ص ٧١- ٧٢، ج٢، طبعة أبا بطين).

الثانية: سينية، قالها في مناسبة جلاء دهام بن دوّاس عن الرياض، ومطلعها:

كشفَ الحقُّ ظُلْمَةَ الإغلاس   ومَحَا الدينُ جُملة الأرجاس

= بمعرفة الساعي في طبع الكتاب: عبدالمحسن بن محمد ابن مرشد، غفر الله له، ولمن أوقف هذا الكتاب، ووالديهما، ووالدَي والدَيهما، وأرحامهما، والمسلمين، آمين». قال الشيخ حمد الجاسر عن ابن مرشد رحمهما الله: «هذا الرجل من أسرة معروفة في الرياض، وكان يتردد على الهند». «بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز» (٢ / ٦٥٢).

والقصيدة الثالثة: عينية، قالها في رثاء شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ومطلعها:

إلى الله في كشف الشدائد نفزعُ ... وليس إلى غير المهيمن مفزعُ

وتبلغ أبياتها تسعة وثلاثين بيتًا، وتقع في (ج٢، ص ١٥٥- ١٥٦، الطبعة المذكورة).

والقصيدة الرابعة: الطائية، التي رد بها على قصيدة محمد بن عبدالله بن فيروز، ومطلعها:

على وجهها الموسوم بالشؤم قد خُطَّا ... عروسُ هوىً ممقوتة زارت الشَّطَّا

تبلغ أبياتها ستة وسبعين بيتًا، وتقع في (ج٢، ص ١٩٠- ١٩٢ من الطبعة المذكورة).

والقصيدة الخامسة: الرائية، قالها في مناسبة قتل ثويني، وتهنئة للأمير سعود ووالده الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، باستيلاء ابنه الأمير سعود على الأحساء، ومطلعها:

تلألأ نورُ الحق وانصدع الفجر ... وديجور ليل الشرك مَزَّقه الظُّهر

وتبلغ أبياتها مائة وثمانية عشر بيتًا، وتقع في (ج٢، ص ٢٣٧- ٢٤٢ من الطبعة المذكورة).

وكل هذه القصائد التي نوهنا عنها حُذفت من طبعة المدني بلا إشارة إلى حذفها، وحُذف أيضًا من طبعة المدني: رسالة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، المسماة: «الفواكه العذاب في الرد على من لم يُحكم السنة والكتاب»، وهذه الرسالة تقع في (ج٢ طبعة أبي بطين، وتبتدئ من ص ٢٠٤ إلى ص ٢٣٢)، أي تبلغ ثمانٍ وعشرين صفحة.

كما حُذف الحديثان المسلسلان بالأولية، اللذان رواهما الشيخ محمد

عبدالوهاب إجازة، الأول: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»، الحديث الثاني: «**إذا أراد الله بعبده خيرًا استعمله**» الحديث.

وكل هذا الحذف لم يُشَر إليه، فإذا جاء القارئ الذي لم يسبق له الاطلاع على الأصل، ظن أن هذا هو تاريخ ابن غنام بكامله، وبدون حذف ولا تغيير، سوى السجعات، حيث نُوه عنها في التمهيد والمقدمة». انتهى كلام الشيخ عبدالرحمن[(١)].

قلت: وهذه الطبعة الثالثة - رغم المؤاخذات السابقة - هي المتداولة حاليًا بين الناس، أما الطبعتان «الأولى والثانية»؛ فهما في حكم النادر أو المفقود؛ لاسيما الأولى منهما. ولهذا السبب: عزمتُ على إخراج هذا التاريخ المهم، معتمدًا على مخطوطة الكتاب المحفوظة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية[(٢)]، وعلى الطبعة الأولى الهندية[(٣)]، من خلال الاجتهاد في إخراج نصه كما أراده صاحبه، وصفه بطريقة فنية معاصرة، تُيسر قراءته، مع تخريج أحاديثه، وتوثيق نصوصه، واستكمال سقط الطبعة الهندية[(٤)]، والتعليق على

---

(١) (ص ١٨٥ - ١٨٨) بتصرف.

(٢) في جزئين، برقم (٢٠٧٤ و٢٠٧٥)، وعدد أوراقها (١٦٥) ورقة، نُسخت بخط معتاد، في ١١جمادى الأول ١٢٧٢هـ. وناسخها: سعد بن نبهان بن رشيد، أحد «النساخ طلبة العلم في القرن الثالث عشر»، كما يقول الدكتور عبدالله المنيف، في رسالته «صناعة المخطوطات النجدية» (ص ٣٣٥)، وقد ذكر أسماء بعض الكتب التي نسخها، ومنها: «روضة الأفكار»؛ لابن غنام. وانظر للمزيد عنه: «علماء وقضاة حوطة بني تميم والحريق وقراها»؛ للأخ الشيخ عبد الله بن زيد آل مسلم (١/ ٢٦٠ - ٢٦٧).
ولتاريخ ابن غنام نسخ أخرى، ستأتي الإشارة إليه آخر الكتاب - إن شاء الله -.

(٣) مع الاستفادة من «مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب»؛ للتوثق من بعض النصوص.

(٤) وقد تنبه لهذا السقط الطويل: الشيخ عبدالمحسن أبابطين ﷺ، في طبعته =

مارأيته يستحق التعليق، دون إثقال للهوامش، ممهدًا الطريق لمن هم أجدر مني من المتخصصين، مقدمًا بهذه المقدمات المناسبة؛ توطئةً له:

١- ترجمة الشيخ حسين بن غنام رحمه الله.

٢- نقولٌ مهمة عنه وعن تاريخه؛ لثلاثة من الأعلام المعاصرين المهتمين بالتاريخ السعودي، وهم: الشيخ حمد الجاسر رحمه الله، والدكتور عبدالله بن صالح العثيمين، والدكتور محمد بن سعد الشويعر - وفقهما الله -[1].

٣- جانبان يستحقان الاهتمام في تاريخ ابن غنام؟

٤- مجموعة قواعد مهمة تتعلق بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، وخصومها، وفي ضمنها الإجابة عن شبهتين يثيرهما بعض المناوئين، ومَن تأثر بهم، تتعلقان بماذكره ابن غنام عن حال البلاد النجدية قبل دعوة الشيخ، وبالحكم على مخالفي الدعوة.

أسأل الله أن ينفع بهذا التاريخ، وأن يُضاعف لصاحبه الأجر؛ جزاءَ ماحفظ لنا من تراث وسيرة إمام الدعوة السلفية في هذا العصر، ومَن ناصره من أئمة آل سعود - رحمهم الله جميعًا -، وأن يوفق بلادنا للسير على نهجهم، ويجمع لها بين الدين الصحيح، والحياة الطيبة، وأن يوزعنا شكر نِعَمه وآلائه، ولايفوتني أن أشكر الشيخ الجليل محمد بن ناصر العبودي - حفظه الله -، الذي أفادني عن معاني بعض الألفاظ العامية الدارجة، وأن أشكر الأخ الكريم: الشيخ

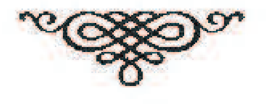
= (ص ١٧٨ - ٢٢٨). إضافة إلى سقط كلمات متفرقة تبينت من مراجعة المصادر التي ينقل منها ابن غنام رحمه الله.

(١) وخشية التكرار، لم أورد ماذكره الدكتور عبدالله الشبل عن تاريخ ابن غنام في رسالته السابقة «أهم المصادر النجدية لتاريخ الدولة السعودية» (ص ٩٨ - ١٥٦).

عبدالله بن بسام البسيمي، على تفضله عليّ بقراءة الكتاب قبل طبعه، وتزويدي بملاحظاته الثمينة. والله الموفق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه / سليمان بن صالح الخراشي

Alkharashi@homail.com



ترجمة الشيخ حسين بن غنام[1]

هو الشيخ حسين بن أبي بكر بن حسين بن عبدالوهاب آل غنام، من قبيلة بني تميم، كان نجديَّ الأصل، ولكنه من سكان الأحساء.

وُلد في بلدة المبرّز عام ١١٥٢هـ، وهي من ضواحي الهفوف، وتقع عنها بنحو ثلاثة أكيال، والآن اتصلت إحداهما بالأخرى.

نشأ في الأحساء، وأخذ في صباه مبادئ القراءة والكتابة، ولما شب شرع في القراءة على علماء الأحساء من آل مبارك وآل عبدالقادر وغيرهم، وكان الغالب في الأحساء شيوع مذهب الإمام مالك في الفقه، فدرس كتب المالكية في الفروع، فصار مالكي المذهب[2].

ودرس علوم اللغة العربية من النحو الصرف والبلاغة والمفردات اللغوية حتى أحاط بأغلبها؛ كما أن له هواية بدراسة الأدب العربي، نظمه ونثره، فقرأ أمهات كتب الأدب، وصار له الأسلوب العربي الجيد، والمملكة القوية، كما أجاد قول الشعر، فقال القصائد الجياد.

ولما قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته، واتسعت بعد رحيله إلى الدرعية انتقل المترجَم إلى الدرعية، واتصل بالشيخ محمد بن عبدالوهاب، ودرس عليه، كما درس على أبنائه وكبار تلاميذه، فشرب الدعوة وغرست بقلبه،

---

(١) نقلًا عن «علماء نجد من خلال ثمانية قرون»؛ للشيخ عبدالله البسام رحمه الله، (٢ / ٥٦-٥٨) بتصرف يسير وإضافات، ولابن غنام ترجمة في: «مشاهير علماء نجد» (ص ١٨٥-٢٠١)، و«الأعلام» (٢ / ٢٥١)، و«روضة الناظرين» (١ / ٧٨ - ٧٩)، و«تحفة المستفيد» (٢ / ٢٤١)، و«من أعلام مدينة المبرز»؛ لعبد الله الذرمان (ص٥٥ - ٦٧).

(٢) انظر: تعليق الدكتور عبدالرحمن العثيمين على «السحب الوابلة» (١/ ٣٧٢).

فصار من كبار المدافعين عنها، والذائدين عن حياضها.

وقد جلس في الدرعية للتدريس، فأخذ عنه عدد من كبار العلماء، واستفادوا منه في العلوم العربية خاصة، فكان من تلاميذه:

١- الشيخ حمد بن ناصر بن معمر.

٢- ابنه الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن معمر.

٣- الشيخ المحدِّث سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

٤- الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. وغيرهم من شباب الدعوة الإسلامية في ذلك الوقت رحمهم الله.

مؤلفاته:

١- تاريخه، المسمى «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، طُبع عدة طبعات، وهو كتاب تاريخ للدعوة السلفية، جمع فيه رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وذكر فيه غزوات أئمة آل سعود في دولتهم الأولى، كما جمع فيه رسائل الشيخ محمد إلى علماء عصره، وقد عني في أسلوبه باستعمال المحسنات البديعية من السجع والجناس والتورية وغيرها من محسنات اللفظ، إلا أن في ذلك تكلفًا ربما ضاع معه المعنى.

٢- العقد الثمين في شرح أصول الدين، قال في مقدمته[(١)] - بعد الحديث عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وانتصار آل سعود لها -: «فعنّ لعبدالعزيز - حفظه الله - أن تُجمع الأحاديث التي هي أصول الإسلام

---

(١) (ص ٢٧)، بتحقيق الشيخ محمد الهبدان، عام ١٤٢٣هـ، وقد حُقق الكتاب عام ١٤٠٣هـ رسالةً جامعيةً؛ ثم طبع عام ١٤١٤هـ في قطر.

والإيمان، ويُضم إليها ما يناسبها من آيات القرآن، وجاءت الإشارة إليّ بشرحها، والكلام على ما تحتاج إليه من البيان، مع الإيجاز الذي لا يُخل بالتبيان؛ لتسهيل الدين الذي لا يُقبل سواه من كل إنسان.. إلخ». وقد جاء الكتاب في سبعة فصول وخاتمة؛ كالتالي: «الفصل الأول: فيما جاء في الإسلام، وأنه دين الله الذي لا يقبل سواه، الفصل الثاني: في تفسير النبي ﷺ الإسلام والإيمان والإحسان، وتسمية كلٍ منهما دينًا، الفصل الثالث: في إخلاص الأعمال لله، وذلك لايكون إلا بالنية، وماجاء أن الأعمال بالنيات، الفصل الرابع: في دعائم الإسلام التي يتم له بها النظام، ويكفر جاحدها أو بعضها من الأنام، الفصل الخامس: في تعين قبول شرعه المطهر ﷺ، ولزوم العمل بهديه الأنور، وإلغاء مخالفة ضده، وإبطال العمل ورده، الفصل السادس: في أمره ﷺ عند الاختلاف بالتمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين، التي هي منهاج النجاة والهداية، وتحذيره من ارتكاب البدع، التي هي سبيل الضلالة والغواية»، الفصل السابع: في الأمر بالاعتصام بكتاب الله المبين، والتمسك بحبله المتين، وذم الافتراق في الدين، وإخبار الرسول الأمين ﷺ بافتراق أمته المجيبين، على ثلاث وسبعين، وأنها كلها في النار مع المكذبين، إلا من كان على سنته وسنة أصحابه المهتدين ﷺ ورضي عنهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم يوم الدين، الخاتمة: في الفرق الناجية من النيران، وهم أهل الإسلام والإيمان، الذين تمسكوا بسنة نبيهم واعتصموا بالقرآن؛ فنالوا بذلك رفيع الدرجات في الجنان»، وقال في الخاتمة: «وكان الفراغ من جمع هذه الدُرر، وتسطير هذه الغُرر، في رابع يوم من صفر، عام ١٢١٦هـ..».

قلت: وهو كتاب مفيد مختصر، نقل فيه كلام المفسرين والعلماء على الآيات والأحاديث المتعلقة بالفصول السابقة. ويحسن التنبيه هنا على خطأ وقع منه -

غفر الله له - عند الحديث عن صفة الكلام لله ﷻ؛ حيث قال[1]: «وقوله: (كتبه)؛ أي أنها منزلة من عنده، وأنها كلامه القائم بذاته، المُنزه عن الحروف والصوت». وقد تعقبه الشيخ سليمان بن عبدالله ﷺ بقوله: «قوله: وأنها كلامه القائم بذاته، المنزه عن الحروف والصوت، هذا الكلام جرى على مذهب الكُلابية، ومن تبعهم من الأشعرية، أن الكلام، هو: المعنى القائم بالذات، المنزه عن الحرف والصوت؛ فعلى هذا يكون عندهم ليس هو عين كلام الله؛ لأنه حروف وأصوات، وإنما هو عبارة عن كلام الله، كما قد صرحوا بذلك في كتبهم.

والحق في ذلك هو ما دل عليه الكتاب، والسنة، والإجماع: أن الله تعالى لم يزل متكلمًا كيف شاء إذا شاء، بحرف وصوت، كما دل على ذلك القرآن، والأحاديث؛ فأما: القرآن، فواضح؛ وأما الأحاديث، ففي صحيح البخاري وغيره: «**إن الله تعالى ينادي آدم يوم القيامة بصوت**»، وهذا نص، وفيه نحو أربعة عشر حديثًا؛ وأما: الإجماع، فيكفي في ذلك أنه لا يُعرف عن صحابي، ولا تابعي، حرفٌ واحد يُخالف ذلك، وقد أفرد العلماء هذه المسألة بالتصنيف[2]، والله أعلم»[3].

---

(١) المرجع السابق، (ص ٤٧). وأظنه وقع في هذا الخطأ بسبب دراسته لعقيدة «الأشاعرة» في بداية تلقيه العلم على يد بعض علماء الأحساء، ممن كانوا يعتنقون هذه العقيدة «البدعية»، وهذا يُبين للمسلم أهمية تلقي الناشئة العلمَ في صغرهم على أيدي الموثوقين في عقيدتهم؛ لئلا تبقى معهم علائق من عقائد أهل البدع.

(٢) تُنظر للتوسع: رسالة «العقيدة السلفية في كلام رب البرية»؛ لعبدالله الجديع.

(٣) الدرر السنية، (١ / ٣١٨). ونُسب هذا التعليق في هامش (ص ٤٧) من «العقد الثمين» للشيخ عبدالله أبابطين ﷺ، فلعله خطأ، أو أن الشيخ نقل نص تعليق الشيخ سليمان.

وعلّق تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن حسن ﷺ على هذا الموضع - أيضًا - بقوله[١]: «وقوله: وكتبه، أي: أنها منزَّلة من عنده، وأنها كلامه القديم[٢]: اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يتكلم إذا شاء، وقوله «وأنها كلامه القديم»، هذا قول الكرامية، وأهل السنة لا يقولون هذا، بل يقولون: إنها وحيه أوحاه إلى جبريل، وسمع كلام الرب تعالى، وبلّغه رسله، وكتب تعالى التوراة بيده. .» إلخ.

٣- لو جُمعت قصائده لجاءت ديونًا متوسطًا، فإن له القصائد الجياد[٣]، ومنها مرثيته بالشيخ محمد بن عبدالوهاب[٤]، التي مطلعها:

إلى الله في كشف الشدائد نفزع   وليس إلى غير المهيمن مفزع

وهي قصيدة جيدة مؤثرة بأسلوبها ومعانيها.

---

(١) الدرر السنية، (٣ / ٢٢٧).

(٢) هكذا. والذي في «العقد الثمين» - كما سبق -: «وأنها كلامه القائم بذاته». والمؤدى واحد؛ وهو أن الله لا يتكلم إذا شاء.

(٣) وقد ذكر له صاحب «نفحات من عسير» (ص ٦٦ - ٧٠) قصيدة أجاب بها عن قصيدة لمحمد بن أحمد الحفظي بعثها للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود. وجاء فيها:

إمام الهدى عبدالعزيز وقبله   أبوه فنالوا رفعة الشأن والقدْر

وهذا مما يؤكد أن ابن غنام قد انتقل إلى الدرعية زمن الإمام عبدالعزيز.

وذكر صاحب «نفحات من عسير» قصيدة أخرى (ص ٨١ - ٨٤) قال في مطلعها: «عندما وصلت القصيدة - أي قصيدة الحفظي - إلى الإمام سعود الكبير، وكان أحد تلامذة الشيخ ابن غنام: المدعو عبدالله الغاشمي موجودًا هناك، فاستأذن الإمام في الإجابة عليها، فكتب هذه القصيدة. .»، وجاء فيها عن ابن غنام:

حُسينًا عليه الحُسن بان رواقه فلا   زال في الأحسا جمالًا لأهليها

وهذا يؤكد أن الشيخ ابن غنام أثناء إقامته بالدرعية، كان يتردد على موطنه الأول «الأحساء».

(٤) ستأتي كاملة في تاريخه - إن شاء الله -.

والقصيدة الأخرى في مدح الشيخ عبدالله بن أحمد آل عبدالقادر(١)، ومنها:

ولو خُيرتْ نُهد المكارم في فتى لكان لعبدالله يبدو اختيارها
همامٌ علا هام السّماكين فخرُه ورتبته فوق الثريا قرارها

وفاته: قال ابن بشر في «عنوان المجد»(٢): «وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة - ١٢٢٥هـ -، توفي الشيخ العلامة الحبر الفهّامة، حسين بن غنام الأحسائي، كانت له اليد الطولى في العلم وفنونه، وله معرفة في الشعر والنثر، وصنف مصنفات..». رحمه الله تعالى.

قال الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله(٣): «ولم يذكر الرواة له عقبًا، وله أبناء عم لا يزال لهم ذكرٌ بقية بالأحساء».

ثناء العلماء عليه: قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله عنه: «العلامة أبو بكر ابن غنام، فريد وقته بعلم المعقول والمنقول، والشعر والإنشاد، في صدر القرن الثالث عشر»(٤)، وقال ابن بشر: «كانت له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه، وله معرفة في الشعر والنثر»(٥)، وقال ابن عبدالقادر: «له اليد الطولى في علوم العربية»(٦).

❑ ❑ ❑

(١) تحفة المستفيد (٢/ ٥٧٥ - ٥٧٦).
(٢) (١/ ١٥١).
(٣) «مشاهير علماء نجد»، (ص ٢٠١).
(٤) الدرر السنية (١١/ ٤٨٧).
(٥) عنوان المجد (١/ ١٥١).
(٦) تحفة المستفيد (٢/ ٦٣١).

مؤرخو نجد
للشيخ: حمد الجاسر رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

تمهيد:

يقولون: إن أسعد الشعوب هو الشعب الذي لا تاريخ له، ويقصدون الشعب الذي لم تحدث فيه حوادث تستحق عناية المؤرخين، ولكن هذا القول لا ينطبق على سكان نجد، ونقصد بكلمة - نجد - مدلولها الاصطلاحي في عهدنا الحاضر، الذي يشمل أكبر جزء في جزيرة العرب، فلقد كان هذا الجزء مسرحًا لكثير من الحوادث منذ أقدم عصور تاريخ العرب، ولكن عناية المؤرخين به كانت ضعيفة، ويرجع هذا إلى أسباب كثيرة منها:

١ - أن تاريخ الأمة العربية - على وجه الإجمال - لم يدوَّن إلا بعد ظهور الإسلام في القرن الثاني الهجري، وهذه البلاد تُكون الجزء الواسع من مهد العرب، الذي فيه نشأوا، ومنه انساحوا إلى أنحاء البلاد الأخرى شرقًا وشمالًا، قبل ظهور الإسلام بدهر طويل.

٢ - ومنها أن جل المؤرخين عنوا بتسجيل ما له صلة بالحكومات من الحوادث، تزلفًا إليها، وتقربًا منها، وأهملوا ما عدا ذلك، ومراكز الحكومات العربية - في عهود تدوين تاريخ العرب الحديث، في العراق، وفي الشام، وفي مصر، ولولا ما للحجاز من منزلة دينية في نفوس المؤرخين، لما امتاز من حيث تدوين تاريخه عن صنوه هذا الجزء الذي نتحدث عنه.

---

(١) نقلًا عن مجلة العرب، (٥ / ٧٩٢ - ٧٩٤) - باختصار -. وتُنظر أيضًا: مجلة العرب (٢ / ١٠١٣).

٣ - وقد لا نعدو الحقيقة إذا قلنا بأنه لولا الأزرقي، وأبو غسان شيخ ابن شبة، وابن زبالة، والطبري، والفاسي، والسمهودي، وأمثال هؤلاء من المكيين والمدنيين؛ لضاع تاريخ الحجاز، لأن عدم نبوغ علماء في أي قطر من الأقطار البعيدة عن مراكز الحكومات، ممن يعنون بتدوين تاريخ قطرهم، في العهود الماضية، من الأسباب التي تجعل تاريخ ذلك القطر مجهولًا، كحالة نجد[١]، فنحن إذا استثنينا علماء ثلاثة أو اثنين من علماء الحديث؛ كيحيى بن أبي كثير وعكرمة بن عمار (في القرن الأول الهجري) واستثنينا محمد بن إدريس بن أبي حفصة، ثم استعرضنا ما بين أيدينا من كتب التاريخ منذ بدء تدوينها إلى القرن الحادي عشر الهجري، لما وجدنا أية إثارة من علم تحملنا على الاعتقاد بقيام علماء في هذه البلاد فضلًا عن وجود مؤلفات تاريخية تعنى بتسجيل حوادثها.

ولقد قامت في نجد، في ذلك العهد، دويلات من أقواها:

١ - دولة الأخيضريين الطالبية التي حكمت تلك البلاد من منتصف القرن الثالث الهجري إلى أول القرن الرابع (٢٥٣ - ٣١٧هـ).

٢ - دولة القرامطة التي امتد حكمها من الأحساء إلى نجد في سنة ٣١٧ فأزالت الأخيضريين واستمر حكمها إلى منتصف القرن الخامس (٢٨٧ - ٤٧٠هـ) غير أن هاتين الدولتين باعتبارهما خارجتين على دولة الخلافة - الدولة العباسية - ولما أثر عن القرامطة من استهانة بحرمات الأماكن المقدسة، فإن أخبار هاتين الدولتين لم تصل إلينا كاملة، مع أن المتقدمين أشاروا إلى تصدي بعض المؤرخين لتدوين أخبارهما.

---

(١) كتب الشيخ حمد هذا قبل خروج بعض المصادر التي تُثبت وجود علماء في نجد منذ القرن الثامن الهجري. ينظر للفائدة: بحث «النهضة النجدية الثانية»؛ للدكتور خالد الوزان والأستاذ عبد الله البسيمي، في مجلة الدرعية (س٩ ع٣٦ ص٥٧).

رحالة في القرن الخامس يصف نجدًا:

ولعل من المفيد في هذا المقام أن نستمع إلى رحالة اخترق نجدًا في منتصف القرن الخامس الهجري وهو يصف ما عليه تلك البلاد من الجهل.

يقول ناصر خسرو علوي بأنه توجه من الطائف إلى نجد في ٢٣ ذي الحجة عام ٤٤٢ فمر بمكان يبعد عن الطائف ٢٥ فرسخًا، فلبث خمسة عشر يومًا بين قوم لا حاكم لهم، يعيشون على السرقة والقتل، ويمسكون كل من يدخل أرضهم بغير خفير ويجردونه مما معه، غير أنه سلم بسبب الخفير الذي معه منهم، ثم بلغ بلدة الأفلاج بعد شهر من خروجه من الطائف، فوجدها منقسمة إلى حزبين بينهما خصومة وعداوة، ووجد أهلها جياعًا عراة جهلاء، وفقراء جدًّا، ومع فقرهم وبؤسهم فإنهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء، وقد سلبوه ما معه من زاد ولباس، وتركوا أثمن شيء يملكه، وهو الكتب، وهذا أبلغ دليل على سيطرة الجهل على أهل تلك الجهات. وقد أيس من الحياة لما بلغ هذه البلدة؛ لأنه لا يتصور الخروج منها واجتياز مئتي فرسخ إلى البصرة كلها مهالك ومخاوف، ولكنه استطاع بعد لأي أن يخرج وأن يصل إلى اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام، كلها مشقة وعناء.

مصادر تاريخ نجد القديمة:

وبلادٌ بهذه الحالة من الجهل والفوضى، لا مناص للباحث في تاريخها - في هذه الحقبة الطويلة من الزمن - منذ بدء تدوين التاريخ العربي بعد الإسلام إلى نهاية القرن العاشر الهجري - من الرجوع إلى المصادر العامة للتاريخ العربي، بعد أن يُعييه البحث عن مؤلفات خاصة بهذه البلاد وسيجد في هذه المصادر مادة غزيرة عما كانت عليه (نجد) في العهود التي سبقت الإسلام، عن أيام العرب، وجلها وقع في نجد بين قبائل من سكانه، وعن أخبار الشعراء الجاهليين

ومواطنهم، وأغلبهم من هذه البلاد، وسيجد المؤرخ في دواوين أولئك الشعراء الذين وصلت إلينا دواوينهم أشياء كثيرة مما يهم الباحث معرفتها، وسيجد المؤرخ أيضًا نتفًا من أخبار نجد، مما له صلة بتعيين الولاة، أو بصيانة طريق الحج، أو بخروج بعض القبائل على الولاة، أو بوفود بعض شعراء هذه البلاد على الخلفاء وما هو من هذا القبيل، غير أن كل ذلك يحتاج إلى الغربلة والتنسيق والترتيب بعد الدراسة العميقة. وكل ذلك أيضًا يمكن إرجاعه إلى ما قبل القرن الرابع الهجري، وما بعد هذا القرن - وإلى القرن العاشر - لا نجد لهذا الإقليم الطويل العريض - فيما بين أيدينا من المؤلفات - إلا ما جاء عرضًا في الرحلات المعروفة - كرحلة ناصر خسرو ورحلة ابن المجاور ورحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة، وكلها معروفة، وما جاء في هذه الرحلات لا يروى غلة الباحث المؤرخ.

وهذا القول لا ينفي وجود بعض الإشارات التاريخية الموجزة، التي تتعلق ببدء عمارة البلدان، مستقاة من الوثائق الشرعية وصكوك ملكية العقارات، بقيت تتناقلها الأيدي حتى وصلت إلى أول القرن الحادي عشر، حيث بدأ تدوين التاريخ الذي وصل إلينا عن هذه البلاد؛ لأننا نقرأ أخبار بدء تعمير بلدان عُمرت في القرون الثلاثة الأخيرة من هذه الحقبة من الزمن، فنجد فيما وصل إلينا أن بلدة (التويم) عُمرت في سنة ٧٠٠، و(حرْمة) في سنة ٧٧٠، و«المجمعة» في سنة ٨٢٠، و(العيينة) في سنة ٨٥٠، ونجد من أخبار القرن العاشر - فيما وصل إلينا - لمحات قصيرة عن حياة بعض مشاهير علماء ذلك القرن من أهل هذه البلاد، لما لتاريخ هؤلاء من ارتباط بوثائق العقارات.

في القرن الحادي عشر:

ليس لدينا الآن - ما يمنع من القول بأن بدء تدوين التاريخ في هذه البلاد لم

يكن معروفًا قبل أول هذا القرن، وإن كنت أرجو أن يأتي اليوم الذي يغير هذا الرأي، بالعثور على شيء من المؤلفات التاريخية، غير أن التاريخ تدوين حقائق واقعة لا دخل للآمال فيه.

حسين بن غنام

كانت الأحساء منذ القرن العاشر مركزًا من مراكز العلم في الجزيرة، يفد إليها الطلاب من نجد ومن سواحل الخليج العربي ليأخذوا عن علمائها، وفي عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد (١٢١٨ - ١٢٢٩) بلغت الدولة السعودية - في دورها الأول - أوجها من القوة، وأصبحت عاصمة المملكة (الدرعية) مقصد طلاب العلم، ورواد الفضل، من مختلف البلاد، فرأى الإمام سعود رَحِمَهُ اللهُ أن هذه المدينة وإن كانت مركز الإشعاع لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفيها أبناؤه العلماء، إلا أنها بحاجة إلى علماء يقومون بتدريس علوم اللغة العربية، فدعا عالم المبرز وأديبها الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام المالكي المذهب ليتولى ذلك[١]، فمكث في هذه المدينة بضع سنوات، لا يقتصر على التدريس، بل أخذ يدون تاريخ هذه الدعوة الإصلاحية، مبتدئًا بوصف حالة البلاد الإسلامية، إبان قيام الشيخ محمد بدعوته الإصلاحية، ثم بترجمة الشيخ، وذكر طائفة من رسائله ومؤلفاته، وخصص لذلك كتابًا سماه: «روضة الأفكار

---

(١) الصواب أنه قدم الدرعية زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد؛ بدليل ماجاء في كتابه «العقد الثمين» - كما سبق -، وماجاء في قصيدته للحفظي، وقوله في مقدمة تفسير الشيخ محمد لسورة الفاتحة (١ / ٢٢٢، ط: أبابطين): «وكان سبب تأليفه لسورة الفاتحة أن الأمير عبدالعزيز، حفظه الله تعالى، كتب له، وهو إذ ذاك في بلد العيينة، يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة... إلخ». فقوله: «حفظه الله» يدل على أنه ابتدأ كتابة تاريخه أثناء مقامه بالدرعية، في حياة الإمام عبدالعزيز.

والأفهام لمرتاد حال الإمام»، ثم أتبعه بكتاب آخر، جعله سجلًا للغزوات التي قام بها آل سعود في سبيل مناصرة هذه الدعوة ونشرها، وسماه: «كتاب الغزوات البيانية، والفتوحات الربانية» ابتدأها من سنة انتقال الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من العيينة إلى الدرعية في سنة ١١٥٨، وانتهى في النسخة التي وصلت إلينا من هذا التاريخ إلى سنة ١٢١٣، أي قبل انتقال الحكم إلى الإمام سعود بخمس سنوات، وقد عاش ابن غنام إلى سنة ١٢٢٥ في ذي الحجة، ومن المستبعد أن يترك الشيخ ابن غنام اثنتي عشرة سنة (من ١٢١٣ - ١٢٢٥) دون أن يسجل حوادثها، والنسخة التي وصلت إلينا - سواء الأصول الخطية، وكلها من مخطوطات القرن الثالث عشر، أو المطبوعة - مبتورة بترًا واضحًا، آخرها:

لقد عدمتني الكُمْت يوم مجالها ولا وسّطت بي الجمع يوم التناضل
ولا أروتِ الأسْلُ الظماء

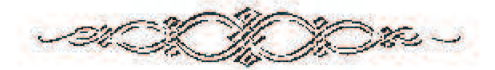
(آخر ما وجد من التاريخ)..

وقد جرى ابن غنام في كتابة تاريخه هذا على طريقة حاول بها أن يظهر براعته اللغوية، فكتبه مسجوعًا مملًا، وقصره على أنباء الحركة التي خصصه لتاريخها، فكان أوفى سجل لها في خلال نصف قرن (من سنة ١١٥٨ إلى سنة ١٢١٣) وهو أوثق مصدر عن حوادثها.

وفضلًا عما يتصف به ابن غنام من تمكنه من اللغة العربية هذا التمكن الذي حاول إبرازه بتاريخه الذي ضمنه كثيرًا من شعره، فإن له مؤلفات أخرى؛ منها «العقد الثمين في أصول الدين»، وكان من تلاميذه كبار علماء الدرعية في عهده؛ كالشيخ حمد بن ناصر بن معمر، والشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد، وغيرهما.

وقد عُثر على تكملة لتاريخ الشيخ حسين بن غنام، وصلت إلى الخزانة السعودية في الرياض وقت نشر تاريخ ابن بشر لأول مرة، أي سنة ١٣٤٩،

ويظهر أن احتواء تاريخ ابن بشر على جل ما في التكملة، وأن أسلوبها مما لا يتلاءم مع أذواق كثير من القراء في هذا العهد للسجع الممل، وأن تاريخ ابن غنام سبق نشره، وليس هناك كبير فائدة في هذه التكملة لكي يعاد طبع التاريخ كاملًا، هذه الأسباب حالت دون نشر تلك التكملة، وقد وصلت إلى مكتبة الأستاذ رشدي ملحس، وهو الذي حدثني عنها.



ابن غنام مؤرخًا

للدكتور: عبدالله بن صالح العثيمين(١)

أما الكتابة التاريخية لدى النجديين فلم تحدث إلا في القرن الحادي عشر الهجري، وكان أول مؤرخ نجدي: الشيخ أحمد بن محمد البسام «الوهبي التميمي» المتوفى سنة ١٠٤٠هـ، ومن الجدير بالذكر أن أكثر من نصف علماء نجد من القرن العاشر إلى منتصف القرن الثاني عشر قد وُلدوا في أشيقر وتعلموا فيها، وأن بعضًا من غير المولودين فيها قد وفدوا إليها لتلقي العلم على مشايخها، وأن أكثر من نصف العلماء النجديين في الفترة المذكورة ينتمون إلى آل وهبة، وهو فرع آل مشرف أسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهذا يدل على أن بلدة أشيقر كانت حينذاك مركزًا علميًا في منطقة نجد، وأن آل وهبة، بصفة عامة، وآل مشرف بصفة خاصة، قد احتلوا مركز الصدارة العلمية في هذه المنطقة.

إن ما كتبه أحد بن بسام كان تقييدات مختصرة جدًا لحوادث وقعت في نجد بين عامي ١٠١٥ و ١٠٣٩هـ، وبعض هذه التقييدات تبدو وكأن المراد بها ذكر تاريخ الحادثة فقط لمن يعرف الحادثة ذاتها ولا ينقصه إلا معرفة زمن حدوثها، مثل أن يقول: في سنة كذا ذبحة آل فلان، دون ذكر من قتلهم، أو سبب القتل أو مكانه، وكان الشيخ أحمد المنقور المتوفى سنة ١١٢٥هـ ممن أفاد من تقييدات البسام، وأضاف إليها تقييدات أخرى لحوادث لاحقة.

---

(١) نُشر على أربع حلقات في جريدة «الجزيرة»، بتاريخ (٥ / ٥ / ١٤٢٣هـ، و١٢ / ٥ / ١٤٢٣هـ، و ١٩ / ٥ / ١٤٢٣هـ، و٢٦ / ٥ / ١٤٢٣هـ). ثم نشره في كتابه «مراجعات في مصادر التاريخ السعودي» (ص ٣١ - ٥٨). وأنقله بتصرف يسير.

ولقد فصّل أكثر الحوادث التي أشارت إليها التقييدات المذكورة مؤرخان نجديان فيما بعد، وهما عثمان بن بشر ومحمد الفاخري، اللذان عاشا في القرن الثالث عشر الهجري، بل إن المؤرخ النسابة إبراهيم بن عيسى المتوفى سنة ١٣٤٣هـ ألف نبذة صدرت بعنوان: «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد»، مبتدئًا بسنة ٧٠٠هـ، ومنتهيًا بسنة ١٣٤٠هـ، غير أن الحوادث التي أشار إليها غير متوالية. وعاصر ابن عيسى مؤرخٌ آخر؛ هو عبدالله بن محمد البسام، المتوفى سنة ١٣٤٦هـ، مؤلف «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق»، وقد بدأ تاريخه بتمهيد أشار فيه إلى وقائع مهمة على امتداد التاريخ، ثم بدأ المراد من تأليفه بذكر ما حدث عام ٨٥٠هـ، وهو العام الذي بدأ فيه ابن بشر والفاخري تاريخيهما، واستمر في ذكر الأحداث إلى سنة وفاته، وفي تاريخه ذكر لحوادث نزاع بين القبائل في نجد وما يليها شرقًا وشمالًا، لم تذكرها المصادر المتوافرة، ولم يعزها إلى أي مصدر.

على أن النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري شهد - كما هو معروف- ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي غيرت وضع منطقة نجد، دينيًا وسياسيًا. فلقد تبنى آل سعود أمراء الدرعية تلك الدعوة، التي أصبح التوحيد ببعديه الديني والسياسي قضيتها الجوهرية، وقد انبرى من لديهم القدرة على الكتابة التاريخية لتسجيل تاريخ تلك الدعوة وتفصيلات حياة صاحبها، وتدوين ما قام به أنصارها من جهود لنشرها، وتوحيد سكان المنطقة تحت راية ما نادت به.

وكان ممن كتب عن أولئك الأنصار - كما ذكر ابن بشر-: محمد بن علي ابن سلوم، الذي وُلد في العطار بسدير سنة ١١٦١هـ، ولأنه كان من المعارضين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ارتحل من نجد إلى الأحساء، حيث درس

على الشيخ عبدالله بن فيروز[١]، الذي كان هو الآخر معارضًا للدعوة السلفية، ولما أوشكت الأحساء أن تقع في أيدي آل سعود مع بداية القرن الثالث عشر الهجري، رحل الاثنان منها إلى البصرة، ثم توفي ابن سلوم في سوق الشيوخ عام ١٢٤٦هـ، على أن ما كتبه ابن سلوم ما زال مفقودًا، ومعرفة الباحثين بمضمونه معتمدة على ما ذكره عنه ابن بشر، إذ قال[٢]: «إلا أني وجدتُ لمحمد بن علي بن سلوم الفَرَضي الحنبلي إشارات لطيفة في تتابع السنين، ورسم وقائع كل سنة بما لا يفيد، ولا حقق تحقيقًا للوقائع ومواضعها ينتفع به المستفيد، بلغ في ترسيماته إلى قرب موت عبدالعزيزبن محمد بن سعود».

وتقليل ابن بشر رحمه الله لأهمية ما قام به ابن سلوم ليس أشد إيلامًا من تقليله لأهمية ما قام به العالم المؤرخ حسين بن غنام، فمع أنه - أي ابن بشر - قد نقل عن ابن غنام نقلًا واضحًا حرفيًا حينًا، ومضمونًا حينًا آخر، فإنه لم يذكر لمن نقل عنه تاريخًا، بل إنه بعد أن ذكر ما ذكر عن ابن سلوم قال: «ثم وجدت ترسيمات لغيره، أحسن من رسمه، متصلة به»، ولم يذكر اسم صاحب هذه الترسيمات، وإن كان يتضح من المقارنة أنه قصد ابن غنام.

ولد حسين بن أبي بكر بن غنام المنتمي إلى قبيلة تميم في بلدة المبرّز بمنطقة الأحساء، التي كانت مركزًا من مراكز العلم في الجزيرة العربية، وقد برز من أسرته التي كانت - على الأرجح - مالكية المذهب، عدد من العلماء، فنشأ الفتى في ذلك المناخ العلمي، الذي واكب إمكاناته الذاتية؛ فأصبح عالم شريعة وأستاذ لغة وناظم شعر، ولعل خير شاهد على مستواه الشعري: تلك القصيدة التي مدح بها الشيخ عبدالله بن أحمد آل عبدالقادر، والتي استهلها- مثل عادة

---

(١) الصواب: محمد بن فيروز. انظر: «السحب الوابلة» (٣/ ١٠٠٨).
(٢) (١/ ١٦).

كثير من شعراء عصره بنسيب ورد فيه:

هل الفجرُ إلا ما بدا من جبينها ... أو الوردُ إلا ما جلاه احمرارها
أو الليلُ إلا من معسعس شعرها ... أو الخمرُ إلا ظلها لا عُقارها
أو السهمُ إلا ما تريش جفونها ... أو البِيضُ إلا لحظها لا غِرارها
مهاة تريك الشمس طلعة وجهها ... إذا أسفرت يجلو الظلامَ نهارُها

وقصيدته التي هنأ بها الكريم أحمد بن رزق على زواجه عام ١١٨٩هـ، وقد استهلها بقوله:

أدر كؤوسًا من سُلاف المدام ... ولا تُكدّرها بفرط الملام
فقد أتى القصد وحق المنى ... والدهر قد زان وحان المرام
والوقت صافٍ والصّبا برده ... ضاف وقد عاج وماج الغرام
وطابت النفس ورق الهوى ... وقر بالعين لذيذ المنام

كانت تلك مؤهلات الشيخ حسين بن غنام في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وكانت الدولة السعودية الأولى حينذاك قد أكملت توحيد منطقة نجد، وبدأت محاولاتها لانتزاع منطقة الأحساء من قادة بني خالد، الذين سبق أن ناصبوها العداء، وقاموا بغزوات متعددة ضدها، وكان نجاحها قد جعل من قاعدتها الدرعية محط أنظار طلاب العلم في المنطقة؛ وبخاصة أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان ما يزال على قيد الحياة، وأن أعدادًا ممن تخرجوا على يديه - وفي طليعتهم أبناؤه قد أصبح لهم تلاميذ كثيرون، ومع أن الكتابات التي دونها الشيخ وتلاميذه توضح أنهم كانوا على مستوى جيد بمعرفة قواعد اللغة العربية، فإن التزود من هذه القواعد كان أمرًا مطلوبًا، ولذلك لم يكن غريبًا أن يُدعى غنام إلى الدرعية ليقيم فيها، وينتفع الطلاب بما لديه من معرفة لغوية، ولم يكن غريبًا أيضًا أن يكون ذلك اللغوي ممن تطلعوا إلى العمل في الدرعية بعد أن

احتلت ما احتلت من مكانة رفيعة، وشهدت ما شهدت من تطور كبير؛ وبخاصة أن كتاباته في غير مجال التاريخ؛ مثل «العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين» توضح أنه مقتنع بالطرح السلفي الذي طرحه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصاره، ولقد بقي ابن غنام في العاصمة السعودية، الدرعية، حتى وفاته سنة ١٢٢٥هـ، على أنه ليس من المؤكد متى قدم إليها؛ أكان ذلك في أثناء حياة الشيخ محمد المتوفى سنة ١٢٠٦هـ؟ أم بعد أن دخلت منطقة الأحساء تحت الحكم السعودي عام ١٢٠٨هـ؟ فالقرائن التي توحي بأن قدومه كان في أثناء حياة الشيخ تكاد تتساوى، من حيث القوة، مع القرائن التي توحي بأن ذلك القدوم كان بعد وفاته.

لقد أشار ابن غنام في مقدمة تاريخه إلى أنه أراد أن يكتب عن الغزوات التي قام بها أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومع أنه استصعب ذلك؛ وبخاصة أنه كان مغتربًا عن وطنه - كما قال - «إلا أن داعي النفس لذلك كان كثير، والإمام - أيده الله تعالى- يعزم عليَّ في ذلك ويشير»، فشرع في كتابته.

وعبارة «أيده الله تعالى»: تقال عادة دعاء للحاكم السياسي، وقد عاصر ابن غنام في الدرعية حاكمين من آل سعود؛ هما: عبدالعزيز بن محمد، وسعود بن عبدالعزيز، على أنه تناول تاريخ مؤسس الدولة السعودية الأولى محمد بن سعود، والموجود من تاريخه لم يصل إلى حكم سعود بن عبدالعزيز.

والمتأمل في تاريخ ابن غنام يجد أنه كان إذا تحدث عن محمد بن سعود، المتوفى سنة ١١٧٩هـ سماه الأمير؛ وذلك من بداية حديثه عنه سنة ١١٥٧هـ، إلى سنة ١١٧٨هـ، غير أنه ورد في قصيدة له عن فشل حملة زعيم بني خالد، عريعر ابن دجين، في السنة الأخيرة قوله:

بحكم إمام المسلمين وعدله ... تُحاط نواحيها ويُحمى عرينها

وهذه هي الإشارة الوحيدة إلى محمد بن سعود بأنه إمام المسلمين. أما حديث ابن غنام عن عبدالعزيز بن محمد فمختلف، كان يسميه - في أغلب الأحيان- «عبدالعزيز» فقط، بدون لقب، لكنه في حالات قليلة ذكر ما يثير سؤالًا حول اللقب الذي أراده له؛ فعند ذكره لوفاة محمد بن سعود، سنة ١١٧٩هـ قال[١]: «وفيها بايع عبدالعزيز أهلُ الإسلام، وأعطوه على الإمامة عقد الأحكام»، وفي كلامه عن حوادث سنة ١١٩٠هـ قال[٢]: «لما غدر زيد بن زامل، أمير الدلم بالعهد.. وبلغ ذلك على الجزم واليقين، عبدالعزيز إمام المسلمين، أمر بغزوه»، وفي كلامه عن الحوادث التي جرت في جنوبي نجد سنة ١٢٠٢هـ قال[٣]: «ثم بعد ذلك بأيام قدموا على عبدالعزيز الإمام، فأكرمهم.. غاية الإكرام»، لكنه قال[٤] في سنة ١٢٠٢هـ، أي في السنة السابقة نفسها: «أمر الشيخ محمد بن عبدالوهاب المسلمين أن يبايعوا سعودًا على الإمارة بعد أبيه»، وفي كلامه عن أحداث عام ١٢٠٥هـ قال[٥]: «وفي أثناء تلك الليالي والأيام، أمر عبدالعزيز الإمام، أهل الإيمان والإسلام»، وفي كلامه عن أحداث سنة ١٢١٠هـ قال[٦]: «وفيها؛ وبراك (بن عبدالمحسن) وأهل الحسا من تحت إمام المسلمين، لمعت للفتنة بوارق»، ثم قال[٧]: «فلما تحقق عبدالعزيز الإمام، عن ثويني بصحيح الكلام..»، ثم قال[٨]: إن براك (بن عبدالمحسن)

---

(١) (٢/ ٧٤).
(٢) (٢/ ٩٥).
(٣) (٢/ ١٣٣).
(٤) (٢/ ١٣).
(٥) (٢/ ١٤٨).
(٦) (٢ / ١٧٤).
(٧) (٢/ ١٩٣).
(٨) (٢ / ١٩٧).

«قد أرسل إلى عبدالعزيز الإمام، حدود مسيره إلى الشمال تلك الأيام»، وقال[١]: «فلما عرف إمام أهل الإيمان، ما قصده ذلك الإنسان»، لكنه مع كل ذلك قال عنه - فيما بعد-[٢]: «ولما أتى الخبر عبدالعزيز»، دون وصف أو لقب.

ويتضح مما سبق أن بين تسمية ابن غنام عبدالعزيز بن محمد بالإمام أحيانًا، وبين السجع - الذي كان المؤلف مغرمًا به - صلة وأي صلة. وهكذا يتضح أن ابن غنام لم يتخذ موقفًا معينًا من تسمية عبدالعزيز.

ولقد ذكر ابن غنام في مقدمة تاريخه أنه سمّاه «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، ولم يتحدث فيه عن حال أحد سوى الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي فصّل الكلام عن حياته تفصيلًا جيدًا، ومعنى ذلك أن المقصود بكلمة «الإمام»: الشيخ محمد نفسه، ومع أنه كان إذا تحدث عنه وصفه بالشيخ، في أغلب الأحيان، فإنه وصفه في مقدمة كتابه بقوله[٣]: «إمام الموحدين»، كما وصفه فيها بقوله[٤]: «فانتظم في سلك الإمام (يعني الشيخ) رجال»، ووصفه عند حديثه عن لجوء سعود بن عريعر إلى الدرعية سنة ١٢٠٠هـ[٥] بالإمام، وعندما رثاه سنة ١٢٠٦هـ قال عنه[٦]:

إمامٌ أصيبَ الناس طرًا بفقده وطاف بهم خطبٌ من البين موجع

وقد يسأل سائل عن الهدف من الاستطراد في هذه المسألة؟ والجواب هو أنه إذا ترجّح أن ابن غنام كان يقصد بالإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عندما

---

(١) (٢/ ٢٠٠).
(٢) (٢ / ٢٤٦).
(٣) (ص ٣).
(٤) (ص ٢٩).
(٥) (٢ / ١٢٥).
(٦) (٢/ ١٥٥).

قال في مقدمته: «والإمام يعزم عليّ»؛ فإن ذلك يعني أنه قدم إلى الدرعية قبل وفاة الشيخ، وقبل أن تدخل منطقة الأحساء تحت الحكم السعودي، أما إذا ترجّح أنه كان يقصد بالإمام: الحاكم السعودي - وعبارة «أيده الله تعالى»: ترجح ذلك -؛ فإن ذلك لا يدل على قدومه إلى الدرعية والشيخ محمد ما زال على قيد الحياة.

على أنه ورد في أحد المصادر المخطوطة أن الشيخ عبدالله الكردي أرسل من البحرين سنة ١٢٠٩هـ أبياتًا إلى ابن غنام، الذي كان حينذاك قد أتى إلى الزبارة، فأجابه بقصيدة ضمّنها مدحًا للكريم أحمد بن رزق، كما مدح هذه الكريم بقصيدة أخرى في السنة نفسها، وكونه في الزبارة تلك السنة؛ مادحًا لذلك الرجل الكريم، قد يرجح أنه لم ينتقل بعدُ إلى الدرعية؛ ذلك أن ذهابه من هذه المدينة - بما لقيادتها حينذاك من ثقل سياسي- إلى الزبارة ليمدح رجلًا من غير أفراد تلك القيادة أمرٌ مرجوح.

على أن المصادر تذكر أنه كان من بين الذين درسوا عليه قواعد اللغة العربية في الدرعية: الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، الذي لازم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورأس وفدًا من العلماء إلى مكة سنة ١٢١١هـ لمناظرة علمائها، ثم أصبح رئيسًا لقضاة مكة من سنة ١٢٢١هـ إلى وفاته سنة ١٢٢٥هـ، فرئاسته لوفد من العلماء سنة ١٢١١هـ يرجح أن دراسته القواعد على ابن غنام كانت قبل ذلك ربما بسنوات عدة.

وسواءً كان قدوم ابن غنام إلى الدرعية قبل وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو بعد وفاته؛ فإنه أصبح أستاذًا لعدد ممن أصبحوا بين علمائها البارزين.

لعل أول نقطة يحسن أن يُشار إليها في الحديث عن هذا التاريخ هي الهدف من كتابته، وإذا اعتُمد - في هذا الأمر- على ما كتبه هذا المؤرخ نفسه في

مقدمته؛ فإن من الواضح أن كتابته له كانت ذاتية ابتداء، ثم بتشجيع ممن كان يُكن له التقدير انتهاء.

استهل ابن غنام ما كتبه بحمد الله والصلاة على نبيه محمد ﷺ، والإشارة باختصار إلى رسالة التوحيد التي جاء بها، وما طرأ على عقائد بعض المسلمين من انحراف، ثم قال بأسلوبه المسجوع، الذي سيأتي الحديث عنه: «لما كانت منزلة العلم أعظم المنازل، والتحلي بحلاه من أفخم الفضائل، لاسيما للأفاضل والأماثل، ومرتبته أرفع المراتب عند الأواخر والأوائل.. وكان من أسناها شأنًا وفخرًا، وأسماها رتبة وذكرًا، وأرفعها منصبًا وقدرًا، وأنفعها عند الله تقربًا وحضورًا؛ علم الحديث والأثر، ومعرفة التواريخ والسير، كما نص عليه أرباب الفن والنظر، إذ فيه لمقتفيه عبرة من أجل العبر، تزيد اللبيب تحقيقًا وتبصيرًا، ونشره في المجالس والمحافل، ودرسه في البُكر والأصائل، وسيلة من أنفع الوسائل، إلى التأسي بالمجاهدين، فينال مع الأجر قبولًا وتوقيرًا، فيقتفي السامع آثارهم، إذا سبر أخبارهم، وعرف أنهم بذلوا - رغبة فيما عند الله أعمارهم، فبشرهم بنعمته وفضله تبشيرًا، أردت أن أصنف فيما أشرق ضياؤه وانتشر، وشاع في غالب الأقطار واشتهر، من الغزوات التي هي في محيا الدهر كالغُرر، والفتوحات الإسلامية التي مبدأها العقد السادس من القرن الثاني عشر».

وهكذا يتضح - وفقًا لكلام ابن غنام نفسه - أنه ألف تاريخه بدافع ذاتي منه، لُحمته وسُداه إدراكه لمنزلة التاريخ الرفيعة بين العلوم؛ لما ينتج عن قراءته من فوائد، في طليعتها تأسي الخلف بالسلف، ولما يناله من قام بكتابته من أجر وثواب عند الله. ولقد أوضح إدراكه لخطورة الإقدام على كتابة التاريخ، وصعوبة ظروفه وهو في دار غربة، أي لم يكن في مسقط رأسه، لكنه - مع ذلك

- بيّن أن عاملين أثرا عليه، أو ساعداه في التغلب على شعوره بخطورة الكتابة وصعوبة ظروفه، وأول العاملَين: رغبته الملحة في الكتابة، ثانيهما: حفزه عليها من قِبل من كان يقدره غاية التقدير، وقد عبر عن هذين العاملين بقوله: «لكن داعي النفس لذلك (أي الكتابة) كثير، والإمام - أيده الله تعالى- يعزم عليّ في ذلك ويشير».

وإذا كان الكلام السابق يوحي بالهدف من الكتابة، ويبين عاملي السلب وعاملي الإيجاب في القيام بها، فما الموضوع المستهدف من الكتابة؟

لقد ورد في الكلام السابق المقتبس من مقدمة ابن غنام لتاريخه أنه صنفه لتسجيل الغزوات التي قام بها أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - بقيادة آل سعود-، ابتداءً من العقد السادس من القرن الثاني عشر، وهذا يفيد بأن المستهدف من الكتابة تسجيل الأعمال العسكرية، أو ما سمها الغزوات التي قام بها أولئك الأنصار.

وإذا توسع في المدلول فإنه قد يشمل الظروف السياسية التي واكبتها، على أنه ذكر في المقدمة - أيضًا - أنه سمى تاريخه: «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، وهذا يفيد أن التاريخ الذي كتبه يشتمل على أمرين: الحديث عن حال الإمام، والحديث عن غزوات أنصار الدعوة السلفية، وما هو موجود فعلًا ينطبق على هذين الأمرين.

لقد كان اقتناع ابن غنام بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب واضحًا كل الوضوح، وكان تقديره لصاحبها ولمن ناصروها بينًا كل البيان، وكان الصراع بين أنصارها وخصومها - خلال الفترة التي تناولها تاريخه عنيفًا كل العنف، فعند الحديث عن تاريخه لابد من أخذ كل هذه الأمور بعين الاعتبار، لكي يُحدد مدى تأثيرها على كتابته، وهذا التحديد سيرد الحديث عنه فيما بعد.

النقطة الثانية التي يحسن أن يُشار إليها في الكلام عن تاريخ ابن غنام: هي محتوياته: يتكون هذا التاريخ من جزأين، اشتمل الجزء الأول منهما على خمسة فصول، تحدث في الفصل الأول عن الأوضاع الدينية - وإلى حد ما السياسية- في نجد والإحساء وبعض البلدان الأخرى، وذلك قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وتحدث في الفصل الثاني عن حياة الشيخ محمد، أما الفصل الثالث فاشتمل على بعض الرسائل التي أرسلها الشيخ إلى عدد من قادة البلدان والشخصيات، وأما الفصل الرابع فحوى شيئًا من الأسئلة التي وُجهت إلى الشيخ وأجوبته عنها، وأما الفصل الخامس فقد ورد فيه تفسير الشيخ لبعض سور القرآن وآياته.

ويبدأ الجزء الثاني من تاريخ ابن غنام بمواصلة الحديث عن حياة الشيخ محمد الذي أورده في الفصل الثاني من الجزء الأول، مفصلًا الظروف التي أدت إلى انتقاله من العيينة، حيث بدأ تطبيق دعوته، ثم إلى الدرعية التي أصبحت قاعدة الدولة المناصرة لتلك الدعوة، وبعد ذلك يبدأ الحديث عن الأعمال العسكرية - أو الغزوات - لتلك الدولة، ابتداءً من عام ١١٥٩هـ.

بدأ ابن غنام حديثه عن الأوضاع الدينية بإعطاء صورة عنها بقوله:

«كان غالب الناس في زمانه (أي زمان الشيخ محمد) متضمخين بالأرجاس، متلطخين بوضر الأنجاس، حتى انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس.. فعمدوا إلى عبادة الأوثان والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد والدين، فجدوا في الاستعانة بهم في النوازل والحوادث، والخطوب المعضلة والكوارث».

ثم أعطى تفصيلات لما كان يُمارس في إقليم العارض النجدي بالذات، وفي مدن الحجاز ومصر واليمن والشام والعراق والقطيف، وتلك التفصيلات التي

أوردها تدل دلالة واضحة على جهل عظيم بأمور الدين، وتدهور كبير في تفكير من يقومون بها، عقيدة وممارسة.

وبعد ذلك أورد أربع فوائد مهمة، وقد ضمن الفائدة الثالثة منها: قصيدة من ثلاثة وستين بيتًا للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني مطلعها:

أما آن عما أنت فيه متابُ   وهل لك من بعد البعاد إيابُ

ومما أورده الصنعاني في قصيدته قوله:

نسائل من دار الأراضي سياحة   عسى بلدة فيها هدى وصوابُ
فيخبر كلٌ عن قبائح ما رأى   وليس لأهليها يكون متابُ
لأنهم عدوا قبائح فعلهم   محاسنَ يُرجى عندهن ثوابُ
كقومٍ عراةٍ في ذرا مصر ما علا   على عورة منهم هناك ثيابُ
يدورون فيها كاشفين لعورة   توتر هذا لا يُقال كذابُ
يعدونهم في مصر فضلاءهم   دعاؤهمُ فيما يرون مجابُ
وفيها وفيها كلُ ما لا يعده   لسانٌ ولا يدنو إليه خطابُ
وفي كل مصرٍ مثل مصرَ وإنما   لكلٍ مسمَّى والجميع ذئابُ

أما الفصل الثاني من الجزء الأول فعنوانه: نسب الشيخ ومبدأ أمره، وما جرى عليه في قيامه بتلك الدعوة من أهل مصره، وما صدمه به علماء عصره. وحديث المؤلف فيه هو أول سجل عن حياة الشيخ محمد، نسبًا، ومولدًا، ودراسة، وأسفارًا في طلب العلم، وبداية لدعوته في نجد، إلى استقراره في العيينة، مفصلًا ما قام به العلماء المعارضون له من نشاط ضده، وهو النشاط الذي كانت له آثاره على مواقف الأمراء منه، وقد ضمّن الفصل وقفات سماها مهمات، تحدث فيها عن كيفية تعامل الشيخ محمد مع خصومه، وما ينبغي أن يتحلى به الداعية، كما ضمّنه رأي الشيخ في التقليد الممنوع والمباح، ومما

أورده فيه: القصيدة الدالية المشهورة التي أرسلها الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب يثني فيها عليه، وتتألف القصيدة من خمسة وسبعين بيتًا استهلها بقوله:

سلامي على نجدٍ ومن حل في نجد   وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا   رُباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسيرٍ يُنشد الريح إن سرت   ألا يا صَبا نجد متى هجت من نجد
يذكرني مسراك نجدًا وأهله   لقد زادني مسراك وجدًا على وجد
قفي واسألي عن عالم حل سوْحها   به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد   فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

ومنها:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه   يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهرًا ما طوى كلُ جاهل   ومبتدع منه فوافق ما عندي

ومما أورده في الفصل الثاني - أيضًا -: رسالة الشيخ محمد إلى العالم الأحسائي عبدالله بن محمد بن عبداللطيف، لائمًا له على اشتراكه مع خصومه في الكتابة ضده، وبخاصة أن ابن عبداللطيف - كما قال الشيخ محمد - في رسالته: قد نشر الله له من الذكر الجميل وأنزل في قلوب عباده له من المحبة ما لم يؤته كثيرًا من الناس.

ومع أن أكثر عبارات الرسالة توحي بأن الشيخ محمد لم يكن مؤملًا كثيرًا في إقناع الشيخ ابن عبداللطيف، إلا أنه لم يترك وسيلة يظن أنها تؤثر فيه إلا اتبعها، إذ قال: «ما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقًا لدين الله؛ كعمر رضي الله عنه في أوله».

وأما في الفصل الثالث من الجزء الأول من تاريخ ابن غنام فقد أورد رسائل بعثها الشيخ محمد إلى بعض البلدان والشخصيات، ولهذه الرسائل أهمية تاريخية كبيرة؛ لما يمكن أن يُستدل بها على شخصية الشيخ، والظروف المحيطة بدعوته وبالدولة السعودية التي قامت على أساسها.

ومن المحتمل جدًا أنه لو لم يقم ابن غنام بتدوين تلك الرسائل لضاعت، لكن تدوينه لها أمدنا بثروة تاريخية كبيرة.

ولقد أورد ابن غنام في الفصل الرابع من الجزء الأول من تاريخه أجوبة الشيخ على أسئلة وردت إليه، بعضها كان يُراد منها إيضاح مسألة من مسائل الدين، عقيدة وشريعة، وبعضها كان يُراد منه إيضاحٌ لما يدعو إليه الشيخ، وما يشاع عنه، ومن النوع الأخير رسالة أجاب فيها عن سؤال كان قد وجهه إليه حاكم الكويت الذي لم يُحدد اسمه، وقد فصّلت الحديث عن هذه الرسالة، ومدلولاتها التاريخية في كتابي «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت»[١].

وأتى الفصل الخامس والأخير من الجزء الأول من تاريخ ابن غنام إيرادًا لتفسير الشيخ محمد سورًا وآيات من القرآن الكريم، ومما له دلالة تاريخية بالذات من هذا التفسير تفسيره لسورة الفاتحة؛ ذلك أن تفسيره لها كان بناءً على التماس بعثه عبدالعزيز بن محمد بن سعود من الدرعية إلى الشيخ وهو مازال في

---

(١) (ص ٨٣ - ٨٧). قلت: والدكتور يميل إلى أنه عبدالله بن صباح، الحاكم الثاني للكويت. وتُنظر رسالة «نص وثائقي نادر»؛ للشيخ محمد الشيباني، ورسالة «أمراء وعلماء من الكويت على عقيدة السلف»؛ للشيخ دغش العجمي (ص ٣٤ - ٣٥) لمعرفة ما قيل حول هُوية من أُرسلت إليه رسالة الشيخ محمد.

العيينة، وهذا يدل على أن عبدالعزيز - ابن الأمير محمد بن سعود- كان على صلة بالشيخ، واقتناع بدعوته، قبل أن ينتقل إلى الدرعية ويتبايع مع أميرها محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ.

على أن الجزء الثاني من تاريخ ابن غنام هو الأقرب إلى منهجية الرصد التاريخي؛ إذ دوَّن فيه الأحداث سنة سنة، ومع أن العنوان العام لتاريخه قد اشتمل على مدلول هذا الجزء، فإنه جعل له عنوانًا فرعيًا هو: «كتاب الغزوات البيانية، والفتوحات الربانية، وذكر السبب الذي حمل على ذلك»، وقد استهله بمواصلة الحديث عن نشاط الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العيينة، وردود الفعل لتطبيقه فيها ما كان يدعو إليه، وهي الردود التي أدت إلى انتقاله منها إلى الدرعية، ثم تحدث عن نشاطه في السنتين الأوليين بعد استقراره في موطنه الجديد؛ وذلك قبل أن يدخل أنصار دعوته مع خصومهم في نزع مسلح، وبعد هذا أخذ يسجل حوادث هذا النزاع، وما واكبه من نشاط سياسي أديا إلى ما هو معروف في التاريخ العام للمنطقة، من تمكن أولئك الأنصار، بقيادة آل سعود، من توحيدها.

ولقد توقف ما هو متوافر في أيدي الباحثين الآن من تاريخ ابن غنام، مطبوعًا ومخطوطًا عند حوادث عام ١٢١٢هـ، ومن المرجح جدًا أن هناك جزءًا متممًا لهذا التاريخ، وهو الجزء الخاص بتدوين الحوادث حتى وفاة مؤلفه عام ١٢٢٥هـ، ذلك أنه من غير المحتمل أن يُهمل مؤلفه تدوين حوادث مهمة جدًا؛ كغزوة علي باشا مساعد والي بغداد العثماني للأحساء عام ١٢١٣هـ، وهجوم السعوديين على كربلاء عام ١٢١٦هـ، واغتيال الحاكم السعودي عبدالعزيز بن محمد، على يد أحد العراقيين عام ١٢١٨هـ، وتوحيد السعوديين لعسير والحجاز وجازان.

على أن شيخنا حمد الجاسر رَحِمَهُ اللهُ قال - في كلامه عن تاريخ ابن غنام - «وقد عُثر على تكملة لتاريخ الشيخ حسين بن غنام وصلت إلى الخزانة السعودية في الرياض وقت نشر تاريخ ابن بشر لأول مرة؛ أي سنة ١٣٤٩هـ، ويظهر أن احتواء تاريخ ابن بشر على جل ما في التكملة، وأن أسلوبها مما لا يتلاءم مع أذواق كثير من القراء في هذا العهد؛ للسجع الممل، وأن تاريخ ابن غنام سبق نشره، وليس هناك كبير فائدة في هذه التكملة لكي يعاد طبع التاريخ كاملًا، هذه الأسباب حالت دون نشر تلك التكملة، وقد وصلت إلى مكتبة الأستاذ رشدي ملحس، وهو الذي حدثني عنها»[1].

والكلام السابق يمكن أن يُلحظ عليه أمران:

الأول: أن الجزء الأول من تاريخ ابن بشر سبق أن نُشر في بغداد سنة ١٣٣١هـ، لكنه طبع بجزأيه أول مرة في مكة سنة ١٣٤٩هـ.

الثاني: أن ما سبق نشره من تاريخ ابن غنام هو المتداول المنتهي بحوادث سنة ١٢١٢هـ، وحوادث الثلاث عشرة سنة التي بعدها كانت مهمة جدًا - كما سبق أن ذُكر -، وحديث ابن غنام - المصدر الأول لتاريخ الدولة السعودية الأولى - أهم من حديث من أتوا بعده؛ كابن بشر، فالفائدة من نشر تكملة تاريخه واضحة كل الوضوح.

ومن الواضح جدًا أن ابن بشر قد اطلع على تاريخ ابن غنام؛ لأن مقارنة كتابه بما ذكره سلفه تؤكد اعتماده الكبير عليه في تفصيلات الحوادث التي أوردها ذلك السلف، بل إنه نقل عنه قليلًا من العبارات نقلًا حرفيًا، وإن كان لم يذكر هذا النقل وذلك الاعتماد، واكتفى بالقول: إنه وجد ترسيمات للوقائع لابن

---

(١) مجلة العرب، ربيع الأول ١٣٩١هـ ص ٧٩٣ .

سلوم إلى قرب موت عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ثم وجد ترسيمات لغيره أحسن من رسمه متصلة به. ومن المعروف أن اغتيال عبدالعزيز كان سنة ١٢١٨هـ، وما دام الموجود الآن من تاريخ ابن غنام توقف عند حوادث سنة ١٢١٢هـ، فإنه قد توقف فعلًا قرب وفاة عبدالعزيز، وعلى هذا؛ فإن تكملته كانت على الأرجح مفقودة في عهد ابن بشر المتوفى سنة ١٢٩٠هـ أيضًا، أو على الأقل كانت مفقودة بالنسبة لهذا المؤرخ.

وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر، فماذا عن هذا المتوافر من تاريخ ابن غنام.

تتفق مخطوطات هذا التاريخ بانتهاء كل واحدة منها بحديث مؤلفها عن أحداث سنة ١٢١٢هـ، لكن بعضها ينتهي بنهاية مبتورة؛ إذ آخرها صدر من بيت شعر دون إكماله بقيته، وبعضها ينتهي نهاية غير مبتورة؛ وذلك باستكمال الكلام عن أحداث تلك السنة كلها.

ولقد طُبع تاريخ ابن غنام أول مرة في بومبي، ثم طُبع مرة ثانية في القاهرة سنة ١٣٦٨هـ، وهي الطبعة التي تمت على نفقة الشيخ عبدالمحسن البابطين، وينطبق ما فيها على ما في المخطوطات التي نهايتها مبتورة.

ولقد صدرت لهذا التاريخ طبعة أخرى بعنوان «تاريخ نجد للشيخ الإمام حسين ابن غنام»، حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد، وقيل في صفحة الغلاف: قابله على الأصل: عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الذي كتب له تقديمًا سنة ١٣٨٠هـ، والحقيقة أنه وقع اجتهادان في هذه الطبعة؛ الأول قد يكون في محله؛ وهو إعادة صياغة كتابته، بحيث جُرد من السجع المتكلف، وحُذفت بعض الجمل المترادفة، والثاني اجتهاد في غير محله؛ وهو إضافة معلومات لم يوردها ابن غنام، وإنما أُخذت من غيره؛ وبخاصة تاريخ ابن بشر، وهذا العمل مضلٌ للقارئ؛ إذ سيظن أن كل المعلومات الموجودة في هذه الطبعة

مما دونه ابن غنام. وهذا غير صحيح، ولهذا فإنه لا يصح الاعتماد عليها.

وإذا أراد الباحث أن يتكلم عن أسلوب ابن غنام في كتابته لتاريخه، وجد أن هذا التاريخ يشتمل على ما أورده من كلام لغيره؛ مثل رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأجوبته عن أسئلة، وتفسيره لسور وآيات من القرآن الكريم، ومثل إيراده لكلام علماء آخرين؛ كابن تيمية والشيخ حمد بن معمر، وهذا كله أورده حرفيًا، وليس له فيه إلا فضيلة إيراده؛ وهو بصفة عامة المكون للجزء الأول.

ويشتمل على ما هو من كلامه؛ وهذا يُكوِّن بشكل أساس: الجزء الثاني من تاريخه، وهو الذي ركز فيه على ذكر الأحداث العسكرية أو الغزوات، وقد كتبه ابن غنام بأسلوب مسجوع سجعًا متكلفًا، إلى درجة أنه - في حالات نادرة - ضحى بقواعد اللغة العربية التي كان يدرسها لصالح السجع! ولم يكن المؤرخ الوحيد في زمنه ومنطقته الذي اتبع ذلك الأسلوب، فقد جاء أسلوب عثمان بن سند في كتابه «مطالع السعود» مشابهًا لأسلوب ابن غنام.

وربما كان اتباع ابن غنام لأسلوب السجع محاولة منه لإظهار براعته اللغوية كما قال شيخنا حمد الجاسر، ومن رأى رأيه، وربما كان يرى أن السجع أكثر قبولًا لدى القارئ في تلك الفترة، وبالتالي أعمق تأثيرًا في نفسه؛ ذلك أن ابن غنام كان يعيش في جو مشحون بالتوتر والصراع بين أنصار دعوة الشيخ محمد وخصومهم، وهو باتباعه ذلك الأسلوب يحمل سلاح الكلمة بجانب أولئك الأنصار.

أما المنهج الذي اتبعه ابن غنام في كتابته؛ فإن الجزء الأول منه جاء في مجمله - كما سبق أن ذُكر - إيرادًا لكلام غيره، وبالتالي فإن منهجه فيه ليس مما ينبغي التوقف عنده، ولكن منهجه حقيقة يتجلى في الجزء الثاني، والمنهج الذي اتبعه في هذا الجزء هو المنهج المتبع عند بعض مؤرخي الإسلام في قرون

ماضية؛ وهو تدوين الحوادث سنة سنة. وبما أن الفترة التي كتب تاريخها كانت الصبغة الأساسية فيها الأعمال العسكرية؛ دفاعًا عن الدولة السعودية القائمة على أساس دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، أو هجومًا ضد خصومها، فإن الجزء الثاني جاء سجلًا لتلك الأعمال، وما واكبها من مواقف سياسية.

على أنه قد ضمّن هذا الجزء - في مواضع قليلة - أمورًا فكرية دينية، وقصائد بمناسبة أحداث مهمة، فمن القسم الأول: رد الشيخ محمد على ما كتبه أخوه سليمان ضده وقد صدر هذا الرد فيما بعد بعنوان «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد»، ومنه: أجوبة الشيخ حمد بن معمر عن أسئلة علماء مكة، عندما أرسله قادة الدرعية إلى هناك بطلب من الشريف غالب؛ لمناقشة أولئك العلماء، وقد صدرت هذه الأجوبة فيما بعد بعنوان: «الفواكه العذاب فيمن لمن يحكم السنة والكتاب».

ومن الواضح أن القصائد الموردة في هذا الجزء إنما قيلت في الأحداث المهمة جدًا في نظر ابن غنام، سواء كانت صدىً لانتصارٍ حققه أتباع الدولة السعودية، أو لهزيمة مؤلمة حلت بهم، ومن تلك القصائد: قصيدته بمناسبة غزو صاحب نجران لنجد، وهزيمته لعبدالعزيز بن محمد سعود في الحائر، ومطلعها:

عين جودي بواكفٍ هتان   واسكبي عبرة على الأجفان

وقصيدته بمناسبة هجوم زعيم بني خالد على الدرعية، ومطلعها:

نفوس الورى إلا القليل ركونها   إلى الغي لا يلفي لدينٍ حنينها

وقصيدته بمناسبة دخول الرياض تحت الحكم السعودي، ومطلعها:

كشف الحقُ ظُلمةَ الإغلاس   ومحى الدينُ جُملةَ الأرجاس

وقصيدته في رثاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومطلعها:

إلى الله في كشف الشدائد نفزعُ وليس إلى غير المهيمن مفزعُ

وقصيدته التي رد فيها على قصيدة ابن فيروز، ومطلعها:

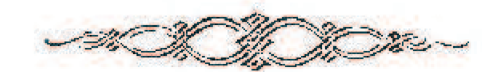
على وجهها الموسوم بالشؤم قد خُطا عروسُ هوىً ممقوتة زارت الشطا

وقصيدته التي هنأ بها سعود بن عبدالعزيز عند قدومه الأحساء، بعد مقتل زعيم المنتفق ثويني بن عبدالله، مطلعها:

تلألأ نور الحق وانصدع الفجرُ وديجور ليل الشرك مزقه الظُّهرُ

وعدد أبياتها ١١٨ بيتًا.

وإذا أخذ ما سبق في الحسبان؛ فإن المرء ينبغي ألا يهتم بالأسلوب أو العرض الذي دون به ابن غنام الحوادث، وإنما ينظر إلى مضمون الأحداث التي دونها، ومن قرأ تاريخه يجد أنه يذكر هزائم أتباع الدولة السعودية تمامًا، كما يذكر انتصاراتهم، ويذكر أسماء من قُتلوا منهم، كما يذكر أسماء من قُتلوا من خصومهم ما وجد إلى معرفتها سبيلًا، والمهم للباحث - في نظري - هو النظر إلى المحتوى ذاته، لا إلى أسلوب عرضه. وبما أن تاريخ ابن غنام أول سجل لتفاصيل حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومسيرة دعوته، وأخبار الدولة السعودية الأولى التي ناصرتها، فإنه من الممكن أن يُعد - بإنصاف - رائدًا لمؤرخي نجد في الفترة التي تناول أحداثها، والله ولي التوفيق.



ابن غنام مؤرخ وتاريخ(١)

للدكتور: محمد بن سعد الشويعر

يشعر المتتبع لتاريخ وسط الجزيرة العربية عامة، ونجد خاصة؛ أن هناك فجوة واسعة، وحلقة مفقودة، فيما بين القرن الخامس إلى القرن الحادي عشر الهجري، إذا استثنينا مكة والمدينة، حيث الحرمان الشريفان، وكونهما مأوى الأفئدة ومحط الأنظار.

ففي القرن الخامس وما قبله كانت هناك ومضات تاريخية توجد متناثرة في كتب التاريخ، وقد تأتي عرَضًا في سرد الأحداث التاريخية.

ذلك أن نجدًا مع ما فيها من أحداث تاريخية هامة، لم تحظ بمؤرخين يرصدون تلك الأحداث ويعتنون بتدوينها، لأن جل المؤرخين يبحثون عن الوقائع المهمة في حياة الحكام والساسة من جهة، ومن جهة أخرى فموطن هؤلاء الذين دونوا الأحداث التاريخية كان مقر الحكام، وموطن التجمع العلمي في الحواضر الإسلامية في دمشق، وبغداد، ومصر، والأندلس، والقيروان.

لم يكن في نجد من الأحداث المهمة في نظرهم ما يستوجب الإفراد بحديث مستقل، إذ لا تعدو تلك الأحداث أن تكون خبرًا جانبيًا من تولية والٍ، أو مشاركة بعض الأفراد من القبائل في الجيوش الإسلامية، أو انتقال قبيلة من مكان لآخر.

---

(١) مقال منشور بمجلة «الدارة»، (السنة الرابعة - العدد الأول - ربيع ثاني - ١٣٩٨هـ) - بتصرف يسير -.

ولذا كانت نجد حتى بدء ضعف الدولة العباسية تارة تنفرد بوالٍ في اليمامة وهجر، وأخرى ترتبط بوالي المدينة أو مكة، أو يهيمن عليها والي البصرة.

ولبُعدها عن قاعدة الخلافة العباسية، ضعفت الهيمنة العباسية عليها؛ نتيجة للتفكك الذي دب في دولة الإسلام الممثلة في الخلافة العباسية، ونشأ تبعًا لذلك دويلات متعددة، مثلما نشأ في أطراف الدولة العباسية في مصر، والمغرب، وخراسان وغيرها. وإن أقوى الدويلات التي نشأت في نجد:

١- دولة الأخيضريين بين عام ٢٥٣هـ وعام ٣١٧هـ.

٢- دولة القرامطة التي خلفت الأخيضريين بين عام ٣١٧هـ إلى عام ٤٧٠هـ.

ولعل نهاية القرن الخامس الهجري آخر ما يستطيع الباحث أن يجد فيه ذكرًا لنجد تاريخيًا وأحداثًا، حتى القرن الثاني عشر، عندما ظهر حدث عظيم في تاريخ نجد خاصة، والجزيرة العربية عامة، ولانستطيع أن نقول بأن هذه الفجوة بين هذين التاريخين عديمة الأحداث، ذلك أن الباحث لن ييأس أو يفقد الأمل في العثور على شذرات تضيء المعالم عن أشياء كنا نعتقدها في حكم المفقود، وتتمثل هذه الأشياء في وثائق عقارية أو تاريخية أو رحلات أو معلومات عابرة؛ كما جاء في سوابق ابن بشر، وأحداث ابن عيسى، ورحلة ناصر خسرو مثلًا.

ذلك الحدث العظيم هو ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بدعوته الإصلاحية المجددة، ومؤازرة الإمام محمد بن سعود لها، حتى استقامت دولة ذات كيان، فأصبحت هذه الديار محط الأنظار، ومأوى الأفئدة، واستقطبت اهتمام العالم، لأن هذه الدعوة الإصلاحية لم تكن حدثًا داخليًا يقتصر على أبناء الجزيرة وحدهم، ولكنه كان إيقاظًا فكريًا شد الأذهان، وجذب الأفئدة، وأشرأبت إليه الأعناق في العالم الإسلامي بأسره.

ابن غنام وتاريخه

ومؤرخنا في هذه الزاوية: حسين بن أبي بكر بن غنام، يرجع نسبه إلى قبيلة تميم، من أكبر القبائل وأوسعها انتشارًا في وسط الجزيرة، من سكان المبرز بالأحساء، وفيها ولد وتعلم، حيث أخذ العلم فيها عن مشايخ من أهلها، لم نجد أحدًا ذكر أسماءهم.

لم يحدد الباحثون عن حياة ابن غنام السنة التي ولد فيها؛ لأن عادة أبناء جيله عدم الاهتمام بتدوين السنة التي يولد فيها أي شخص، وكل ما أثبتوه هو تاريخ وفاته عام ١٢٢٥هـ، وفي شهر ذي الحجة بالذات، هذا التاريخ الذي لم يختلف فيه أحد، ذلك لأن ابن بشر أوضح هذا التاريخ في أحداث عام ١٢٢٥هـ عندما قال: «وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة توفى الشيخ العلامة والحبر الفهامة حسين بن غنام الأحسائي»[(١)].

نشأ ابن غنام في الأحساء في بيت علم، وقد عُرف من أسرته عدة علماء كما قال ابن عبدالقادر في تحفة المستفيد[(٢)]، فهو أحسائي النشأة والولادة.

واستقر به المقام بالدرعية عندما توجه إليها في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد، في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله-؛ كما قل بذلك عبدالرحمن بن عبداللطيف في كتابه: «مشاهير علماء نجد وغيرهم»[(٣)]، فهو نجدي الاستقرار والشهرة. ولكن ابن عبدالقادر يقول في تحفة المستفيد[(٤)] بأن

---

(١) عنوان المجد (١ : ١٤٤).
(٢) (٢/ ١٠٤).
(٣) (ص ١٨٥).
(٤) (٢/ ١٠٤).

ابن غنام قد نقله الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى الدرعية في وقت نهضتها.

وفي نظري أن الرأي الأول أقرب للصواب؛ لأن ابن غنام عندما ألف تاريخه، كان يريد قصره على حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، كما يتراءى من عنوانه: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب».

هذا بالنسبة للعنوان، أما بالنسبة للمحتوى فهو يدور في: حال الجزيرة والأحساء ونجد قبل ظهور الإمام رحمه الله بدعوته الإصلاحية، ثم يسير متتبعًا لهذه الحركة، ويطيل في الخاتمة التي هي عن وفاة الشيخ وأثرها النفسي والشعوري[(١)]، كما كرر خبر وفاته في أحداث عام ١٢٠٦هـ[(٢)].

وما القصائد التي أوردها في رثائه إلا تعبيرٌ عن شعور المؤلف تجاه هذا المصلح الكبير، ودوره العقائدي في نقل سكان الجزيرة خاصة من حياة الظلمة والضلال، والعزلة والانطواء، إلى حياة التفتح والنور، ومعرفة الدين الإسلامي واعتناقه عن بصيرة وفهم، كما يتجلى ذلك في إيقاظ الشعور الإسلامي لدى المسلمين عامة.

فارتباط ابن غنام تاريخيًا وشعوريًا بالشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله جعلني أرجح الرأي الأول؛ ذلك أن ابن غنام لابد وأن يكون لازم الشيخ في حياته في الدرعية، وهذه الملازمة لا تتأتى وابن غنام لم يقدم الدرعية إلا بعد ولاية الإمام سعود بن عبدالعزيز.

ومعروف بأن سعودًا لم يتسنم الأمر إلا بعد قتل والده في عام ١٢١٨هـ، وفي

---

(١) (١: ٥٠ - ٦٠).
(٢) (٢: ١٥٤).

هذا التاريخ يكون الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد فارق الحياة إلى الدار الآخرة بمدة مقدارها اثنا عشر عامًا.

ولعل سؤالًا يتبادر للذهن: ألا يمكن أن يكون الإمام سعود قد استقدم ابن غنام في حياة والده؟

وهذا محتمل، إلا أن عبارة ابن عبدالقادر «الإمام سعود» تُبعد هذا الاحتمال؛ لأن المفهوم منها اعتلاؤه السلطة، فلو قال: «استقدمه الأمير سعود- أو عندما كان أميرًا» لانسجم مع القول، وفي هذه الحالة لا نحتاج إلى ترجيح.

وبالتالي؛ فإننا لا نستطيع تحديد السنة التي قدم فيها إلى الدرعية، إلا أن الحركة العلمية المزدهرة فيها، والشعور الديني العميق كانا خلف نزوحه من بلده الذي ولد فيه وتعلم، إلى موطن جديد يجذب ذوي المواهب، ومنهم ابن غنام.

والشيخ حمد الجاسر[(١)] يميل مع ابن عبدالقادر في ترجيحه أن ابن غنام لم يقدم الدرعية إلا بعد ولاية سعود بن عبدالعزيز بن محمد عام ١٢١٨هـ.

وبالتالي فإنني أميل إلى أن انتقاله إلى الدرعية كان في حدود عام ١٢٠٠هـ، للأسباب التالية:

١- أن عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد الذي بدأ بوفاة والده محمد - رحمهما الله- عام ١١٧٩هـ؛ كان عهد تدعيم وبناء وتوسع في نشر الدعوة، ولم يبدأ الاستقرار العلمي إلا في حدود عام ١٢٠٠هـ، وإن كانت جذوره قد بدأت مع قيام دعوة الإصلاح التي بدأها الإمامان محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله-.

(١) مجلة العرب، ج٩ مجلد ٥ .

٢- أن سعودًا في حدود هذا التاريخ قد اشتد عوده، وكان عضد والده، وقائد الغزوات، ولا يستبعد مع ذلك أن يكون هو الذي استقدم ابن غنام عندما كان أميرًا، ذلك أن الأسرة السعودية قد عُرفت منذ نشأة الدولة السعودية بحب العلم، واستقدام العلماء واحترامهم وإكرامهم.

٣- أن هذا التاريخ يتيح لابن غنام ملازمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ست سنوات قبل وفاته، وهي مدة كافية، كفيلة بأن تجعله يرتبط به شعوريًا؛ ليتجلى ذلك في مؤلفه التاريخي وقصائده فيه، والإشادة بمكانته.

٤- أما قصيدته التي قالها في قدوم الأمير سعود الأحساء بعد قتل «ثويني» عام ١٢١٢هـ، مهنئًا للأمير سعود ولأبيه عبدالعزيز[١]، فهي لا تدل قطعيًا بأن ابن غنام كان مقيمًا في الأحساء، ولم يرتحل للدرعية، بل من الأرجح أن يكون قد ارتبط بهذه الأسرة الكريمة قبل هذا التاريخ، وأنه شارك أهالي الأحساء في التعبير عن هذا الشعور، لأن «ثويني» هذا قد أقضَّ مضجعهم قبل قتله بسنوات؛ كما أبان عن ذلك تاريخه.

٥- أن أحد تلاميذه في العربية بعد انتقاله للدرعية كما حكاه ابن بشر[٢] حمد بن ناصر بن معمر، وهذا قد بعثه الإمام عبدالعزيز بن محمد في عام ١٢١١هـ إلى مكة ليناظر علماءها في مسائل العقيدة، فأظهر من البراعة وقوة الحجة ما كان موضع إعجاب علماء مكة، وهو لن يصل لهذا المستوى إلا بعد أن تمكن من اللغة العربية، وأنهى دراسته مع شيخه ابن غنام.

---

(١) تاريخه (٢/ ٢٣٧- ٢٤٢).
(٢) عنوان المجد (١ : ١٤٤).

مذهبه:

اختلف الباحثون في حياة هذا المؤرخ والأديب في المذهب الذي ينتمي إليه في الفروع:

١- فقال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم في الدرر السنية(١): إنه شافعي.

٢- وقال محمد بن عبدالقادر في تحفة المستفيد(٢): إنه مالكي، كما تابعه في هذا القول كلٌّ من الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب(٣)، وعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ في: «مشاهير علماء نجد وغيرهم»(٤)، والدكتور عبدالعزيز الخويطر في رسالته: «عثمان بن بشر منهجه ومصادره»(٥).

٣- وقال إسماعيل باشا في هَدْية العارفين(٦): إنه حنبلي، وتابعه في ذلك عمر رضا كحالة في «معجم المؤلفين»(٧).

وعندما نريد ترجيح رأيٍ من هذه الآراء الثلاثة نجد أكثرها احتمالًا الرأي الثالث.

ذلك أن تلاميذ ابن غنام والعلماء المحيطين به، كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فهو جزء من هذا الكل، يتعلم ويُعلم ويناقش في مجتمع لم تتطور فيه الوسائل العلمية، وتتوفر معلوماتها، هذا من جهة، ومن أخرى فإن

---

(١) (٢/ ٢٤).
(٢) (٢: ١٠٤).
(٣) (ج١ / م٥).
(٤) (ص ١٨٥).
(٥) (ص ٧).
(٦) (١/ ٣٢٨).
(٧) (٣/ ٣١٧).

مذهب الإمام أحمد سائد في الأحساء قبل انتقال بن غنام منها، وهذا في نظري أمكن دليل على أنه حنبلي المذهب.

وبالنسبة للرأي الأول فلا نميل إليه لسببين:

١- أن أسرته مالكية المذهب؛ حيث نشأ وتعلم في حياته الأولى في الأحساء.

٢- أن الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله الذي لازمه ابن غنام في حياته الثانية بالدرعية؛ كان يسير في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

ولذا نستبعد أن يكون ابن غنام شافعيًا؛ لأن اتجاهه العلمي في الأحساء والدرعية لم يهيئ له ذلك.

وأما القول بأنه مالكي فله ما يبرره؛ باعتبار أن مذهب أسرته مالكي، ومن جهة أخرى فإن مذهب الإمام مالك كان سائدًا في الأحساء.

ولكن تمذهب أسرته بالمالكية ليس دليلًا قاطعًا على مالكية ابن غنام، وحكمنا بذلك يوقعنا فيما يسميه المنطقيون: الدور والمصادرة، ذلك أننا حكمنا بمالكيته بناءً على مالكية أسرته، في حين أنه لا يثبت أنه مالكي المذهب إلا باعتناقه هو لمذهب الإمام مالك، سواءً عرف عنه ذلك، أو ألف فيه ودافع عن الفروع التي ينفرد بها الإمام مالك.

وهذا لا يستبين إلا بتتبع آثاره العلمية وآرائه فيها، ولم نجد من نقل شيئًا من ذلك عنه؛ ليُثبت مالكيته على هذا الأساس.

تأثره وتأثيره:

لقد تأثر ابن غنام بإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، فكان مرتبطًا

به روحًا ومعنى، فسجل حياته وتابع دعوته، ورصد الوقائع الحربية والغزوات لنشر الدعوة، وما جرى بسببها من أحداث، خلال فترة الازدهار في الدولة السعودية الأولى، بزعامة ثلاثة من أئمتها هم: محمد بن سعود (ت ١١٧٩هـ)، وابنه عبدالعزيز (١١٣٧- ١٢١٨هـ)، وحفيده سعود بن عبدالعزيز بن محمد (١١٦٣- ١٢٢٩هـ).

ولم نجد في تاريخه ما يدل على أنه عول في النقل على غيره أو استفاد منه. وهذه عادة غير مستحسنة، فلعله استفاد من غيره، ولكنه تجاهل المنقول عنه، خاصة وأنه قد عُرف قبله بعض المؤرخين ممن وصلت إلينا أخبارهم؛ مثل:

أحمد بن بسام (ت ١٠٤٠هـ)، وأحمد المنقور (ت ١١٢٥هـ)، ومحمد بن ربيعة العوسجي (ت ١١٥٨هـ)، وعبدالله بن عضيب (ت ١١٦١هـ)، وإبراهيم بن أحمد بن يوسف (ت ١٢٠٦هـ) المتوفى في دمشق.

وعلى العموم؛ فإن أغلب الأحداث التاريخية كلها كانت وقائعها قريبة العهد من ابن غنام، ولا نحب أن نحمله أكثر مما يجب، فنقول إنه نقل هذه الأحداث من غيره ولكنه تجاهله، بل نقول: إن ابن غنام رصد هذه المعلومات من أحداث عصره وما هو سائد في مجتمعه.

فكان تاريخه يحدد معلومات قريبة العهد، فهو يبدؤه من عام ١١٥٨هـ وينتهي إلى عام ١٢١٢هـ. ولابد أنه تأثر بعلماء عصره المحيطين به، إلا أنه لم يستبن لنا شخصيات معينة أخذ عنها العلم، أو تأثر بها في الاتجاه، إلا ما رأيناه من اقتفائه لأثر الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ذلك أن تاريخه أوسع مرجع لحياة الإمام محمد رحمه الله، أو ما نقله من رسائل ومسائل نسبها لأصحابها. وقد اعتبره عمر رضا كحاله في معجم المؤلفين[1] من تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

---

(١) (٣/ ٣١٧).

أما عن تلاميذه الذين أخذوا عنه العربية في الدرعية؛ فإن ابن بشر، وهو أقرب المؤرخين لابن غنام، لم يذكر من تلاميذه الذين أخذوا عنه العربية في الدرعية - مع أنهم كثيرون - إلا: حمد بن ناصر بن معمر، وسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

ولكننا نعتبر ابن غنام بتاريخه هذا أستاذ جيل: اقتفى أثره عدد كبير، أخذوا معلوماتهم التاريخية عنه.

وأول تلاميذه في هذا التخصص هو ابن بشر نفسه، إذ كان كتاب ابن غنام مصدرًا مهمًا في تاريخ الدولة السعودية الأولى وما واكبها من أحداث - وإن كان قد وقف عند عام ١٢١٢هـ - أيام عزها ومنعتها، بيد أنه توفي بعد هذا التاريخ بثلاث عشرة سنة. كما يُعتبر مصدرًا مهمًا لكل كاتب يبحث عن تاريخ نجد والجزيرة العربية في تلك الحقبة، أو يتتبع حياة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ومن هذا نقول بأن إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٤٣هـ) في تاريخه، وعبدالله، فلبى في كتابه: تاريخ نجد، وغيرهما من الباحثين حديثًا في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أو تاريخ الدولة السعودية الأولى، قد استفادوا من ابن غنام، وعولوا في معلوماتهم عليه؛ فهو أول راصد لتاريخ نجد وأحداثها، لأن من سبقه لا يمتازون بالتتبع الموضوعي للمنطقة كاملة؛ كما هو منهج ابن غنام.

ولئن كان ابن غنام - وهذا هو المأخذ عليه من كل دارس لتاريخه - يعتمد على السجع الممل، وحشده الكلمات المترادفة التي ترسخ هذا السجع المتكلف، فإن ذلك لا يُنقص من قيمة كتابه كمرجع تاريخي لفترة من الزمن عاصرها وسجل أحداثها، ولعله في سجعه هذا، وبحكم علاقته باللغة العربية - لأنه كان أستاذًا لها في الدرعية - قد تأثر بالنثر في العصور الوسطى، إبان ركود

اللغة العربية، وركونها إلى السجع، والاحتفاء بالمحسنات البديعية.

تاريخه:

لقد أخرج الناشر لكتاب ابن غنام في طبعته الأولى عام ١٣٦٨هـ (عبدالمحسن أبابطين) هذا المؤلَّف في جزأيه تحت اسم «تاريخ نجد»، ولم يكن ابن غنام قد قصد هذه التسمية، إذ أن التسمية الحقيقية للكتاب: «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام»، وقصره على حياة الشيخ محمد ورسائله، وحالة نجد والأحساء، وما وقع فيهما من الشرك وغيره.

ثم أتبعه بكتاب آخر سماه: «الغزوات البيانية والفتوحات الربانية»، تعرض فيه لتاريخ الحوادث والغزوات التي واكبت الدعوة الإصلاحية وانتشارها وقيام الدولة السعودية الأولى، ووقف عند عام ١٢١٢هـ.

ولعل الناشر عندما أعطاه هذه التسمية: «تاريخ نجد»؛ أراد أن يضفي عليه طابعًا مميزًا،وأن يضم الكتابين تحت مسمىً واحد، وأن يشمل التسميات المختلفة، فهو يقول: «تاريخ نجد - المسمى: روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، فكلمة تاريخ نجد وحدها تكفي عن هذا الاسم الطويل، ثم إن كلمة «المسمى» تدل على أن الاسم الأول من إطلاق الناشر.

ولا يغرب عن بالنا أن الباحثين قد أطلقوا تسميات متعددة على هذا المؤلف:

١- فإسماعيل باشا في هَدْية العارفين[1] يقول عن ابن غنام: «صنف التاريخ العجيب سماه. . .» ولا يذكر الاسم.

---

(١) (١/ ٣٢٨).

٢- وابن عبدالقادر في تحفة المستفيد[1] يقول: «روضة الأفكار فيما كان في نجد من الأخبار».

٣- وابن قاسم في الدرر السنية[2] يقول: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو تاريخ الإمام الشيخ حسين بن غنام الأحسائي».

٤- والزركلي يقول في الأعلام[3]: «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام».

٥- وعمر رضا كحالة يقول في معجم المؤلفين[4]: «تصانيفه: تاريخ نجد، العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام». فهنا جعلهما كتابين وليس كتابًا واحدًا، وهذا لم يقله غيره.

وفي نظري أن (أبابطين) كناشر قد أحسن صُنعًا بهذه التسمية، فهي تسمية مختصرة تنبئ عن محتوى الكتاب.

وقد يكون الناشر استقاها مما تعارف عليه الناس، أو من مسمى تاريخ عثمان بن بشر: «عنوان المجد في تاريخ نجد».

ثم لعل عبدالله فلبي، قد استفاد منهما هذه التسمية عندما سمى مؤلفه عن تاريخ الدولة السعودية: «تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية».

---

(١) (٢/ ١٠٤).
(٢) (٢/ ٢٥).
(٣) (٢/ ٢٧٤).
(٤) (٣/ ٣١٧).

وعندما نستعرض كتاب ابن غنام فإن القارئ لا يجده كتابًا خالصًا للتاريخ، بل هو:

١- استعراض لحالة نجد والأحساء، وما وقع فيهما من الشرك وغيره قبل قيام الدعوة الإصلاحية على يد الإمامين محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله -.

٢- بيان التوحيد وما يجب على كل مسلم، وقد استعرض في ذلك الأحاديث الصحيحة، وآراء بعض السلف؛ كابن تيمية، وأوضح الشرك الأصغر؛ كالحلف بغير الله، في استعراض مستفيض.

٣- رسائل وردود للشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيره في الدفاع عن الدعوة، وتفنيد الآراء التي تعارضها، وتوضيح معالم الدين الإسلامي، والآراء الصحيحة في شأن القبور، وقصة الخضر وموسى عليهما السلام.

٤- حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ووفاته، وبعض ما قيل في رثائه من أشعار.

٥- استعرض الوقائع والغزوات من عام ١١٦١هـ إلى عام ١٢١٢هـ، كما ذكر السبب الذي حمله على ذلك، وذكر بعض الحوادث لثلاثة أعوام سبقت هذا التاريخ من عام ١١٥٨هـ.

٦- يتخلل موضوعاته بعض القصائد التي قالها حسب المناسبات، ويورد أبياتًا شعرية يسوقها كشواهد لما يتكلم عنه.

وهذه الطريقة التي سار عليها ابن غنام تختلف عن طريقة ابن بشر الذي قصر مؤلفه على الناحية التاريخية فقط، وهو ما سار عليه ابن عيسى فيما بعد وغيره.

ولا ملامة على ابن غنام في طريقته هذه، ذلك أن أسبقيته في التأليف،

وحماسه الديني، وثقافته العربية، هذه المسببات جعلت جوانبها المختلفة تؤثر في نفسيته، فيسجل أحاسيسه عنها في مؤلفه الذي قصد أن يكون تاريخيًا، وقد درج بعض الأولين قبله على هذه الطريقة، إذ كانت كتب التراث والتاريخ تحظى بكثير من ذلك.

أما عن طبعات هذا الكتاب ومخطوطاته، فقد تكفل كلٌ من الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب[١]، وعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ في كتابه: «مشاهير علماء نجد وغيرهم»[٢] بإيضاح الطبعات، وما فيها من زيادات أو نقص.

ابن غنام أديبًا:

ظهر ابن غنام إبان التفتح الفكري في نجد والأحساء، ونشوء العصر الذهبي للأدب والعلم، فهيأه تطلعه العلمي، ونبوغه الفكري؛ إلى تبوء مكانة عالية، ألا وهي تدريس اللغة العربية لخيرة علماء الدرعية وأكابرها، فكانت له اليد الطولى كما قال ابن بشر، ويتمثل التراث الأدبي الذي تركه بن غنام نثرًا وشعرًا في:

أسلوبه المسجوع في مؤلفاته، وخاصة الكتاب الذي نحن بصدده، وحرصه على التعمق في المعاني اللفظية، والغوص على الكلمات التي تتلاءم مع سجعه، مدلًا بذلك على مستواه في هذا الجانب.

ومع أننا لم نجد له نثرًا فنيًا مستقلًا يمكن دراسته، وبيان منزلته الأدبية على ضوئه.. إلا أن الدكتور محمد الشامخ في كتابه «النثر الأدبي في المملكة العربية

---

(١) (ج٩ م٥).
(٢) (١٨٥ - ٢٠١).

السعودية ١٩٠٠- ١٩٤٥م»[1]، قال: «لعل كتب التاريخ من أهم المؤلفات التي يمكن لدارس النثر الأدبي أن يجد فيها من النصوص ما يدل على مستوى الأسلوب الكتابي في هذه الحقبة، ذلك لأن هذه المؤلفات كانت تحرر حينئذٍ بأسلوب يشبه الأسلوب الأدبي، من حيث استخدام السجع وإطلاق العنان أحيانًا لسبحات الخيال والعواطف الذاتية».

ثم قوله بعد أن استعرض أنموذجًا لنثر ابن غنام في سرد الوقائع التاريخية ووصفها: «ومن الواضح أن ابن غنام لم يكتف هنا بتسجيل الأحداث التاريخية، بل أراد أن يصور الخواطر النفسية والصراع الإنساني، وإذا أباح لنفسه كذلك أن يفسر حوادث التاريخ تفسيرًا ذاتيًا، وأن يضيف إليها ما رأى أن من الممكن أن يقع حدوثه، فقد جاء أسلوبه التاريخي شبيهًا بالأسلوب الملحمي، وفي الحقيقة أن القارئ يكاد ينسى ما للحادثة من قيمة تاريخية، وينصرف إلى ما فيها من متعة قصصية، وقيمة أدبية، رغم ما التزمه الكاتب من سجع عاق سلاسة الرواية، وقلل من حيويتها، إلا أن أسلوبه قد تميز بالوضوح، واتسم بالقدرة على تصوير المواقف المتأزمة، والصراع النفسي».

فقد كان يقصد في نظري بيان منزلة ابن غنام النثرية، وأن منهجه التاريخي ما هو إلا سلوك منهجي في الأدب برز في طريقة متميزة، مع ثقافة عربية واسعة، وتصوير بديع للمواقف المتأزمة، بعبارات تعطي مدلولًا خاصًا.

وعندما استعرض الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية» في الفصل الثاني: التأليف التاريخي - الأدبي[2]،

---

(١) (ص ٣١ - ٣٣).
(٢) (ص ٦٠٩ - ٦٤٠).

تكلم عرضًا عن ابن غنام؛ كواحد من هؤلاء المؤرخين في عبارة مجملة لا تبني عن رأي خاص فيه.

أما الشعر؛ فإن ابن غنام قد أودع كتابه التاريخي بعضًا منه، كما عرف له أشعار أخرى متناثرة يقولها في مناسبات مختلفة، وهي وإن كانت لم تُستوعب في ديوان خاص به، فإنه جدير بالدراسة والجمع.

وأبرز ما يظهر للقارئ في شعر ابن غنام:

١- سعة الخيال، والعمق في الألفاظ والمعاني.

٢- اختيار المناسبات والمشاركة فيها.

٣- الوصف التصويري؛ كما يتضح ذلك في قصيدته الهائية[١]، بحيث يتجلى التعبير الملحمي عندما يصف الجيوش والوقائع النازلة على الأعداء، في تصوير معبر عن الحقيقة.

٤- شعوره الديني يتغلب أحيانًا على خياله الشاعري، فتراه لا يتوسع في خياله التصويري؛ لأن هاجسه الديني وشعوره الوجداني تحركا في نفسه، فانجذب إليهما.

٥- طول النفَس، مما يدل على شاعرية متمكنة، وخيال خصب، وثروة لغوية، كما يتراءى ذلك للقارئ من قصيدته الرائية في تهنئة الأمير سعود، والإمام عبدالعزيز - رحمهما الله - بعد قتل ثويني، فهي تبلغ مائة وثمانية عشر بيتًا.

٦- يودع كثيرًا من أشعاره معلومات تاريخية ودينية، من باب الاستشهاد والمقارنة.

---

(١) (٢/ ٧١ من تاريخه).

وعلى العموم فإن ابن غنام في شعره أمكن وأجزل منه في نثره، ولذا يبرز في نثره خيال الشاعر وأحاسيسه حينما يخاطب فئة معينة من الناس.

أخيرًا:

عندما أخذت هذا الكتاب نموذجًا لكتب التراث لدينا؛ فإنني لم آخذه:

١- لندرته، فهو كتاب مطبوع، «طُبع مرتين».

٢- ولا لأسلوبه التاريخي، واستقصائه للمعلومات، فهو يسلك طريق السجع الممل أحيانًا، ولم يستقصِ تاريخ نجد، سواءً منها الأحداث التي سبقته، وسبقت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقيام الدولة السعودية الأولى، أو جميع أحداث وأخبار نجد والجزيرة العربية في عصره هو.

ولكنني اخترته هنا ككتاب من كتب التراث العلمي لنجد والجزيرة العربية للأسباب التالية:

١- أنه يعتبر أهم مصدر يستند إليه الباحثون، وفي مقدمتهم ابن بشر، كمرجع للوقائع التي حدثت وصاحبت قيام الدعوة الإصلاحية على يد الإمامين: محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله -.

٢- أنه من أهم المراجع التي أنارت الطريق للباحثين حديثًا في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، باعتبار المؤلف واحدًا من تلاميذه.

٣- أن ابن غنام بمؤلفه هذا يُعتبر أول من فتح باب التأليف التاريخي في نجد، وبدأ بذلك عهدًا مضيئًا انقشع عن ظلمة دامت قرابة ستة قرون.

ولذا؛ فإنه مهما حصل فيه من أخطاء، ومهما أخذه عليه بعض الدارسين والباحثين من مآخذ، فإنني أعتبرها حسنات، ذلك أن الفضل دائمًا للسابق، وأن

من يأتي بعده مسترشد برأيه، وإذا صح لنا أن نجعل الريادة التاريخية في نجد في شخص معين، فإن ابن غنام فيما وصل إليه علمي هو الرائد للتأليف التاريخي، رغم أنه لم يقصر كتابه على التاريخ. وأما المدونات التاريخية التي سبقت ابن غنام فما هي إلا نبذ تاريخية محدودة الوقائع والحوادث».

❑ ❑ ❑

جانبان مهمان من تاريخ ابن غنام

من خلال تأملي لتاريخ ابن غنام رحمه الله، لفت نظري فيه جانبان مهمان، يستحقان اهتمام الباحثين؛ ومن ثَمَّ التوسع فيهما:

الجانب الأول: أن ابن غنام رحمه الله قد صاغ تاريخه بأسلوب يفيض حبًا وفرحًا بدعوة التوحيد، التي جددها الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وناصرها أئمة الدولة السعودية الأولى؛ متمثلًا قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾، ويظهر هذا بجلاء عند:

١- حديثه المطوّل عن دخول بلاده الأحساء تحت حكم الدولة السعودية، واستبشاره بهذا الأمر، بدءًا من أحداث سنة (١٢٠٨هـ).

٢- حديثه عن حملة ثويني، واستنصار علماء الضلال من أهل الأحساء به؛ لإنقاذ بلادهم من دولة التوحيد، وإيراده لقصيدة أحد المناوئين «ابن فيروز»، ثم رده عليها بقصيدة مطولة[(١)]، مطلعها:

على وجهها الموسوم بالشؤم قد خُطا   عروس هوىً ممقوتة زارت الشطا

٣- إيراده لقصيدته الطويلة[(٢)] المترعة بالفرح والنشوة، التي قالها «في قدوم سعود الحسا بعد قتل ثويني»، ومطلعها:

تلألأ نور الحق وانصدع الفجرُ   وديجور ليل الشرك مزقه الظُهرُ

وهذا يؤكد أن التوفيق إلى الحق، ولزوم صراط الله المستقيم، أمرٌ رباني،

---

(١) تجدها في أحداث سنة ١٢١١هـ.

(٢) تجدها في أحداث سنة ١٢١٢هـ.

يمن الله به على من يشاء من عباده، ولا يخضع لعاملَي الزمان والمكان. فكم من أناسٍ عاشوا بين ظهرانَي أنبياء الله، وفي ديارهم، ولكنهم أعرضوا، واستكبروا عن الحق، ونكصوا على أعقابهم من بعد ماتبين لهم الهدى. وكم من أناسٍ موقّنين، لم يحظَوا برؤية الأنبياء، ولكنهم آمنوا بما جاؤوا به من عند ربهم، كما أخبر الله عن هذا الأمر بقوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾، وقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾.

ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، السلفية، ليست بِدعًا من هذا، فقد عاداها بعض من هم أقرب إليها نسبًا ومكانًا وزمانًا، وشرقوا بها[(١)]، وتلقاها غيرهم بقَبول حسن، وهم نائوا الزمان والنسَب عنها، وبينهم وبينها الجبال والوهاد مكانًا[(٢)]، ومن هؤلاء: ابن غنام رحمه الله، الذي لم تأخذه حمية الجاهلية لقومه وبلاده على حساب الحق، وإنما دار معه كيفما دار، ولو على حساب وطنه وخلانه، وهكذا الإيمان إذا ما خالطت بشاشته القلوب، فإنه يجعل صاحبه يُجانب مَن قال الله تعالى عنهم: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. فرحم الله الشيخ ابن غنام، ورفع درجته، وأعلى ذكره.

بقي أن يُقال هنا، ماقاله الدكتور عبدالله العثيمين: «ومع أنه - أي ابن غنام - كان متحمسًا للدعوة، فإنه لم يتردد في وصف نتائج المعارك؛ سواء كان النصر

---

(١) انظر نماذج لهم في رسالة: «المعارضة المحلية لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد»؛ للدكتور محمد بن عبدالله النويصر.

(٢) انظر نماذج لهم في رسالة: «انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية»؛ للأستاذ محمد كمال جمعة.

فيها لمن هو متحمس لهم، أو لخصومهم»[١]. وهذا من إنصافه رحمه الله.

الجانب الثاني: مجموعة من صور العدل التي تحلت بها دعوة الإمام المجدد رحمه الله، وامتثلتها الدولة السعودية الأولى في تعاملها مع خصومها، وهي مما ينبغي إبرازه من الباحثين، لاسيما في ظل الدعايات المكثفة ضد هذه الدعوة المباركة، من قِبل أناس وجهات يصدق فيهم المثل العربي القائل: «رمتني بدائها وانسلت»، حيث عكسوا الأمور، وصوّروا البريء في صورة المتهم، والمتهم في صورة البريء؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

ثم مقارنة ذلك بما فعله خصوم الدعوة والدولة السعودية الأولى بها عندما تمكنوا، ليظهر التفاوت للمنصفين، وليحق لأهل هذه الدعوة أن يرددوا:

ملكنا فكان العدل منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتمُ قتل الأسارى و طالما ... غدونا على الأسرى نمنّ ونصفح
فحسبكمُ هذا التفاوت بيننا ... فكل إناءٍ بالذي فيه ينضح

فمن تلك الصور - وأشير إليها مجرد إشارات -:

١- قول ابن غنام في أحداث سنة **١١٨٧**هـ «وأرسل عبد العزيز إلى أهلها - أي الدلم - الذين ثاروا، وخرجوا مع دهام وساروا، يدعوهم إلى الرجوع، فلم يكن أحدٌ عنه بممنوع، **إلا من تميز بالشر والفساد**، وتوغل في طريق العناد، وتسربل بالبغي والإفساد، ففاؤوا إليها وآبوا، وقد ربحوا في ذلك وما خابوا، وسكنوا بها فطابوا». فالعقاب إنما هو للمسيئ، وصاحب الشر والفساد، دون غيره؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

(١) مراجعات في مصادر التاريخ السعودي (ص ١٩).

٢- قوله في أحداث سنة ١١٩٠هـ: «وفيها : قدم أهل منيّخ وأهل الزلفى على الشيخ وعبد العزيز؛ لأداء السلام، وتجديدًا لعهد الإسلام، ووفد معهم سليمان بن عبد الوهاب، ولم يكن له إلى منيّخ رجوع وانقلاب، بل حسُن له في الدرعية السكنى والمآب، فقوبلوا بالقبول والإكرام والبشاشة، وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنن واهتشاشة، فدثر حاله حينئذ وأراشه، ووسّع عليه قوته ومعاشه، **وكان هذا شأنه مع غيره**، طيب الله في ضريحه مهاده وفراشه». وهذا يبين أن هدف الشيخ محمد ومقصده أن يؤوب الناس إلى توحيد رب العالمين، وتحكيم شرعه، دون انحرافات، وأنه يفرح بأوبتهم للحق، ولايأخذهم بجرائرهم السابقة إذا ما انتهوا عنها وأنابوا، دون فرق بين قريب أو غريب.

٣- قوله في أحداث سنة ١١٩١هـ: «فلما جهد الحصار أهل البلاد - أي حرْمه -، وأضناهم القتال والجلاد، تحققوا أن سعودًا لا يكاد ينصرف عنهم بغير المقصود، وآيسوا من باطل الوساوس والآمال، وجزموا أنهم لا يحصلون على طائل ولا حال، طلبوا من سعود الدخول في الإسلام والإقبال، **وأبدَوا له الندم والأسف والإذلال، فأسقط عنهم النكال، وتلقاهم بالقبول**، وكان لهم إلى مرامهم وصول، واشترط عليهم أن ينفوا جميع الأشرار».

٤- قوله في أحداث سنة ١٢٠٧هـ متحدثًا عمّا عمله الإمام سعود في الأحساء، بعد فتحها: «وأمر بالتدريس في جميع الأربعة المذاهب، وتأييد كل سالك إليها وذاهب، وتعليم العلم ونشره وإحيائه بالمذاكرة فيه، وذكره والتجرد والتجريد في تفهم التوحيد، فقاموا فيه بعدما قعدوا، وشمروا في العلوم واجتهدوا، وأقر الأئمة في مساجدها وأكلَ حاصلها وفوائدها، وقرر العلماءَ في المدارس، فأصبح كلٌّ في كتب مذهبه دارس، فلم يكن منهجها مطموسًا ولا دارس، وأقر الأحباس والسبل، فلم يصل إلى أربابها خلل».

وقال رحمه الله في رده السابق على ابن فيروز:

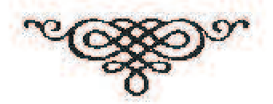
وقد ولي الأحسا سعودٌ فأسعدت مساعيه   أهل الخير فانتظموا سمطا
وقرر أرباب الوظائف كلهم وما   شاهدوا في كل أوقافهم هبطا
مدارسهم معمورة بعلومهم وما   ثبطوا عن نشر أحكامهم ثبطًا
وما أبطلت أحكامهم حيثما   أتى بإبطاله الشرع الشريف وما أخطا
ولم ينف إلا كل من عمل الردى   ومن كان سبابا لمنطقه مسطا
فليس ترى إلا مفيدًا وهاديًا   وعلما وتحديثًا بذا تسمع اللغطا
وأمر بمعروف وتنكير منكر وتنكيرًا   من قد قارف الذنب والسخطا
وحثا على فعل الصلاة جماعة   وتوبيخ من عنها تخلف أو أبطا
فلله رب الحمد والشكر دائمًا على   نعم لم يحص نظمي لها ضبطًا

قلت: وفي هذا خير بيان عن موقف الدعوة السلفية، والدولة السعودية، من المذاهب الفقهية السنية، وأنها لاتعترض عليها، بل تؤازرها، وإنما اعتراضها على البدع والمنكرات، مع حثها المسلمين على اتباع الدليل الشرعي، وإن خالف المذهب الفقهي - كما هو معلوم -.

٥ - قوله في أحداث سنة ١٢١٢هـ: «وخاضت البحر بمحمد بن ديماس فرسه مسرعة، فدعي عند ذلك بالأمان، لكونه لم يعرفه من المسلمين إنسان، فأقبل بعد ذلك سريعًا، ونال ذلًّا شنيعًا، فقُيِّدَ وأُسِرَ بعدما مَلَكَ وقَهر، ثم بعد صدور القضية، أتى به مناع إمامَ المسلمين في الدرعية، فحاول على قتله حجة شرعية، وطريقًا يبري ذمته عند رب البرية، فكأنه، حرس الله تعالى من المكروه مهجته، وأدام توفيقه ونعمته وبهجته، تورّع في المسارعة إلى قتله، مع ما صدر من قبيح فعله، فقد كان وقافًا عند الحدود، وكان يدرؤها بالشُبه كما للنص بذلك ورود».

٦- أن ولاة أمر الدولة السعودية الأولى كانوا يُبقون حكام البلاد التي تدين لدين الله بالولاء، وترضى بالتزام الشرع، على حكمهم، دون أي مضايقة أو مصادرة؛ لأن هدف أولئك الكرام أن تخضع تلك البلاد لشريعة رب الأرباب، بغض النظر عن حاكمها مَن يكون؛ كما فعلوا في حريملاء وحرْمه وغيرها. بل وصلوا في تسامحهم وعدلهم إلى أن أبقوا مَن بذل غاية جهده في مناوأتهم على حكمه؛ كالشريف غالب بن مساعد، الذي أبقوه على حكم مكة، رغم جلاده الطويل، وعداوته الظاهرة لهم. وكذلك أبقوا الشيعي أحمد بن غانم على حكم بلاده القطيف، مادام قد رضي بالدخول تحت حكم الشريعة في الظاهر. وقد اعترف بهذا: المعارض الشيعي المعاصر حمزة الحسن، في كتابه «الشيعة في المملكة العربية السعودية»[1]، رغم حقده الواضح على الدولة السعودية، فقال: «وفي القطيف، التي تُعتبر إقليمًا منفصلًا عن الأحساء، بقيت الزعامة الشيعية السياسية التي كانت منحصرة في بيت آل غانم، حيث أبقى الأمير عبدالعزيز أحمد بن غانم حاكمًا للقطيف، وفي عهد سعود الكبير استمر أحمد بن غانم في الحكم، وفي عهد عبدالله بن سعود كان الحاكم القطيفي هو إبراهيم بن غانم».

فلعل الباحثين المهتمين يتوسعون في عرض الجانبَين السابقَين؛ لأهميتهما في إنصاف الدولة السعودية الأولى، ودفع ما لحقها من شبهات الخصوم، وافتراءاتهم.



(١) (١ / ١١٠).

قواعد مهمة عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، وخصومها

(١) الطعن في دعوة الشيخ ليس بالأمر الجديد

إن الطعن في دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ليس وليد الساعة، إنما بدأ منذ أن خالف الإمام عقائد المنحرفين في عصره، وجهر بدعوة التوحيد، وفي هذا يقول رحمه الله في رسالته لعلماء البلد الحرام: «سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد: جرى علينا من الفتنة مابلغكم وبلغ غيركم، وسببه هدم بناء في أرضنا على قبور الصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البناء على القبور، كبر على العامة، وعاضدهم بعض من يدعي العلم؛ لأسباب ما تخفى على مثلكم، أعظمها اتباع الهوى، مع أسباب أخر فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين، وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها»[١].

ولطلاب الحق أن يُطالعوا هذه الرسائل المهمة: «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي» للشيخ صالح العبود، «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف، «إسلامية لا وهابية» للشيخ ناصر العقل، «الشيخ محمد بن عبدالوهاب المجدد المفترى عليه» للشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي، «محمد

(١) الدرر السنية (١ / ٥٧). وستأتي ضمن تاريخ ابن غنام - إن شاء الله -.

بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه» للأستاذ مسعود الندوي، و«كشف الأكاذيب والشبهات عن دعوة المصلح الإمام محمد بن عبدالوهاب» للأستاذ صلاح آل الشيخ.

(٢) الحوار لا ينبغي أن يكون عن وجود «التكفير»، إنما يكون عن أسبابه

إن الشيخ رحمه الله وأتباع دعوة التوحيد مع خصومهم - قديمًا وحديثًا - يدورون في حلقة مفرغة، وجدال عقيم؛ عندما يتهمونه وأتباعه أنهم يُكفرون المسلمين أو أن عندهم غلوًا في التكفير.. الخ تهمهم؛ لأنه سيرد عليهم بأنه يبرأ من ذلك كله، وإنما هو يُكفر من وقع في الشرك الأكبر

فالخلاف بينه وبينهم ينبغي أن لا يكون في وجود «التكفير»؛ لأنه لا إسلام دون تكفير مَن يستحق التكفير - لو كان الخصوم يعقلون -، ونصوص الكتاب والسنة حافلة بهذا، وكتب فقهاء الإسلام لا يخلو واحد منها من «كتاب الردة»، يوردون فيه الأمور التي إذا ما قالها أو فعلها المسلم فقد ارتكب ناقضًا يُخرجه من الإسلام - كما سيأتي -، إذن؛ فالخلاف ينبغي أن يكون في حقيقة مَن كفرهم الشيخ؛ هل هم مسلمون؟ أو أنهم نقضوا إسلامهم بما ارتكبوه من أقوال أو أعمال شركية؟

فينبغي أن تنصرف جهود خصوم الشيخ - ومن وافقهم - إلى إثبات أن من كفرهم الشيخ مسلمون - رغم صرفهم أنواعًا من العبادة لغير الله؛ من نذر أو ذبح أو دعاء.. الخ.

هاهنا المعترك بين الشيخ وخصومه.

أما الصياح بأن الشيخ كفر هؤلاء أو قاتل أولئك، والاعتقاد بأنهم بهذا أقاموا الحجة على أن دعوة الشيخ «فيها غلوٌ في التكفير»! فهذا سذاجة وجهل. لأن

الشيخ وعلماء دعوته لم يُنكروا هذا كله - رغم التزيدات والفهم السقيم - حتى «يفرح» البعض بالعثور عليه! بل هم يقرون ما ثبت منه، ولا يعدونه مذمة - مادام مرجعه الأدلة الشرعية -.

فالخلاف ينبغي أن يكون في: «هل يستحق هؤلاء المكفَّرين» أن يُحكم عليهم بذلك، أو لا يستحقون؟! ويكون المرجع في هذا: الأدلة الشرعية بفهم سلف الأمة، لا مجرد العواطف والأماني التي يعقبها «التباكي».

(٣) عند المخالفين: من قال «لا إله إلا الله» فقد برئ من الكفر مهما ارتكب من النواقض!

ظن المخالفون للشيخ أن من قال: لا إله إلا الله لا يكفر، ولو لم يعمل بمقتضاها، ويقولون إن الذين قاتلهم الرسول ﷺ وكفَّرهم، ونزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن (لا إله إلا الله) فكيف يُجعل أولئك المشركون الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله مثل الذي يقولها ويصلي ويصوم؟ ولأن هذه المسألة من أهم المسائل التي إذا ما وعاها المسلم وفهمها حق الفهم تيقن افتراء الخصوم على دعوة الشيخ، وعدم فهمهم لحقيقة التوحيد الذي جاء به محمد ﷺ؛ فإليك نقولًا مفيدة للشيخ - الذي أولاها الأهمية - ولبعض علماء الدعوة وغيرهم:

- هذه الشبهة أُوردت على الإمام محمد بن عبدالوهاب، وتولى الإجابة عليها بنفسه، قال رحمه الله ما نصه: «اعلم أن لهؤلاء شبهة، يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحرًا، ونحن نشهد: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم،

فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن، وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله، وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله، وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث، كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾، فإذا كان الله قد صرّح في كتابه، أن من آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو الكافر حقًا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء، في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال أيضًا: إن كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، أنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدق بذلك كله، لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

فمعلوم أن التوحيد هم أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله، ما أعجب هذا الجهل! ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويؤذنون، ويصلون.

فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان، أو يوسف؟ أو صحابيًا، أو نبيًا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ويقال أيضًا: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان(١) وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يُكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر؟

ويقال أيضًا: بنو عبيد القداح(٢)، الذين ملكوا المغرب في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويدّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء، دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون، حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضًا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب: (باب حكم المرتد)، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم

---

(١) سيأتي أنهما من الأشخاص الذين كان الناس يغلون فيهم زمن الشيخ رحمه الله.

(٢) أي: العبيديين، ويُسمون خطأ: الفاطميين. وسيأتي شيء من أقوال العلماء فيهم - إن شاء الله -.

ذكروا أنواعًا كثيرة كل نوع منها يكفّر ويُحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضًا: الذين قال الله فيهم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾، أما سمعت الله كفّرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه، ويصلون، ويزكون ويحجون ويوحدون.

وكذلك الذين قال الله فيهم ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفّرون من المسلمين أناسًا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق... إلى أن قال: وللمشركين شبهة أخرى: يقولون إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله، وكذلك قوله «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»، وأحاديث أخر في الكف عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر، ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل. فيُقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود، وسباهم، وهم يقولون لا إله إلا الله.

وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويدّعون الإسلام.

وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل، ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان

الإسلام كفر وقُتل، ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد، الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟ ولكن أعداء الله ما فهموا الأحاديث.

فأما حديث أسامة: فإنه قتل رجلًا ادّعى الإسلام، بسبب أنه ظن أنه ما ادّعى الإسلام إلا خوفًا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام: وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾، أي: فتثبتوا، فالآية تدل: على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل، لقوله تعالى ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان لا يُقتل إذا قالها، لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه أن: من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك. والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ قال: أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ وقال: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**، هو الذي قال في الخوارج «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقلنهم قتل عاد**»، مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلًا وتسبيحًا، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام، لما ظهر منهم مخالفة الشريعة»[1].

وقال الشيخ عبدالله أبا بطين رحمه الله: «من أعظم المصائب إعراض أكثر الناس عن النظر في معنى هذه الكلمة العظيمة - أي لا إله إلا الله -، حتى صار كثير منهم يقول: من قال لا إله إلا الله ما نقول فيه شيئًا وإن فعل ما فعل! لعدم

(١) كشف الشبهات (ص ٥١ - ٦٥)، وستأتي الرسالة كاملة في تاريخ ابن غنام - إن شاء الله -.

معرفتهم بهذه الكلمة نفيًا وإثباتًا. مع أن قائل ذلك لابد أن يتناقض، فلو قيل له: ما تقول فيمن قال: لا إله إلا الله، ولا يُقر برسالة محمد بن عبدالله؟ لم يتوقف في تكفيره. أو أقر بالشهادتين وأنكر البعث؟ لم يتوقف في تكفيره. أو استحل الزنا أو اللواط أو نحوهما، أو قال إن الصلوات الخمس ليست بفرض، أو أن صيام رمضان ليس بفرض؟ فلابد أن يقول بكفر من قال ذلك. فكيف لاتنفعه لاإله إلا الله ولاتحول بينه وبين الكفر؟!! فإذا ارتكب ما يناقضها؛ وهو عبادة غير الله، وهو الشرك الأكبر الذي هو أكبر الذنوب، قيل: هو يقول لا إله إلا الله، ولا يجوز تكفيره!!».

وقال - أيضًا ﷺ: «ولازم قول من قال: إنه لا يجوز قتال من قال لا إله إلا الله. تخطئة أصحاب رسول الله ﷺ في قتالهم مانعي الزكاة، وإجماعهم على قتال من لا يصلي إذا كانوا طائفة ممتنعين. بل يلزم من ذلك تخطئة جميع الصحابة في قتالهم بني حنيفة، وتخطئة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قتال الخوارج، بل لازم ذلك رد النصوص بل رد نصوص القرآن كما قدمنا، ورد نصوص رسول الله ﷺ التي لا تحصى، ويلزم صاحب هذه المقالة الفاسدة أنه لا يجوز قتال اليهود لأنهم يقولون لا إله إلا الله!! فتبين بما قررناه أن صاحب هذا القول مخالف للكتاب والسنة والإجماع»[(١)].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله: «وقد غلط كثير من المشركين في هذه الأعصار، وظنوا أن من كفَّر من تلفظ بالشهادتين فهو من الخوارج، وليس كذلك؛ بل التلفظ بالشهادتين لا يكون مانعًا من التكفير إلا لمن عرف معناهما، وعمل بمقتضاهما، وأخلص العبادة لله، ولم يشرك به سواه، فهذا تنفعه الشهادتان.

---

(١) دحض شبهات على التوحيد (ص ٥٠ - ٥١).

وأما من قالهما ولم يحصل انقياد لمقتضاهما، بل أشرك بالله، واتخذ الوسائط والشفعاء من دون الله، وطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، وقرَّب لهم القرابين، وفعل لهم ما يفعله أهل الجاهلية من المشركين، فهذا لا تنفعه الشهادتان بل هو كاذب في شهادته، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله هو: عبادة الله، وترك عبادة ما سواه، فمن استكبر عن عبادته ولم يعبده؛ فليس ممن يشهد أن لا إله إلا الله، ومن عبده وعبد معه غيره؛ فليس هو ممن يشهد أن لا إله إلا الله»(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ رادًا على من تشرب قلبه هذه الشبهة:

«وأما قوله: ومن تسمّى بالإسلام، وأحب محمدًا سيد الأنام، وأحب أصحابه الكرام، واتبع العلماء الأعلام، لا يكفِّر أحدًا من سائر المسلمين، فضلًا عن هداتهم في الدين، اللهم إلا أن يكون من الغلاة الذين أسقطوا حرمة «لا إله إلا الله» وسوّل لهم الشيطان وأملى لهم، حيث استباحوا دماء المسلمين إلى آخر رسالته.

فيقال في جوابه: هذا الجاهل يظن أن من أشرك بالله واتخذ معه الأنداد والآلهة، ودعاهم مع الله لتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، يحكم عليه والحال هذه بأنه من المسلمين؛ لأنه يتلفظ بالشهادتين، ومناقضتهما لا تضره، ولا توجب عند كفره، فمن كفَّره فهو من الغلاة الذين أسقطوا حرمة «لا إله إلا الله» وهذا القول مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم

---

(١) عيون الرسائل والمسائل (٢ / ٩٦٠ - ٩٦١).

ويسألهم، ويتوكل عليهم كفر إجماعًا». انتهى

ومجرد التلفظ من غير التزام لما دلَّت عليه كلمة الشهادة، لا يجدي شيئًا، والمنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار.

نعم، إذا قالها المشرك ولم يتبين منه ما يخالفها، فهو ممن يُكف عنه بمجرد القول، ويحكم بإسلامه، وأما إذا تبين منه وتكرر عدم التزامه ما دلّت عليه من الإيمان بالله وتوحيده والكفر بما يعبد من دونه، فهذا لا يحكم له بالإسلام ولا كرامة له، ونصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة تدل على هذا.

فمن تسمى بالإسلام حقيقة، وأحب محمدًا، واقتدى به في الطريقة، وأحب أصحابه الكرام، ومن تبعهم من علماء الشريعة، يجزم ولا يتوقف بكفر من سوّى بالله غيره، ودعا معه سواه من الأنداد والآلهة، ولكن هذا الصحاف يغلط في مسمى الإسلام، ولا يعرف حقيقته، وكلامه يحتمل أنه قصد الخوارج الذين يكفرون بما دون الشرك من الذنوب وحينئذ يكون له وجه، ولكنه احتمال بعيد، والظاهر الأول.

وقد ابتلي بهذه الشبهة، وضل بها كثيرٌ من الناس، وظنوا أن مجرد التكلم بالشهادتين مانع من الكفر، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾، فالتكفير بدعاء غير الله: هو نص كتاب الله، وفي الحديث: «**من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار**». وفي الحديث أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**». وفي رواية: «**إلا بحق الإسلام**».

وأعظم حق الإسلام وأصله الأصيل هو: عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه، وهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص، فمن قالها وعبد غير الله، أو استكبر عن عبادة الله فهو مكذب لنفسه، شاهد عليها بالكفر والإشراك.

وقد عقد كل طائفة من أتباع الأئمة في كتب الفقه باب مستقلًا في حكم المرتد، وذكروا أشياء كثيرة يكفر بها الإنسان، ولو كان يشهد أن لا إله إلا الله، وقد قال تعالى في النفر الذين قالوا في غزوة تبوك بعض القول الذي فيه ذمٌّ لرسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فكفَّرهم بعد إيمانهم بالاستهزاء ولو كان على وجه المزح واللعب، ولم يمنع ذلك قولهم «لا إله إلا الله».

وكذلك: إجماع الأمة على كفر من صدَّق مسيلمة الكذاب، ولو شهد «أن لا إله إلا الله» وقد كفَّر الصحابة أهل مسجد بالكوفة بكلمة ذُكرت عنهم في احتمال صدق مسيلمة، ولم يلتفت أصحاب رسول الله ﷺ إلى أنهم يشهدون «أن لا إله إلا الله». لأنه قد وجد منهم ما ينافيها: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ وبالجملة فالذي يقوم بحرمة «لا إله إلا الله»: هم الذين جاهدوا الناس عليها، ودعوهم إلى التزامها علمًا وعملًا، كما هي طريقة رسل الله وأنبيائه، ومن تبعهم بإحسان، كشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالى- وأما من أباح الشرك بالله وعبادة غيره، وتولى المشركين، وذب عنهم، وعادى الموحدين وتبرأ منهم فهو الذي أسقط حرمة (لا إله إلا الله)، ولم يعظمها، ولا قام بحقها، ولو زعم أنه من أهلها القائمين بحرمتها»[1].

(١) المرجع السابق (٢ / ٩٦٩ - ٩٧٢).

وقال - أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: «وقد رأيت لبعض المعاصرين كتابًا يعارض به ما قرر شيخنا من أصول الملة والدين؛ ويجادل بمنع تضليل عُبّاد الأولياء والصالحين، ويناضل عن غلاة الرافضة والمشركين، الذين أنزلوا العباد بمنزلة الله رب العالمين، وأكثر التشبيه بأنهم من الأمة، وأنهم يقولون: لا إله إلا الله، وأنهم يصلون ويصومون، ونسي في ذلك عهود الحمى؛ وما قرّره كافة الراسخين من العلماء، وأجمع عليه الموافق والمخالف من الجمهور والدهماء، ونصَّ عليه الأكابر والخواص، من اشتراط العلم والعمل في الإتيان بكلمة الإخلاص، والحكم بموجب الردة على فاعل ذلك من سائر العبيد والأشخاص، وسمّى كتابه: «جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة»، ومراده بالأمة هنا: من عبد آل البيت وغلا فيهم، وعبد الصالحين ودعاهم، واستغاث بهم؛ وجعلهم وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم!! هذا مراده ولكنه أوقع عليهم لفظ الأمة ترويجًا على الأغمار والجهال، ولبسًا للحق بالباطل، وهو يعلم ذلك وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾، فلكل مفترٍ نصيب منها بحسب جرمه وعلى قدر ذنبه، وقد رأيت على هذا الرجل من الذلة والمهانة مدة حياته ما هو ظاهر بين يعرفه من عرفه»[1].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «إن الشيخ إنما كفّر وقاتل وأخذ الأموال بأحداث لا تزال موجودة في الأمة تقلّ وتكثر، وأنها لا يكفر بها أحد، وأن تكفير الصحابة لمن كفَّروه من أهل الردة على اختلافهم، وتكفير علي للغلاة، وتكفيره للسحرة وقتلهم، وتكفير من بعدهم للقدرية ونحوهم، وتكفير من بعد أولئك للجهمية،

(١) مصباح الظلام (ص ٤٣).

وقتلهم للجعد بن درهم وجهم بن صفوان ومن على رأيهم، وقتلهم للزنادقة، وهكذا في كل قرن وعصر من أهل العلم والفقه والحديث طائفة قائمة تكفر من كفَّره الله ورسوله، وقام الدليل على كفره لا يتحاشون عن ذلك؛ بل يرونه من واجبات الدين وقواعد الإسلام وفي الحديث: «**من بدل دينه فاقتلوه**»، وبعض العلماء يرى أن هذا والجهاد عليه ركن لا يتم الإسلام بدونه.

وقد سلك سبيلهم الأئمة الأربعة المقلدون، وأتباعهم في كل عصر ومصر، وكفَّروا طوائف من أهل الأحداث، كالقرامطة والباطنية، وكفَّروا العبيديين ملوك مصر وقاتلوهم، وهم يبنون المساجد، ويصلون ويؤذنون، ويدَّعون نصرة أهل البيت، وصنَّف ابن الجوزي كتابًا سمَّاه «النصر على مصر» ذكر فيه وجوب قتالهم، وردتهم.

وقد عقد الفقهاء في كل كتاب من كتب الفقه المصنفة على مذاهبهم، أبوابًا مستقلة في حكم أهل الأحداث التي توجب الردة، وسماه: باب الردة، وأكثرهم عرَّفوا المرتد: بأنه الذي يكفر بعد إسلامه، وذكروا أشياء دون ما نحن فيه من المكفرات حكموا بكفر فاعلها، وإن صلى وصام، وزعم أنه مسلم. قال الشيخ عثمان الحنبلي صاحب «حاشية المنتهى» في عقيدته: تتمة: الإسلام: الإتيان بالشهادتين مع اعتقادهما والتزام الأركان الخمسة إذا تعينت وتصديق الرسول ﷺ فيما جاء به: ومن جحد ما لا يتم الإسلام بدونه، أو جحد حكمًا ظاهرًا، أجمع على تحريمه أو حله إجماعًا قطعيًا، أو ثبت جزمًا كتحريم لحم الخنزير، أو حل خبز، ونحوهما كفر، أو فعل كبيرة، وهي ما فيها حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو داوم على صغيرة - وهي ما عدا ذلك- فسق. انتهى.

وهذا يعرفه صغار الطلبة فضلًا عن العلماء الممارسين.

وهذا الأحمق يَعُدُّ هذا بابًا ضيقًا، ويسفه رأي الأئمة وعلماء الأمة ويجهلهم،

وهو يزعم أنه ينصرهم. وما أحسن ما قيل: «لأن يعادي المرء عاقلًا خير له من أن يكون له صديق أحمق». والباب الذي يسع كل أحد هو الباب الشرعي، الذي عليه الداعي النبوي. وأما إهمال الجهاد، وعدم تكفير المرتدين، ومن عدل بربه، واتخذ معه الأنداد والآلهة، فهذا إنما يسلكه من لم يؤمن بالله ورسوله، ولم يُعَظِّم أمره، ولم يسلك صراطه، ولم يقدر الله ورسوله حق قدره، بل ولا قدَّر علماء الأمة وأئمتها حق قدرهم، وهذا هو الحرج والضيق. قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾. والجهاد للمارقين والمرتدين وتكفيرهم داخل في مسمى الإسلام، بل هو من أركانه العشرة، كما نصَّ عليه بعض المحققين، وفي الحديث: «**وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**» فلا ينشرح له ويراه حقًا وواسعًا إلا صدر من أراد الله هدايته وتوفيقه، ويراه ضيقًا حرجًا من أراد الله أن يضله ويخزيه بين عباده المؤمنين. هكذا يقرر الكلام هنا والقول في هذا الموضع، لا ما زعمه من خسف الله قلبه، فعكس القضية، وراغم الأدلة الشرعية، والقوانين المحمدية، فبعدًا لقوم لا يؤمنون. وأما قوله: (إن تكفيرها حذَّر منه نبيها ﷺ غاية التحذير).

فيقال: إن زعمت أن النبي ﷺ حذر عن تكفير من أتى ما يوجب الكفر ويقتضيه ممن بدّل دينه، فهذا مكابرة وجحد للضروريات والحسيّات، وقائله إلى أن يعالج عقله أحوج منه إلى تلاوة الآيات والأحاديث، وحكاية الإجماع، وفعل الأمة طبقة طبقة وقرنًا قرنًا. وإن أراد أن النهي عن تكفير عموم الأمة وجميعها: فهذا لم يقله أحد، ولم نسمع به عن مارق ولا مبتدع، وهل يقول هذا من له عقل يدرك به ويعرف ما في الأمة من العلم والإيمان والدين؟ وأما بعض الأمة فلا مانع من تكفير من قام الدليل على كفره كبني حنيفة، وسائر أهل الردة في زمن أبي بكر، وغلاة القدرية والمارقين الذين مرقوا في زمن علي رضي الله عنه وغلوا

فيه، وهكذا الحال في كل وقت وزمان، ولولا ذلك لبطل الجهاد وترك الكلام في أهل الردة وأحكامهم، وفي هذا القول ما تقدم من تسفيه جميع الأمة، وتجهيل علمائها الذين كفّروا بكثير من الأحداث والمكفِّرات، وفيه أنهم لم يسلكوا الطريق الواسع، ولم يفهموا الحديث عن نبيهم. وبالجملة: فهذا المعترض مموّه بلفظ الأمة مُلَبِّس»[١].

وقال رحمه الله: «واعلم أن هذا المعترض لم يتصور حقيقة الإسلام والتوحيد؛ بل ظن أنه مجرَّد قول بلا معرفة ولا اعتقاد، وإلا فالتصريح بالشهادتين والإتيان بهما ظاهرًا هو نفس التصريح بالعداوة والبغضاء، وما أحسن ما قيل: وكم من عائب قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم.

ولأجل عدم تصوره أنكر هذا، وردّ إلحاق المشركين في هذه الأزمان بالمشركين الأولين، ومنع إعطاء النظير حكم نظيره، وإجراء الحكم مع علته، واعتقد أن من عبد الصالحين ودعاهم وتوكل عليهم وقرَّب لهم القرابين مسلم من هذه الأمة، لأنه يشهد أن لا إله إلا الله ويبني المساجد ويصلي، وأن ذلك يكفي في الحكم بالإسلام ولو فعل ما فعل من الشركيات!! وحينئذٍ فالكلام مع هذا وأمثاله في بيان الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وحكم بأنه لا يغفر، وأن الجنة حرام على أهله، وفي بيان الإيمان والتوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وحرم أهله على النار، فإذا عرف هذا وتصوره تبيَّن له: أن الحكم يدور مع علَّته، وبطل اعتراضه من أصله، وانهدم بناؤه»[٢].

وقال رحمه الله موجهًا حديثه إلى أحد المناوئين: «ما تقول في الغالية الذين حرَّقهم

---

(١) المرجع السابق (ص ٥٩ - ٦٣).

(٢) المرجع السابق (ص ٧٢ - ٧٣).

علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بمشهد من أصحاب رسول الله ﷺ ؟! أهم من الثنتين والسبعين فرقة أم لا؟ وما تقول في مانعي الزكاة الذين قاتلهم الصديق وأجمعت الصحابة على تكفيرهم، أهم من الثنتين والسبعين فرقة أم لا؟ وكذلك بنو حنيفة، وبنو عبيد القداح ملوك مصر والمغرب، فإن دخلوا في الثنتين والسبعين فرقة بطل تأسيسك وانهدم أصلك الفاسد، وإن لم يدخلوا كما هو الصحيح بطل إدخالك أمثالهم من عُبَّاد القبور في مسمى الأمة في هذا الحديث، وثبت أن من الفرق من يخرج عن الملة ويرتد بما خالف فيه من نحلته»[1].

وقال الشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي: «ونحن نسأل هؤلاء المنتقدين: ما حكم من تشهد بالشهادتين وصلى وصام وحج البيت الحرام وكثيرًا ما تصدق على الفقراء والمساكين ويعمل أعمال البر، ولكن أخذ ورقة من أوراق المصحف الشريف وألقاها في القاذورات وهو يعرف أن هذا لا يجوز، بل هذا كفر ولكنه عمل هذا مع أنه قد أتى بتلك الأعمال الجليلة كما سبق ذكره.

فما يكون موقف هؤلاء؟ هل يقولون إنه مسلم لأنه تشهد بالشهادتين وصلى وصام؟ أو يقولون إنه كافر؟ فإن قالوا هو مسلم فقد خالفوا الإسلام وإجماع المسلمين، وسأورد للقارئ من نصوص العلماء ما يبين خطأهم وضلالهم. وإن قالوا كافر فقد نقضوا قولهم وانهار أساسهم حيث أنهم خطأوا الوهابيين على زعمهم وبدعواهم لأنهم يُكفرون من يستغيث بغير الله، أو ينذر لغير الله ولم يراعوا أنه تشهد بكلمة الشهادتين، فهاهم كفروا من كان مسلمًا على زعمهم ولم يلتفتوا إلى قوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولم تشفع له أعماله الجليلة عندهم.

---

(١) المرجع السابق (ص ٥٢٤ - ٥٢٥).

وها أنا ذا أنقل للقراء من كلام العلماء أتباع المذاهب الأربعة في تكفير من أتى بشيء مما سيأتي بيانه» - ثم ذكر ما تيسر منها -[(١)].

(٤) عدم فهم المخالفين لحقيقة العبادة

إن المناوئين لدعوة الشيخ يعترفون أن الشرك الذي حرّمه الله ﷻ هو صرف «العبادة» لغير الله، ولكنهم يُخرجون بعض أفرادها؛ كالدعاء أو الذبح أو النذر. وهم بهذا وقعوا في جهل وتناقض؛ جهل بحقيقة العبادة ومعناها، وتناقض عندما فرقوا بين المتماثلات.

وفي هذا يقول الشيخ عبدالله أبا بطين ﷺ عن أحد هؤلاء الخصوم: «فإنه مع اعترافه بأن الشرك الذي حرمه الله هو الشرك في العبادة، لا يعرف حد العبادة وحقيقتها، وربما قال: العبادة التي صرفها لغير الله شرك: الصلاة والسجود. فإذا طُلب منه الدليل على أن الله سمى الصلاة لغيره أو السجود لغيره شركًا، لم يجده، وربما قال: لأن ذلك خضوع، والخضوع لغير الله شرك! فيقال له: هل تجد في القرآن أو السنة تسمية هذا الخضوع شركًا؟ فلا يجده. فيلزمه أن يقول: لأنه عبادة لغير الله. فيقال: وكذلك الدعاء والذبح والنذر عبادات، مع ما يلزم هذه العبادات من أعمال القلوب: من الذل والخضوع والحب والتعظيم والتوكل والخوف والرجاء وغير ذلك»[(٢)].

(٥) خلط المناوئين للشيخ بين «التوسل» البدعي والشركي! ثم افتراؤهم على الشيخ أنه يُكفر بالأول!

إن المناوئين لدعوة الشيخ يخلطون بين «التوسل» البدعي المختلف فيه، وبين

---

(١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، المجدد المفترى عليه (ص ٩٣ - ٩٤).
(٢) الانتصار لحزب الله الموحدين (ص ٥٠).

«الاستغاثة» أو «الشفاعة» الشركية؛ تلبيسًا على المسلمين؛ فيسمون الثاني باسم الأول؛ ثم يضيفون لهذا الخلط والتلبيس افتراء وبهتانًا على الشيخ أنه يُكفر «المتوسل»! فيظن المسلمون ويصدقون أنه يُكفر من وقع في التوسل المختلف فيه، وهذا ما يريده الخصوم!

يقول الدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف في رسالته «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»: لقد استغل الخصوم هذا الإجمال والاشتراك في لفظ التوسل، فقبلوا الحقائق، وأجازوا دعاء الموتى، والاستغاثة بهم باسم التوسل، ثم زعموا أن الشيخ الإمام يكفّر من توسل بالأنبياء والصالحين!!

إن الشيخ الإمام كفّر من استغاث بالأموات سواء كانوا أنبياء أو أولياء ولو سميت تلك الاستغاثة توسلًا، فالعبرة بالحقائق والمعاني وليست بالأسماء والمباني، فالتوسل عند عبّاد القبور يطلقونه على الاستغاثة بالموتى وطلب الحاجات منهم -كما تقدم-.

وأما دعوى أن الشيخ كفّر من توسل بالصالحين، بمعنى سؤال الله بجاه هؤلاء الصالحين؛ فقد أجاب الشيخ الإمام على تلك الدعوى - ردًا على ابن سحيم - فقال: «فالمسائل التي شنع بها، منها ما هو من البهتان الظاهر - وذكر الشيخ الإمام منها- قوله: إني أكفر من توسل بالصالحين، وجوابي أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم»[1].

ووضح حفيده الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الفرق بينهما بقوله: «اعلم أن التوسل بذات المخلوق أو بجاهه غير سؤاله ودعائه، فالتوسل بذاته أو بجاهه أن يقول: اللهم اغفر لي وارحمني، وادخلني الجنة

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ (٥ / ٦٤)، دعاوى المناوئين (ص ٢٥٥).

بنبيك محمد ﷺ، أو بجاه نبيك محمد ﷺ، ونحو ذلك فهذا بدعة ليس شرك، وسؤاله ودعاؤه هو أن يقول: يا رسول الله أسألك الشفاعة وأنا في كرب شديد، فرّج عني، واستجرت بك من فلان فأجرني ونحو ذلك، فهذا كفر وشرك أكبر ينقل صاحبه من الملة؛ لأنه صرف حق الله لغيره؛ لأن الدعاء عبادة لا يصلح إلا لله، فمن دعاه فقد عبده، ومن عبد غير الله فقد أشرك، والأدلة على هذا أكثر من أن تحصر، وكثير من الناس لا يميز ولا يفرق بين التوسل بالمخلوق أو بجاهه، وبين دعائه وسؤاله فافهم ذلك»(١).

وقال الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله: «فإذا علم الانسان وتحقق معنى الإله وأنه المعبود، وعرف حقيقة العبادة، تبين له أن من جعل شيئًا من العبادة لغير الله فقد عبده واتخذه إلهًا، وإن فر من تسميته معبودًا أو إلهًا، وسمى ذلك توسلا وتشفعًا أو التجاءً ونحو ذلك. فالمشرك مشرك شاء أم أبى، كما أن المرابي مرابٍ شاء أم أبى، وإن لم يُسمّ ما فعله ربًا، وشارب الخمر شاربٌ للخمر وإن سماها بغير اسمها، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**يأتي ناسٌ من أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها**»، فتغيير الاسم لا يُغير حقيقة المسمى ولا يُزيل حكمه»(٢).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله: «تلطف الشيطان في كيد هؤلاء الغلاة في قبور الصالحين، بأن دس عليهم تغيير الأسماء والحدود الشرعية، والألفاظ اللغوية؛ فسموا الشرك وعبادة الصالحين توسلا ونداء وحُسن اعتقاد في الأولياء وتشفعًا بهم واستظهارًا بأرواحهم الشريفة؛ فاستجاب له صبيان العقول وخفافيش البصائر، وداروا مع الأسماء ولم يقفوا مع الحقائق»(٣).

---

(١) الدرر السنية (٩/ ٢٣٤)، وانظر: توحيد الخلاق (ص ٣٠٧ ومابعدها) حيث رد هذا الخلط.
(٢) الانتصار لحزب الله الموحدين (ص ٣٣).
(٣) الدرر السنية (١٢ / ٢٨٣).

وقال - أيضًا -: «اعلم أن مسألة الله بجاه الخلق نوع، ومسألة الخلق ما لا يقدر عليه إلا الله نوع آخر، فمسألة الله بجاه عباده منعها أهل العلم، ولم يجزها أحد ممن يعتد به، ويقتدى به كالأئمة الأربعة، وأمثالهم من أهل العلم والحديث، إلا أن ابن عبد السلام أجاز ذلك بالنبي ﷺ خاصة، وقيّده بثبوت صحة الحديث الذي جاء في ذلك وهو حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي ﷺ وقال: ادع يا محمد الحديث قال ابن عبدالسلام إن صح الحديث فيجوز بالنبي ﷺ خاصة، والحديث في سنده من لا يحتج به عند أهل العلم كما لا يخفى على أهل الصناعة. إلى أن قال الشيخ عبداللطيف: وبالجملة فهذه المسألة نوع، ولا يخرج بها الإنسان عن مسئلة الله، وإنما الكلام في سؤال العباد وقصدهم من دون الله... فسؤال العباد والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك جلي، ولو قال يا ولي الله اشفع لي فإن نفس السؤال محرم، وطلب الشفاعة منهم يشبه قول النصارى يا والدة الإله اشفعي لنا إلى الإله وقد أجمع المسلمون على أن هذا شرك»(١).

وقال الشيخ سعد بن عتيق رحمه الله: «المسألة الثالثة؛ وهي مسألة التوسل بالنبي ﷺ؛ وهو أن يقول القائل: اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ؛ فهي مسألة مشهورة، والكلام فيها معروف.. - إلى أن يقول - ونحن وإن قلنا بالمنع من التوسل به ﷺ بهذا اللفظ أو نحوه لما نعتقده من أصحية المنع، فنحن مع ذلك لا نشدد في ذلك على من فعله مستدلا بالحديث؛ فضلا عن أن نكفره، كما ينسبه إلينا من لم يعرف حقيقة ما نحن عليه»(٢).

---

(١) البراهين الإسلامية (ص ١١٥ - ١١٦)، وانظر: منهاج التأسيس (ص ١٧) قال عن تسمية ابن جرجيس للاستغاثة الشركية توسلًا: «وهذا فرارٌ منه أن يسميه شركًا وكفرًا».

(٢) عقيدة الطائفة النجدية (ص ٥٤ - ٥٧).

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله رادًا على أحد الشانئين ممن شابههم المالكي في الافتراء: «قد كان من المعلوم أن الوهابية لا يقولون إن التوسل بذات النبي ﷺ وجاهه وحقه وزيارة قبره الشريف شركٌ بالله، بل هذا من الكذب الموضوع على الوهابية، وهم - ولله الحمد - فيما يقولون وينتحلون على صراط مستقيم، ولايقولون بجهل الجاهلين وانتحال المبطلين الزائغين عن الدين القويم، بل يقولون إن التوسل بجاه النبي ﷺ من البدع المحرمة المحدثة في الإسلام؛ لأنه لم يرد نصٌ عن رسول الله صلى الله ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا من بعدهم من سلف الأمة وأئمتها المهتدين... ثم وضح رحمه الله الفرق بين التوسل البدعي والاستغاثة الشركية[١].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ رحمه الله: «التوسل بالأموات قسمان: قسم محرم لا يجوز؛ كأن تقول: اللهم إني أتوسل إليك بفلان، وقسم شرك لا يُغفر؛ كأن يقول القائل: يا سيدي يا بدوي أنا في حسبك، أنا في عرضك، اشفع لي، يا سيدي الحسين اشفع لي، فهذا شرك؛ لأن الشفاعة ملك لله، ولا تُطلب إلا منه»[٢].

وأختم بجواب رائع للشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ - حفظه الله - يجلي هذا الأمر الذي حاول المخالفون الخلط فيه:

«سؤال: ما الفرق بين التوسل والشفاعة، نرجو التوضيح وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: التوسل هو اتخاذ الوسيلة، والوسيلة: هي الحاجة نفسها، أو ما يوصل إلى الحاجة وقد يكون ذلك التوسل باستشفاع، يعني: بطلب شفاعة؛

(١) كشف غياهب الظلام (ص ١٨١ - ١٨٢).

(٢) تعليقه على كتاب «الدعوة الوهابية»؛ لعبدالكريم الخطيب (ص ٧٧).

بمعنى أنه يريد أن يصل إلى حاجته -بحسب ظنه بالاستشفاع، وقد يروم التوصل إلى حاجته - بحسب ظنه بغير الاستشفاع؛ فيتوسل مثلًا بالذوات فيسأل الله بذات فلان، أو بجاهه، أو بحرمته، مثل أن يقول: اللهم إني أسألك بنبيك محمد - بعد وفاته عليه الصلاة والسلام- أو يقول: اللهم إني أسألك بأبي بكر، أو بعمر، أو بالإمام أحمد، أو بابن تيمية، أو بالولي الفلاني، أو بأهل بدر، أو بأهل بيعة الرضوان، أو بغيرهم. فهذا هو الذي يسمونه توسلًا، وهذا التوسل معناه: أنه جعل أولئك وسيلة، وأحيانًا يستعمل في التوسل لفظ: الحرمة، والجاه، فيقول: أسألك بحرمتهم، أو أسألك بجاههم، ونحو ذلك.

أما الاستشفاع: فهو أن يسألهم الشفاعة أي: يطلب منهم أن يشفعوا له.

فتحصل من ذلك: أن التوسل يختلف عن الاستشفاع، في أنَّ المستشْفِع: طالب للشفاعة، وقد علم أن الشفاعة إذا طلبها من العبد يكون قد سأل غير الله، وأما المتوسل - بحسب عُرْف الاستعمال- فإنه يسأل الله، لكن يجعل ذلك بوسيلة أحدٍ.

فالاستشفاع: سؤال لغير الله، وأما الوسيلة فهي سؤال الله بفلان، أو بحرمته، أو بجاهه: وكل هذا لا يجوز؛ لأنه اعتداء في الدعاء؛ ولأنه بدعة محدثة ووسيلة إلى الشرك، وأما الاستشفاع بالمخلوق الذي لا يملك الدعاء، كالميت، أو الغائب، أو نحوهما: فهو شرك أكبر؛ لأنه طلب ودعاء لغير الله.

فالتوسل - بحسب العرف- هو من البدع المحدثة، ومن وسائل الشرك، وأما طلب الشفاعة من غير الله فهو دعاء غير الله، وهو شرك أكبر.

لكن الجاهليون والخرافيون والقبوريون يسمون جميع عباداتهم الشركية - من طلب الشفاعة، والذبح، والنذر، والاستغاثة بالموتى، ودعائهم- توسلًا وهذا

غلط في اللغة، والشرع معا، فالكلام في أصله لا يصح؛ فإن بين التوسل والشفاعة فرقًا من حيث مدلول المعنى اللغوي، فكيف يسوى بينهما في المعنى؟! أما إذا أخطأ الناس وسموا العبادات المختلفة توسلًا فهذا غلط من عندهم، لا يتحمله الشرع، ولا تتحمله اللغة»[١].

(٦) خصوم الدعوة كفّروا الشيخ رحمه الله وأتباعه، وبادروهم بالقتال

وهذا مالايذكره المناوئون للدعوة عند حديثهم عنها! لأنه يُناقض ويُعارض ما يحاولون إشاعته. وقد اعترف بهذا المؤرخون[٢]:

لقد اتخذ أشراف مكة موقفًا عدائيًا من دعوة الشيخ محمد والدولة السعودية على حد سواء منذ البداية. فقد سجن أحد أولئك الأشراف الحجاج التابعين للدولة السعودية سنة (١١٦٢هـ)[٣].

وأصدر قاضي الشرع في تلك البلدة المقدسة فتوى بتكفير الشيخ محمد وأتباعه[٤].

ولذلك مُنِعوا من أداء الحج سنوات طويلة. وكم كانت فرحة الشيخ عظيمة

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص ٦١٩ - ٦٢٠)، وانظر أيضًا: الدرر السنية (٢ / ٨٣ - ٨٤)، وصيانة الإنسان (ص ٤٥٦ - ٤٥٧)، والأسنة الحداد (ص ٢٤٨، ٣١٩)، وعقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية (٢ / ٩٨).

(٢) وهو يؤكد ماقاله الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بعد أن بين عقيدته وإنكاره للشرك والمحدثات: «فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا، وقاتلونا، واستحلوا دماءنا، وأموالنا». «الدرر السنية» (١ / ٨٧)، وسيأتي.

(٣) تاريخ ابن بشر (١ / ٣٧).

(٤) خلاصة الكلام؛ لدحلان (ص ٢٢٧ - ٢٢٨).

عندما تلقى رسالة من الشريف أحمد بن سعيد عام (١١٨٥هـ)، طالبًا منه بعث عالم نجدي لشرح الدعوة التي نادى بها. وقد أرسل إليه الشيخ تلميذه عبدالعزيز الحُصيِّن. وبعث معه رسالة تنبئ عبارتها بما كان يختلج في نفسه من مشاعر طيِّبة تجاه ذلك الشريف، وما كان يملأ جوانحه من آمال في مناصرته لدعوة الحق. قال الشيخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

«المعروض لديك، أدام الله فضل نِعَمه عليك، حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد - أعزَّه الله في الدارين، وأعزَّ به دين جده سيد الثقلين -، أن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمَّل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها، وعداوة من خرج عنها. وهذا هو الواجب على ولاة الأمور.. . فلا بدَّ من الإيمان به - أي بالنبي ﷺ - ولابد من نصرته لا يكفي أحدهما عن الآخر، وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذين بعثه الله منهم، وشرَّفهم على أهل الأرض، وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته ﷺ»[1].

على أن هذه الرسالة اللطيفة لم تُجن منها الثمار المرجوَّة؛ ذلك أن الشريف أحمد نفسه لم يبق في الحكم أكثر من سنة، فتلاشى ما دار في ذهن الشيخ من أمل، واستمر منع أنصاره من أداء الحج، ومع مرور الأيام لم يكتف أشراف

---

(١) تاريخ ابن غنام (٢ / ٨٠ - ٨١)، وقال الشوكاني في «البدر الطالع» (٢ / ٧): «وأما أهل مكة، فصاروا يُكفرونه - أي الشيخ محمد -، ويُطلقون عليه اسم الكافر، وبلغنا أنه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة، فناظره علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين»، وفي هذا ردٌّ على زعم دحلان وما نقله من أحداث المناظرة.

مكة بذلك المنع؛ بل بدأوا بمهاجمة الأراضي النجدية التابعة للدولة السعودية عام (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م). وكانت النتيجة أن انتصر السعوديون في نهاية المطاف على أولئك الأشراف حتى دخلت الحجاز تحت حكمهم. ولم يكن موقف زعماء بني خالد من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والدولة السعودية أقل عداوة من موقف أشراف مكة.

يقول زيني دحلان القبوري: «وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم - أي الشيخ محمد وأتباع دعوته - في الشرق وفساد عقائدهم ولم يعرفوا حقيقة ذلك، فأمر مولانا الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوا فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة، ونظروا إلى عقائدهم فإذا هي مشتملة على كثير من المكفرات، فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الأول والآخر وأمر بسجن أولئك الملاحدة الأنذال، ووضعهم في السلاسل والأغلال فسجن منهم جانبًا وفرَّ الباقون ووصلوا إلى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا، فعتى أمرهم واستكبر، ونأى عن هذا المقصد وتأخر، حتى مضت دولة الشريف مسعود وأقيم بعده أخوه الشريف مساعد بن سعيد، فأرسلوا في مدته يستأذنون في الحج فأبى وامتنع من الإذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم، فلما مضت دولة الشريف مساعد وتقلد الأمر أخوه الشريف أحمد بن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل في المدة السابقة.

فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم لا يتدينون إلا بدين الزنادقة فأبى أن يقر لهم في حمى البيت الحرام قرار، ولم يأذن لهم في الحج بعد أن ثبت عند العلماء أنهم كفار، كما ثبت في دولة الشريف مسعود.

فلما أن ولي الشريف سرور أرسلوا أيضًا يستأذنونه في زيارة البيت المعمور

فأجابهم: بأنكم إن أردتم الوصول آخذ منكم في كل سنة وعام صرمة مثل ما نأخذها من الأعاجم وآخذ منكم زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد، فعظم عليهم تسليم هذا المقدار وأن يكونوا مثل العجم فامتنعوا من الحج في مدته كلها، فلما توفي وتولى سيدنا الشريف غالب أرسلوا أيضًا يستأذنون في الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم، وجعل ذلك القول فعلًا، فجهز عليهم جيشًا في سنة ألف ومائتين وخمسة، واتصلت بينهم المحاربات والغزوات إلى أن انقضى تنفيذ مراد الله فيما أراد وسيأتي شرح تلك الغزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليه من العقائد الزائغة التي كان تأسيسها من محمد بن عبدالوهاب.

إلى أن يقول معترفًا: «والحاصل أنه - أي الشيخ محمد - لبّس على الأغبياء بعض الأشياء التي توهمهم بإقامة الدين، وذلك مثل أمره للبوادي بإقامة الصلاة والجماعة ومنعهم من النهب، ومن بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط، وكتأمين الطرق والدعوة إلى التوحيد، فصار الأغبياء الجاهلون يستحسنون حاله وحال أتباعه»[(١)].

وقال الشيخ محمد رَحِمَهُ اللهُ في رسالته لأهل المغرب: «وأما: ما صدر من سؤال الأنبياء، والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسرج، والصلاة عندها واتخاذها أعيادًا، وجعل السدنة والنذور لها، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي ﷺ وحذر منها، كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة، حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**» رواه مسلم

---

(١) خلاصة الكلام (ص ٢٢٧ - ٢٣٨).

وهو ﷺ حمى جناب التوحيد، أعظم حماية وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فنهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم، من حديث جابر، وثبت فيه أيضًا: أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدع قبرًا مشرفًا إلا سواه، ولا تمثالًا إلا طمسه؛ ولهذا قال غير واحد من العلماء: يجب هدم القبب المبنية على القبور، لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ.

فهذا: هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا، وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم، وظفرنا بهم، وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه، بعدما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الأئمة؛ ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان، قاتلناه بالسيف والسنان، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾»[1].

وقال الشيخ عبد الله بن الإمام محمد - رحمهما الله -: «وهذا الدين الذي ندعو إليه، قد ظهر أمره وشاع وذاع، وملأ الأسماع، من مدة طويلة، وأكثر الناس بدّعونا، وخرّجونا، وعادونا عنده، وقاتلونا، واستحلوا دماءنا وأموالنا، ولم يكن لنا ذنب سوى تجريد التوحيد، والنهي عن دعوة غير الله والاستغاثة بغيره، وما أحدث من البدع والمنكرات، حتى غُلبوا وقُهروا، فعند ذلك أذعنوا وأقروا بعد الإنكار»[2].

---

(١) الدرر السنية (١ / ٨٣ - ٨٨).

(٢) المرجع السابق (١ / ٢٧٤).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، مقررًا منهج جده - الإمام محمد- في مسألة القتال، ومزيلا للشبه في ذلك»: الشيخ لم يبدأ أحدًا بالقتال، بل أعداؤهم الذين ابتدأه بذلك، وقتاله كان من باب الدفع والمجازاة على السيئة بمثلها، وما حدث بعده أو في وقته من خطأ أو تعد، فلا يجوز نسبته إليه، وأنه أمر به أو رضيه، وقد جرى لأسامة بن زيد في دم الجهني، وجرى لخالد بن الوليد في دماء بني جذيمة، وأموالهم ما لا يجهله أهل العلم والإيمان.

وذلك في عهده ﷺ، وقد برئ منه وأنكره، فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**»، وقال لأسامة «**أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ كيف تصنع بلا إله إلا الله، إذا جاءت يوم القيامة؟**».

ومن أشكل عليه أمر القتال في زمن الشيخ، وعلى دعوته، فهو إما جاهل بحال الأعداء وما قالوه في الإسلام، وما بدلوه من الدين، وما كانت عليه البوادي والأعراض من الكفر بآيات الله، ورد أحكام القرآن، والاستهزاء بذلك، والرجوع إلى سوالف البادية، وما كانت عليه من العادات والأحكام الجاهلية... أو هو جاهل بما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، لا شعور له بشيء من ذلك، ولا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم؟

وبالجملة: فالواجب أن يتكلم الإنسان بعلم وعدل، ومن فاته العلم، فحسبه السكوت، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن خلع ربقة الدين من عنقه، فليقل ما شاء، والله بما يعملون بصير»[1].

وقال الدكتور ناصر العقل عن الشيخ وأتباع الدعوة:

«١- إن خصومهم هم البادئون بالقتال بإعلان الحرب المسلحة وغير المسلحة

---

(١) منهاج التأسيس (ص ٢٨).

على الدعوة ودولتها وأتباعها، بل أعلنت قوى الشر استعمال القوة والقتال للشيخ وأتباعه قبل وصوله الدرعية وقبل أن يكون لهم كيان، حيث هدده سليمان بن محمد بن عريعر في الأحساء (من بني خالد)، وأنذر عثمانَ بن معمر -أمير العيينة- إن لم يتخذ موقفًا حازمًا ضد الشيخ الإمام، وكذلك فعل ابن شامس العنزي[(١)]، ثم لما استقرت الدعوة في الدرعية بدأها بالحرب دهام بن دواس أمير الرياض آنذاك.

٢- إن الخصوم كانوا كثيرًا ما يغدرون بأتباع الدعوة من الدعاة القضاة والعلماء وطلاب العلم والمعلمين الذين كان يبعثهم الشيخ محمد والولاة والمشايخ -المؤيدين للدعوة- للقرى والبادية والأقاليم لتعليم الناس دينهم وإجراء الأحكام الشرعية بينهم، بل كثيرًا ما يعلنون العصيان على الحاكم الإمام محمد بن سعود، وينقضون البيعة والعهد، ويخرجون على الجماعة والإمام، وهذا ما يحرمه الإسلام، ويأمر بتأديب من يفعله.

٣- وكان حكام الحجاز غالبًا يعلنون العداء لدعوة التوحيد وأتباعها وكانت عداوتهم متنوعة عقدية وسياسية وإعلامية ثم عسكرية، وأحيانًا يقتلون بعض العلماء والدعاة بل والرسل الذين يبعثهم أهل الدعوة إليهم.

٤- وكانوا يمنعونهم من حقوقهم المشروعة كإبلاغ الدعوة، وكأداء فريضة الحج، فقد منعوهم منه سنين طويلة ثم أذنوا فيه سنة (١١٩٧هـ)، ثم الشريف غالب منعهم من الحج مرة أخرى منذ سنة (١٢٠٣هـ) وما بعدها ثم غزا معتديًا، فقد بدأ الشريف غالب وغيره من حكام الحجاز الحرب على الدعوة وأتباعها قبل أن يبدؤوهم.

---

(١) انظر: حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ لخزعل (ص ١٤).

وأعلن الحرب المسلحة ضدهم، وقد اعترف خصوم الدعوة بذلك وذكره مؤرخوهم معتزين به[١].

وعلى هذا فإنه عند التحقيق العلمي المتجرد يثبت قطعًا أن ما يقال عن الإمام وعلماء الدعوة وحكامها (آل سعود) وأتباعها حول التكفير واستحلال قتال المسلمين ودمائهم كلها مما لا يصح،أو مما قد يكون له وجه شرعي معتبر قام عليه الدليل الشرعي، ذلك أن تكفير من يستحق التكفير شرعًا وسب من يستحق السب شرعًا ليس من التكفير والسب المذموم ولا القسوة، بل مما هو مطلوب شرعًا في الدين الإسلامي بشروطه وضوابطه التي يعرفها الراسخون في العلم. إذن فقد ثبت أنهم لم يبدءوا القتال ولم يقاتلوا ابتداء إنما بدأ القتال خصومهم.

ثم إنه من الطبيعي أن اختيار منهج القوة والحزم والقتال عند الضرورة هو الحل الأمثل في كثير من الأحوال،ومنها الحال التي وصلت إليها الدعوة مع خصومها. ونظرًا لقوة الباطل والهوى وتمكنه من قلوب كثير من الناس وحياتهم لم تقبل نفوسهم الحق ولم تذعن لأهله. كما أن الناظر لحال كثيرين من الذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها تشنيعًا على الدعوة وأتباعها في شبهة التكفير يجد العجب من تحيزهم ضد السنة وأهلها في هذه المسألة (وغيرها) وإغفالهم لأهل البدع الخلص الذين يكفرون خيار الأمة؛ فيكفرون صحابة رسول الله ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين، ويكفرون السلف الصالح.

بل إن أكثر مزاعم التكفير والتشدد التي ألصقت بالدعوة وإمامها حدثت من الرافضة الذين يكفرون خيار الأمة ويستنقصونهم، ومن أشياعهم الذين يشاركونهم في بدع المقابرية والقباب والمشاهد والمزارات البدعية، والطرق

---

(١) انظر: خلاصة الكلام؛ لدحلان (ص ٢٢٨ - ٢٢٩).

الصوفية والموالد والأذكار المحدثة، ومن المعلوم لدى كل باحث ومحقق: أن أصل هذه البدع ومنشأها كان من مكفّرة الصحابة والسلف الصالح، فأين العدل والإنصاف والتحقيق الذي يدّعونه؟، وأين الغيرة على الحق والدين وعلى الأولياء والصالحين التي يزعمونها؟ وهم يهينون الصالحين ببدعهم. وأين النصح للمسلمين الذي يتظاهرون به؟! وهم يروجون البدع وينصرونها»[١].

ثم نقل عن المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي قوله في تاريخه عن جيش إبراهيم باشا عدو الدعوة: «ولما وصلوا بدرًا واستولوا عليها وعلى القرى والخيوف، وبها خيار الناس، وبها أهل العلم الصلحاء: نهبوهم وأخذوا نساءهم وبناتهم وأولادهم وكتبهم فكانوا. يبيعونهم من بعضهم لبعض ويقولون: هؤلاء الكفار الخوارج»[٢].

ويقول الشيخ فوزان السابق: «إن الوهابين لم يبدأوا أحدًا بالقتال، ولم يعتدوا على جيرانهم بالحجاز والعراق، حتى غزاهم جيرانهم في عقر دارهم، ومنعوهم من حج بيت الله الحرام، حتى آل الأمر إلى تجذيب النساء مع الرجال من تحت أستار الكعبة في وقت الشريف مسعود وبعده، فلما حيل بينهم وبين أداء ركن من أركان الإسلام تعين عليهم الجهاد. فلما مكن الله لهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، لا كما يقول المعترض المفترى.

وهذا ما ذكره العلامة محمود فهمي المصري في كتابه البحر الزاخر. قال رحمه الله تعالى: ومع ما كان عليه الوهابيون من الحروب والمبارزات في بلاد

---

(١) إسلامية لا وهابية (ص ٢٤١ - ٢٤٣)، والنقول السابقة منه.

(٢) تاريخ الجبرتي (٣ / ٢٤١ - ٢٤٣).

بالعرب لم يعتدوا على حقوق الحكومتين المجاورتين لهم، وهما حكومة بغداد والحجاز، وكانت قوافل الحجاج تمر من وسط أراضيهم من غير أن يحصل لأي قافلة ضررًا أو انزعاج، وكانوا في أحوال أخوية ودية مع الشريف سرور شريف مكة، وفي سنة ١٧٨١ بعد الميلاد استحصلوا على رخصة منه في أداء حجهم وطوافهم بالكعبة، فتولد من زيادة قوتهم ونفوذ شوكتهم اشتعال نار الغيرة والحسد في قلب الشريف غالب، وفي ظرف بضع سنين من تقلده الحكومة، وتوظفه شريف مكة بعد الشريف سرور: أعلن حربًا على الوهابية، وكانت طرائق هذا الحرب مثل طرائق حرب البدو، متقطعًا بهدنات صغيرة قصيرة المدة، ولما انتظمت مخابرات الشريف غالب مع الدولة التركية العثمانية، لم يهمل أدنى طريقة يمكنه إجراءها في تمكين الدولة العثمانية من إدخال عساكرها في بلاد العرب لأجل الوقوع بالوهابين، إلا وأجراها، وادعى أنهم من الملحدين الكافرين»[١].

(٧) الواقع الديني لنجد قبل دعوة الشيخ محمد رحمه الله

ظن المناوئون للدعوة - ومن اغتر بكلامهم - أن علماء الدعوة ومؤرخيها - وعلى رأسهم ابن غنام - بالغوا في وصف حال نجد قبل قيام الشيخ محمد رحمه الله بدعوة التوحيد؛ من حيث انتشار الممارسات البدعية والشركية، وزعموا أن هذا من المبالغات المقصودة المخالفة للواقع لأجل مدح الشيخ أو الدعوة و التماس العذر له فيما قام به! ثم فهم بعضهم من تلك العبارات أن الشيخ أو علماء الدعوة يُكفرون بالعموم! وهذا جهلٌ ومغالطة.

---

(١) البيان والإشهار (ص ٣٣ - ٣٤).

ولو أنصف هؤلاء لعلموا أن الشيخ محمدًا رحمه الله خرج في مطلع القرن الثاني عشر الهجري، و هذه الفترة تدخل ضمن ما اصطُلح على تسميته بـ(عصور الانحطاط). حيث كانت بلاد المسلمين تعاني انحطاطًا شاملًا في جميع مناحي الحياة: دينيًا وسياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا.

وكانت صور الشرك والوثنية أكبر مظاهر هذا الانحطاط؛ حيث شاع بين الناس دعاء الأموات والتعلق بالأضرحة والمزارات، والغلو في الصالحين والذبح لقبورهم والنذر لها، والاستغاثة بها عند الشدائد، علاوةً على السحر والشعوذة، وتصديق مدعي علم الغيب، ونبذ الشرائع والتحاكم إلى العوائد الجاهلية.

ففي بلاد مصر - مثلًا - يذكر على باشا مبارك في كتابه «الخطط التوفيقية»[١] أنه كان في زمنه في القاهرة وحدها مائتان وأربعة وتسعون ضريحًا!. وقبله ذكر المؤرخ الجبرتي أن أغنى الناس في مصر وأعظمهم ثراءً في وقته هم سدنة القبور والأضرحة[٢]!

أما في بلاد الشام فيذكر عبدالرحمن بك سامي، صاحب كتاب «القول الحق في بيروت ودمشق»[٣] أنه زار في دمشق وضواحيها فقط مائةً وأربعة وتسعين ضريحًا ومزارًا. وكان ذلك عام (١٨٩٠م).

وأما في العراق فقد ذكر محمد رؤوف في كتابه «مراحل الحياة في الفترة المظلمة ومابعدها»[٤] أنه في أول القرن الرابع عشر الهجري كان يوجد في بغداد

(١) (١ / ٢٤٤).
(٢) تاريخ الجبرتي (٣/ ٤٢٦).
(٣) (ص ٩٧).
(٤) (١ / ٧٢).

مائة وخمسون جامعًا قلَّ أن يخلو جامعٌ منها من ضريح!

ويذكر صاحب كتاب «ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء» أن بلدة الموصل في وقته كانت تشتمل على أكثر من ستة وسبعين ضريحًا مشهورًا![١]

وقد صنف علامة العراق محمود الآلوسي كتابًا عنوانه «القول الأنفع في الردع عن زيارة المدفع». وسبب تصنيفه لهذا الكتاب أن أهل بغداد كانوا يتبركون بمدفعٍ قديمٍ من بقايا العثمانيين! وقد ذكر الشيخ محمد بهجت الأثري في كتابه «أعلام العراق»[٢] أن الناس «كانوا يعتقدون في هذا المدفع اعتقاد الجاهلية في اللات والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى»!

وأما في بلاد المغرب فقد ذكر صاحب كتاب «الإعلام بمن حلَّ بمراكش وأغمات من الأعلام»[٣] أن القبائل هناك قاموا بثورة عارمة ضد المحتلين الأسبان فقط عندما بنوا مركز حراسة قرب ضريح لأحد الأولياء!

وأما مكة المكرمة، فقد ذكر المؤرخ محمود فهمي المهندس المتوفى سنة (١٣١١هـ) في كتابه «البحر الزاخر»[٤] أن النجديين بعد دخولهم لمكة هدمُوا فيها ما يزيد على ثمانين قبة فاخرة مبنية على قبور وأضرحة منسوبة لآل بيت النبوة.

وأما في اليمن فيذكر الشوكاني رحمه الله في كتابه «الدر النضيد»[٥] أن كثيرًا من العوام في زمانه وبعض الخواص - أيضًا - غلوا في الصالحين حتى صاروا:

---

(١) انظر: «الانحرافات العقدية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين»؛ للدكتور علي بن بخيت الزهراني (ص ٢٩٥).
(٢) (ص ١٤٥).
(٣) (٣ / ١٩٥).
(٤) (١ / ١٧٦).
(٥) (ص ٢٨).

«يدعونهم تارةً مع الله وتارةً استقلالًا، ويصرخون بأسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعًا زائدًا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء». ويقول رحمه الله: «اعلم أن ما حررناه وقرَّرناه - من أن كثيرًا مما يفعله المعتقدون في الأموات يكون شركًا - قد يخفى على كثيرٍ من أهل العلم، وذلك لا لكونه خفيًا في نفسه، بل لإطباق الجمهور على هذا الأمر، وكونه قد شاب عليه الكبير، وشبَّ عليه الصغير وهو يرى ذلك ويسمعه، ولا يرى ولا يسمع من ينكره، بل ربما سمع من يُرَغِّب فيه ويندب الناس إليه»[(١)].

وأما في الآستانة عاصمة السلطنة العثمانية فقد كان هناك أربعمائة وواحد وثمانون جامعًا لا يكاد يخلو جامعٌ فيها من ضريح![(٢)]

وأما بلاد الهند فحدث عن بحر الشرك ولاحرجٍ[(٣)].

هذه الأرقام والإحصاءات التي ذكرتها خاصةٌ بالحواضر والمدن الكبرى، حيث يفترض وجود العلم والعلماء، وأما في القرى والأرياف والبوادي فالأمر أشدُّ وأطمُّ[(٤)].

ويكفي المرء أن يعلم أن الأمراء والوجهاء والأثرياء في ذلك الوقت كانوا يتسابقون على الصَّرف ببذخ على المشاهد الشركية. وكانت هذه النفقات تُعد من أعظم مآثر الأمراء والسلاطين!

---

(١) (ص ٩٣).

(٢) دليل الأستانة (ص ٤٨).

(٣) انظر: «الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية» (ص ١٣٩).

(٤) وللمزيد من ذلك؛ تُنظر الرسالة القيّمة للدكتور علي بن بخيت الزهراني -حفظه الله-: «الانحرافات العقدية في القرن الثالث عشر والرابع عشر»، والنقول السابقة منها.

فبعد هذا كله يبرز سؤالٌ كبيرٌ:

ما الذي سيجعل بلاد نجدٍ استثناءً من هذه الصورة القاتمة؟!

وهل أهلها منزّهون عما يجوز على غيرهم؟! أو أنهم خُلقوا من طينةٍ خاصةٍ لا تقبل الضلال والشرك؟!

ولو أنصف المناوئون لدعوة الشيخ محمد ومَن تأثر بهم: لعلموا أن ما نُقل من المعارضة والمخاصمة للشيخ - سواء بواسطة التآليف أو القتال - دليلٌ واضح على حال البلاد قبل الدعوة السلفية، وإلا فلماذا هذا الاستنكار الواسع لها والمدافعة لو كان الناس ذاك الوقت على حالٍ مستقيمة مرضيّة؟! كيف وقد شهد لهذا الحال الكئيب مؤرخو تلك الفترة ممن هم أوثق من المناوئين جميعًا؟!.

ولو أنصف هؤلاء - أيضًا -: لعلموا أن وصف انتشار الجهل المنتشر والمخالفات الشرعية لا يعني تكفير الناس بالعموم -كما يدعون-، فشتان بين الأمرين. وهذا يُدركه أهل العلم المنصفون الذين يُنزلون الألفاظ منزلها المناسب، دون تزيد أو تضخيم. ويلزم هؤلاء المدعون أن يحكموا بهذا الحكم الشنيع على كل من وصف حال الأمة - في فترة من فترات الجهل والإعراض عن دين الله وسنة المصطفى ﷺ - بأنه يُكفر الناس. فهل يلتزمون هذا؟ لا أظن ذلك؛ لأن مؤلفات العلماء لا تخلو منه - كما سيأتي إن شاء الله -.

ويظهر أن هذه الشبهة قد أثيرت منذ زمن الشيخ محمد رحمه الله، فقد أشار إليها في رسالته إلى محمد بن عيد[1]، بقوله: «فلما أظهرتُ تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به، سبّوني غاية المسبة، وزعموا أني أكفر أهل الإسلام، وأستحل

(١) «الدرر السنية»، (١٠ / ١١٤).

أموالهم، وصرحوا أنه لا يوجد في جزيرتنا رجل واحد كافر»! وبعده قال ابن عمرو -وهو أحد خصوم الدعوة -: «إنه لم يوجد بعد الرسول ﷺ في نجد ومايليها من الأقطار والأمصار شركٌ ولا كفر»! تعريضًا - كما يقول الشيخ ابن سحمان رحمه الله «بأن ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الدعاء إلى توحيد الله، والنهي عن الشرك: أنه ليس من الدين في شيئ، بل هو مجرد هوى وطلب للملك بدعوى الجهاد»[(١)].

فتأثر البعض - كما سبق - بهذه الدعوى - للأسف -، حميةً للبلاد النجدية، زاعمين المبالغة في كلام علماء الدعوة ومؤرخيها - وعلى رأسهم ابن غنام - عند حديثهم عن الحالة الدينية أو العلمية في نجد قبل الدعوة، مدعين خلاف ذلك، وأن العلماء كانوا موجودين، والانحراف يسير، وفي هذا ما فيه من التشكيك بكلام العلماء الثقات، قادهم إليه عدم فهمهم لمقصودهم.

وتوضيح هذا: أن علماء الدعوة - كالشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في رسالته عن أحوال البلدان قبل الدعوة[(٢)]، ومؤرخيها؛ كابن غنام وابن بشر في تاريخيهما - عندما يتحدثون عن انتشار البدع والشركيات فإنه لا يلزم من كلامهم هذا: جهلهم بوجود العلماء - بالمعنى العام - قبل الدعوة، ممن يشتغلون بالفتيا أو القضاء أو الإمامة، فهذا لايجهله العامة فضلا عن العلماء والمؤرخين، ولكن وجود هؤلاء العلماء المُشار إليهم لا ينفي ما ذكره أئمة الدعوة من انتشار البدع والشركيات في عصرهم؛ لأنهم لا يخرجون عن ثلاثة أصناف:

---

(١) انظر: «الرد على ابن عمرو»، ص ١٣٥، عن «مجلة الدرعية»، (ع٢ ص ٢٧٠).
(٢) في «الدرر السنية»، (١/ ٣٧٣ - ٤٣٩). وانظر للزيادة: كتابي «تاريخ نجد من خلال كتاب الدرر السنية».

١- إما عالمٌ مبتدع، يدين بالعقيدة الأشعرية التي لا تُقيم لتوحيد الألوهية والعبادة وزنًا، وإنما همها إثبات وجود الخالق[(١)]، وتوحيد الربوبية الذي لم يُنكره حتى الكفار!، ولهذا فهؤلاء «العلماء» لايرون في تلك الممارسات البدعية أو الشركية انحرافًا! إن لم يؤيدوها.

٢- وإما عالم «مداهن»، رضي بالمنصب والجاه، رغم علمه بانحراف كثير من العامة، لكن يمنعه ماسبق، وهؤلاء وصفهم الإمام محمد بن عبدالوهاب بأنهم «لحىً فوائن»[(٢)]! - أي لانفع منها -.

٣- وإما عالم «جبُن» عن مخالفة واقعه وأبناء عصره، فرضي بالانزواء أو السكوت.

إذن.. فعلماء ومؤرخو الدعوة - وعلى رأسهم ابن غنام - ليس في كلامهم عن أحوال نجد «مبالغة» - كما ظن البعض؛ لأنه لا تعارض عندهم بين مايسميه هؤلاء علمًا وعلماء - ويعنون المعنى العام -، وبين وجود الانحرافات المستطيرة بين العامة والبادية، بل وبعض مبتدعة العلماء.

فمن الخطأ البيِّن بل السذاجة أن يُشغل هؤلاء أنفسهم لإثبات «المبالغة» المزعومة بمجرد وجود مخطوطة كتبها أحد العلماء النجديين قبل الدعوة! أو وجود العالم الفلاني الذي ألف في الفقه أو المواريث! حتى وصل الحال ببعضهم - لكي يُثبت هذه المبالغة - أن يستشهد بقدوم «الأوزاعي» في القرن الثاني أو الثالث لمنطقة اليمامة للتتلمذ على المحدث يحيى بن أبي كثير -

---

(١) انظر لبيان الفرق في مسألة التوحيد بين أهل السنة والأشاعرة: رسالة «منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى»؛ للأستاذ خالد عبداللطيف نور.

(٢) «الدرر السنية»، (٨ / ٧٨).

رحمهما الله -! و لا أدري ما علاقة هذا بدعوة الشيخ وماقبلها؟!

قلت: وقد رد بعض العلماء والفضلاء على الشبهة السابقة عن حال البلاد قبل الدعوة[١]؛ ومن ذلك: قال الدكتور صالح الحسن - وفقه الله -[٢]: فقد اطلعت في مجلة الدارة في عددها الثالث من السنة الرابعة على مقال بعنوان: نجد منذ القرن العاشر الهجري.. ولقد أعجبت بالمقال، وموضوعه الشائق، ومنهجه التحليلي لبعض الحوادث والأخبار. ومع ذلك فإن لي عليه ملاحظة أرجو من سعادة الدكتور أن يتقبلها بصدر رحب، وله مني جزيل الشكر، وموفوره.

وفي بداية حديثي أقول: إن دور المؤرخ المسلم في بناء الأمة: يتمثل في عرض حقائق التاريخ الإسلامي عرضًا تاريخيًا تربويًا، يؤدي دوره في بناء الأمة الإسلامية، كما يتمثل في تنقية التاريخ الإسلامي، مما دس فيه من روايات، وأخبار كاذبة، هدفها تشويه التاريخ الإسلامي، والنيل من المسلمين، وخدمة أغراض طائفية أو مذهبية.

ومن هذا المنطلق أقول: إنني لا أجد مبررًا لمن يشتغلون بالتاريخ من أبناء

---

(١) انظر على سبيل المثال: «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي»؛ للدكتور صالح العبود، (١ / ٦٠ - ١٠٥)، فقد أطال في هذه المسألة. وانظر: «البيان لأخطاء بعض الكتّاب»؛ للشيخ صالح الفوزان، (٣ / ٤٥ - ٤٦). ومقالًا للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف بعنوان «هل إثبات الحقائق خدعة؟»، ومقالًا آخر للشيخ عبدالعزيز بن فيصل الراجحي، بعنوان «نجد والشرك رُغم أنفك!»، وثالثًا للشيخ بندر الشويقي، بعنوان «هل يُعقل أن الشرك كان موجودًا في بلاد نجد قبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب؟». وجميعها منشورة على الشبكة العنكبوتية.

(٢) مجلة «الدارة»، (العدد الأول من السنة الخامسة).

المسلمين: أن يعمدوا إلى فلسفة، وتحليل بعض الحوادث، والأخبار ليشككوا في بعض الحقائق التي تؤدي دورها في بناء الأمة الإسلامية.

وهذا ما حدث لسعادة الدكتور، وذلك حينما بحث الناحية العقدية في ذلك الزمن - موضوع بحثه. حيث أنهى سعادة الدكتور تحليله لتلك الناحية بالقول: «بأن هناك - أي في نجد- جهله يمارسون أعمالًا شركية، لكن عدد هؤلاء كان فيما يظهر قليلًا».

وهذه النتيجة تشكيكٌ في الدور الذي قام به الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، من محاربة مظاهر الشرك بالله، والعودة بالأمة إلى الكتاب والسنة: عقيدة، وسلوكًا، ومنهاج حياة.

وهذه النتيجة تُظهر الشيخ بأنه كان مجرد زعيم، أحب الزعامة، وعمل لتحقيق هذه الرغبة، وأن ما قام به من جهاد مسلح لنجد وما حولها لم يكن لإعلاء كلمة الله، بل لم يكن مشروعًا، لأن الناس قد سلكوا منهج الله في العقيدة، والسلوك، إلا النزر اليسير منهم.

كما أن هذه النتيجة تشككنا فيما نقله الثقات لنا من أخبار ذلك الوقت، وحوادثه، بل تشكك في كل ما نقله أتباع المصلح عن إمامهم.

وأود أن أُذكّر سعادة الدكتور: بأن ما شكك به من أخبار أهل زمان الشيخ، وما هم عليه، ليس هو رأي الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ حسين ابن غنام، والمؤرخ عثمان بن بشر- وكفى بهم حجة-، وإنما هو رأي جميع الكتاب، والمؤرخين- الذين كتبوا عن تاريخ الشيخ وما قام به من أعمال وتضحيات، سواء منهم المعاصر للشيخ ﷺ أو المتأخر عنه.

وإليك وإلى القارئ الكريم بعض أخبار هؤلاء الثقات:

يقول الشيخ عبدالله بن عيسى قاضي الدرعية وهو من المعاصرين للشيخ في

رسالة له: «فالله الله عباد الله: لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله، وتلطخ بالشرك وهو لا يشعر، فقد مضى أكثر حياتي، ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم -فلله الحمد على ما علمنا من دينه. ولا يهولنكم اليوم أن هذا الأمر غريب، فإن نبيكم ﷺ قال: بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، واعتبروا بدعاء أبينا إبراهيم عليه السلام بقوله في دعائه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾. ولولا ضيق الكراسة، وأن الشيخ محمد (يعني محمد بن عبدالوهاب) أجاد وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها لأطلنا الكلام.

وأما الاتحادي بن عربي صاحب الفصوص، المخالف للنصوص، وابن الفارض، الذي لدين الله محارب، وبالباطل للحق معارض، فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلا، وانتحل طريق المغضوب عليهم، والضالين المخالفين لشريعة سيد المرسلين، وقد كفرهما كثير من العلماء العاملين، فإن لم يتب إلى الله من انتحل مذهبهما وجب هجره، وعزله عن الولاية إن كان ذا ولاية من إمامة، أو غيرها، فإن صلاته غير صحيحة، لا لنفسه ولا لغيره.

فإن قال جاهل: أرى عبدالله - يعني نفسه - توه يتكلم في هذا الأمر: فليعلم أنه إنما تبين لي الآن: وجوب الجهاد في ذلك علي، وعلى غيري، لقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ - إلى أن قال - ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾. وصلى الله على محمد وآله وسلم».

هذا ما قاله أحد معاصري الشيخ، وهو يثبت فيه وجود الشرك في نجد حينذاك، ووجود من ينتحل مذهب ابن عربي، وابن الفارض، القائلين بوحدة الوجود في هذه البلاد النجدية.

ويقول الإمام عبدالعزيز محمد بن سعود وهو من المعاصرين للشيخ رحمه الله: «فلما من الله علينا بمعرفة ذلك - أي معنى شهادة أن لا إله إلا الله -، وعرفنا أنه دين الرسل: اتبعناه، ودعونا الناس إليه، وإلا فنحن قبل ذلك على ما عليه غالب الناس، من الشرك بالله، من عبادة أهل القبور، والاستغاثة بهم، والتقرب إلى الله بالذبح لهم، وطلب الحاجات منهم، إلى أن قال: فحين كشف لنا الأمر، وعرفنا ما نحن عليه، من الشرك، والكفر بالنصوص القاطعة، والأدلة الساطعة: من كتاب الله، وسنة رسله ﷺ، وكلام الأئمة الأعلام الذين أجمعت الأمة على درايتهم: عرفنا أن ما نحن عليه وما كنا ندين به أولًا أنه الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه، وحذر».

ويقول الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «حالة الناس قبل هذا الدين: أكثرهم حالة، كحالة أهل الجاهلية الأولى، وكل قوم لهم عادة، وطريقة، استمروا عليها، تخالف أحكام الشرع، في المواريث، والدماء، والديات، وغير ذلك، ويفعلون ذلك مستحلين له».

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ: «اعلم يا أخي وفقني الله وإياك للصواب أن أهل نجد في باديتهم وحاضرهم قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، قد اشتدت غربة الإسلام فيما بينهم، واستحكمت، وعم الشرك وطم، وفشا الشرك وشاع الكفر وذاع في القرى والأمصار والبادية والحضار، وصارت عبادة الطواغيت والأوثان: دينًا يدينون به، ويعتقدون في الأولياء أنهم ينفعون ويضرون، وأنهم يعلمون الغيب، مع تضييع الصلاة، وترك الزكاة وارتكاب المحرمات».

ويقول الإمام الشوكاني في وصف نجد، وغيرها ممن دخل تحت طاعة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «وبالجملة: فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت

بذلك الأخبار، ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاته».

ويقول - أيضًا- في وصف نجد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية، وصار الإسلام فيها غريبًا».

وبعد نصوص هؤلاء الثقات: نورد بعض النصوص لعلماء ومؤرخين، ومستشرقين كتبوا عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في نجد، ممن كتبوا في العصر الحاضر: يقول أمين الريحاني في وصف الحالة في نجد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «قبل ظهور هذا المصلح النجدي كان العرب في نجد بل في الشطر الشرقي من شبه الجزيرة منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من النجف، ومن الأهواز، فكان لا يزال لإباحة القرامطة اثر في الأحساء، وكان للقبور شفاعة لا شفاعة فوقها، فأحلها الناس المحل الأعلى في العبادة، والتوسل، والحق يقال: إن هذه البدع أو هذه الخرافات القديمة أبعدت العرب بادية وحاضرة عن حقيقة الدين، أبعدتهم عن الإسلام الذي جاء يبطل عبادة الأوثان، وكل ما فيه رائحة العبودية لغير الله». إلى آخر كلامه في هذا الموضوع.

ويقول الدكتور طه حسين: «أنكر محمد بن عبدالوهاب على أهل نجد: ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية في العقيدة، والسيرة».

ويقول المستشرق كارل بروكلمان رغم تعصبه، ودسه على الإسلام عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «ثم إنه درس مؤلفات أحمد بن تيمية الذي كان قد أحيا في القرن الرابع عشر تعاليم ابن حنبل، والواقع أن دراسته لآراء هذين الإمامين انتهت به إلى الإيقان من أن الإسلام في شكله السائد في عصره، وبخاصة بين الأتراك، مُشرب بالمساوئ التي لا تمت إلى الدين الصحيح بنسب، فلما آب

إلى بلده الأول سعى أول ما سعى إلى أن يعيد إلى العقيدة، والحياة الإسلاميتين صفاءهما الأصلي في محيطه الضيق».

ويقول المستشرق ستودارد في كتابه: حاضر العالم الإسلامي، في حديث عن واقع العالم الإسلامي قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فالبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سحبا من الخرافات، وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين: يحملون في أعناقهم التمائم، والتعاويذ، والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل، والشبهات، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وانتشرت الرذائل، وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء.

وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته ومدلج في ظلمته: إذا بصوت يدوي في قلب صحراء شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام يوقظ المؤمنين، ويدعوهم إلى الإصلاح وإلى سواء السبيل، والصراط المستقيم، فكان الصارخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور، الشيخ محمد بن عبدالوهاب».

والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدًا، ولا إخالها تخفى على سعادة الدكتور، ولولا خشية الإطالة لأوردت المزيد منها.

وفيما أوردته من النصوص دلالة واضحة صريحة على أن الحالة في نجد من الناحية العقدية، والسلوكية قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالى- قد بلغت مبلغًا سيئًا، يوجب على المسلم الحق الجهاد بكل أنواعه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الفرقة إلى الاجتماع، ومن الخوف إلى الأمن، وهو ما قام به الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى-.

وإن نظرة صادقة مخلصة إلى واقع كثير من البلاد العربية والإسلامية التي لم تتأثر تأثرًا مباشرًا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما فيها من البدع، والخرافات، والأمور الشركية المنتشرة اليوم رغم الدعوات الإصلاحية المتعددة، والتي لم تصل إلى مستوى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. إن هذه النظرة لتعطينا أكبر الأدلة على الدور العظيم الذي قام به الشيخ محمد بن عبدالوهاب في تطهير الجزيرة العربية عامة، ونجد خاصة، من ألوان الشرك والبدع والخرافات.

وفي ختام هذا الكلام أشكر سعادة الدكتور مقدمًا على رحابة صدره، وسعة حلمه على أن أخطأت، وليعلم سعادته: أنني إنما كتبت بدافع النصح لنفسي، ولسعادة أستاذي الكريم، والقراء الكرام ومشاركة في الواجب، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل». انتهى مقال الدكتور صالح الحسن - وفقه الله -.

قلت: ومن المزيد الذي لم يذكره الدكتور صالح: وصف الصنعاني لحال البلاد الإسلامية الوارد في قصيدته الشهيرة في مدح الشيخ «سلامي على نجدٍ..»[(١)]، وشهادات عديدة سبقت عن أحوال العالم الإسلامي، وشهادات أوردها العجلاني في كتابه عن الشيخ محمد، ومسعود الندوي في كتابه «الشيخ محمد بن عبدالوهاب مصلح مفترى عليه»، وغيرهم[(٢)].

أخيرًا: أقوى مايقضي على هذه الشبهة أن يُقال[(٣)]: إنَّ مُخالفي الشَّيخ محمَّدًا

(١) وسيوردها ابن غنام في مقدمة تاريخه.

(٢) وقبلهم كان العلماء من كل المذاهب يؤلفون في التحذير من البدع والشركيات، ويُخبرون عن انتشارها في عصرهم؛ كأبي شامة وابن وضاح والشاطبي والسيوطي وعلي محفوظ والقاسمي وغيرهم.

(٣) باختصار من مقال الشيخ عبد العزيز بن فيصل الرَّاجحي.

ومُناوئيه ومُقاتليه أيضًا: لم ينفوا وقوعَ ذلك مِن أهل نَجْدٍ قَطّ، وإنَّما نازعوه في الحكم على مرتكبي تلك الأمور وقتالِ أصحابِها. وقد ذَكَرَ هذا الشَّيْخُ محمَّدٌ نَفْسُه في بَعْضِ رسائلِه، فقال واصفًا حالَهُ مع مُخالفِيه، وما كانوا يذكرونَهُ عنه، مِمَّا يرضونَهُ منه، وما لا يرضونَهُ في رسالةٍ لمحمَّد بن عيد[1]: «ونقولُ ثانيًا: إذا كانوا أكثرَ مِن عشرين سَنَةً، يُقِرُّونَ لَيْلًا ونهارًا، سِرًّا وجهارًا: أَنَّ التَّوحيدَ الَّذِي أَظْهَرَ هذا الرَّجُلُ - يعني الشَّيْخُ نفسَه -هو دِيْنُ اللهِ ورسولِهِ، لكنَّ النَّاسَ لا يُطيعوننا! وأنَّ الَّذي أنكرَهُ هو الشِّرْكُ، وَهُوَ صادقٌ في إنكاره، ولكن لو يَسْلَمُ مِن التَّكفيرِ والقِتَالِ كان على حَقٍّ. هذا كلامُهم على رؤوس الأشهاد».

وقال رحمه الله فيها مُبيِّنًا حالَهُ وحالَ خصومِه[2]: «فلمَّا اشتُهِرَ عنِّي هؤلاءِ الأربعُ - يعني: بيانُ التَّوحيد، وبيانُ الشِّركِ، وتكفيرُ فاعليهِ، والأمرُ بقتالهم - صدَّقني مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مِن العلماءِ في جميع البلدان في التَّوحيدِ، وفي نفي الشِّركِ، وردُّوا عليَّ التَّكفيرَ والقِتَالَ».

وقال في رسالةٍ أُخرى لبَعْضِ إخوانِه، مُبيِّنًا قَوْلَ خُصومِه في حقيقةِ ما يدعو إليه، ويأمرُ به: «ولكنَّهم يُجادِلُونكم اليَوْمَ بشُبْهةٍ واحدةٍ، فأَصْغُوا لجوابِها، وذلك أنَّهم يقولون «كُلُّ هذا حَقٌّ، نشهدُ أَنَّهُ دينُ اللهِ ورسولِه، إلَّا التَّكفيرَ والقِتَالَ». والعَجَبُ مِمَّنْ يخفى عليه جوابُ هذا إذا أَقَرُّوا أَنَّ هذا دِيْنُ اللهِ ورسولِه، كَيْفَ لا يُكَفَّرُ مَنْ أنكرَهُ وقَتَلَ مَنْ أَمَرَ به وحَبَسَهُم؟! كَيْفَ لا يُكفَّرُ مَنْ أَمَرَ بحَبْسِهِم؟! كَيْفَ لا يُكَفَّرُ مَنْ جاءَ إلى أهل الشِّركِ يَحُثُّهم على لزومِ دينِهم وتزيينِه لهم، ويَحُثُّهم على قَتْلِ الُموحِّدين وأَخْذِ مالِهم؟!»[3].

---

(١) الدرر السنية (١٠ / ١١٥).

(٢) المرجع السابق (١٠ / ١١٣).

(٣) المرجع السابق (١٠ / ٨).

(٨) أصول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في قضية التكفير[١]

الأصل الأول: عدم التكفير إلا بدليل شرعي صحيح صريح:

التكفير حق الله وحده، فلا يجوز الإقدام عليه إلا بإذن من الله وسلطان، أي بنص من كتاب الله تعالى، أو سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وحجة قاطعة لا تتطرق إليها شبهة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقد قرن الله تعالى القول عليه بلا علم، بالإشراك معه غيره؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وهذه النصوص الشرعية وغيرها مما جاء في معناها، هي التي جعلت الإمام محمد بن عبدالوهاب يرتكز على هذا الأصل الأصيل، وهو عدم التكفير إلا بدليل شرعي صحيح صريح، ولهذا فلا يمكن لأحد أن يثبت أن الإمام محمد بن عبدالوهاب، كفّر بغير دليل شرعي، بل الثابت: أن ما حكم عليه بكفر فإن له عليه دلائل من الكتاب والسنة.

قال رحمه الله: «وأما المسائل الأخر، وهي أني أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله، وأني أُعرِّف من يأتيني بمعناها، وأني أكفِّر الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله، وأخذ النذر لأجل ذلك، وأن الذبح لغير الله كفر،

---

(١) لخصتها - بتصرف وزيادات - من رسالة «منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسألة التكفير»؛ للشيخ أحمد الرضيمان. وانظر: «ضوابط تكفير المعين عند شيخي الإسلام ابن تيمية وابن عبدالوهاب»؛ للشيخ أبي العلا بن راشد، و«المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد»؛ للشيخ مدحت آل فراج.

والذبيحة حرام، فهذه المسائل حق، وأنا قائل بها، ولي عليها دلائل من كلام الله، وكلام رسوله، ومن أقوال العلماء المتبعين، كالأئمة الأربعة، وإذا سهل الله تعالى بسطت الجواب عليها في رسالة مستقلة إن شاء الله تعالى»(١).

وكثيرًا ما يقرن الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله الحكم بالتكفير بالدليل، من أمثلة ذلك: قوله رحمه الله: «من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] »(٢).

الأصل الثاني: أن الإمام محمد يكفّر بالمتفق عليه، دون المختلف فيه:

وهذا الأصل في منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب يدل على ورعه في مسائل التكفير، كما قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ: «والشيخ محمد رحمه الله من أعظم الناس توقفًا وإحجامًا عن إطلاق الكفر، حتى أنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرها، إذا لم يتيسر له من ينبهه»(٣).

والمتبع لمنهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسائل التكفير، يجد أنه رحمه الله لا يكفر إلا بالمتفق عليه دون المختلف فيه، وبيان ذلك كما يلي:

أولًا: عدم تكفيره إلا بما أجمع العلماء عليه: ومما يدل على ذلك قول الإمام محمد رحمه الله ما نصه: «أركان الإسلام الخمسة أولها: الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة: إذا أقرَّ بها، وتركها تهاونًا، فنحن وإن قاتلناه على

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب (القسم الخامس، الرسائل الشخصية، ص١٢).
(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب القسم الأول، العقيدة (ص ٣٨٦).
(٣) منهاج التأسيس، (ص ٩٨).

فعلها، فلا نكفره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلًا من غير جحود، ولا نكفّر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان. وأيضًا نكفّره بعد التعريف، إذا عرف وأنكر»(١).

ولما ذكر بعض الأمور الشركية، بيَّن أن هذا الذي ذكره لم يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل أجمعوا عليها. فقال: «وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة، وغيرهم ممن سلك سبيلهم، ودرج على منهجهم»(٢).

ثانيًا: موافقته للمذاهب الأربعة في مسائل التكفير: وبيَّن الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أنه لم يقل في مسائل التكفير، إلا بما دلت عليه الأدلة، وقال به أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة جميعًا واتفقوا عليه، فقال في إحدى رسائله: «وأقول: كل إنسان أجادله بمذهبه، إن كان شافعيًا فبكلام الشافعية وإن كان مالكيًا فبكلام المالكية، أو حنبليًا أو حنفيًا فكذلك».

ثالثًا: تحديه لخصومه أن يأتوا بشيء خالف فيه الإجماع: لما ذكر رحمه الله كفر من جحد علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه قال: «فإن سمعتم أني أفتيت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم توجه عليّ القول، وقد بلغني أنكم في هذا الأمر، قمتم وقعدتم، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر، فيا ليت قيامكم كان في عظائم في بلدكم، تضاد أصلي الإسلام، شهادة أن لا إله إلا

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب «القسم الثالث»، فتاوى ومسائل (ص ٩).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ١١١ - ١١٣).

الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، منها وهو أعظمها: عبادة الأصنام عندكم من بشر وحجر، هذا يُذبح له، وهذا يُنذر له، وهذا يُطلب إجابة الدعوات، وإغاثة اللهفات، وهذا يدعوه المضطر في البر والبحر، وهذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه في الدنيا والآخرة، ولو عصى الله!

فإن كنتم تزعمون أن هذا ليس هو عبادة الأصنام والأوثان المذكورة في القرآن، فهذا من العجب، فإني لا أعلم أحدًا من أهل العلم يختلف في ذلك.. إلى أن قال: وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع: إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله ﷺ، وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند دعوته إلى المباهلة...»[١].

وقال رحمه الله في رسالة بعثها إلى محمد بن فارس: «الواصل إليكم مسألة التكفير، ومن كلام العلماء، وذكر في الإقناع إجماع المذاهب كلها على ذلك، فإن كان عند أحد كلمة تخالف ما ذكروه في مذهب من المذاهب، فاذكرها وجزاه خيرًا، وإن كان يبغي يعاند كلام الله، وكلام رسوله، وكلام العلماء، ولا يصغي لهذا أبدًا، فاعرفوا أن هذا الرجل معاند، ما هو بطلاب حق، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]».

الأصل الثالث: التفريق بين التكفير المطلق، وتكفير المعين:

يفرق الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بين التكفير المطلق وتكفير المعين فيقرر: أن من قال كذا، أو فعل كذا، فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك القول، أو فعل ذلك الفعل، لا يحكم بكفره بعينه، حتى تتم جميع

(١) المرجع السابق (ص: ٢٦٦).

الشروط، وتنتفي جميع الموانع[١].

وإذا انطبقت الشروط، وانتفت الموانع، في حق الشخص المعين فقد قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها.

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة، إذا قال قولًا يكون القول به كفرًا، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك، لا يُحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[٢].

سمات منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في مسألة التكفير:

السمة الأولى: تفريقه بين قيام الحجة، وفهم الحجة:

من السمات البارزة في منهج الإمام محمد رحمه الله، تفريقه بين قيام الحجة، وفهم الحجة. فمن بلغته حجة الله التي بعث بها رسله، فقد قامت عليه الحجة، و«الحجة على العبادة إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به، فأما العاجز عن العلم كالمجنون، أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه، ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله، كمن انقطع عن العمل بجميع الدين، أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلًا»[٣]، وأيضًا فإن قيام الحجة، يختلف باختلاف الأزمنة، والأمكنة، والأحوال والأشخاص،

---

(١) تُنظر الشروط والموانع في رسالة «تكفير المعين عند شيخَي الإسلام ابن تيمية وابن عبدالوهاب»، (ص ٤٠ ومابعدها). وسيأتي بعضها - إن شاء الله -.

(٢) الدرر السنية (٨/ ٢٤٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٩).

كما قال ابن القيم: «إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يترجم له»[١]، وأما فهم الحجة لكلام الله ورسوله، كفهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلا يُشترط ذلك.

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: «الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف؛ فلا يكفر حتى يُعرَّف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة، وفهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين، لم يفهموا حجة الله عليهم، مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقيام الحجة نوع، وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها، فإن أشكل عليكم ذلك، فانظروا قوله ﷺ: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**»[٢]، مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع إجماع الناس أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون أنهم يطيعون الله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها، وكذلك قتل علي رضي الله عنه الذين

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (ص ٤١٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣٠) ومسلم (٢٤٥٩).

اعتقدوا فيه، وتحريقهم بالنار(١)، مع كونهم تلاميذ الصحابة، مع عبادتهم وصلاتهم، وصيامهم، وهم يظنون أنهم على حق، وكذلك إجماع السلف على تكفير غلاة القدرية وغيرهم، مع علمهم وشدة عبادتهم، وكونهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم، لأجل كونهم لم يفهموا»(٢).

ويقول أيضًا: «ومن المعلوم أن قيام الحجة، ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله، مثل فهم أبي بكر ﷺ، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شيء يعذر به فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقوله: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢] »(٣).

السمة الثانية: الاحتراز والتثبت:

من سمات منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، أنه شديد الاحتراز والتثبت في شأنه كله، لاسيما في مسائل التكفير.

يقول الشيخ حسين بن غنام في تاريخه: «إن الشيخ كان ملتزمًا بالمنهج السوي، ولم يتسرع لسانه بتكفير أناس أُشربت قلوبهم بالمعاصي، وبما كانوا عليه من القبائح الشركية»(٤).

ومما يدل على احتراز وتثبت الإمام محمد بن عبدالوهاب، في مسائل

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٠١٧).
(٢) مؤلفات الشيخ الإمام، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٢٤٤).
(٣) المرجع السابق (ص ٢٢٠).
(٤) تاريخ ابن غنام (١/ ٣٣ - ٣٦).

التكفير، قوله رحمه الله: «من أظهر الإسلام، وظننا أنه أتى بناقض، لا نكفره بالظن، لأن اليقين لا يرفعه الظن وكذلك لا نكفر من لا نعرف منه الكفر، بسبب ناقض ذكر عنه ونحن لم نتحققه»[١].

السمة الثالثة: وسطيته في مسائل التكفير بين الجافي والغالي:

من السمات البارزة في منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسائل التكفير، وسطيته بين المرجئة التي فرطت في التكفير، وبين الخوارج الذين أفرطوا في هذا الجانب، فكفروا مرتكب الكبيرة.

ومن المعلوم أن كلا المذهبين، مذهب الخوارج، ومذهب المرجئة، خطرهما عظيم، وعاقبتهما سيئة، فمذهب الخوارج خطره على دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وجمع كلمتهم، ومذهب المرجئة خطره على دين الله، والتزام الناس بشريعته[٢].

وهذه الوسطية التي ينتهجها الإمام محمد بن عبدالوهاب، هي عقيدة أهل السنة والجماعة، التي يعتقدها، ويدعو الناس إليها.

قال رحمه الله مقررًا ذلك: «أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة... إلى أن قال: والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية»[٣].

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل (ص ٢٤).
(٢) انظر: منهج ابن تيمية في التكفير (١/ ٤).
(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٨).

وقال ﷺ مخالفًا منهج الخوارج: «ولا أكفر أحد من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام»(١).

وقال أيضًا: «أهل العلم قالوا: لا يجوز تكفير المسلم بالذنب، وهذا حق ولكن ليس هذا ما نحن فيه، وذلك أن الخوارج يكفرون من زنى، أو من سرق، أو سفك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر»(٢).

وقال أيضًا: «ولا يخرجه عن مرتبة الإسلام، إلا الكفر بالله والشرك المخرج من الملة، وأما المعاصي والكبائر، كالزنى والسرقة وشرب الخمر، وأشباه ذلك فلا يخرجه عن دائرة الإسلام عند أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة، الذين يكفرون بالذنوب، ويحكمون بتخليده في النار».

تكفير المعين وشروطه:

يقرر الإمام محمد بن عبدالوهاب ﷺ أن الحكم على المعين مرتبط بضوابط شرعية، فلا يمكن أن يكون الحكم على الناس، مبني على ظنون وأوهام، أو دعاوى لا يملكون عليها بينات، وإنما يكون الحكم الدنيوي على الشخص بالإسلام أو الكفر، بناء على الظاهر منه، أما الحكم على الحقيقة فلا سبيل إليه.

قال ﷺ: «وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفِّر بالظن والموالاة، أو أكفِّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله»(٣).

---

(١) المرجع السابق (ص ١٠).
(٢) المرجع السابق (ص ٢٣٣).
(٣) المرجع السابق (ص ٢٥).

موانع تكفير المعين عند الإمام محمد بن عبدالوهاب:

يلتزم الإمام محمد بن عبدالوهاب موانع التكفير، على نهج السلف ومن ذلك:

أولا: الجهل: فهو يرى العذر بالجهل لمن لم تقم عليه الحجة، مثل من كان حديث عهد بإسلام، أو ببادية بعيدة عن العلم، أو كان في المسائل الخفية.

ولا يرى العذر بالجهل لمن قامت عليه الحجة، ففرط في التعلم، أو ادعى الجهل في أصول الدين التي أوضحها الله في كتابه، وكانت من المعلومات بالضرورة.

ولهذا قال ﷺ: «الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يُعرّف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله، وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة»[(١)].

ثم إن بعض الناس يظن أن من لم يوفق لقبول الحق، لم تقم عليه الحجة، وهذا خطأ كبير، بل وصف الإمام محمد هذا الخطأ بقوله (أصل الإشكال) فقال: «ولكن أصل الإشكال: أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة، وفهم الحجة»[(٢)]، فمن بلغه الخطاب، وفهم معناه، فقد قامت عليه الحجة، وليس كل من يفهم الحق ينقاد له.

فالخوارج -مثلًا- عاشوا في دار العلم مع الصحابة، وفهموا نقاش الصحابة

(١) المرجع السابق (ص ٢٤٤).

(٢) المرجع السابق.

لهم، ولكن لم يوفقوا للهداية، فلا يقال حينئذ لم تقم عليهم الحجة، ففرق بين قيام الحجة، وفهم الحجة كفهم أبي بكر وعمر، كما قال الإمام محمد: «فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله، مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه»(١).

ثانيًا: الإكراه:

وقد اعتبر الإمام محمد بن عبدالوهاب الإكراه، مانعا من موانع التكفير. يدل على ذلك أنه لما ذكر نواقض الإسلام العشرة قال: «ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره»(٢)، فلاحظ قوله «إلا المكره».

ثالثًا: الخطأ:

وقد ذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب أن الذين قالوا للنبي ﷺ «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا بسبب أنهم قالوا ذلك مخطئين، بدليل أنهم عندما نُبهوا على خطأ ذلك تركوه، ولو عاودوا ذلك بعد النهي، وفعلوا ما نُهوا عنه لكفروا، فقال رحمه الله: «لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب، ولكن هذه قصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل «التوحيد فهمناه»! أن هذا من أكبر الجهل، ومكايد الشيطان.

وتفيد أيضًا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فنبه على

---

(١) المرجع السابق (ص ٢٢٠).

(٢) المرجع السابق (ص ٢١٤).

ذلك، فتاب من ساعته، أنه لا يكفر، كما فعل بنوا إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ»(١).

فهذا -كما ترى- نص صريح من الإمام محمد بن عبدالوهاب في عدم الحكم بالكفر على المجتهد المخطئ.

رابعًا: التأويل:

والمقصود بالتأويل في بحثنا: هو ما يعرض للشخص من فهم لنصوص الشريعة، يكون مخالفًا لما فهمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم، وأئمة الدين، وذلك لورود شبهة معينة على ذهن الشخص تصرفه عن الحق، فيقع في المخالفة، وهو لا يقصد مخالفة الشريعة.

وليس كل تأويل يكون عذرًا لصاحبه، بل إن التأويل نوعان، نوع لا يكون عذرًا لصاحبه، ونوع يُعذر صاحبه به، كما قرر ذلك الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله حيث قال: «التأويل الفاسد في رد النصوص ليس عذرًا لصاحبه، كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي أبداها، كما لم يعذر من خالف النصوص متأولًا مخطئًا، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره»(٢).

وأما التأويل الذي يُعذر صاحبه، فمن أمثلته ما نقله ولخصه الإمام محمد بن عبدالوهاب من تقرير ابن تيمية حيث قال: «لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين الخمر، كقدامة وأصحابه، ظنوا أنها تباح لمن عمل صالحًا على ما فهموا من آية المائدة، اتفق علماء كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يُستتابون، فإن

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول العقيدة، كشف الشبهات (ص ١٧٥).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الرابع، التفسير (ص ٩٢).

أصروا على الاستحلال كفروا، وإن أقروا بالتحريم جُلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداءً لأجل الشبهة حتى يبين لهم الحق، فإن أصروا كفروا».

إذن: فمنهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسألة التأويل، أنه يقسم التأويل، إلى تأويل سائغ يُعذر صاحبه، وتأويل غير سائغ لا يُعذر صاحبه.

وأما التأويل غير السائغ: -أو التأويل الفاسد كما يسميه الإمام محمد ابن عبدالوهاب - فهو معارضة النصوص الشرعية بالهوى، والأقيسة الفاسدة، والتأويلات الباطنية التي هي في حقيقة الأمر، تكذيب للنصوص الشرعية.



الاعتقادات المكفرة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

الأول: استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة:

معنى الاستحلال: هو أن يعتقد في المحرمات أن الله لم يحرمها، أو أنها مباحة[(١)].

فالاستحلال كفر اعتقادي، يختص بمخالفة النواهي باستحلالها، كاستحلال الخمر مثلًا.

وقد نقل الإمام محمد بن عبدالوهاب: «إجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه، إن لم يتوبوا، لما فهموا من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣]، حل الخمر، لبعض الخواص»[(٢)].

الثاني: الشك في حكم من أحكام الله تعالى أو خبر من أخباره:

الشك هو التردد بين شيئين، كالذي لا يجزم بصدق الرسول ﷺ ولا بكذبه؛ قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: «من لم يكفِّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر إجماعًا»[(٣)]. ولهذا كان من شروط لا إله إلا الله: اليقين المنافي للشك.

---

(١) الصارم المسلول، (ص ٥٢٣).
(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن الوهاب، القسم الأول، العقيدة (ص ٣٨٠).
(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٢١٣).

وقد ذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب أن الشك في القرآن والأحاديث، يوجب هدم الدين، فقال رحمه الله -في رده على الرافضة القائلين بردة الصحابة كلهم إلا أربعة-: «إذا فرض ارتداد من أخذ من النبي ﷺ، إلا النفر الذين لا يبلغ خبرهم التواتر، وقع الشك في القرآن والأحاديث، نعوذ بالله من اعتقادٍ يوجب هدم الدين. . .»[(١)].

وقد عدّ رحمه الله: كفر الشك أحد أنواع الكفر المخرج من الملة، فقال: «النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٧] »[(٢)].

الثالث: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ:

ولهذا فقد اعتبر الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه متابعة الرسول ﷺ، أو يسعه الخروج عن طاعته، اعتبره أتى اعتقادًا مكفرًا.

فقال في رسالته «نواقض الإسلام» ما نصه: «التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو كافر»[(٣)].

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، ملحق المصنفات (ص ١٣).
(٢) الدرر السنية (٢/ ٧٠).
(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية، (ص ٢١٣).

وكما اعتبر الإمام محمد بن عبدالوهاب هذا الاعتقاد مكفرًا، فقد اعتبره أيضًا جمع من أهل العلم، وذكروا أن هذا المعتقد المكفر، مشتهر عند غلاة الصوفية والباطنية، قال عنهم ابن الجوزي رحمه الله: «إن قومًا منهم داوموا على الرياضة مدة، فرأوا أنهم قد تجوهروا، فقالوا: لا نبالي الآن ما عملنا، وإنما الأوامر والنواهي رسوم للعوام، ولو تجوهروا لسقطت عنهم، قالوا وحاصل النبوة ترجع إلى الحكمة والمصلحة، والمراد منها ضبط العوام، ولسنا من العوام، فندخل في حجر التكليف، لأنا قد تجوهرنا، وعرفنا الحكمة»(١).

وقال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن هؤلاء من يحتج بقوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، ويقول معناها: اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة، فإذا حصل ذلك سقطت العبادة، وربما قال بعضهم: اعمل حتى يحصل لك حال، فإذا حصل لك حال تصوفي سقطت عنك العبادة، وهؤلاء فيهم من إذا ظن حصول مطلوبه من المعرفة والحال، استحل ترك الفرائض، وارتكاب المحارم، وهذا كفر»(٢).

الرابع: بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ:

وبغض وكراهية ما أنزل الله على رسوله، من صفات الكافرين، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩] وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

وقد عد الإمام محمد بن عبدالوهاب هذا المعتقد من نواقض الإسلام،

---

(١) تلبيس إبليس (ص ٤٩٦).
(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٤٠٥).

فقال كَلَّلَهُ في رسالته «نواقض الإسلام»: «الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، كفر إجماعًا، والدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]»(١). ولما سئل كَلَّلَهُ عن معنى ما نقله صاحب الإقناع، في باب حكم المرتد، عن قول الشيخ تقي الدين: أو كان مبغضًا لما جاء به الرسول اتفاقًا، فما معنى هذا؟

أجاب كَلَّلَهُ: «قوله: أو كان مبغضًا لما جاء به الرسول، ولم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه، ودعوة الناس إليه، كما هو حال من يدعي العلم، ويقرر أنه دين الله ورسوله، ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارى، بل يعادون من التفت إليه، ويحلون دمه وماله، ويرمونه عند الحكام.

وكذلك الرسول أتى بالإنذار عن الشرك، بل هو أول ما أنذر عنه، وأعظم ما أنذر عنه، ويقرون أنه أتى بهذا، ويقولون: خلق الله ما يتيهون، وينصرون بالقلب واللسان واليد.

والتكفير: بالاتفاق فيمن أبغض النهي عنه، وأبغض الأمر بمعاداة أهله، ولو لم يتكلم، ولم ينصر، فكيف إذا فعل ما فعل»(٢).

الخامس: اعتقاد وجود هدي أو حكم أفضل من هدي النبي ﷺ وحكمه:

ووجه كون هذا الاعتقاد مكفرًا، أنه تكذيب لما جاء في الكتاب والسنة، بأن هدي النبي ﷺ وحكمه، خير الهدي، وأن ما جاء به النبي ﷺ يهدي للتي هي أقوم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٢١٣).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الثالث، فتاوى ومسائل (ص ٦٢).

﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقول: «**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد**»[١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقد ذكر الإمام محمد عبدالوهاب في رسالته (نواقض الإسلام) أن اعتقاد وجود هدي أو حكم، أفضل من هدي النبي ﷺ وحكمه، كفر مخرج عن الإسلام، فقال ما نصه: «الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يُفضل حكم الطواغيت، فهذا كافر»[٢].

الأقوال المكفرة عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

الأول: سب الله تعالى أو الاستهزاء به:

وقد ذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أن الاستهزاء بالله، وتنقصه، كفر بالله تعالى. قال رحمه الله: (باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول) وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥﴾ [التوبة: ٦٥]، وعن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة -- دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: «ما رأينا مثل قرائنا أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء - فقال له عوف بن مالك:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٢).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٢١٣).

كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض، ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق.

قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب.

فيقول له رسول الله ﷺ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه «فيه مسائل: الأولى: وهي العظيمة، أن من هزل بهذا، فإنه كافر»[(١)].

الثاني: سب الرسول ﷺ أو أحد من الأنبياء:

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب فيمن اتهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ومن هذا الاتهام يلزم نقص النبي ﷺ، ومن نقص الله ورسوله فقد كفر، وهو بفعله هذا خارج عن أهل الإيمان، متبع لخطوات الشيطان، وملعون في الدنيا والآخرة»[(٢)].

الثالث: الاستهزاء بكتب الله المنزلة أو بدين الله أو بشيء من ثوابه وعقابه:

فقد عدّ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله الاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول ﷺ أحد نواقض الإسلام، فقال رحمه الله: «السادس: من استهزأ بشيء من

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد (ص ١١٧، ١١٨).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، ملحق المصنفات (ص ٢٤).

دين الرسول ﷺ، أو ثواب الله، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]»[١].

الرابع: إنكار المعلوم من الدين بالضرورة:

قرر الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله كفر من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، كجحد ركن من أركان الإسلام، حتى لو تلفظ بالشهادة، فقال رحمه الله: «معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود، وسباهم، وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون، ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر، وقُتل، ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها»[٢].

وقال رحمه الله مبينًا أن كفر أهل الشرك معلوم من الدين بالضرورة، ومنكرًا على من زعم أن المشرك لا يكفر إلا إذا أنكر الإسلام جملة!: «المسألة الثانية: الإقرار بأن هذا هو الشرك الأكبر، ولكن لا يكفر به إلا من أنكر الإسلام جملة، وكذب الرسول والقرآن، واتبع يهودية أو نصرانية أو غيرهما، وهذا هو الذي يجادل به أهل الشرك والعناد... فاعلم أن تصور هذه المسألة تصورًا حسنًا، يكفي في إبطالها من غير دليل خاص، لوجهين:

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، العقيدة والآداب الإسلامية (ص ٣٨٦).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات (ص ١٧٦).

الأول: أن مقتضى قولهم أن الشرك بالله، وعبادة الأصنام لا تأثير لها في التكفير، لأن الإنسان إن انتقل عن الملة إلى غيرها، وكذب الرسول والقرآن فهو كافر، وإن لم يعبد الأوثان كاليهود.

فإذا كان من انتسب إلى الإسلام لا يكفر إذا أشرك الشرك الأكبر؛ لأنه مسلم يقول: لا إله إلا الله، ويصلي، ويفعل كذا وكذا، لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير، بل يكون ذلك كالسواد في الخلقة، أو العمى، أو العرج، فإن كان صاحبها يدعي الإسلام فهو مسلم، وإن ادعى ملة غيرها فهو كافر، وهذه فضيحة عظيمة، كافية في رد هذا القول الفظيع.

الوجه الثاني: أن معصية الرسول ﷺ في الشرك، وعبادة الأوثان، بعد بلوغ العلم كفر صريح بالفطر والعقول، والعلوم الضرورية، فلا يُتصور أنك تقول لرجل، ولو من أجهل الناس، وأبلدهم، ما تقول فيمن عصى الرسول ﷺ ولم ينقد له في ترك عبادة الأوثان والشرك، مع أنه يدعي أنه مسلم متبع؟ إلا ويبادر بالفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر، من غير نظر في الأدلة، أو سؤال أحد من العلماء»[١].

الخامس: رد النصوص الثابتة في الكتاب والسنة:

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: «لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام»[٢].

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة مفيد المستفيد (ص ٣٠٧).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة (ص ١٧١).

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، فإذا كان من آمن ببعض وكفر ببعض، كافر، فكيف بمن كفر بجميع الكتاب ورده ولم يقبله؟!

الأفعال المكفرة عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأول: الإشراك بالله:

ذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب أن الشرك ينقسمُ قسمين، أكبر وأصغر، فالأكبر مخرج من الملة، والأصغر لا يخرج من الملة، وقد بين الإمام محمد بعض الأمثلة للشرك الأصغر فقال: «كيسير الرياء، والحلف بغير الله، وقول: هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده.

ومثل للشرك الأكبر، بطلب الحوائج من الموتى، ودعائهم لذلك، والنذر لهم ليشفعوا عن الله لداعيهم، والناذر لهم»[1]. والمقصود بالبحث هنا، الشرك الأكبر.

ولقد عرّف الإمام محمد بن عبدالوهاب الشرك بالله، فقال: «هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها».

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد (ص ٢٩٥).

فمن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله تعالى، أو قصد غير الله بشيء من أنواع العبادة، فقد اتخذ هذا الغير ربًا وإلهًا من دون الله تعالى، وأشرك مع الله غيره الشرك الأكبر الذي نهى عنه، وأنكره على المشركين، وأخبر أنه لا يغفره، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢][1].

وذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب صفة إشراك المشركين، وأنها تنطبق على مشركي زمانه وزيادة، فقال: «واعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، صفة إشراكهم أنهم يدعون الله، ويدعون معه الأصنام والصالحين، مثل عيسى وأمه، والملائكة، يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وهم يقرون أن الله سبحانه هو النافع الضار، المدبر، كما ذكر الله عنهم في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ [يونس: ٣١]، فإذا عرفت هذا، وعرفت أن دعوتهم الصالحين، وتعلقهم عليهم، أنهم يقولون: ما نريد إلا الشفاعة، وأن النبي ﷺ قاتلهم ليخلصوا الدعوة لله، ويكون الدين كله لله. . . وعرفت أن ذلك هو الشرك بالله الذي لا يغفر لمن فعله، وهو عند الله أعظم من الزنا، وقتل النفس، مع أن صاحبه يريد به التقرب من الله، ثم مع هذا عرفت أمرًا آخر، وهو أن أكثر الناس ما عرف هذا، منهم الذين يسمونهم العلماء، في سدير والوشم وغيرهم، إذا قالوا نحن موحدون الله، نعرف ما ينفع ولا يضر إلا الله، وأن

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، الأصول الثلاثة (ص ١٨٦).

الصالحين لا ينفعون ولا يضرون، وعرفت أنهم لا يعرفون إلا توحيد الكفار، توحيد الربوبية، عرفت كبر نعمة الله عليك، خصوصًا إذا عرفت أن الذي يواجه الله، ولا يعرف التوحيد، أو عرفه ولم يعمل به، أنه خالد في النار، ولو كان من أعبد الناس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]»[١].

وقد واجه الإمام حجج المشركين في زمانه، فكشف شبههم بالدليل والبرهان، قال ﷺ: «أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، يصدون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلًا عن عبدالقادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم.

فجاوبه بما تقدم: وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئًا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا؟ فجاوبه بما تقدم.

فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها، وأنهم ما أردوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعله، وفعلهم بما ذكر.

فاذكر له أن الكفار منهم من يدعوا الأصنام، ومنهم من يدعوا الأولياء الذين

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، الرسالة الثالثة عشر (ص ٣٩٩).

قال الله فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥-٧٦]، واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]. فقل له: أعرفت أن الله كفّر من قصد الأصنام، وكفّر أيضًا من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ؟ فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب: أن هذا قول الكفار سواءً بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم»[١].

ولما قال دعاة الشرك، إن الذين نزل فيهم القرآن وصفهم بأنهم كفار، لا

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات (ص ١٦١ - ١٦٣).

يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحرًا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ونصدق القرآن ونؤمن بالعبث، ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

أجابهم الإمام محمد بن عبدالوهاب بقوله: لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كافر، لم يدخل الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن، وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله، وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله، وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو الكافر حقًا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال أيضًا: إن كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، إنه كافر، حلال الدم والمال، بإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدق بذلك كله، لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا؛ فمعلوم أن التوحيد هو

أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ؟ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله، ما أعجب هذا الجهل.

ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، ويؤذنون، ويصلون. فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي. فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف؟ أو صحابيا أو نبيا، إلى مرتبة جبار السماوات والأرض، سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٥٩-٦٠][(١)].

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوها:

هذا الناقض داخل في الناقض الأول، لأنه من الشرك، وقد أفرده الإمام محمد بن عبدالوهاب في رسالته «نواقض الإسلام» لأهميته، وكثرة وقوعه بين الناس، ولأن بعض المشركين يظنون أن الشرك هو فقط عبادة الأصنام، أما الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في الشرك.

قال رحمه الله: «من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، فقد كفر إجماعًا»[(٢)].

---

(١) المرجع السابق (ص ١٧٢).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، مجموعة رسائل في التوحيد (ص ٣٨٦).

الثالث: ترك أركان الإسلام بالكلية:

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: «أركان الإسلام الخمسة، أولها: الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقر بها، وتركها تهاونًا، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نكفره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلا من غير جحود، ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان»[١].

وقد تقدم أن من أصول منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب أنه لا يُكفر إلا بالمتفق عليه، دون المختلف فيه.

والإمام محمد يُكفر من لم يأت بالشهادتين، لأن ذلك متفق عليه، كما قال ابن تيمية: «اتفق المسلمون على أن من لم يأت بالشهادتين فهو كافر»[٢] فكيف بمن لم يأت بأركان الإسلام بالكلية؟

الرابع: السحر:

قال الشيخ محمد - في رسالته نواقض الإسلام-: «اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض... السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]»[٣].

الخامس: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين:

قال الشيخ رحمه الله: «اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض... الثامن: مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الثالث، فتاوى ومسائل (ص ٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٢).
(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، (ص ٣٨٦).

مِنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]»[١].

والمقصود بالتولي المخرج عن الإسلام، التولي المطلق التام، كما قال ابن سعدي رحمه الله: «إن كان توليًا تامًا، كان ذلك كفرًا مخرجًا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دونه»[٢].

ومما ينبغي التنبه له، والتنبيه عليه: أن بعض الناس خاضوا في مسائل الموالاة والمعاداة بغير علم، وبنوا عليها أحكام الردة، ولم يفرقوا بين الموالاة المطلقة التامة، وما هو دونها، فكفروا بما لا يُكفّر، ولم يقتصروا على ذلك، بل افتروا على الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ونسبوا أنفسهم إليه، وزعموا أن أفكارهم هذه مستمدة من كتبه، فلما بلغ بهم الأمر هذا المبلغ، استدعاهم عالم نجد ومفتيها العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، فكشف شبهتهم، وأدحض حجتهم، وبرأ ساحة جده - الإمام محمد بن عبدالوهاب- منهم ومن منهجهم[٣].

وكان مما قاله رحمه الله: «وتأمل قصة حاطب بن أبي بلتعة[٤]، وما فيها من الفوائد، فإنه هاجر إلى الله ورسوله، وجاهد في سبيله، لكن حدث منه أنه كتب بسر رسول الله ﷺ إلى المشركين من أهل مكة، يخبرهم بشأن رسول الله ﷺ، ومسيره لجهادهم، ليتخذ بذلك يدا عندهم تحمي أهله وماله بمكة، فن-زل

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، مجموعة رسائل في التوحيد (ص ٣٨٦).
(٢) تفسير الكريم المنان (٧/ ٣٥٧).
(٣) انظر: المقدمة التي كتبها الشيخ عبدالسلام البرجس على كتاب «أصول وضوابط التكفير»؛ للشيخ عبداللطيف آل الشيخ (ص ٥).
(٤) ؟

الوحي بخبره، وكان قد أعطى الكتاب ضعينة جعلته في شعرها، فأرسل رسول الله ﷺ عليًا والزبير في طلب الضعينة، وأخبرهما أنهما يجدانها في روضة خاخ، فكان ذلك، وتهدداها حتى أخرجت الكتاب من ظفائرها، فأتي به رسول الله ﷺ، فدعا حاطب بن أبي بلتعة فقال له: «**ما هذا؟**» فقال: يا رسول الله: إني لم أكفر بعد إيماني، ولم أفعل هذا رغبة عن الإسلام، وإنما أردتُ أن تكون لي عند القوم يد أحمي بها أهلي ومالي، فقال ﷺ: «**صدقكم خلوا سبيله**».

واستأذن عمر في قتله فقال: دعني أضرب عنق هذا المنافق؟ فقال: «**وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم؟**»، وأنزل الله في ذلك صدر سورة الممتحنة فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] الآيات، فدخل حاطب في المخاطبة باسم الإيمان، ووصفه به، وتناوله النهي بعمومه، وله خصوص السبب الدال على إرادته، مع أن في الآية الكريمة ما يشعر أن فعل حاطب نوع موالاة، وأنه أبلغ إليهم بالمودة، وأن فاعل ذلك قد ضل سواء السبيل، لكن قوله: «**صدقكم خلوا سبيله**» ظاهر فيه أنه لا يكفر بذلك، إذا كان مؤمنًا بالله ورسوله، غير شاك ولا مرتاب، وإنما فعل ذلك لغرض دنيوي، ولو كفر لما قال: «**خلوا سبيله**».

ولا يقال قوله ﷺ «**ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» هو المانع من تكفيره، لأنا نقول: لو كفر لما بقي من حسناته ما يمنع من لحاق الكفر وأحكامه، فإن الكفر يهدم ما قبله، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥] وقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، والكفر محبط للحسنات والإيمان بالإجماع، فلا يُظن هذا.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]، فقد فسرته السنة وقيدته، وخصته بالموالاة المطلقة العامة.

وأصل الموالاة هي: الحب والنصرة والصداقة، ودون ذلك مراتب متعددة، ولكل ذنب حظه وقسطه من الوعيد والذنب، وهذا عند السلف الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين معروف في هذا الباب وفي غيره، وإنما أشكل الأمر وخفيت المعاني، والتبست الأحكام على خلوف من العجم والمولدين، الذين لا دراية لهم بهذا الشأن، ولا ممارسة لهم بمعاني السنة والقرآن»[(١)].

السادس: الإعراض التام عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به:

والإعراض نوعان:

النوع الأول: مخرج عن الملة، وهو الإعراض الكلي التام عن دين الله تعالى، لا يتعلمه ولا يعمل به.

النوع الثاني: غير مخرج عن الملة، كأن يكون معه أصل الإيمان لكنه يُعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية.

وقد قرر الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أن النوع الأول، وهو الإعراض التام عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، كفر مخرج عن الملة، فقال في رسالته «نواقض الإسلام»: «اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض... (العاشر): الإعراض عن دين الله لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٧).

أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٧-٤٨]»[١].

أسباب الإفراط في التكفير:

أول الفرق إفراطًا في التكفير الخوارج المارقون، الذين يكفرون مرتكب الكبيرة من المسلمين، قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: «الخوارج يكفِّرون من زنى، أو من سرق، أو سفك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر»[٢].

السبب الأول: عدم التمسك بالكتاب والسنة: قال الشيخ في إحدى رسائله: «وهو ﷺ حمى جناب التوحيد، أعظم حماية، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فنهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر، وثبت فيه أيضًا أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمره ألا يدع قبرًا مشرفًا إلا سواه، ولا تمثالا إلا طمسه، ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القبب المبنية على القبور، لأنها أسست على معصية رسول الله ﷺ، فهذا الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل الأمر بهم، إلى أن كفرونا وقاتلونا، واستحلوا دماءنا وأموالنا»[٣].

وقال أيضًا: «إن العداوة واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا، ليس عند التكفير

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة، (ص ٣٨٧).
(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص ٢٣٣).
(٣) المرجع السابق (ص ١١٤).

والقتال، بل هم الذين بدؤنا بالتكفير والقتال، بل عند قوله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وعند قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقوله: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤]»[١].

وقال أيضًا مقررًا عقيدة أهل السنة والجماعة: «وهم في باب وعيد الله، وسط بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية»[٢].

السبب الثاني: الأسباب السياسية (نصرة الدولة له)، والأسباب النفسية (الحسد): قال الإمام محمد بن عبدالوهاب «هذا الذي أنكروا عليَّ، وأبغضوني، وعادوني من أجله، إذا سألوا عنه كل عالم، في الشام واليمن أو غيرهم، يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره في مكانه، لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبدالوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه»[٣].

السبب الثالث: الجهل بالتوحيد الذي بعث الله به رسله، وجاءت في تقريره النصوص الشرعية، ذلك أن الإمام محمد بن عبدالوهاب، لما قرر التوحيد، الذي دعت إليه الرسل، كذّبه من لم يفهم التوحيد والشرك، وقالوا: كيف يصف أعمال الموحدين بالشرك؟ ورتبوا على ذلك أن الإمام محمد بن عبدالوهاب عنده غلو بالتكفير.

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الرابع، التفسير (ص ١٥).
(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية (ص٨).
(٣) المرجع السابق (ص ٣٢).

وقد ذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب أنه وقف على أوراق بخط ابن سحيم، أنكر فيها تكفير أهل الشرك، وقد علق الإمام محمد على تلك الرسالة بقوله: «أنه: ذكر أن معنى التوحيد، أن تُصرف جميع العبادات من الأقوال والأفعال لله وحده، لا يُجعل فيها شيء لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، وهذا حق، ثم يرجع - أي ابن سحيم - يكذب نفسه، ويقول: إن دعاء شمسان وأمثاله في الشدائد والنذر لهم، ليبرئوا المريض، ويفرجوا عن المكروب الذي لم يصل إليه عبدة الأوثان وبل يخلصون في الشدائد لله، ويجعل هذا ليس من الشرك، ويستدل على كفره الباطل بالحديث الذي فيه أن الشيطان يأس أن يُعبد في جزيرة العرب»(١).

وقال رحمه الله في رسالته لابن سحيم: «وقولكم: إننا نكفِّر المسلمين، كيف تفعلون كذا، كيف تفعلون كذا، فإنا لم نكفِّر المسلمين بل ما كفَّرنا إلا المشركين»(٢).

وقد ظن المخالفون أن من قال: لا إله إلا الله لا يكفر، ولو لم يعمل بمقتضاها، ويقولون إن الذين قاتلهم الرسول ﷺ وكفَّرهم، ونزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن (لا إله إلا الله) فكيف يُجعل أولئك المشركين الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله، مثل الذي يقولها، ويصلي ويصوم؟ هذه الشبهة أُوردت على الإمام محمد بن عبدالوهاب، وتولى الإجابة عليها بنفسه، فقال رحمه الله ما نصه: «اعلم أن لهؤلاء شبهة، يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن

---

(١) المرجع السابق (ص ٨٨، ٨٩).
(٢) المرجع السابق (ص ١٨٩).

(لا إله إلا الله)، ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحرًا، ونحن نشهد: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن، وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله، وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله، وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث، كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، فإذا كان الله قد صرّح في كتابه، أن من آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو الكافر حقًا، وأنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال أيضًا: إن كنت تقر أن من صدّق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، إنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدق بذلك كله، لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

فمعلوم أن التوحيد هم أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين

الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله، ما أعجب هذا الجهل!

ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويؤذنون، ويصلون.

فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان، أو يوسف؟ أو صحابيًا أو نبيًا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

ويقال أيضًا: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج[1] وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يُكفّر؟

ويقال أيضًا: بنو عبيد القداح[2]، الذين ملكوا المغرب في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويدّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء، دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب،

---

(١) اسم شخص يُعبد من دون الله في زمن الإمام محمد، وسيأتي كلام الشيخ محمد بن لإبراهيم رحمه الله عنه.

(٢) العبيديين، ويُسمون زورًا «الفاطميون».

وغزاهم المسلمون، حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضًا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب: (باب حكم المرتد)، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعًا كثيرة كل نوع منها، يكفِّر ويُحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضًا: الذين قال الله فيهم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، أما سمعت الله كفّرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه، ويصلون، ويزكون ويحجون ويوحدون.

وكذلك الذين قال الله فيهم ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، فهؤلاء الذين صرح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفّرون من المسلمين أناسًا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق... إلى أن قال: وللمشركين شبهة أخرى: يقولون إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله[1]، وكذلك قوله «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[2]، وأحاديث أخر في الكف عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر، ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل.

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (١٢٤).

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود، وسباهم، وهم يقولون لا إله إلا الله.

وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويدّعون الإسلام.

وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل، ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقُتل، ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد، الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟ ولكن أعداء الله ما فهموا الأحاديث.

فأما حديث أسامة: فإنه قتل رجلًا ادّعى الإسلام، بسبب أنه ظن أنه ما ادّعى الإسلام إلا خوفًا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام: وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]، أي: فتثبتوا، فالآية تدل: على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل، لقوله تعالى ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان لا يُقتل إذا قالها، لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه أن: من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك. والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ قال: أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ وقال: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»(١)، هو الذي قال في الخوارج «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**»(٢)، «**لئن أدركتهم لأقلنهم قتل عاد**»(٣)، مع كونهم من أكثر

(١) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٦١١).

(٣) أخرجه: البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

الناس عبادة وتهليلًا وتسبيحًا، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام، لما ظهر منهم مخالفة الشريعة»[١].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، مقررًا منهج جده - الإمام محمد- في مسألة القتال، ومزيلا للشبه في ذلك: «الشيخ لم يبدأ أحدًا بالقتال، بل أعداؤه الذين ابتدأوه بذلك، وقتاله كان من باب الدفع والمجازاة على السيئة بمثلها، وما حدث بعده أو في وقته من خطأ أو تعد، فلا يجوز نسبته إليه، وأنه أمر به أو رضيه، وقد جرى لأسامة بن زيد في دم الجهني، وجرى لخالد بن الوليد في دماء بني جذيمة وأموالهم ما لا يجهله أهل العلم والإيمان.

وذلك في عهده ﷺ، وقد برئ منه وأنكره، فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**»[٢]، وقال لأسامة «**أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ كيف تصنع بلا إله إلا الله، إذا جاءت يوم القيامة؟**»[٣].

ومن أشكل عليه أمر القتال في زمن الشيخ، وعلى دعوته، فهو إما جاهل بحال الأعداء وما قالوه في الإسلام، وما بدلوه من الدين، وما كانت عليه البوادي والأعراب من الكفر بآيات الله، ورد أحكام القرآن، والاستهزاء بذلك، والرجوع إلى سوالف البادية، وما كانت عليه من العادات والأحكام الجاهلية... أو هو جاهل بما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، لا شعور له بشيء من ذلك، ولا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم؟

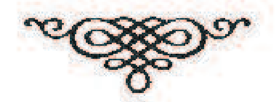
---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، كشف الشبهات (ص ١٧١-١٧٦).

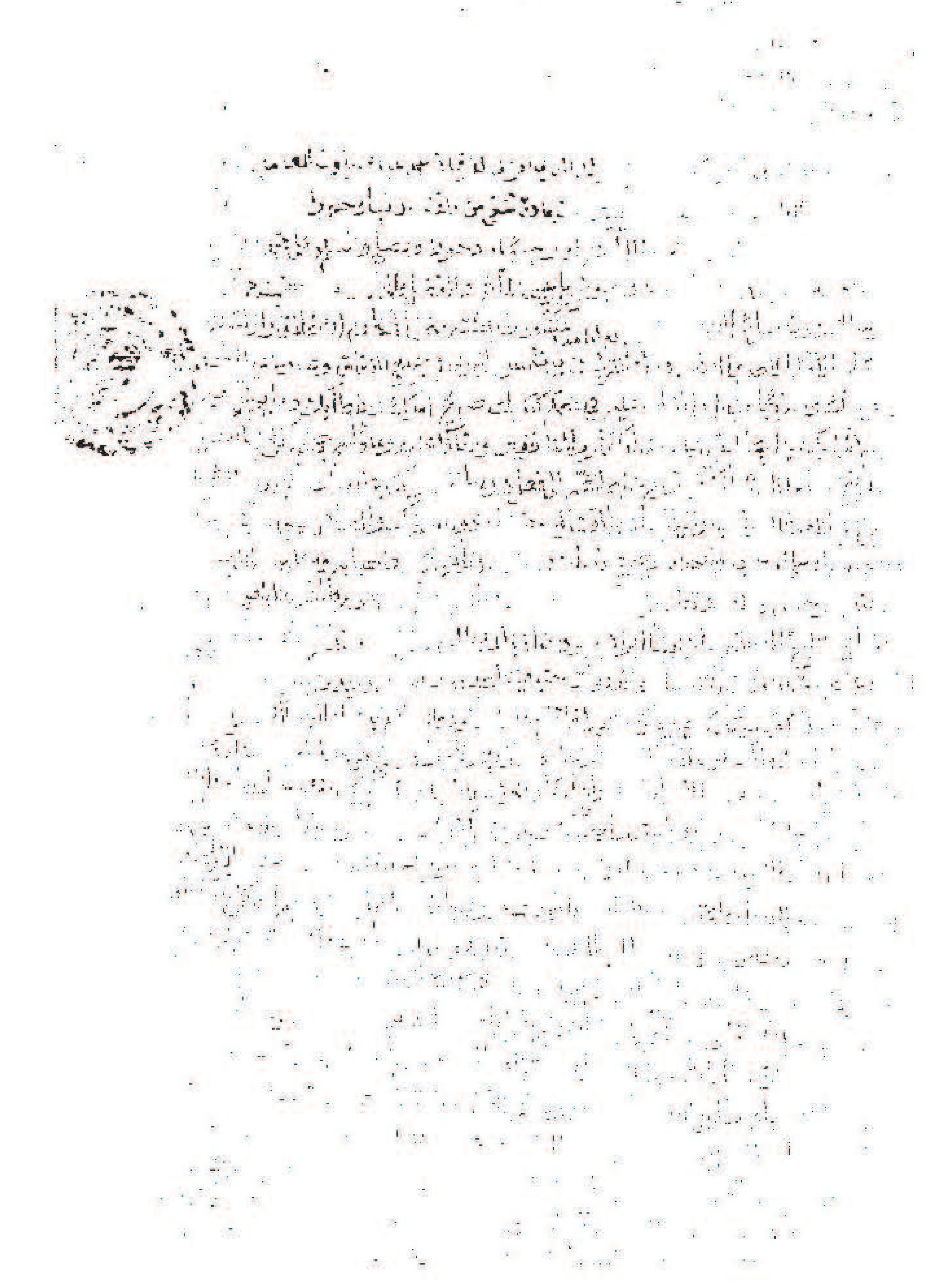
(٢) أخرجه: البخاري (٧١٨٩).

(٣) أخرجه: البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦).

وبالجملة: فالواجب أن يتكلم الإنسان بعلم وعدل، ومن فاته العلم، فحسبه السكوت، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن خلع ربقة الدين من عنقه، فليقل ما شاء، والله بما يعملون بصير»[١].



(١) منهاج التأسيس (ص ٢٨).



صورة الورقة الأولى من الجزء الأول من المخطوط

صورة الورقة الأخيرة من الجزء الأول من المخطوط



بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الورقة الأولى من الجزء الثاني من المخطوط



صورة الورقة الأخيرة من الجزء الثاني من المخطوط



وما من إله إلا إله واحد

هذا كتاب

روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام
وتعداد غزوات ذوي الإسلام

المجلد الأول

تأليف الشيخ الإمام معلم الهداة الأعلام الشيخ حسين بن
غنام أورثه الله دار السلام والصلوة على النبي ختام

على نفقة من قصده طلب الثواب من رب الأرباب رجاء من الرحمن
الرحيم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم بمعرفة الساعي في طبع
الكتاب عبد المحسن بن محمد بن مرشد غفر الله له ولمن أوقف هذا
الكتاب ولوالديهما ولذريتهما وأحبابهما والمسلمين آمين

من صحة وانتظام على محمد بن [illegible] حسين [illegible]

مالك مطبع مصطفوي بمبئي

[illegible]

قد طبع في المطبعة المصطفوية الواقع [illegible] بمبئي

صورة غلاف الطبعة الهندية

تاريخ نجد

المسمى

روضة الأفكار والأفهام

لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام

تأليف

الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام

حسين بن غنام

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بفضله دار كرامته ومشائخه والمسلمين آمين

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م

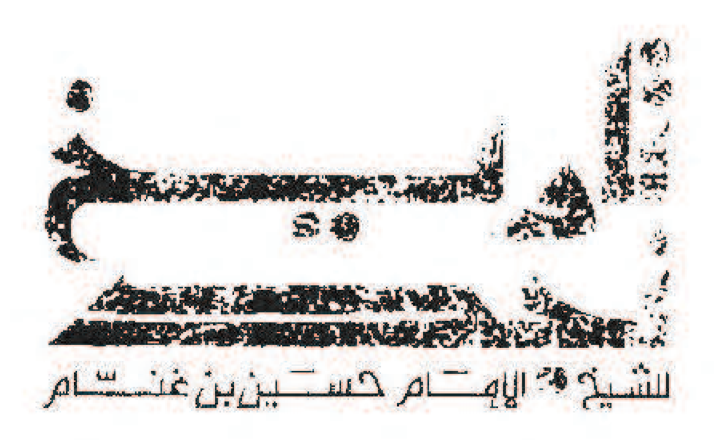
على نفقة

الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبابطين

صاحب المكتبة الأهلية — بالرياض نجد

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

صورة غلاف طبعة الشيخ عبدالمحسن أبابطين رحمه الله



حرره وحققه

الدكتور ناصر الدين الأسد

قام بنشر الأصل
عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الشيخ

دار الشروق

صورة غلاف طبعة الدكتور ناصر الدين الأسد

تاريخ ابن غنام

الجزء الأول

المسمى: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام،
وتعداد غزوات ذوي الإسلام»

للشيخ

حسين بن غنام رحمه الله

اعتنى به

سليمان بن صالح الخراشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق من الماء بشرًا وجعله نسبًا وصهرًا وكان ربك قديرًا، الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديرًا، وتبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تَنفي من القلب رَينًا وحُورًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي ببعثته نال الشرك رُجومًا ودُحورًا.

ونصلي ونسلم على محمدٍ الذي خصَّصْتَه بأسمى المفاخر والرُتَب، وحَبَوْتَه بأسنى المآثر والفضل والحسَب، واصطفيته بالقرب والرسالة دون سائر العرب، وكان مشهورًا، بَعَثْتَه متمِّمًا لمكارم الأخلاق، وأزَلْتَ به عن هذه الأمة الإِصْرَ والأغلاق، فأشرقت به شمس الهدى في جميع الآفاق، وصار داعيًا إلى توحيدك وسراجًا منيرًا، وأنزلت عليه في محكم كتابك صريح أمرك وخطابك، وما يُرتَجى به عظيمُ ثوابك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ﴾ وكفى بها سعيرًا.

فبادر نبيُّ هذه الأمة، المكشوفُ به عنهم الغمة، إلى فعل هذه المهمة، وشمَّر عن ساعد الجد فيها تشميرًا، فأسرع في الامتثال، ونصب راية الجهاد والقتال، حتى أباد ذوي الشرك والضلال، وجاهدهم به جهادًا كبيرًا.

وعلى أزواجه، وأصحابه، وجميع أنصاره وأحزابه، وتابعي نهجه وأحبابه، وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرًا.

أما بعد: فإن الله تعالى بعث نبيه الكريم بالمشرع الواضح القويم، والمنهاج اللائح المستقيم، ملة أبينا إبراهيم، وكان إذ ذاك ظلامُ الشرك مُستطيرًا، وقد عكف جميع الأنام على عبادة الأوثان والأصنام، واندرست حنيفية الخليل ﷺ، وجَدُّوا في عبادة من لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فأقام عليه الصلاة والسلام بأعباء الرسالة، وأزاح حَنادِسَ الجهالة، وأناح الهلاك أُولِي الضلالة، فدَعَوْا عند ذلك ويلًا وثبورًا، ورفع قواعد التوحيد، وشاد وخفض منار الكفر وأباد، وجزم أهل الغي والفساد، وأعلى كلمة الحق بين العباد، ونشر في الآفاق عَلَم الجهاد، فلم يَزَلْ ولله الحمدُ مرفوعًا منشورًا، وأيّده بآيات واضحات شهيرة، ومعجزات باهرات منيرة، وقواطع لأعدائه مبيرة، وأعظمُها القرآن الذي رَجَعَت عن معارضة سورةٍ منه أبصارُ البلغاء خسيئةً حسيرةً ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

فأكمل الله تعالى لأمته الدين، ودحض ببرهانه حجج المبطلين، وأسفرت به وجوه الموحّدين، وازدادت قلوبهم بآياته تنويرًا، فوردوا من زُلاله سلسبيلًا، وشربوا من سَلْسَالِه كؤوسًا كان مزاجُها زنجبيلًا، ولم يسلكوا غير هديه سبيلًا لما ألفوه مَنْهَلًا نَميرًا ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ فلم يزل ﷺ صاعدًا على مَنِيف ذلك المعراج، سالكًا شريف ذلك المنهاج، مقتحمًا فيه الحَزْنَ والسهل من الفجاج، حتى استقام الدين وزال منه الاعوجاج، وأقبل الناس يأتونه زُمَرًا وأفواج، فتمت نعمة الله تعالى وعم السرور والابتهاج، ونالوا من سعادة الدارَين حظًّا موفورًا.

ثم لما أطلَع الله تعالى به بَدْرَ الهدى وسَعْدَه، ورفع في الملأ الأعلى فخره ومجده، قبضه إليه واختار له ما عنده، فقام بواجب الجهاد خلفاؤه بعده، حتى

قصموا بمرهفاتهم مَن كان خوَّانًا كفورًا، فجنَّدوا الأجناد، وخَفَقت راياتهم في كل بلاد، فَدَان لهم كلُّ حاضر وباد، فأضحى أصل الكفر مجزومًا مكسورًا، وفتحوا البلدان شرقًا وغربًا، ودوَّخوا الجبابرة طعنًا وضربًا، وصَدَقُوا البيعة عليهم فعوضهم في جناته حدائق غُلْبًا، لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا، فلم يَبْرَح بعدهم ذلك الأثر، يجاهد مَن أشرك بالله وكفر، حتى عَفَا رسمُه ودَثَر، بعد أن كان منهجًا مأثورًا.

وتطاولت عليه الأحوال والسنون، وتكررت عليه الأعوام حينًا بعد حين، وهو إذ ذاك في الرَّمْس رَهِين، ولم يكن مُحَيَّاه يَستبين، حتى أحياه إمام الموحِّدين، ورأس العلماء العاملين، وعزة الأئمة المحققين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فصار بآثاره معمورًا، فجرَّد ﷺ عليه القواضيَ القواضب، وجاهد وعصابته كل ضالٍّ ملحدٍ محارب، حتى أنجح الله تعالى له المآرب، وحقق له ما رام من المطالب، وراضت جزيرة العرب للتوحيد بعد أن كان كل من سكنها عنه هارب، فدانوا بِذلك توفيقًا وتسخيرًا، فكانت أعلامهم في غالب البلدان خافقة، وشموس سعدهم في الآفاق شارقة، وأسِنَّتهم بين التوحيد والشرك فارقة، وجياد أبطالهم إلى الجهاد سابقة، حتى مَحَقُوا جميع البدع والأهواء إزالةً وتغييرًا، وسَطَّرُوا آيات الرشد تسطيرًا، ففازوا بالغاية والمرام، وحازوا من الفخر أعلى مقام، حيث قاموا بذروة الإسلام، وأصبح جندهم على جنود الأعداء منصورًا.

هذا؛ ولما كانت منزلة العلم أعظم المنازل، والتحلي بِحِلاهُ من أفخم الفضائل، لاسيما للأفاضل والأماثل، ومرتبته أرفع المراتب عند الأواخر والأوائل، ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وكان مِن أسناها شأنًا وفخرًا، وأسماها رتبةً وذكرًا، وأرفعِها منصبًا وقدرًا، وأتقنِها عند الله تقربًا

وحضورًا عِلْمُ الحديث والأثر، ومعرفة التواريخ والسِّيَر، كما نص عليه أرباب الفن والنظر؛ إذ فيه لِمُقْتَضِيه عبرةٌ من أجَلِّ العِبَر، تَزيد اللبيبَ تحقيقًا وتبصيرًا، ونَشْرُهُ في المجالس والمحافل، ودَرْسُهُ في البُكُرِ والأصائل وسيلةٌ من أنفع الوسائل إلى التأسي بالمجاهدين، فينال مع الأجر قبولًا وتوقيرًا، فيَقتفِي السامع آثارَهم؛ إذ سَبَرَ أخبارهم، وعَرَفَ أنهم بذلوا رغبةً فيما عند الله أعمارَهم، فبشَّرهم بنعمته وفضله تبشيرًا.

أردتُ أن أصنف فيما أشرق ضياؤه وانتشر، وشاع في غالب الأقطار واشتهر، من الغزواتِ التي هي في مُحيًّا الدهر كالغُرَر، والفتوحاتِ الإسلامية التي مبدأها العقدُ السادس من القرن الثاني عشر، فرأيت العومَ في تياره خطيرًا، وركوب زاخرِ أمواجه حظيرًا، كيف وقد أرسَيْتُ في مقام الغربة! وهي كما قيل كربة أي كربة! ومفارقة الوطن على النفوس صعبة، وتحققته أمرًا عسيرًا، ولكن داعي النفس لذلك كثيرًا، والإمام، أيده الله تعالى، يعزم عليَّ في ذلك ويُشير، حتى بَدَا طالع الإقبال والسعد والبشير، إِثْرَ ما كنت في ذلك الشأن أستخير، فشرعتُ فيه حتى أتقنته تصحيحًا وتحريرًا، وتلقنتُ تلك المغازي ممن حوى في الصدق رياسةً وتصديرًا، ولم أذكر في هذه الغزوات المسطورة، والسير المقررة المزبورة، إلا الكبيرة الواضحة المشهورة، وهجرتُ ما ليس واضحًا وشهيرًا، وذكرتُ بعض حوادث السنين مما هو مستفيض من المسلمين، خصوصًا بلدان الموحِّدين، وذكرتُ وفاة بعض الأعيان ممن كان بالدين مذكورًا، وتركت من ليس منهم معروفًا ولا مسبورًا، ورتبته في كتاب وخمسة فصول؛ لأنه أقرب إلى التناول والوصول، وأسرع إلى المراد في المحصول، واخترت أن تكون الفصول فيه صدورًا:

الفصل الأول: في بيان ما جرى في تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان، في نجد والحَسَا وغيرهما مما يليهما من البلدان.

الفصل الثاني: في بيان نسب الشيخ ومبدأ أمره، وما جرى عليه في قيامه بتلك الدعوة من أهل مِصْره، وما صادمه به علماء عصره.

الفصل الثالث: في سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان، وإلى بعض خواص الإخوان.

الفصل الرابع: في ذكر شيء من المسائل التي سئل عنها فأجاب. وتركت كثيرًا منها لئلَّا يطول الكتاب.

الفصل الخامس: في ذكر بعض كلامه على القرآن، وما فُتِحَ به عليه في متفرق الآيِ من البيان.

وجعلت الكتاب لغزوات الأصحاب ذوي التوحيد والإسلام، وجعلتها على ترتيب السنين والأعوام؛ ليسهل تناوله على ذوي الأفهام، ولكونها مترتبة وقوعًا وصدورًا، فلما انجلى عن إثر بدره غَمَامُه، وتفتحت عن نور زهره أكمامُه، وأشرَقَت بحسنه البديع أيامُه، وحَلَّت عقودُه منها صدورًا ونحورًا، سميته «**روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**» فَحَسُنَ، ولله الحمد، ختامًا وظهورًا، فهو مثل تاريخ تصنيفه غريب، كما يقضي به الألمعي الأريب، ويشهد به اللَّوْذَعي الأديب، ولا عبرة بمن كان حاسدًا أو غيورًا.

ثم إني أسأل مَن نزَّه في رياضه الأبصار، وأورد مَعِين حِياضِهِ الأفكار، ألا يُبادرَ إلى الاعتراض والإنكار، ويواريَ منه هفوة وعثورًا، ويطالعَه بعين الإنصاف والإجلال، ويُصلحَ ما رأى به من اختلاف واختلال، فهذا شأن ذوي الكمال، ولا يَعْجَلَ إذا ألفى تقصيرًا أو قصورًا.

واللهَ أرجو أن يُنقِّيَه من الريا والإعجاب، ويُبْقِيَه على سَنَن الحق والصواب، ويُنيلَ به جزيل الثواب، ويَجعَلَه سعيًا مشكورًا وعملًا مبرورًا، ويَعفوَ عما طَغَى به القلم واللسان، ويُقابلَه بالقبول والرضوان، ويُثيب عليه في رفيع الجنان وُلْدانًا وحُورًا.

❑ ❑ ❑

الفصل الأول
في بيان ما جرى في تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان في نجد والحَسَا وغيرهما مما يليهما من البلدان

فنقول: كان غالب الناس في زمانه مُتضمِّخين بالأرجاس، مُتلطِّخين بوَضَر الأنجاس، حتى قد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس، وأُطفئ نور الهدى بالانطماس، بذهاب ذوي الأبصار والبصيرة، والألباب المضيئة المنيرة، وغلبة الجهل والجهال، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال، حتى نهجُوا في تلك الطرائق منهجًا وعرًا، ونبذوا كتاب الله تعالى وراءهم ظهرًا، وأتَوا زورًا وبهتانًا وهُجْرًا، وزين لهم الشيطان أنهم ينالون بذلك أجرًا، ويحوزون به عزًّا وفخرًا، فأركبهم على مراكب الأسلاف قسرًا، وامتاطوا كواهلهم في ذلك السَّنَن قهرًا، وحسَّن لهم أن ذلك بحقيقة الحق أدرى، وأنهم بنَهْجِ منهج الشريعة أحرَى، فعَدَلُوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا رِبْقَةَ التوحيد والدين، فجَدُّوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث، والخطوب المعضلة الكوارث، وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات، وتفريج الشدائد والكربات، من الأحياء منهم والأموات، وكثير يعتقد النفع والإضرار في الجمادات، كالأحجار والأشجار، وينتابون ذلك في أغلب الأزمان والأوقات، ولم يكن لهم إلى غيرها إقبال ولا التفات، فهم على تلك الأوثان عاكفون، ولها في أكثر الأحايين ملازمون ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

لعب بعقولهم الشيطان، وأخذ بهم منهج الخسران، حتى ألقاهم في قعر

الهوان، فلجّوا في طغيانهم يعمهون، تسنّموا من الهوى أسمى فنن، وأتوا من الضلال أنمى فتن، ورفضوا والله أسنى سنن، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أحدثوا من الكفر والفجور، والإشراك بعبادة أهل القبور، وصرف الدعاء لهم والنذور ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

شرع لهم شياطينُهم من الدين ما لم يأذن به الله، وجعلوا لغيره ما لا يجوز صرفه إلى سواه، وزادوا على أهل الجاهلية؛ فقد كانوا لا يدعون إذا مسهم الضر إلا إياه، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، ملأوا قلوبهم له بالوجد والمحبة، وبذلوا أعمارهم وألسنتهم في دفع مَن أبدى لهم مَسَبَّة، ولم يشتغلوا بالله وكفى لعبده به رغبة، وليتهم سوَّوْا بينهم في المحبة والطَّلْبة، ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، وكانت هذه المحبة في سويداء القلب سارية، وعلى صفحة الوجه واللسان بادية، وأفعال الشرك في غالب الأقطار جارية، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

وقد حدث الغي والإضلال والإسراف، ووقع التغيير في الدين والاختلاف، من زمانٍ قديمٍ من غير خلاف، وجاء بعدهم مَن اعتقد أن الدين هو ذلك الضلال والإسراف؛ لأنهم وجدوا عليه الآباء والأسلاف، ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾، وقد نصَّ عليه كثير من العلماء الأعلام، في كتبهم المصنفة فيما حدث من البدع والحوادث من الأنام، وما غُيِّر من منار الدين والإسلام، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

وكان أكثر الناس على دعوة الأولياء والصالحين، الأحياءِ منهم والميّتين،

مُجدِّين مجتهدين، وبالاعتقاد المحض فيهم مفتونين ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ أيُدعى مَن لا يملك لنفسه نفعًا؟ ولا يَصرف عنها من السوء دفعًا، ويُترك مدبِّر الخلائق إعطاءً ومنعًا ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ فغدَوْا عليها في قضاء الحاجات وراحوا، وابتهلوا لَدَيهم في ذلك وباحوا، وأحلوا ما حرمه الله واستباحوا، ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

وكان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم، والكل على تلك الأحوال مقيم، وفي ذلك الوادي مُسِيم(١)، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ وقد مَضَوْا قبل بُدُوِّ نور الصواب، يأتون من الشرك بالعجاب، ويَنْسِلون إليه من كل باب، ويكثر ذلك منهم عند قبر زيد بن الخطاب، فيَدْعُونه لتفريج الكُرَب بفصيح الخطاب، ويسألونه كشف النُّوَبِ من غير ارتياب، ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

وكان ذلك في الجُبيلة(٢) مشهورًا، وبقضاء الحوائج مذكورًا، وكذلك قريوه في الدِّرْعية(٣) يزعمون أن فيها قبورًا، أصبح فيها بعض الصحابة مقبورًا، فصار

---

(١) المُسيم: الرّاعي، أو مَن يذهب على وجهه حيث شاء.

(٢) بلدة تقع شمال غرب مدينة الرياض، على بعد ٥٠ كم.

(٣) قال الأستاذ عبدالحكيم بن عبدالرحمن العواد في مقالته «أماكن يُتبرك بها في الدرعية قبل ظهور الدعوة السلفية» في جريدة الجزيره بتاريخ (٢١/ ٢/ ١٤٢٨هـ): «قريوة شِعب صغير جدًا يمتد من الشرق إلى الغرب، وينتهي ببعض المزارع، وهو أول شِعب يأتي على يمين السالك لمخرج محافظة الدرعية الجنوبي، وجنوب عن مقر محافظة الدرعية»، وقال الشيخ عبدالله بن خميس في مقالٍ له عن الدرعية: «هو المقبرة الرئيسية لأهل الدرعية». (مجلة الدارة، السنة الأولى، العدد الأول).

حظهم في عبادتها موفورًا، فهم في سائر الأحوال عليها يعكفون، ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ وكان أهل تلك التربة أعظَمَ في صدورهم من الله خوفًا ورهبةً، وأفخم عندهم رجاءً ورغبةً، فلذلك كانوا في طلب الحاجات، فهم يبتدؤون ويقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

وفي شعيب غبيرا[1] يُفعل من الهُجْرِ والمُنكر ما لا يُعْهَد مثله ولا يُتصور، ويزعمون أن فيه قبر ضِرار بن الأزور[2]، وذلك كذبٌ محضٌ وبهتانٌ مزوَّر[3]، مثَّله لهم إبليس وصوَّر، ولم يكونوا به يشعرون.

وفي بُلَيْدَة الفدا[4] ذكَر النخل المعروف بالفحَّال، يأتونه النساء والرجال، ويَفِدُون بالبُكْرِ والآصال، ويفعلون عنده أقبح الأفعال، ويتبركون به ويعتقدون، وتأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج، ولم تأتها لنكاحها الأزواج، فتضمه بيديها بحضور ورجاء الانفراج، وتقول: يا فحل الفحول، أريد زوجًا قبل الحول. هكذا صح عنهم القول ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) من روافد وادي حنيفة، شمال الدرعية، قال الشيخ عبدالله بن خميس في مقاله السابق: «لعلها كانت منازل بني غبراء». وهم من بني حنيفة.

(٢) الصحابي ﷺ. انظر ترجمته في «الاستيعاب»؛ لابن عبدالبر (١ / ٢٢٤)، ورسالة «ضرار بن الأزور: الشاعر - الصحابي - الفارس»؛ للأستاذ عبدالعزيز الرفاعي.

(٣) قال ابن حجر في «الإصابة» (٣ / ٤٨١): «واختُلف في وفاته، فقال الواقدي: استُشهد باليمامة، وقال موسى بن عقبة: بأجنادين، وصححه أبو نعيم، وقال أبو عروبة الحراني: نزل حران ومات بها، ويقال: شهد اليرموك وفتح دمشق، ويقال: مات بدمشق».

(٤) غرب الدرعية. قال الشيخ عبدالله بن خميس في مقاله السابق: «البليدة، هي ذات الفحال الذي أورد ذكره المؤرخ ابن غنام في حديثه عن الخرافات بالدرعية، قبل خروج الشيخ محمد بن عبدالوهاب».

وشجرة الطرفية[١] تشبث بها الشيطان واعتلق، فكان ينتابها للتبرك طوائف وفِرَق، ويعلِّقون فيها إذا ولدت المرأة ذَكَرًا الخِرَق، لعلهم عن الموت يَسْلَمُون.

وفي أسفل الدرعية غار كبير[٢]، يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى «بنت الأمير» أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ودعت الله فانفلق لها الغار بإذن العلي الكبير، وكان تعالى لها عن ذلك السوء مجير، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويُهْدُون، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وعندهم رجل من الأولياء يسمى تاج[٣]، سلكوا فيه سبيل الطواغيت في الانتهاج، فصرفوا إليه النذر والدعاء واعتقدوا فيه النفع والضر والإفراج، وكانوا

---

(١) قال الأستاذ عبدالحكيم العواد في مقالته السابقة «شجرة الطرفية، يبدو أنها من أنواع شجر الطرفاء التي تشبه الأثل، وكانت قديمًا تقع في شِعب البليدة السابق ذكره، غير بعيدة عن فحل الفحول».

(٢) قال الأستاذ عبدالحكيم العواد في مقالته السابقة «ويسمى أيضًا غار الغاشمية، ويقع الآن في طرف الدرعية الجنوبي، في الجهة الجنوبية لضفة شِعب الغاشمية الواقع ضمن نطاق مزرعة الملك خالد رحمه الله، المسماة (المعترة)، المواجهة لمنطقة المليبيد، ويقال إن أحد المشعوذين كان يختبئ فيه، وعندما يأتيه طالب الحاجة ويبدأ في ذكر حاجته، يقوم هذا المشعوذ بإصدار همهمة من داخل الغار، فيظن الجهلة أن الغار يجيبهم، ويضعون له الطعام والهدايا؛ فيخرج المشعوذ بعد تأكده من ذهابهم، وبعد أن يرخي الليل سدوله، فيلقف ما صنعوا له!».

(٣) قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «فأما تاج فهو من أهل الخرج، تُصرف إليه النذور، ويُدعى، ويُعتقد فيه النفع والضر، وكان يأتي إلى أهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور، وقد كان يخافه كثيرٌ من الناس الذين يعتقدون فيه. وله أعوان وحاشية لا يُتعرض لهم بمكروه، بل يُدّعى فيهم الدعاوي الكاذبة، وتُنسب إليهم الحكايات القبيحة. ومما يُنسب إلى تاج أنه أعمى، ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده». «فتاوى الشيخ» (١ / ١٣٤ - ١٣٥).

يأتون إليه لشأنهم أفواج، ويأتي إليهم في الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ما له من النذور والخراج ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ وكان لجميع أهل تلك البلدان، وسكان تلك الأماكن والأعطان، فيه من الاعتقاد أعظم شان، فيخافه كل حاكم وظالم وشيطان، ويهاب أعوانه وحاشيته كلُّ إنسان، فلا يتعرضونهم بما يكرهون، ويدَّعون فيه دعاوى فظيعة، وينسبون إليه حكايات قبيحة شنيعة، كانت ألسنتهم لها مذيعة، ولبهتانها مشيعة، وهم لِمَيْنِهَا وزُورها مصدقون، فيزعمون أنه أعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده، وغير ذلك من الحكايات التي هي مَحَطُّ رحال المشركين، والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم، وأعرضوا بها عن إخلاص الدعاء لرب العالمين، الذي ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

وأما ما يُفعل الآن في الحرم المكي الشريف، زاده الله رفعة وتشريف، فهو يزيد على غيره ويَنِيف، فيُفْعَلُ في تلك البقاع المطهرة المكرمة، والمواضع المعظمة المحترمة، ما يحق أن تُسْفَح عند رؤيته سحائب العيون والأجفان، وتُذَال[1] لأجله الدموع ولا تُصان، وتلتهب في القلب لواعج الأحزان، إذا رأى ما يصدر في تلك الأماكن من أولئك العربان، من الفسوق والضلال والعصيان، وما عَرَا الدينَ فيه من الهوان، فلقد انتُهكت فيه المحرمات والحدود، وكان لأهل الباطل فيه قيام وقعود، كما هو الآن مشاهد موجود، أين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾؟ ويشهد بذلك مَن رآه، مِمَن كان له قلب سليم،

---

(١) أي: تُسفح.

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ولقد تظاهر بذلك فيهم جمٌّ غفير، وتجاهر به بين أظهرهم جمع كثير، ولم يكن لأهل العلم إزالة ولا تغيير، بل تألَّبوا على مصادمة الحق الشهير، وراموا إطفاءَ مصباحه المنير، وإخمادَ ضيائه المستنير، وحاولوا تغيير مُحَيَّا الصواب ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

فمِن ذلك ما يُفْعَل عند قبر المحجوب[(١)]، وقبة أبي طالب[(٢)]، وهم يعلمون أنه شريف حاكم متعدٍّ غاصب، كان يخرج إلى بلدان نجد، ويضع عليهم من المال خراجًا ومطالب، فإن أُعْطِيَ ما أراد انصرف، وإلا أصبح لهم معاديًا

---

(١) عبدالله المحجوب (ت ١٢٠٧ هـ)، انظر ترجمته في «عجائب الآثار» للجبرتي (٢ / ٣٦٤ - ٣٦٦).

(٢) الشريف أبوطالب بن حسن بن نمي، أحد حكام مكة، (ت ١٠١٢هـ). انظر ترجمته في «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام» للصوفي القبوري أحمد زيني دحلان (ص ٨٨ - ٩١)، وقال عنه: «دُفن بالمعلاة، وبني عليه قبة.. وهو يُزار، ويحمي ساداتنا بنو حسن من استجار بقبره، ولا ينال من استجار به مكروه»!!

وللفائدة: قال الشيخ حمد الجاسر ﷺ عن مقبرة المعلاة: «ويدور الزمان، فيصبح المكان وما حوله مقبرة للعظماء من أهل مكة؛ فيُقبر فيه في القرن الحادي عشر الهجري أحد الأمراء الظلمة: أبو طالب بن أبي نُمي، وتُبنى فوقه قبة تُعرف بقبة أبي طالب، بجوار قبة خديجة الخرافية، ويدور الزمان فيُجهل أبو طالب صاحب القبة، فتنشأ خرافة قبة أبي طالب بن عبد المطلب عمّ النبي عليه الصلاة والسلام، الذي مات قبل صاحب القبة بأكثر من عشرة قرون، ومات مشركًا بنص القرآن الكريم! ويُدفن بجوار أبي طالب بن أبي نُمي أخوه عبد المطلب بن أبي نميّ، وبمرور الزمن تنشأ خرافة ثالثة؛ إذ يُصبح هذا: عبد المطلب بن هاشم جد المصطفى عليه الصلاة والسلام، الذي عاش قبل البعثة!». «ثرلة العرب» (عدد رمضان وشوال، سنة ١٣٩٥هـ).

محارب[١]، فيأتون قبره بالسماعات والعلامات، للاستغاثة عند حلول المصائب، ونزول النُّوَب الكوارب.

وكذلك عند قبر المحجوب، يطلبونه الشفاعة لغفران الذنوب؛ لأنه عندهم المقرَّب المحبوب، فلهذا كانوا من سِرِّهِ يحذرون، وإن دخل متعدٍ أو سارقٌ أو غاصبُ مالٍ قبر أحدهما لم يتعرض له أحدٌ من الرجال، ولا يخشى معاقبة ولا إنكال، ولا يُتَوَصَّل إليه بما يَكْرَه ولا يُنال، وإن تعلَّق جانٍ ولو أقلَّ جناية بالكعبة سُحِبَ منها بالأذيال، فهم في تعظيمها مفرطون، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾.

ومن ذلك ما يُفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، رضي الله عنها، في سَرِفَ[٢]، وعند قبر خديجة، رضي الله عنها، في المُعلّى[٣]، مما لا يسوغ لمسلم أن يُطلق

---

(١) قال ابن بشر في «عنوان المجد» (١ / ٢٦): «وفي سنة إحدى عشر وألف ظهر الشريف أبو طالب بن حسن ابن أبي نمي على نجد».

(٢) خارج مكة بقرب التنعيم، وفيه دُفنت رضي الله عنها.

(٣) مقبرة مكة. قال الشيخ حمد الجاسر رحمه الله: «قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، كان مجهولاً لدى مؤرخي مكة حتى القرن الثامن الهجري، أي طيلة سبعة قرون بل تزيد، ثم أصبح معروفًا محدد المكان، في القرون الخمسة الماضية، حتى يومنا هذا، بعد أن رأى أحد العارفين في المنام كأن نورًا ينبعث من شُعبة النور، في مقبرة المعلاة، ولما علم أمير مكة في ذلك العهد بخبر تلك الرؤيا؛ أمر ببناء قبة فوق المكان الذي رأى ذلك العارف أن النور ينبعث منه، جازمًا ذلك الأمير أن ذلك المكان ما هو سوى قبر خديجة رضي الله عنها!!». «مجلة العرب» (عدد رمضان وشوال، ١٣٩٥هـ). وقال الشيخ محمد بن عثمان الشاوي رحمه الله، وهو أحد الداخلين مع الملك عبد العزيز رحمه الله لمكة في رسالته «القول الأسدّ» (ص ١١٨)، يصف ما رآه عند قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «فليلة دخولنا مكة المشرفة، بعد أن فرغنا من أعمال العمرة، وبادرنا إلى هد القباب، وجدنا في القبة المبنية على قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ما لا يُستطاع حكايته، من ذلك أنا =

عليه إباحةً وحلًا، فضلًا عن كونه يراه قربةً يُدرك بها أجرًا وفضلًا؛ من اختلاط النساء بالرجال، وفعل الفواحش والمنكرات، وارتفاع الأصوات عندهم بالدعوات، وحصول الفدية وشهرة الاستغاثات.

وعند قبر عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، في الطائف، من الأمور التي تشمئز منها نفس الجاهل، فكيف بالعارف؟ فيقف عند قبره متضرعًا مستغيثًا كلُّ مكروب وخائف، وينادي أكثر الباعة في الأسواق من غير نكير ولا زجر على الإطلاق، ويقول بلهجة قلبٍ واحتراق، كثيرٌ من أهل الشرك والإبلاس، وذوي الفقر والإفلاس: اليوم على الله وعليك يا ابن عباس! ويَسألونه الحاجات ويَسترزِقون، ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾.

وأما ما يُفْعَلُ عند قبره، عليه الصلاة والسلام، من الأمور المحرَّمة العِظَام؛ من تعفير الخدود، والانحناء بالخضوع والسجود، واتخاذ ذلك القبر عيدًا، وقد لَعَنَ عليه الصلاة والسلام فاعلَه[1] وكفى بذلك زجرًا ووعيدًا، ونَهى عمَّا يُفْعَلُ عنده الآن غالبُ العلماء نهيًا شديدًا، وغلَّظُوا في ذلك تغليظًا أكيدًا، فهو مما لا يَخْفَى ولا يُنْكَر، وأعظم من أن يُذْكَر، فهو في الشهرة والانتشار، كالشمس في رابعة النهار.

= وجدنا رقاعًا مكتوبًا فيها: يا خديجة يا أم المؤمنين جئناكِ زائرين، وعلى بابك واقفين، فلا تردينا خائبين، فاشفعي لنا إلى محمد، يشفع لنا إلى جبرائيل، ويشفع لنا جبرائيل إلى الله! ووجدنا عندها كبشًا قد جاء به صاحبه ليقربه إليها... ووجدنا عند باب القبة عجوزًا شوهاء من سدنتها، ولقد حدثني غير واحد أنهم سألوها: ما حالك؟، فقالت: هي خادمة لسيدتها المتصرفة في الكون منذ عدة سنين، ولا تصوم، ولا تصلي، ومع ذلك يتمسح بها الزوّار...»! فالحمد لله على نعمة السنة والتوحيد، وجزى الله خيرًا من كان السبب في هدم هذه القبة زمن الملك عبدالعزيز رحمه الله.

(١) رواه البخاري (٤٣٥، ٣٤٦) ومسلم (٥٢٩ - ٥٣٢).

ويَكِلُّ اللسان عما يُفْعَلُ عند قبر حمزة والبقيع وقبا من ذلك القبيل، ويعجز القلم عن بيانه على التفصيل، ولو لم يُذْكَرْ منه إلا القليل:

وليس يصحُ في الأذهان شيء إذا احتاج النهارُ إلى دليل[١]

وأما ما يُفْعَلُ في جُدَّة مما عمت به البلوى، فقد بلغ من الضلال والفحش الغاية القصوى، وعندهم قبر طوله ستون ذراعًا عليه قبة، يزعمون أنه قبر حَوَّى[٢]، وضعه بعض الشياطين من قديم وهيَّأه وسوَّى، يَجْبُو عنده السَّدَنَة من الأموال، كل سنة ما لا يكاد يَخْطُر على البال، ولا يدخل يسلِّم على أمه كل إنسان، إلا مسلِّمًا دراهمَ عاجلًا من غير تَوَانٍ، أيبخل أحد من اللئام فضلًا عن الكرام ببذل بعض الحطام، ويدع الدخول على أمه والسلام!

وعندهم معبد يُسمى العلوي[٣]، ونافوا في تعظيمه جميع الخلائق، وأربَوا

(١) البيت للمتنبي.

(٢) وهو من الزعم الكاذب. انظر: «مجلة العرب» (عدد رمضان وشوال، ١٤٠٠هـ). ومما يُذكر هنا: أن شريف مكة عون الرفيق (المتوفى عام ١٣٢٣هـ) لما همّ بهدم القبة المبنية على هذا القبر احتج عليه قناصل الدول الأجنبية، الموجودون في جدة، بدعوى أن حواء ليست أم المسلمين وحدهم بل أم جميع البشر!! «الرحلة الحجازية»؛ للبتنوني (ص ٨١). قلتُ: وهذا من مكرهم، وحرصهم على أن يبقى المسلمون أسرى لهذه الخرافات والشركيات، التي تصرفهم عن الدين الصحيح، والدنيا النافعة.

(٣) أبو بكر بن أحمد الشهير بالعلوي من آل أحمد بن السكران السقاف بن أبو بكر بن علوي بن عقيل بن أحمد بن أبي بكر بن علوي (ت ١١٢٨هـ). له ترجمة في «نزهة الفكر»؛ للحضراوي (١ / ٨٧). وقال عنه - أيضًا - في كتابه« الجواهر المعدة في فضائل جدة» (نقلًا عن مجلة العرب: ١٤ / ١٠٨ - ١٠٩): «وأما قبور الأولياء المشهورون بها - أي بجدة -، فمن أكبرهم شهرة قبر العارف بالله الشيخ العلوية، وهو قريب من باب مكة.. وعليه قبّة عظيمة واسمه أبو بكر بن أحمد الشهير بالعلوي من آل أحمد بن السكران السقاف بن أبو بكر بن علوي بن أبو بكر بن علوي بن عقيل بن أحمد بن أبي بكر بن علوي.. وكان ميلاده بالشّحر، بلدة من بلاد اليمن معروفة =

في الغلو على تلك الطرائق، فلو دخل قبره قاتلُ نفسٍ أو غاصبٌ أو سارق، لم يُعْتَرَض بمكروه من مؤمن ولا فاسق، ولم يَجْسِر أحد أن يكون مُخرجًا له سائق، أو إلى المساعدة إليه مسارعٌ مسابق، فمن استجار بتربته أُجير، ولم يُعرِّج عليه حاكم ولا وزير.

وفي سنة عشر بعد المائتين والألف اشترى تاجر من أهل جُدة شهير، من أهل الهند التجار القادمين وأهل الحَسَا مالًا كثير، يزيد على سبعين ألف ريال في التقدير، فوقع عليه بعد أيام انكسار وإفلاس وتغيير، ولم يكن عنده ما يقابل شَطر الذي عليه فهرب إليه مستجير، فلم يتقدم إليه منهم شريف ولا وضيع ولا صغير ولا كبير، وتُرك بيته وما فيه من مال ولم يُرزأ في قليل ولا كثير، حتى اجتمع التجار ورأوا له منهج الإنظار والتيسير، وجعلوا ذلك عليه نجومًا في سنين على التأخير، وكان بعضٌ من أهل الدين بذلك الحال مشير.

= سنة نيّف وتسعين وألف، وقدم إلى الحج، وحج وعمره بضع عشرة سنة، وتوفي بجدة سنة ١١٢٨ بعد أن استوطنها مدة، وقبره وضريحه شهير». ونقل الأستاذ محمد علي مغربي رحمه الله كلام الحضراوي عن قبره وبعض القبور بجدة، ثم قال: «كان السذج من الناس يزورون هذه القبور التي ذكرها الحضراوي، والتي كانت منتشرة بمدن الحجاز كلها، وينذرون لها النذور، وهذه كلها من البدع الضالة المضلة التي دخلت على المسلمين، واستغل القائمون على هذه القبور سذاجة الناس وغفلتهم، وجهلهم بالدين الصحيح؛ فأقاموا القباب على هذه القبور، واستولوا على ما يَرِدُ لها من أموال النذور، وكل هذا ليس من الدين الصحيح في شيء، بل هو مدعاة للانحدار إلى هاوية الشرك والعياذ بالله تعالى، فالله تعالى هو الضار وهو النافع، والدعاء يجب أن يكون له وحده تعالى دون وسيط أو شريك، وقد أزيلت هذه القبور وما عليها من القباب، وانتهت تلك البدع الضالة المضلة، حينما قامت الحكومة السعودية - بعد انضمام الحجاز إليها - بإزالة تلك القبور والقباب، فسلمت للناس عقائدهم من الشوائب والانحرافات». «أعلام الحجاز» (٣ / ١٨٤ - ١٨٥).

وأما ما في بلدان مصر وصعيدها، من الأمور التي يُنَزَّه الإنسان عن ذكرها وتعديدها، خصوصًا عند قبور الصلحاء والعُبَّاد من سادتها وعبيدها، كما ذكرها الثقات في نقل الأخبار وتوكيدها، فيأتون قبر أحمد البدوي(١)، وكذا قبور غيره من العباد، وسائر تُرَب المشهورين بالخير والزهّاد، فيستغيثون ويندبون ويعجلونهم بالإمداد، ويستحثونهم على زوال المصيبة عنهم والأنكاد، ويتداولون بينهم حكايات، وينسبون عنهم قضيات، ويحكون في محافلهم ماجريات، من أفحش المنكر والضلالات، فيقولون: فلان استغاث بفلان فأغيث فورًا في ذلك الأوان، وفلان شكا ذلك لصاحب القبر حاله وأمره فأغاثه وكشف عنه ضره، وفلان شكا إليه حاجته فأزال عنه فقره، وأمثال هذا الهذيان، الذي هو زور وبهتان، ويصدر هذا الكلام في تلك البلدان، وهي مملوءة بالعلماء من أهل الزمان، وذوي التحقيق والعرفان، ولا يُزَال ذلك المحظور، ولا يُغَار من صدور تلك الأمور، بل ربما تنشرح منهم له الصدور.

وأما ما يُفْعَل في بلدان اليمن، من الشرك والفتن، قبل هذا الوقت في هذا الزمن، فأكثر من أن يُحْسَب أو يُحْصَى، أو يُعَدّ ويُسْتَقْصَى، أو يُدْرَك له أقصى، فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر عندهم يسمى الهادي(٢)، والكل على

---

(١) الصوفي الشهير، المتوفى سنة ٦٧٥ هـ. انظر لبيان حقيقته، وأنه شيعي متستر، بهدف إعادة الدولة الشيعية لمصر: «السيد البدوي و دولة الدراويش في مصر»؛ لمحمد فهمي عبداللطيف، و«السيد البدوي بين الحقيقة و الخرافة»؛ لأحمد صبحي منصور.

(٢) إمام الزيدية باليمن (ت ٢٩٨هـ). ذكر الدكتور علي سعيد سيف في رسالته «الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري وحتى نهاية العاشر الهجري» (ص ١٦١) أن قبره لم يُعمر إلا مابين سنة ٧٣٣هـ إلى سنة ٧٥٠هـ، وهي فترة حكم الإمام الزيدي المهدي لدين الله علي بن محمد، الذي كان أول من بنى مشاهد مقبرة صعدة، على قبور الهادي وبنيه.

دعوته والاستغاثة به رائح غادي، فتأتيه المرأة إذا تعسر عليها الحمل أو كانت عقيمة، فتقول عنده كلمة قبيحة عظيمة، فسبحان من لا يُعَاجل بالمعاقبة على الجريمة.

وأما أهل بلد بُرَع، فعندهم البُرعي[١]، رجل يَرْحَل إلى دعوته، كلُ ناءٍ عن محله وبلدته، ويؤتى إليه من غير إشكال، من مسيرة أيام وليال، لطلب الإغاثة وشكاية المحال، ويقيمون عند قبره للزيارة، ويتقربون بالذبائح عنده كما حقق أخباره، من شاهد حضرته واحتضاره.

وأما أهل الهجرية[٢] ومن حذا حذوهم، فعندهم قبر يسمى ابن علوان[٣]، وقد أقبل عليه العامة في نوائب الزمان، واستغاث به منهم كل لهفان، فهم يلجون به في كل وقت وأوان، ويسميه غوغاهم: مُنَجّي الغارقين، كما حكاه بعض السامعين، وأغلب أهل البر منهم والبحر، يطربون عند سماع ذكره، ويستغيثون به وإن لم يصلوا إلى قبره، ويُنْذَر له في البحر والبر، وعند أهل بلده وتعظيمه ما يزيد على الحصر، ويفعلون عند قبره السماعات والموالد، ويجتمع عنده أنواع من المعاصي والمفاسد، فليس في أقطار اليمن، في هذا الزمن، من

---

(١) عبدالرحيم بن أحمد، الفقيه الشاعر الصوفي، (ت ٨٠٣هـ). انظر: «طبقات صلحاء اليمن»؛ للبريهي (ص ٤٣ - ٤٤).

(٢) يقول صاحب «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢ / ١٧٩٩): «تعددت القرى والمناطق التي تحمل اسم (الهَجَر)، وقد كان الحميريون يعنون بهذا الاسم: المدينة أو القرية الكبيرة. . - ثم أخذ في تعدادها -».

(٣) أحمد بن علوان، الصوفي اليمني، (ت ٦٦٥هـ). انظر: «طبقات الخواص»؛ للشرجي (ص ٦٩ - ٧١)، وقال: «وقبره ظاهر معروف، مقصود للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة»! و«هِجر العلم»؛ للأكوع (٢ / ٧٥٠ - ٧٥٨)، وقال: «وقد فُتن به العامة في عهده، وبعد وفاته، وحتى اليوم». وهو من قرية «ذي الجنان» من أعمال تعز.

يساويه في الاشتهار، بل ولا في سائر الأقطار، ولهم في حضرته أمور يفعلونها دينًا، ويتوخَّونها حينًا فحينًا، يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس، وقد جعلها لهم عبادةً إبليس، ويقولون وهم يرقصون، وبما يغنيه طربون، قد ملأ الوجد منهم ألبابًا وذهنًا: يا سادتي قلبي بكم مُعَنّى!

وأما حال حضرموت والشَّحر[1]، ويافع[2] وعدن، فقد ثوى فيهم الغَيُّ وقَطَن، وعندهم العَيْدَرُوس[3]، يُفعل عند قبره من السفه والضلال الوبيل، ما يغني مجمله عن التفصيل، ويقول قائلهم: شيء لله يا عيدروس، شيء لله يامحيي النفوس!

وأما بلدان الساحل، فعندهم من ذلك مسائل، فعند أهل المَخَا[4]: علي بن عمر الشاذلي[5]، أكثرهم بدعوته والاستغاثة به قد ابتُلِي، لا تفتر ألسنتهم عن ذكره قعودًا أو قيامًا، وينتابون تربته وحدانًا وقيامًا.

---

(١) مدينة على ساحل بحر العرب، بين عدن وعُمان.

(٢) مدينة تقع شمال شرق عدن، على ساحل بحر العرب.

(٣) أبوبكر بن عبدالله العيدروس (ت ٩١٤هـ). انظر ترجمته في «الأعلام» (٢ / ٦٦)، و«تاريخ الشَّحر»؛ لبافقيه (ص ٨٣ - ٨٦)، وقال: «وقبره في عدن، يُزار، ويُتبرك به»! وجاء في «صحيفة ٢٦ سبتمبر» اليمنية (العدد ١٠٥٦): «وعندما توفي الشيخ العيدروس دُفن في نفس المكان، وبني فوق ضريحه قبة الى الشمال من المسجد، وما يزال أهالي عدن وغيرهم من اليمنيين يقومون حتى الآن بزيارة الإمام العيدروس في ١٣ ربيع الثاني من كل عام هجري..»! وانظر رد الشيخ سليمان بن سحمان ﷫ على من توسل به، في ديوانه (٣ / ١١٢).

(٤) إحدى مدن محافظة تعز في اليمن، تقع على ساحل البحر الأحمر.

(٥) (ت ٨٢٨هـ)، انظر ترجمته في «طبقات صلحاء اليمن»، (ص ٢٦٤ - ٢٧٠)، و«الزيارات والأولياء في تهامة»؛ للصوفي المعاصر عبدالله خادم العمري (ص ٦٥ - ٦٦).

وأما أهل الحُديدة، فعندهم الشيخ صدّيق[1]، أقبل على تعظيمه والغلو فيه كل فريق، وقد أدَّى بهم الأمر والحال، وأوداهم الشيطان في هوة وضلال، إلى أنه لا يمكن أحد يريد ركوب البحر، أو يريد منه النزول إلى البر، حتى يجيء إليه، ويُسلم فورًا عليه، ويطلب منه الإعانة والمدد، فيما أراده وقصد.

وأما أهل اللُّحَيّة[2]، فعندهم الزيلعي[3] من غير لبس، واسمه عندهم الشمس؛ لأن قبره ليس عليه قبة بل مكشوف، وكان إليه جميع النذر مصروف، وهم فيه أظلم وأطغى، وفي تعظيمه ودعوته أضل وأبغى، وأهل البادية منهم تؤثر حكاية عنهم، وهي أنه كان رسولًا في حاجة، فأراد أن يدخل بلده والشمس متدلية للغروب، وكان دخول النهار له مقصود ومطلوب، فقال للشمس: قفي. فوقفت، وسمعت قوله وامتثلت. هكذا ذكر بعض الرجال، والله أعلم بحقيقة الحال.

وقبر رابعة عندهم مشهور[4]، لا يحلفون صدق اليمين إلا بها، وغير ذلك من الأمور.

---

(١) صديق بن علي بن أبي الفتح، الصوفي الشاذلي (ت ١٠٣١هـ). انظر ترجمته في: «الزيارات والأولياء في تهامة»؛ للصوفي المعاصر عبدالله خادم العمري (ص ١٨٥ - ١٩١)، وانظر: «القبورية في اليمن»؛ للشيخ أحمد المعلم (ص ٣٨٠)، وصحيفة «٢٦ سبتمبر» اليمنية (العدد ١٢١٦).

(٢) تصغير لحية، مدينة ساحلية تقع إلى الشمال من مدينة الحديدة بمسافة ١٢٠كم.

(٣) أحمد بن عمر الزيلعي (ت ٧٠٤هـ). انظر عنه: «طبقات الخواص» (ص ٧٤ ٧٧)، و«البدر الطالع» (٢ / ١٧٤)، و«هجر العلم» (٤ / ١٩٢٩ - ١٩٣٠)، وبحث «بنو الزيلعي العقيليون، أصحاب اللُّحية، وانتشارهم في تهامة اليمن، وجنوب غرب المملكة العربية السعودية»؛ للدكتور أحمد بن عمر الزيلعي. «مجلة المؤرخ العربي»، (العدد ١٢ - المجلد الأول - مارس ٢٠٠٤م)، و«الزيارات والأولياء في تهامة»؛ للصوفي المعاصر عبدالله خادم العمري (ص ٢١٧).

(٤) لم أعرفه. وقبر رابعة العدوية موجود بالقدس.

وعندهم الطامة العظيمة، والمعضلة الجسيمة، وهي في أراضي نجران، وما يليها من البلدان، وما حولها من الأعراب والبدوان، وهو الرئيس المعروف عندهم[(١)]، السيد المتقدم في رياستهم وسياستهم، والمطلق فيها والمقيد، فلقد أتوا من تعظيمه وتوقيره، وتقديمه في جميع الأمور وتصديره، وقبح الغلو فيه والاعتقاد، ما أفضى بهم إلى طريقة الضلال والإلحاد، فصرفوا له من أنواع العبادة سهمًا، وجعلوا فيه للألوهية وسمًا، حتى كادوا أن يجعلوه لله ندًّا وقسمًا، وكان عندهم بذلك الحال شهيرًا، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وأما ما في حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه، فهو مما لا يوقف له على حد، ولم يمكن ضبط أقصاه، ولا يُعرف قدره ومنتهاه، ولو استفرغ الإنسان في ذلك قُصاراه، بحَسَب ما يحكيه من يشاهد ذلك أو يراه، من العكوف على عبادة القبور، وصرف القربان إليها والنذور، والمجاهرة بالفسوق والفجور، وأخذ الأمكاس والدستور[(٢)]، ووضع الخراج على البغايا من تلك المهور.

وفي الموصل وبلدان الأكراد، وما يليها من سائر البلاد، وكذا في العراق خصوصًا المشهد وبغداد، ما لا يحتاج إلى حصر وتعداد، فيُفعل عند قبر الإمام أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ عبد القادر، رضي الله تعالى عنهم، من الدعاء والاستغاثة بهم ومنهم في سائر الأوقات والأزمان، ما لا يُعرف له صفة ولا شان، وتُسْفَح عندهم العبرات والدموع، ويحصل من التعظيم والتذلل عندهم والخضوع، أعظم مما يصدر بين يدي الله في الصلاة في الحضور

(١) أي عند الإسماعيلة، إحدى فرق الشيعة الغلاة. انظر لمعرفة عقائدهم وغلوهم في سيدهم: رسالة «أصول الإسماعيلية»؛ للدكتور سليمان السلومي.

(٢) الدستور: يُطلق على كل قانون غير شرعي.

والخشوع، بل كثير ممن فعل ذلك مرارًا وجرَّب، هم لقضاء الحوائج ترياق مُجَرَّب.

وأما مشهد علي بن أبي طالب، رضي الله عنه[١]، فقد صيرته الرافضة وثنًا يُعْبَد، ويُدْعَى بخالص الدعاء دون من ذَرَأ الخلق وأوجَد، ويُصَلَّى له في قبته ويُرْكَع ويُسْجَد، وليس في صدور أولئك الضُلال وغيرهم من الجهال، وذوي الفسق والضلال، من التعظيم والهيبة والإجلال، لذي الفضل والنَّوَال، مِعْشَار ما فيها لعلي رضي الله عنه، من غير إشكال، ولا إسراف ولا إفراط في المقال، فتراهم يحلفون الأيمان الكاذبة بالله، ولا يخاف أحدهم مولاه، ولا يراقبه سرًّا وجهرًا ولا يخشاه، ولا يحلف بعليّ كاذبًا أبدًا، يُعظم بذلك حِمَاه، فلا ينتهك ذلك ويتعداه، ويجزمون أن عنده مفاتح الغيب، من غير شك، قبحهم الله، ولا ريب؛ ولهذا يقولون إن زيارته أفضل من سبعين حجة، وكفى بما ذكرناه وفي خروجهم عن الإسلام حُجة، وإخراجهم عن واضح السَّنَن والمَحَجَّة، ولقد غَلَوْا فيه وأتوْا من الشرك القبيح، أعظم مما فعل النصارى بالمسيح، سوى دعوى الولدية، فلم تصدر من هذه البرية، وساووهم أو زادوا عليهم في غيرها من الخصائل الردية، وزخرفوا على قبره الذي يدعونه قبة مذهبة، وخالفوا هديه رضي الله عنه ومذهبه، ولقد كان في حياته حرَّق ممن غلا فيه أناس، فما أغناهم عن انتهاج منهج الضلال والإبلاس.

ومثل ذلك ما يُفْعَل من الشرك والمنكر والشَّيْن، عند مشهد الكاظم ومشهد

---

(١) وهو مشهد مكذوب! قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (١٧ / ٥٠٠): «وكذلك مشهد علي رضي الله عنه، إنما أُحدث في دولة بني بويه، وقال محمد بن عبد الله مطين الحافظ وغيره: إنما هو قبر المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه إنما دُفن بقصر الإمارة بالكوفة».

الحسين، فعندهم من التعظيم لهما والعبادة والوقار، والملازمة لذلك بالعشي والإبكار، والإقبال على ذلك سائر الأحوال والإكثار، أجَلّ وأكثر مما عندهم لله الواحد القهار، ولقد شَبّ فيهم على ذلك الكفر، وقبيح ذلك المنكر والفُجر، الرعاعُ والأطفال، وشاب عليه الصغار من الرجال، فلا يُسْمَع في سائر الأحوال، بين أولئك السفلة الأنذال، والأرذال الضُّلَّال، ذِكْرٌ لرب العزة والجلال، وإنما دَيْدَنُهم ذكرُ عليٍّ والحسين وبقية الآل.

وأما جميع قرى الشط والمجرة، فقد لبسوا ثياب الشرك والضلال والمَعَرّة، بل كانوا أهله وأصله ومَقَرَّه.

وكذلك ما حول البصرة وما توسط فيها، من تلك القُبَب والمشاهد، التي أصبح كلٌّ إليها مُقْبِل وقاصد، لا سيما قبر الحسن البصري والزبير، ﭬ، فقد طلبوا الفرج منهما، وصرفوا لهما من العبادة والدعاء والاستغاثة عند الشدائد، وطلبوا منهما جميع الفوائد، وليس لهذا مُنْكِر ولا جاحد، سوى ما يَصْدُر وما يُشَاهَد، في تلك البلدان من المنكرات والفواحش والمفاسد، ولا يَجْحَد ذلك إلا مُبَاهت معاند.

وأما ما في القَطِيف والبحرين من البدع الرَفضية، والأمور القبيحة الشركية، والمشاهد المعظمة الوثنية، وما يفعله أولئك الضُّلَّال والأنجاس، من الضلال والغَيّ والإبلاس، وما يأتونه من الشرك والأرجاس، فلا يكاد يخفى على أحد من الناس، ويقف دون ساحل إحصائه الإدراك، ويُقصر عن مقتضاه ونظمه في هذه الأسلاك، وما يجحد ذلك إلا كُلٌّ مُعْتَدٍ أَفَّاك.

وإذا رأى أفعالهم كل عارف بالإيمان، وشاهده بالرؤية والعيان، تبين له غربة الدين في هذا الزمان، وزاد بصيرة في دينه وإيقان، وجَدَّ في طاعة سيده ومولاه، وحمده على ما خوّله وأعطاه، وسارع في خدمته ورضاه، وبادر إلى القيام

بوظائف العبودية فيما أمره ونهاه، وأكثر مِن شُكره على ما منحه من فضله وحَباه، وجعله من حزبه الفائزين، الذين هم لديه مقربون ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ وتحدَّث لدى الناس بنعمة الله، وألزم بذلك جَنانَه ولسانَه وفاه، ونادى برفيع صوته وفاه: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ وسأل ربه ودعاه، فهو الذي أنقذه من الضلال ونجاه، وسلك به سبل الهداية ونجاه، وقال في الدعاء والمناجاة: ﴿رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٤ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ﴾ صارت الحظوظ الدنيوية، والشهوات النفسية، لهم هي الغاية والمقصد والمراد، وكان ذلك - والعياذ بالله - هو السر لهم في الخلق والإيجاد، وغفلوا عما في ذلك من الوعد والإيعاد، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾ ويتأمل العارف الخبير، ذو القلب المنور البصير، افتراق الجزأين في المآل والمصير: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾.

فوائد:

الأولى: يجب على كل كَيِّس، وهو من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، أن يهتم بما كلفه الله تعالى ويعتني بتخليص نفسه قبل الفوت، ويَدْأَب فيما يورثها النعيم السرمدي والكرامة، في دار الخلود والمقامة، وذلك بتجريد التوحيد لله تعالى والتنصل من الشرك والسلامة، ويسعى مُشمِّرًا في إصلاح شأنه، وينظر ما وقع في التفرق في الدين والاختلاف في أهل زمانه، وما جرهم إليه الشيطان باستدراجه لهم وأعوانه، حتى أخذ بهم سَنن ضلاله وخذلانه، وطوَّح بهم في بيداء طرده وهوانه، فكَرَعُوا في حياض الآباء والجدود، ورَتَعُوا في رياض

المحرمات والحدود، وتَدَيَّن الأكثر بالبدع والهوى، ورفضوا حبل الله المتين الأقوى، وقالوا: لا نصل إلى معناه ولا نقوى، ورأوا هجره ورفضه هو الغاية القصوى، في التحلي بحلية الورع والتقوى، فأُلْقُوا من الهوان في القعر الأهوى، وصار ذلك من الله تعالى حتمًا مقضيًّا، وقدرًا مقدورًا أزليًّا، وبرهانًا لما أخبر به ﷺ واضحًا جليًّا، ومصداقًا لما وعد به ﷺ فوعده يكون مأتيًّا.

فقد أخبر ﷺ أن أمته تتبع سَنَنَ مَن كان قبلهم، كاليهود والنصارى وفارس والروم، كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن!**»[(١)].

وخرّج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع**» فقيل: يا رسول الله، فارس والروم؟ قال: «**ومن الناس إلا أولئك!**»[(٢)].

فأخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، أن أمته تفعل كفعل اليهود والنصارى، وهم أهل الكتاب وفارس والروم، وهم الأعاجم، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾، وأنهم عبدوا العجل والطواغيت، وآمنوا بالجبت والطاغوت، ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ من كتب السحر، وأنهم قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ و﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾، وأنهم كفروا بمحمد ﷺ وعادَوْهُ وأبغضوه بعد معرفته، ونبذوا ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦).

ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وأنهم ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾، وأنهم كفروا بدين الرسول ﷺ بغيًا وحسدًا للعرب أن خصَّهم الله تعالى بهذه الفضيلة العظيمة، والمنة الجسيمة، لأنهم كانوا يستفتحون على كفار العرب بمحمد ﷺ ويقولون: هذا أوان نبي قد أظل زمانه، فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم. كما ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي[1] فلما بعث الله محمدًا ﷺ من العرب، وصار أتباعه من العرب، كفروا به وأبغضوه بغيًا وحسدًا، ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، فلا بد أن يوجد في هذه الأمة من يفعل فعل اليهود والنصارى وفارس والروم.

وفي حديث الثوري وغيره، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعُم الأفريقي، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يفعل ذلك. وإن بني إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[2] رواه أبو عيسى الترمذي وقال: هذا حديث غريب مفسّر، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وهذا الافتراق مشهور عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص ومعاوية وعمرو بن عوف الأشجعي وغيرهم.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٥٣٤٣) دون قوله «حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يفعل ذلك» فقد ضعفه.

فعن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[(١)] رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال: هذا حسن صحيح.

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة**» يعني أهل الأهواء «**كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**»، وقال: «**إنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب، لئن لم تقوموا بما جاء به محمد ﷺ لَغَيْرُكُم من الناس أحرى أن لا يقوم به**»[(٢)].

هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو، عن الأزهر بن عبد الله الرازي، عن أبي عامر عبد الله بن لَحُيٍ، عن معاوية.

ورَوَاه غيرُ واحد، منهم أبو اليمان وبقية وأبو المغيرة، رواه الإمام أحمد، وأبوداود في سننه.

وقد روى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك الأشجعي[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٨) والترمذي (٢٦٤٠) وابن ماجه (٣٩٩١)، وصححه الشيخ الألباني (الصحيحة ٢٠٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٠٢) وأبو داود (٤٥٩٧)، وحسنه الشيخ الألباني (الصحيحة ٢٠٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢) وصححه الشيخ الألباني (الصحيحة ١٤٩٢).

ويُرْوَى من وجوه أُخَر.

فقد أخبر ﷺ بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقةً، والثنتان والسبعون لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوص الذين مِن قبلهم، قال الله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

وقد ذكر أهل التفسير عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: ما أشبَهَ الليلةَ بالبارحة! هؤلاء - بني إسرائيل - شُبِّهنا بهم، والذي نفسي بيده لَتَتَّبِعُنَّهُم، حتى لو دخل الرجل منهم جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه![1]

وعن ابن مسعود، رضي الله عنه: أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتًا وهديًا، تتبعون أعمالهم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟[2]

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد النبي ﷺ. قلنا: وكيف؟ قال: أولئك كانوا يُخْفُون نفاقهم، وهؤلاء أعلنوه[3].

الثانية: قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»:

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٤٢).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٨١).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ١٠٩) وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١٣٤) من قول عبد الله بن مسعود.

هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ إما في الدين فقط، وإما في الدين والدنيا معًا، ثم قد يؤول إلى سفك الدماء، وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط، وهذا الاختلاف الذي وردت به هذه الأحاديث هو مما نهى الله تعالى عنه في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الآية، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ومنشأ هذا الاختلاف من جهة عدم العمل بالعلم، كالذي يعرف الحق من الباطل ويميز بينهما، ولا يَتّبعُ ذلك فعلًا ولا قولًا ولا عملًا، وإما من جهة العمل بلا علم، فيجتهد في أصناف العبادة بلا شريعة من الله، ويقول على الله تعالى بلا علم، فالأول مِن مشابهة اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ والثاني مِن مشابهة النصارى الغالينَ في الدين، والقائلينَ فيه غيرَ الحق، والضالّين عن سواء السبيل.

وقد ابتلى الله تعالى طوائف من هذه الأمة من المنتسبين إلى العلم بما ابتلى اليهودَ؛ من حب الدنيا وإيثارها وكتم الحق، فإنهم تارة يكتمون العلم بُخلًا به، وكراهة أن ينال غيرُهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضًا برياسة أو مال، فيخاف من إظهاره انتقاصَ رياسته أو مالِهِ، وتارة يكون قد خالَفَ غيرَه في مسألة واعتَزَى إلى طائفة قد خُولِفَت في مسألة، فيَكْتُم من العلم ما فيه حجةٌ لمخالِفِه، وإن لم يتيقن أن مخالفه مُبْطِل، ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: أهل العلم يكتبون ما لهم وعليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم. وكان السلف ﭫ، ابن عيينة وغيره، يقولون: إن مَن فسد مِن علمائنا ففيه شَبَهٌ من اليهود،

ومَن فَسَدَ مِن عُبَّادنا ففيه شَبَهٌ من النصارى. انتهى كلامه رحمه الله تعالى(١).

وليس الغرضُ استيعابَ ما وقع من الاختلاف والافتراق، واستقصاء ما صدر فيه النزاع والشقاق، وما وقعت فيه المشابهة والمضاهاة، فهذا يَحْجُم جَوَادُ الفهم عن دَرَكِ أدناه، ولا يَسَع استيفاؤه على الإجمال دون التفصيل، لا سيما إن انضم إلى ذلك تحريفُ التأويل، وتأويل التنزيل، وإنما القصدُ من ذلك جَلْبُ شَذْرةٍ يُمْعِن فيها اللبيب فِكْرَه، ويأخذ منه نِذَارَتَه وحَذَرَه، في هذا الزمان الذي مَن تمسَّك بدينه فيه يكون كالقابض على جَمْرِه، فيجب عليه أن يُلْزِمَ نفسه على ذلك صَبْرَه، حتى يُعْظِمَ مولاه له أَجْرَه، ويتضرع إلى الرحمن الرحيم، أن يَهديه الصراط المستقيم، ويُقِيمه على السَّنَن القويم ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

فقد، والله، ضَخُمَ الأمرُ وجَسُم، وتفاقم الأمر وعَظُم، وأطلت الفتن، وأطلت المحن، في هذا الوقت والزمن، وظُهِرَ على الضلال والبدع، والكثير إلى منهاجها نَزَع، وقل الاكتراث والمبالاة في الدين، وكَثُر سَوَاد الُمبْطِلين، وحُكِم على غير برهان ويقين، بتضليل الدعاة الموحِّدين، وإبطالِ ما كانوا له متجرِّدين، من الدعوة لرب العالمين ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هذه دعوة رب الأرباب، التي نفت الوسائطُ دونه الارتياب، واستبيحت عندها الأموال والرقاب، وافترق الناس فيها بين حلول الجنة وحُسْنِ المآب، والخلود في الهاوية دار العذاب، الُمعَدَّة لأعداء الله من الجنة والناس أجمعين ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) كلام شيخ الإسلام ابن تيمية مجموع من عدة مواضع (اقتضاء الصراط المستقيم ٣/ ٧، ١٣ و ٤/ ٤٦ - ٤٧).

لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ولا يَبْعُدُ أن يكون زماننا هذا الموجود، داخلًا في جملة الزمان الموعود، فأرجو لِمَن استقام فيه على السَّنَن المحمود، أن يجعل الله تعالى له في العمل أجر خمسين، كما ورد عن سيد المرسلين[(١)] ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

الفائدة الثالثة: أطبقت الأمة، واتفقت المقالة، أن الله تعالى لا يجمع هذه الأمة على ضلالة، ولا يَعُمُّها بالسفاهة والجهالة، فعِصْمَتُها مستمرة إلى انقضاء الأمد، لا يُنْكِر ذلك ولا يَجْحَدُه أحد، كما ثبت ذلك في صحيح الأخبار، ونقلته العدول الأخيار، عن النبي المختار[(٢)].

وأخبر أيضًا أن في أمته أناسًا لا يزالون بهديه يستمسكون[(٣)] وفيها بل أكثرهم

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤٣) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) عن أبي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ٣١٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٧٢٩) من حديث ابن عمر مرفوعا: «**إن الله تعالى لا يجمع أمتي على ضلالة**» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٨٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**».

مخطئون، وعن هديه ومنهاجه منحرفون، وهذا الاختلاف وصدور الانحراف، مما زيَّنه الشيطان وتقاضته الطباع، وصار للنفوس إلى ذلك إسراع بعد إزماع، حتى إن ذلك يوجد من بعض العلماء المنتسبين إلى أحد المذاهب المتعصبين، فلا يقبلون من الدين رأيًا ولا روايةً، إلا ما كان لأصحابهم به عمل أو دراية، فيرفض السُّنَنَ الذي أُمِرَ جميعُ الناس بالاستمساك به والاتباع، ويأخذ بهدي أو اختيار بعض الأتباع، ولو تبين له وعرف الحق من غير مذهبه واتضح، ما عَرَّجَ عليه ولا ارتضاه ولا جَنَح، ولا صَدَع بذلك ولا صَدَح.

والواجب على كل إنسان ممن اتصف بصفة الإيمان، أن يُقبل على الحق ويعمل به ممن كان، ولا تحمله الغيرة القلبية، والشهوة المذهبية، على العناد والعصبية، كما يوجد من بعض أهل المذاهب، حَمَلَه التعصب على الطعن - والعياذ بالله - في الأئمة والمثالب.

وترى كثيرًا ممن يدعي العلم والمعرفة، وكذلك من المتعبدة والمتصوفة، لا يَسْلَم بعضهم من بعض، ولا يكون لأعراضهم رفض، بل لا يَعُدُّهم ذلك العالم إلا ضُلَّالًا جُهَّالًا، والعابدُ يرى طريقة العلم سفاهة وضلالًا، ويدعي أن العلماء لم يَشربوا من صافي الشريعة زُلَالًا، ولم يَرِدُوا مِن مَعِينها سَلْسَالًا، ولم يدركوا من الحضرة وصولًا واتصالًا، ولم يُلْفُوا منه قبولًا وإقبالًا، ولقد جاء كلٌّ من أولئك مُحَالًا، وقد ضلوا واللهِ ضلالًا بعيدًا، ولم يقولوا قولًا سديدًا، وإنما الحق والصواب ما جاءت به السنة والكتاب، وما قاله وعمل به الأصحاب، وما اختاره الأئمة الأربعة المقلَّدة في الأحكام المتَّبعة، فقد انعقد على صحة ما قالوه الإجماع، ولا يخرج عنهم إلا مَن رام سَنَنَ الابتداع، فمَن اهتدى بهم بعد الكتاب والسنة فقد رَشَد واهتدى، ومَن فارق ذلك فقد ضَلَّ واعتَدَى.

وللإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر، الذي شاع علمه في الأقطار، وطبق

الأرض في الشهرة والاشتهار، مصنَّف سماه «كتاب العلم»[١] أوعَبَ الكلام فيه على السنة والقرآن، وصرَّح بوجوب التمسك بهما على كل إنسان، خصوصًا ذوي الفضل والشان، في كل قطر وعصر وزمان، ولم ير التقليد من المنهج السديد، إلا فيما لا بد منه ولا غنى للشخص منه عند تعسر الدليل وفقده، وعدم استيفاء له في وُجده[٢].

ولشمس الدين ابن القيم في «إعلام الموقعين» ما يَشْفِي صدور المجتهدين، مِن رَدِّ حُجَج المقلِّدين.

وللأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، وكان مشهورًا بالعلم والفهم، وله من صناعة الشعر أوفَرُ سَهْمٍ، قصائد كثيرة في هذا المعنى، نَهَجَ فيها المنهج الأسنى، فأحببت أن أُثبت فيها «البائية» في هذا الكتاب، لما حَوَتْهُ مِن فَصْلِ الخطاب، وأجاد القول فيها وأصاب، ونصها[٣]:

أمَا آن عمَّا أنت فيه مَتَابُ ... وهل لك مِن بَعْدِ البُعاد إيَابُ
تَقَضَّت بك الأعمار في غير طاعة ... سوى عمل تَرضاه وهو سرابُ
إذا لم يكن لله فِعْلُك خالصًا ... فكل بناء قد بَنَيْتَ خرابُ
فللعمل الإخلاص شرط إذ أتى ... وقد وافَقَتْهُ سنة وكتابُ

---

(١) اسمه الكامل: «جامع بيان العلم وفضله وماينبغي في روايته وحمله».

(٢) قال رحمه الله تحت «باب: فساد التقليد ونفيه، والفرق بين التقليد والإتباع» (ص ٤٤٦):
«هذا كله لغير العامة، فإن العامة لابد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها؛ لأنها لا تبين موقع الحجة، ولا تصل بعدم الفهم إلى علم ذلك؛ لأن العلم درجات، لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة، والله أعلم، ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها..».

(٣) ديوان الصنعاني (ص ٦٥ - ٦٨).

وقد صِين عن كل ابتداع وكيف ذا — وقد طَبَّق الآفاقَ منه عُبَابُ
طغى الماء من بحر ابتداع على الورى — فلم ينجُ منه مركب ولا ركابُ
وطوفان نوح كان في الفلك أهله — فنجَّاهم والغارقون تَبَابُ
فأنَّى لنا فَلَكٌ يُنَجِّي ولَيْتَهُ — يطير بنا عما نراه غُرَابُ
وأين إلى أين المطار وكلُّ ما — على ظهرها يأتيك منه عُجَابُ
نسائل من دار الأراضي سياحة — عسى بلدة فيها هُدىً وصوابُ
فيُخْبِر كَلٌّ عن قبائح ما رأى — وليس لأهليها يكون مَتَابُ
لأنهمُ عَدُّوا قبائح فعلهم — محاسنَ يُرْجَى عندهن ثوابُ
كقوم عراة في ذُرَا مصر ما ترى — على عورة منهم هناك ثيابُ
يدورون فيها كاشفين لعورة — تَوَاتَرَ هذا لا يُقال كِذَابُ
يَعُدُّونهم في مصرَ من فضلائهم — دعاؤُهُمُ فيما يَرون مُجَابُ
وفيها وفيها كلُ ما لا يَعُدُّه — لسان ولا يدنو إليه خطابُ
وفي كل مصرٍ مثل مصرَ وإنما — لكلٍّ مسمّى والجميع ذئابُ
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت له — ذئابٌ وما عنه لهنَّ ذَهَابُ
لقد مزَّقَتْه بعد كل ممزَّق — فلم يبق منه جثة وإهابُ
وليس اغتراب الدين إلا كما ترى — فهل بعد هذا الاغتراب إيابُ
فيا غربة هل يُرْتَجَى منك أَوْبَةٌ — فيُجبر من هذا البُعاد مُصَابُ
فلم يبق للراجي سلامة دينه — سوى عزلة فيها الجليس كتابُ
كتاب حَوَى كل العلوم وكلّ ما — حواه من العلم الشريف صوابُ
فإن رُمْتَ تاريخًا رأيت عجائبا — ترى آدمًا إذ كان وهو ترابُ
ولاقيت هابيلًا قتيل شقيقه — يواريه لَمَّا أن رآه غراب
وتنظر نوحًا وهو في الفلك إذ طغى — على الأرض من ماء السحاب عُبَابُ

وإن شئت كل الأنبياء وقومهم وما قال كلٌ منهم وأجابوا
ترى كل ما تَهْوَى وفي القوم مؤمن وأكثرهم قد كذبوه وخابوا
وجنات عدن حورها ونعيمها ونار بها للمسرفين عذابُ
فتلك لأرباب التقى و هذه لكل شقيٍّ قد حواه عقابُ
وإن تُرِدِ الوعظ الذي إن عَقَلْتَه فإن دموع العين عنه جوابُ
تجده وما تهواه من كل مشرب فللروح منه مطعم وشرابُ
وإن رُمْتَ إبراز الأدلة في الذي تريد فما تدعو إليه مُجَابُ
تدل على التوحيد فيه قواطع بها قُطِعَت للملحدين رقابُ
وفيه الدواء من كل داء فثق به فوالله ما عنه ينوب كتابُ
وما مطلب إلا وفيه دليله وليس عليه للذكي حجابُ
ولكنَّ سكان البسيطة أصبحوا كأنهم عمَّا حواه غِضَابُ
فلا يطلبون الحق منه وإنما يقولون من يتلوه فهو مُثَابُ
فإن جاءهم فيه الدليل موافقًا لما كان للآباء إليه ذهابُ
رَضَوه وإلا قيل هذا مؤول ويركب في التأويل فيه صعابُ
تراه أسيرًا كل حَبْرٍ يقوده إلى مذهب قد قررته صِحَابُ
أتعرض عنه عن رياض أريضة وتعتاض جهلًا بالرياض هِضَابُ
يريك صراطًا مستقيمًا وغيره مفاوز جهل كلها وشعابُ
يزيد على مَرِّ الجديدَين جِدّة فألفاظه مهما تَلَوْتَ عِذابُ
وآياته في كل حين طرية وتبلغ أقصى العمر وهي كِعَابُ
ففيه هدى للعالمين ورحمة وفيه علوم جمة وثوابُ
فكل كلام دونه القشر لا سوى وذا كلُّه عند اللبيب لُبَابُ
دعوا كل قول غيره وسوى الذي أتى عن رسول الله فهو صوابُ

وعَضُّوا عليها بالنواجذ واصبروا　عليه ولو لم يبق في الفم نابُ
تروا فيه ما ترجون من كل مطلب　إذا كان فيكم همة وطِلَابُ
أطيلوا على السبع الطوال وقوفكم　تَدِرُّ عليكم بالعلوم سحابُ
فكم من ألوف في المِئِين فكن بها　ألوفًا تجد ما ضاق عنه حسابُ
وفي طي أثنا المثاني نفائس　يطيب لها نشر ويُفتح بابُ
وكم من فصول في المفصَّل قد حوت　أصولًا إليها للذكي مآبُ
وما كان في عصر الرسول وصحبه　سواه الهدى للعالمين كتابُ
تلا فُصِّلَت لما أتاه مجادل　فأبلس حتى لا يكون جوابُ
أقر بأن القران فيه طلاوة　ويعلو ولا يعلو عليه خطابُ
وأدبر عنه هائمًا في ضلاله　يدبِّر ما ذا في الأنام يُعَابُ
وقد قال وصي المصطفى ليس عندنا　سواه وإلا ما حواه قِرَابُ
وإلا الذي أعطاه فهمًا إلهه　بآياته فاسأل عساك تُجَابُ
فما الفهم إلا من عطاياه لا سوى　بل الخير كل الخير منه يُصَابُ
سليمان قد أعطاه فهمًا فناده　يجبك سريعًا ما عليه حجابُ
وسل منه توفيقًا ولطفًا ورحمةً　فتلك إلى حسن الختام مآبُ

الفائدة الرابعة: في بيان ما جرى في غربة الإسلام، التي وعد بها خير الأنام، وأخبر بوقوعها قبل انقراض الأيام، وكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام بإلهام من الله تعالى له وإعلام، فوقع ذلك وصدر، وبدا محياه وظهر، كما نطق به الأثر، وأفصح به الخبر[(١)].

---

(١) ينقل ابن غنام هذه الفائدة الرابعة من كتاب «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» لابن رجب رحمهما الله، بتصرف.

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»[١].

وقد رواه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود بزيادة في آخره، وهي: قيل: يا رسول الله، من الغرباء؟ قال: «**الذين يُصلِحُون إذا فسد الناس**»[٢].

وخرَّجه غيره، وعنده: قال: «**الذين يفرّون بدينهم خوف الفتن**»[٣].

وخرجه الترمذي من حديث كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ: «**إن الدين بدأ غريبًا ويرجع غريبًا، فطوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي**»[٤].

وخرجه الطبراني من حديث جابر عن النبي ﷺ وفي حديثه: قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «**الذين يصلحون حين يفسد الناس**»[٥].

وخرجه أيضًا[٦] من حديث شريك بن سعد[٧] بنحوه.

---

(١) صحيح مسلم (١٤٥).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٧٣) بهذا اللفظ من حديث عبد الرحمن بن سَنَّة الأشجعي.
(٣) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١٦٨) من حديث عبد الله بن عمرو، ﵄، موقوفًا قال: أحب شيء إلى الله تعالى الغرباء. قيل: أي شيء الغرباء؟ قال: الذين يفرون بدينهم، يجمعون إلى عيسى بن مريم ﵇. وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٧١).
(٤) الجامع للترمذي (٢٦٣٠) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٤٤١).
(٥) المعجم الأوسط (٤٩١٥).
(٦) في المعجم الكبير (٦ / ٢٠٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٨): «رجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة».
(٧) الصواب: سهل بن سعد؛ كما عند الطبراني، وابن غنام تابع الحافظ ابن رجب على هذا الوهم؛ لأنه ينقل من كتابه «كشف الكربة في وصف حال أهل الغُربة» (ص ١٥).

وخرجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ حديثه: «**فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس**»(١).

وخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «**طوبى للغرباء**» قلنا: وما الغرباء؟ قال: «**قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**»(٢).

وروي عن عبد الله بن عمرو، مرفوعًا وموقوفًا، في هذا الحديث: قيل: ومن الغرباء؟ قال: «**الفرارون بدينهم، يبعثهم الله تعالى مع عيسى بن مريم** عليه السلام»(٣).

ومعنى ظهور الإسلام غريبًا أن الخلق قبل مبعثه ﷺ على ضلالة، فدعا إلى الإسلام، فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة، وكان المستجيب له خائفًا من عشيرته وقبيلته، ويؤذى ويشرد ويعذب ويقتل، فيهربون إلى البلاد النائية، كالحبشة، ثم إلى المدينة بعد الهجرة، فصار الداخلون قبل الهجرة غرباء، ثم أتم الله تعالى نعمته على المسلمين، وأكمل لهم الدين، وقُبِضَ سيد المرسلين، فاستمروا على الاستقامة والتعاضد والنصرة في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حتى أعمل الشيطان مكائده على المسلمين، وألقى بأسهم بينهم، وأفشى فيهم فتنة الشهوات والشبهات، فاصطاد الأكثر بهما معًا أو بإحداهما، فكان ذلك كما أخبر به النبي ﷺ.

وفي صحيح البخاري عن عمرو بن عوف عن النبي ﷺ قال: «**والله ما الفقر**

---

(١) المسند (١/ ١٨٤)

(٢) المسند (٢/ ١٧٧) والمعجم الأوسط (٨٩٨٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٣٩٢١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٥) مرفوعًا، وقد تقدم الموقوف قبله بقليل.

أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم، كما بُسطت على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلككم كما أهلكتهم»(١).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**كيف أنتم إذا فُتحت عليكم خزائن فارس والروم! أي قوم أنتم!**» قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمر الله تعالى. قال: «**أو غير ذلك؛ تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون**»(٢).

وفي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ معناه أيضًا(٣).

ولما فُتحت كنوز كسرى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بكى، فقال: إن هذا لم يُفْتَحْ على قوم قط إلا جُعِلَ بأسهم بينهم(٤). أو كما قال.

وكان النبي ﷺ يخشى على أمته هاتين الفتنتين، كما في مسند الإمام أحمد عن أبي برزة، عن النبي ﷺ قال: «**إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الفتن**» وفي رواية «**ومضلات الهوى**»(٥).

فلما عمت فتنة الشهوات في تلك الأوقات، وأصبح الخلق إلى زهرة الدنيا في التفات، وصار لهم منتهى المراد، وجَدُّوا لها في الارتياد، ارتكبوا المعاصي والكبائر، ووقعوا في التباغض والتدابر، بعد أن كانوا إخوانًا، وعلى التناصر أعوانًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠١٥) ومسلم (٢٩٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٤٢) ومسلم (٢٢٩٦).

(٤) تاريخ الطبري (٢/ ٤٧١).

(٥) المسند (٤/ ٤٢٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ٥٢، ٢١٤٣).

وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة، فسببها تفرق أهل القبلة، فصاروا شِيَعًا وفِرَقًا وأحزابًا، وأكثرهم لِسَنَنِ الضلال طُلابًا، وفتحوا من البدع والغيّ أبوابًا، وقذفتهم الفتنة في مضلة المفاسد، وبيداء الإبداع والتباعد، ومقفرة التقاطع والتحاسد، بعد أن كانوا على قلب رجل واحد، وانتهجوا من الردى مهالك، فلم ينج من أولئك إلا الفرقة الناجية، وهم المذكورون في قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»(١) وهم الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث، الذين يَصْلُحُون إذا فسد الناس، ويُصْلِحُون ما أفسد الناس، وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن، وهم النُّزَّاع من القبائل.

وخرج الطبراني من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ في أشراط الساعة قال: «**وإن من أشراطها أن يكون المؤمن في القبيلة أقلَّ من النَّقَد**»(٢) أي: صغار الغنم.

وفي مسند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت، أنه قال لرجل من أصحابه: يوشك إن طالت بكم حياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبداه، فأحل حلاله، وحرم حرامه، ونزل عند منازله، ما يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار(٣).

ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه: سيأتي على الناس زمان يكون المؤمن أذلَّ فيه من الأَمَة(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية.
(٢) المعجم الأوسط (٤٨٦١).
(٣) المسند (٤/ ١٢٥) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الترغيب ٢١).
(٤) أخرجه الجرجاني في الأمالي (٢/ ٢١٧).

وإنما ذَلَّ المؤمن في آخر الزمان لغربته بين أهل الفساد، ومباينته في القصد والمراد، ومخالفته لطريقهم المعتاد.

قال أحمد بن أبي عاصم، وكان من كبار العارفين في زمن أبي سليمان الداراني: إني أدركت من الأزمنة زمانًا عاد فيه الإسلام غريبًا، وعاد وصف الحق غريبًا كما بدأ؛ إن ترغب فيه إلى عالم وَجَدتَه مفتونًا بحب الدنيا، يحب التعظيم والرياسة، وإن ترغب فيه إلى عابد وَجَدتَه جاهلًا في عبادته مخدوعًا، صريع عدوه إبليس، قد صعد به إلى أعلى درجات العبادة، وهو جاهل بأدناها، فكيف له بأعلاها . . . إلى آخره. خرجه أبو نعيم في الحلية[١].

وخرَّج أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده إلى الحسن قال: لو أن رجلًا من الصدر الأول بُعِثَ اليوم، ما عرف من الإسلام شيئًا إلا هذه الصلاة. ثم قال: أما والله لئن عاش على هذه المنكرات، فرأى صاحب بدعة يدعو إلى بدعته، وصاحب دنيا يدعو إلى دنياه، فعصمه الله تعالى، وقلبه يحن إلى ذكر السلف، فيتبع آثارهم، ويَسْتَنُّ بسُنَّتِهِم، ويَتَّبِعُ سبيلهم، كان له أجر عظيم.

تتمة:

مَدَحَ كثير من السلف السُّنَّة، ووصفها بالغربة، ووصف أهلها بالقلة.

فكان الحسن، رحمه الله تعالى، يقول لأصحابه: يا أهل السنة، تَرَفَّقُوا رحمكم الله، فإنكم من أقل الناس[٢].

وقال يونس بن عبيد: ليس شيء أغرَبَ من السُّنَّة، وأغرَبُ منها مَن يَعرفها[٣].

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ٢٨٦).
(٢) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٧).
(٣) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٨).

وعن سفيان الثوري قال: استوصوا بأهل السنة خيرًا؛ فإنهم غرباء[١].

ومراد هؤلاء الأئمة بالسُّنَّةِ طريقةُ النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه، السالمةُ من الشبهات والشهوات، وهي التي وَرَدَ للمتمسِّكِ بها والعاملِ أجرُ خمسين ممن قبلهم، وأن المتمسِّكَ بدينه كالقابض على الجمر.

ثم صارت السُّنَّةُ، في عرف كثير من العلماء المتأخرين، هي السالمة من الشبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا الباب تصانيف سَمَّوْهَا «كتب السنة» وإنما خَصُّوا هذا العلم باسم «السُّنَّة» لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا جُرُفٍ.

والغربة عند أهل الطريقة غربتان: ظاهرة وباطنة[٢]:

فالظاهرة: غربة أهل الصلاح بين الفساق، وغربة الصالحين بين أهل الرياء والنفاق، وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق، وغربة علماء الآخرة بين علماء الدنيا الذين سُلِبُوا الخشية والإشفاق، وغربة الزاهدين بين الراغبين فيما يَنْفَدُ وليس بباق.

وأما الغربة الباطنة: فغربة الهمة، وهي غربة العارفين بين الخلق كلهم، حتى العلماء والزهاد، فإن أولئك واقفون مع عبادتهم وعلمهم وزهدهم، وهؤلاء واقفون مع معبودهم لا يُعَرِّجُون عنه.

❑ ❑ ❑

---

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٦٤).

(٢) من «مدارج السالكين»؛ لابن القيم (٣ / ١٩٤ - ٢٠٥) - بتصرف -.

الفصل الثاني
في نسب الشيخ ومبدإ أمره، وما جرى عليه في قيامه بتلك الدعوة من أهل مصره، وما صادمه به علماء عصره

أما نَسَبُهُ، رحمه الله تعالى، وأفاض عليه سُحُبَ غفرانه ووَالَى، فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بُريد بن محمد بن بُريد بن مشرّف[(١)].

وُلد، رحمه الله تعالى، سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية، في بلد العُيَيْنَة من البلدان النجدية، فأنبته الله تعالى نباتًا حسنًا، وجلا به عن طُرَفِ الدهر وسَنًا، وبقي بعد سن الطفولية زمنًا يتعلم في تلك القرآن، معتزلًا في غالب الأوقات لعب الصبيان، ولهو الجهال والغلمان، حتى حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغه العشر، وكان حادَّ الفهم سَرِيًّا، وَقَّاد الذهن ذكيًّا، سريع الحفظ، فصيح اللفظ، ألمعي الفطنة نبيه، اشتغل في العلم على أبيه، وجَدَّ في الطلب، وأدرك بعض الأَرَب، وهو في بلد العُيَيْنَة في تلك الحال، قبل رحلته لطلب العلم والارتحال، وتَطْوَافِهِ له في كثير من البلاد، حتى نال منه المراد، وفاز بالسعد والإسعاد، وحاز الرشد والإرشاد.

---

(١) وبقية نسبه ﷺ كما هو محفوظ عند ذرّيته، وفي مشجرة عشيرته آل الشيخ، وعند قبيلته الوهبة، وهو كذلك المعتمد عند مترجميه، وعند مشاهير النسّابين: بن عمر بن معضاد بن ريّس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سُنَيْع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. =

وكان والده قد توسم ذلك فيه، ويحدِّث بذلك ويبديه، ويؤمل ذلك منه ويرجوه، كما حدّث به سليمان أخوه، قال: كان عبد الوهاب أبوه يتعجب من فهمه وإدراكه، قبل بلوغه وإدراكه، ومناهزته الاحتلام وإفراكه، ويقول أيضًا: لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام. أو قريبًا من هذا الكلام.

وقد كتب والده إلى بعض إخوانه رسالة، نَوَّه فيها بشأنه، يثني فيها عليه، وأن له فهمًا جيدًا ولديه، ولو يلازم الدرس سَنَةً على الولاية، لظهر في الحفظ والإتقان آية، «وقد تحققتُ أنه بلغ الاحتلام، قبل إكمال اثنتي عشرة سنة على الإتمام، ورأيته أهلًا للصلاة بالجماعة والائتمام، فقدمته لمعرفته بالأحكام، وزَوَّجْتُهُ بعد البلوغ في ذلك العام، ثم طلب مني الحج إلى بيت الله الحرام، فأجبته بالإسعاف لذلك المرام، فحج وقضى ركن الإسلام، وأدى المناسك على التمام، ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام، وأقام فيها شهرين، ثم رجع بعد ذلك فائزًا بأجر الزيارة والمناسك».

وأخذ في القراءة على والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد، فسلك فيه الطريق الأحمد، ورُزِقَ مع الحفظ سرعةَ الكتابة، فكان يُحِير أصحابه، بحيث

= انظر: «علماء الدعوة»؛ للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ (ص٦)، و«مشاهير علماء نجد وغيرهم»، له أيضًا (ص٢٠)، و«البيان الواضح لأسرة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله حتى سنة ١٣٩٣»؛ للشيخ عبدالله بن إبراهيم آل الشيخ (ص٥)، و«العلماء والكتّاب في أشيقر»؛ لعبدالله بن بسّام البسيمي (١/ ١٩٣)، و«شجرة نسب شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبدالوهاب وأبنائه وأحفاده»؛ لإبراهيم بن عبدالرحمن آل الشيخ، و«علماء نجد خلال ثمانية قرون»؛ للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسّام (١/ ١٢٥)، و«مثير الوجد في أنساب ملوك نجد»؛ لراشد بن علي بن جريس (ص١٠٦ - ١١٤)، وترجمة مخطوطة للشيخ سليمان بن علي بن مشرّف بخط المؤرخ إبراهيم بن عيسى، و«درر نحور الحور العين»؛ للطف الله جحاف (ص٥٤٧). ولمزيد من الوثائق والتفاصيل انظر: «نسب الوهبة التميميين وعشائرهم»؛ للدكتور خالد الوزان، والشيخ عبدالله البسيمي.

إنه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراس، من غير سآمة ولا نصب ولا التباس، ثم بعد ذلك رحل في العلم وسار، وجَدَّ في الطلب إلى ما يليه من الأمصار، وما يحاذيه من الأقطار، فزاحم فيه العلماء الكبار، وأشرق طالعه واستنار، وصار لهلاله أقمار، فوطئ الحجاز والبصرة لذلك مرارًا، وأتى الأحسا لتلك الأوطار، وأخذ العلم عن جماعة؛ منهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي[1] ثم المدني، وأجازه من طريقين، وأول حديث سمعه منه الحديث المشهور المسلسل بالأوليّة، نقلتُ من خطه ما نصه:

حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم، بمنزله بظاهر المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عن شيخ الإسلام ومفتي الشام أبي المواهب الحنبلي، إجازة، قال: أخبرنا والدي تقي الدين عبد الباقي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته، قال: أخبرنا به المعمَّر الشيخ عبد الرحمن البُهُوتي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصاري الخزرجي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به والدي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا الصلاح محمد بن محمد الحِكْرِي الصوفي الخازن، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الصدر أبو الفتح المِيدُومي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به الحافظ إسماعيل بن صالح النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه، قال:

---

(١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤/ ٦ - ١٠).

أخبرنا والدي أبو حامد صالح المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به أبو طاهر محمد بن محمد الزياد، وهو أول حديث سمعته منه، قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزار، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن ستر بن الحكم النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: **«الرحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»**[1] تفرد به سفيان، ولا يصح سنده عمن فوق سفيان، والله أعلم.

وحدث أيضًا عنه بالمسلسل بالحنابلة، قال رحمه الله:

حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم الحنبلي، بمنزله بظاهر المدينة النبوية، عن شيخ الإسلام ومفتي الشام: أبي المواهب بن تقي الدين عبد الباقي، الحنبليان عفا الله عنهما، إجازة عن والده تقي الدين المذكور، قال: أخبرنا شيخنا عبد الرحمن البُهُوتي، أخبرنا الشيخ تقي الدين بن النجار الفتُوحي، صاحب «منتهى الإرادات» أخبرنا والدي شهاب الدين أحمد، قاضي القضاة الحنبلي، أخبرنا بدر الدين الصَّفَدي، الظاهري الحنبلي، أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلي، أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله الرُّصَافي قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلي قال: أخبرنا أبو الحسن بن علي الحنبلي قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الإمام أحمد الحنبلي قال: حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل، إمام كل حنبلي، عن ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا**

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٣) والترمذي (١٩٢٤) من طريق سفيان بن عيينة. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترمذي ٢٠٠٦).

أراد الله بعبده خيرًا استعمله» قالوا: كيف يستعمله؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل موته»**(١)، هذا حديث عظيم، قد وقع ثلاثيًّا للإمام أحمد رضي الله عنه.

وقد سمع رحمه الله، الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة، وقرأ بها النحو وأتقن تحريره، وكتب الكثير من اللغة والحديث في تلك الإقامة، ويحث على طريق الهدى والاستقامة، وكان أكثر لُبْثِهِ لأخذ العلم بالبصرة ومقامه، وقد نشر للتوحيد فيها لدى بعض الناس أعلامَه، وحقق لهم في ذلك الشأن إتقانه وإعلامه، وأوضح لهم سبيله وأحكامه، فقال: إن الدعوة كلها لله، يكفر من صرف شيئًا منها إلى سواه.

وإذا ذَكَرَ أحدٌ بمجلسه شاراتِ الطواغيت أو الصالحين، الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين، نهاه عن ذلك وزجره، وبيّن له الصواب وحذره، وقال له: محبة الأولياء والصالحين إنما هي اتباع هديهم وآثارهم، والاستنارة بضياء أنوارهم، لا صرف الحقوق الربانية إلى الأجسام الوثنية. وقد وقع ذلك بمجلسه مرة، فأبدى للقائل نهيه وزجره، وأظهر عليه إغلاظه ونُكْرَه، فتغير وجه القائل وجال، واستغرب ذلك المقال، وقال: إن كان ما يقوله حقًّا هذا الإنسان، فالناس ليسوا على شيء من زمان. قال رحمه الله تعالى: وكان ناس من مشركي البصرة يأتون إليّ، بشبهات يُلْقُونها عليَّ، فأقول وهم قعود لديَّ: لا تصلح العبادة كلها إلا لله. فيَبْهَت كلٌّ منهم فلا ينطق فاه.

ثم رجع بعد ذلك السفر، فإذا والده عبد الوهاب قد رفض سكنى العُيَيْنَة وهَجَر، واختار سكنى حُرَيملَا، فأقام بها واستقر، فأقام فيها مع أبيه، يُعلن بالتوحيد ويبديه، وينادي بإبطال دعوة غير الله ويغشيه، وينصح من عدل عن الحق والرشاد، ويسلك في ذلك سبيل السداد، ويزجر الناس عن الشرك والباطل والفساد، حتى رفع الله تعالى شأنه فساد.

وجَدَّ رحمه الله تعالى في تعليم الواجب، وبذل المناصحة للخاص والعام، ونشر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٠٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٣٠٥).

شرائع الإسلام، ومهّد سنة محمد عليه الصلاة والسلام، وإزالة ما غطى القلوب من رين الشرك، الذي هو أعظم الذنوب، وكشف الذنوب المظلمة للناس، وإماطة أذى اللبس والالتباس، ويحذرهم إن داموا على ما هم فيه وقوع النقمة والباس، ورفض منهج الغلول والخيانة، وأدى من العلم الأمانة، وترك ما كان علماء السوء قبله له سالكون، وفي قعره العميق راكسون، وفي أرجائه المغبرة ماكثون، وخشي الوقوع في تغليظ الوعيد، كما نطق به القرآن المجيد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾، فأي وعيد فوق هذا الوعيد؟ وأي تهديد وراء هذا التهديد؟ كَلَّا، ما على لعنة الله من مزيد، فلِلّهِ دَرُّهُ من جهبذ عالم، وداعٍ إلى توحيد الله قائم، وناصحٍ لله ملازم، ومجدِّدٍ لتلك المشاهد السنية والمعالم، ومُحْيٍ لآثار سلفية لم يبق منها سوى الأطلال والمراسم، ومُمِيتٍ لبدع رَفْضِيَّة شابهت المجوسية، وأمور شركية اعتقدها أكثر البرية، أمور إحنةٍ دينية، فأقاموا لها أعيادًا ومواسم، وعكفوا عليها والأغلب لها سائم، ولتشييدها والذب عنها رائم، بل الكل لم يكن منها سالم.

فانتدب هذا الإمام، الذي أضحى بهديه الدين مشرقًا باسمًا، والباطل بحُججه مظلمًا سادمًا، مناديًا على رؤوس العوالم، بإخلاص العبادة لله وتنكير الإشراك لله والمظالم، وإبطال دعوة غيره من نبي وولي وظالم وحاكم، فلم يَخَفْ في الله لومة لائم، حتى نال من مولاه المِنَح العظائم، والعطايا الكرام الجسائم، وحاز منه أسنى الصِلاة والغنائم، وفاز منه بأوفر المغانم، واختار الله تعالى وما عنده، وبذل في طاعته جهده، وطاقته وجِدَّه، ووُسْعَه ووُجْدَه، حتى أنجز الله تعالى له وعده، وكثر بعد ذلك مُحِبُّهُ وجنده، وأجزل عطيته ورِفْدَه، وصار له بتلك الدعوة والقيام، توكل على ربه واعتصام، فلم يبال بجميع الأنام، وما رَمَوه به من الفوادح العظام، وما فَوَّقُوا له من تلك السهام، فلم يكن لهم إليه وصول، وصار كل منهم عنه مغلول، وحَدُّ لسانه مفلول، حتى بدا له في أفق تلك البلد طالع القبول، ولمع فيه بارق سيف الحق المسلول، وانحط ذُرا

الضلال وانقطع حبله الموصول، وعصفت به عواصف الدَّبُور بعد الشَّمَال والشمول، وصار لنجمه كسوف وأفول، والعود المورق باللهو والمزامير والطبول، بعد غضته ونظارته يُبس وذبول، ولجسمه الممتلئ بالفواحش نحول؛ فانتظم في سلك الإمام رجال وعصابة فحول، فاتخذوه جليسًا وأنيسًا، واقتدَوا به في كل ما يقول، فكانوا لطريقته المثلى مُتَّبِعين، وبأقواله وأفعاله مُقْتَدِين، وبهديه الواضح مُهْتَدِين، لا يزالون معه في إخلاص الدعوة مشمِّرين، وفي إدحاض الباطل وأهله مجتهدين، وبإيضاح مناهج الشرك مُعْلِنين، وفيما يُرْضِي الله مُسْرِعِين، ولأهل الدين والحق مُكْرِمين، ولأهل الضلال مُوهِنين، وللضُّلَّال والفُسَّاق مُهِينين، ولقبح عقائدهم لهم مُبْيِنين، قائمين في ذلك لرب العالمين، ولوجهه الكريم محتسبين، وفي الفوز غدًا مؤمِّلين، وللنجاة مُرْتَجِين، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

وكان هؤلاء الرجال ملازمين للشيخ في جميع الأحوال، وكان في تعليمهم وإرشادهم لا يزال، فقرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير، وحقق لهم ذلك أتم التحقيق والتحرير، وكان رحمه الله في تلك المدة يروّع كل معاند ومعارض، فاشتهر حاله في جميع بلدان العارض، في حُرَيملا والعُيَيْنَة والدرعية والرياض ومنفوحة، فلم يكن لبعضهم عن اتباع ذلك الحق مندوحة، لكون رب العباد كتب السعادة قبل الميلاد، فكان لأجل ذلك ذا أهبة واستعداد، لما حظي بالمدد والإمداد، فتنور قلبه بضياء الرشاد، وهو مقيم في تلك البلاد، فأتى إليه ناس كثير، وانحاز لدعوته جم غفير، وكان الناس عند ذلك حزبين، وانقسموا فيه فريقين: فريق أحبه وما دعا إليه، فعاهده على ذلك وبايعه، وحذا حذوه وتابعه، وفريق أنكر ذلك عليه، وهم الأكثر، حتى أعزه الله تعالى عليهم وأظهر، وصار الخلق فيه مختلفين، وفي تلك الأمور متحيرين، والأكثر في مراتع الحيرة يُسيم[1]،

(١) أي: يذهب على وجهه حيث شاء.

وفي مرابع الشك والريب مقيم ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فلم يزل رحمه الله تعالى دأبه القيام، ونشر دعوة الملك العلام، على الاستمرار والدوام، حتى لهج بالإنكار عليه كثير من ذوي العلم والأفهام، وركضوا مع الرؤساء والشياطين والطَّغَام، فقلدوهم في ذلك الأمر العوام، فكان للجميع على الأنكال انتظام، وعلى الإعانة في ذلك التزام.

فأقام رحمه الله تعالى، وأفاض عليه بره ووالى، في بلد حُرَيملا سنين ينشر أعلام التوحيد، ويبدي في المحافل الدر النضيد، وجوهر الحق الفريد، وصنف في تلك الإقامة كتاب «التوحيد» ونشر أعلامه، ثم بعد ذلك عزم على المسير عنها والارتحال، والإقامة بالعُيَيْنَة، فجد في الرحيل والانتقال، وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمر، لقبول هذا الدين الذي أحياه ذو القلب المنوّر، فدخل منه شيء في قلبه، وأعلن عند جماعته وصحبه، بتقريبه وحبه، فحين وصل تلك البلد، قام معه عثمان وقعد، وساعده على ذلك واجتهد، وأمر الناس له بالاتباع، وعدم المشاقة له والنزاع، وألزم الخاصة والعامة، أن يمتثلوا أمره وكلامه، ويسلكوا سبل الاستقامة، ويظهروا توقيره وإكرامه، فكان بعد ذلك الأمر والإلزام، وصدور ذلك الاعتناء التام، وشدة الرغبة والاهتمام، وإبداء التعظيم له والاحتشام، تُسمع أقواله وتطاع، وتملأ الصدور والأسماع، فصار للزيغ ارتداع، وقمع وإقلاع، وللحق والهدى اتباع، ففشا الدين في بلدان العارض المعروفة، وأكثرهم قلوبهم عن ذلك النور مصروفة، وعلى ما كانوا عليه من الأمور المألوفة، ملازمة محبوسة موقوفة.

ولكن لم يصبر على الإقامة بذلك المكان، مع مشاهدته فيه الأوثان، فعند ذلك أمر الشيخ محمدٌ الأميرَ عثمان، بهدم القُبب والمساجد المبنية في الجبيلة

على قبور الصحابة، وقطع الأشجار التي كانت الخلق لها في كل ساعة منتابة، فبادر عثمان لذلك وامتثل، وخرج الشيخ معه وجماعتهم على عجل، وخرجوا بالمعاول، والكل للأجر آمل، فهدموا تلك المساجد، وأزالوا رفيع المشاهد، وأزالوا جميع المحظور، عن جميع تلك القبور، وعُدِّلَت على السَّنَن المشروع، واندرس الأمر الممنوع، وهُدِم رفيع ذلك البناء، وبَطَل ذلك التعظيم لها والاعتناء، وخر شامخ الأحجار، وخر ما في العارض من معبَّدات الأشجار، كشجرة قريوه وأبي دجانة والذيب، فلم يكن أحد إلى التبرك بهما ينيب، ولم تسألها من لم تتزوج مثل العادات زوجًا حبيب، وليس هذا في تلك الأزمان بغريب، وليس وقوع أقبح منه بعجيب.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى هو الذي باشر قطع شجرة الذيب بيده مع بعض أصحابه، فنال من ربه جزيل أجره وثوابه، وقطع شجرة قريوه ثنيانُ بن سعود ومشاري بن سعود وأحمد بن سويلم، وجماعة سواهم، فأدركوا من الفوز مُناهم، فلم يبق وثن في البلدان التي كانت تحت يد عثمان، وشاع ذلك واستبان، ونعم بذلك بأهل الإيمان، وصلحوا حالًا من ذلك المكان، وانتشر الحق من ذلك الأوان، واشتهر الأمر وبان، وسارت بذلك الركبان، فأنكرت ذلك قلوب الذين حقت عليهم كلمة العذاب، وقالوا مثلما قال الأولون، ذوو الكفر والإعجاب: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ فأخذوا في رده والإنكار عليه، وأتوا بأعظم الأسباب، وزَجُّوا الخلق في لُجَّة الضلال والارتياب، وضَجُّوا على كلمة الحق بالتكذيب والإكذاب، وعَجُّوا مُطْبِقِين على الشيخ بأنه ساحر ومُفْتَرٍ أو كذاب، وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله، وجميع من له من الأصحاب ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

وأَشَرُّ الناس والعلماء إنكارًا عليه، وأعظمهم تشنيعًا وسعيًا بالشر إليه،

سليمان بن سحيم وأبوه محمد، فقد أَتْهَمَ في ذلك وأَنْجد، وجَدَّ في التحريش عليه والتحريض، وهيأوا له أسباب الجريض[(١)]، وأرسل بذلك إلى الأحسا والحرمين والبصرة، فلم ينل من مراده سوى الخزي والعار والحسرة، ولم يحصل من مراده بغير العثرة، ولقد كاد وشَنَّع وعادى وحشر، علماء السوء ونادى وكذب عليه وبَهت وزَوَّر، وجَدَّ في دحض الهدى وشَمَّر، وسعى في إبطاله وما قَصَّر، وبعث الطُّرُوس مُتْرَعَة بالباطل والمَيْن، إلى علماء الأحسا والبصرة والحرمين، فقاموا معه فورًا بالإنكار، وأفتوا للحكام والسلاطين والأشرار، بأن القائم بدعوة التوحيد حتى أشرق لها أنوار، خارجي لها وبَيَّض في الأقطار، خارجي ليس له في الحق تثبت ولا قرار، وأنه من لَظَى الجحيم والنار، على شَفَا جُرُف هار، بل جزم أكثر علماء الأمصار، في تلك الأزمان والأعصار، بأن هذا المبين لآثار السلف الأخيار، المتبع لهدي نبيه المختار، من أقبح الضُّلَّال والفُسَّاق والكفار، وأشر الخوارج والفجار، وحسبوا أنهم إذا حَرَّشوا عليه الحكام، يَجِدُّون في قتله ويجتهدون، فيفوزون حينئذ بما كانوا يؤملون، ولقد عرفوا أن الذي جاء به الحق، ولكنهم لذلك كانوا يكتمون ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، فصنفوا المصنفات في تبديعه وتضليله، وتغييره للشرع النبوي وتبديله، وعدم معرفته بأسرار العلوم وتجهيله، وسطَروا فيها الجزم بكفره، وبطلان حجته ودليله، وأوحى ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

فأطبق أهل الباطل والضلال على قبيح تلك الأقوال، وأرهفوا أسنة المقال،

(١) الجريض: غُصص الموت.

والكل خاض في الإفك ونال، فآب بالخسران والإذلال، ورجع ولله الحمد بخيبة الآمال ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾.

والذي تولى منهم هذا الأمر الكبير، واقتحم لُجَجَ مَوْجِهِ الخطير، وشمَّر فيه أعظم التشمير، وتنادى عليه مع أعوانه لأجل التغيير، حسدًا وبغيًا لفوزه بهذا الفضل الكثير، والفخر النابل المنير: سليمان بن سحيم[١]، وأبوه محمد، من مطاوعة الرياض، والمويس[٢] من أهل منيخ، وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف[٣]، ومحمد بن عبد الرحمن بن عفالق[٤]، فصار كلٌّ من هؤلاء معاندًا مجادلًا مشاقق، وحذروا منه جميع الأنام، وأخرجوه بلا شك من حوزة الإسلام، وأغروا به الخاص والعام، خصوصًا السلاطين والحكام، وقطعوا لهم

(١) انظر ترجمته في «علماء نجد»؛ للبسام (٢ / ٣٨١ - ٣٨٢) قال: «وكان من أشد أعداء دعوة الشيخ محمد». وانظر: بحث «موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»؛ للدكتور عبدالله العثيمين، منشور ضمن كتابه «بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية» (ص ٨٩ - ١١٣)، ورسالة: «المعارضة المحلية لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد»؛ للدكتور محمد النويصر (ص ١٤٦ - ١٤٧).

(٢) انظر ترجمته في «علماء نجد» (٤ / ٣٦٤ - ٣٦٩). وهو قاضي بلدة حرْمه، ومنيخ يُطلق على حرْمه والمجمعة - كما سيأتي -، وانظر رسالة الدكتور النويصر السابقة (ص ١٤٨ - ١٥٧).

(٣) من الأحساء. انظر ترجمته في «سبائك العسجد»؛ لابن سند (ص ٩٤). وانظر عن علاقته بالشيخ محمد ومادار بينهما من مكاتبات: رسالة: «المعارضة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الأحساء»؛ للدكتور محمد النويصر (ص ٢٠٨ - ٢٢٣).

(٤) من الأحساء. انظر ترجمته في «السحب الوابلة» (ص ٩٢٧ - ٩٢٨). وانظر رسالة الدكتور النويصر السابقة (ص ١٨٩ - ٢٠٨).

أنه رافض شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، وأنه مغير لمنار السنة والأحكام، وليس له منها تمسك والتزام، ولا بالدين أخذ واعتصام، فليس له ولا لأصحابه عهد ولا ذِمَام، ولم يكن له قصد ولا مَرَام، إلا تنفير الخواص والعوام، وملء قلوب الجهال والطَّغَام، بما يبديه لهم من ذلك الكلام، فيقومون بالمشاقة على الحكام والولاة، ويكونون عليهم عتاة، وبما يأمرونهم به في جميع الأحوال عصاة، فهذا غايته ومناه، ومنتهى مراده وأقصاه.

يخوفونهم بهذه الأقاويل، ويجلبون لهم أنواع الأباطيل، ويحذرونهم منه أنه إن تمكن أمره في البلاد، أزال جميع المنكرات والفساد، وقطع جميع ما كان من المظالم معتاد، فكانوا بهذا الكلام لهم يغرون، وعن طريقه يحذِّرون وينفِّرون، وهو رحمه الله صابر على ما يقولون، محتسب الأجر فيما إليه ينسبون، متسلٍّ بما كابده وقاساه قبله الموحدون، وما لقيه من الابتلاء المؤمنون، وما سَعَى به لهم الضُّلَّال والمشركون ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾.

وهذه سنة الله تعالى في عباده، جارية في جميع الأزمان على مراده، يختبر بها أحبابه المؤمنين، ويمتحن بها أحزابه المفلحين ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فيرفع جل وعلا قدر الصابرين، ويعلي مرتبة الصادقين، ويخفض منزلة المنافقين، ويفضح بإرادته الفاسقين والكاذبين، ويحق عليهم كلمة العذاب أجمعين ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ فمضى رحمه الله تعالى في المناصحة وبذل الجد في الدعوة، والخلق راموا النبال نحوه، فصبر متأسيًا بسلفه الصالح فكان له بهم أسوة، ما كانوا عليه يحزنون ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾.

مهمات

الأولى: أنه رحمه الله تعالى لما تظاهر بذلك الأمر والشأن، في تلك الأوقات والأزمان، والناس قد أُشْرِبَت منهم القلوب، بمحبة المعاصي والذنوب، وتَوَلَّعُوا بما كانوا عليه من العصيان، وقبائح الأهواء الغالبة على كل إنسان، لم يُسْرِع لها لسان، ولم يُصَمِّم منه لُبٌّ وجَنَان، على تكفير أولئك العِرْبان، بل توقف تورعًا عن الإقدام في ذلك الميدان، حتى نهض عليه جميع العدوان، وباحوا وصاحوا بتكفيره وجماعته في جميع البلدان، ولم يثبتوا فيما جاءوا به من الإفك والبهتان، ولم يكترثوا بما حكموا عليه من الزور، وما اقترفوه من الفجور، بل كان لهم على شنيع ذلك المقال، إقدام وإسراع وإقبال، ولم يأمر رحمه الله تعالى بسفك دم ولا قتال، على أكثر أهل الأهواء والضلال، حتى بدأوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير(١)، وكان ذلك سبب حسن العاقبة للإمام من العليم الخبير، ومساعدة القضاء له والتدبير، وشؤم ذلك على الأعداء الذين تمالأوا على ذلك الأمر المبير، الذي كانت عقباه عليهم الهلاك والتدمير، جزاءً بما كانوا يكسبون ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

نعم، ثبت لدينا ونقل نقلًا صحيحًا إلينا، أنهم هم الذين شهدوا على أنفسهم بذلك، وألقوها في مظالم قعر المهالك، ونَظَمُوا أرواحهم مع الكفار في تلك المسالك، وألحقوها من عند أنفسهم بأولئك، فقالوا: إن كان الذي نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور، في تلك الأزمنة الماضية والدهور، فنحن

---

(١) مضى في المقدمة بيان هذا من أقوالهم.

كفار ضلال، من غير ريب ولا إشكال، ولقد لَهَج بذلك الأحوال، ذَوُو الأحلام منا والجُهَّال.

فهم الذين ألزموا أنفسهم تلك المقالة، ووسموا أنفسهم بمَيْسَم الكفر والضلالة، وقد أنفذ الشيطان فيهم غدره واحتياله، وجعل تلك لهم إلى مراده حُباله، وقال لهم وزَيَّن، وصرخ لهم وبيَّن، وشرح لهم وعَيَّن، وقال لهم: لا يتم لكم سُول ولا مراد، حتى تُلْقُوا هذا القول بين أظهر العباد، فتُغْرُوا به الحكام والولاة وأهل الفساد، فيبادروه بالقتال والجهاد، ويُجْلُوه - إن لم يقتلوه - عن البلاد. هكذا زخرف لهم اللعين وكاد، حتى وسطهم فَيْفَاء الإهلاك والإبعاد، فتنحى عنهم الخبيث عن يمين وقال: أنتم أهل الشمال الضالين ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

فلا ريب أنهم هم الذين على أنفسهم قَضَوا، واختاروها لهم وارتَضَوا، وقصدهم بعموم التكفير تحذير الناس عنه والتنفير، وحاولوا بذلك مآرب، وسَخَت لهم به مطالب، ساءت لهم منها العواقب، وخدشتهم منها سهامٌ صوائب، وحَلَّت عليهم مصائب، وارتفع بها للإمام مراتب، وشاع جميل ذكره في المشارق والمغارب، وانعكس عليهم الحال، فلم يحصلوا على آمال، بل كان ذلك البهتان الذي أتَوْه والمحال، عائد عليهم بالهوان والإذلال، والهلاك والقطع والاستئصال، وتَبَدَّى لأهل الدين كواكب سعد منيرة الإشراق، وأعطاهم الله تعالى غاية الأمل، وربما صحت الأبدان بالعلل، وكثر بعد ذلك صحبه وجمعه، وزاد إعلانه بالتوحيد وصَدْعُه، ورَدْعُه أهلَ الشرك وقَمْعُه، ومن العداوة ما يَسُرُّك نفعه.

وإذا تأمل العاقل اللبيب، الذي حصل من الإيمان على نصيب، الذي حصل من الحال وبدا، وما تَفَوَّه به أهل الزيغ والرَّدَى، وما مكر به رؤوس العِدَا، وما

نَوَوا به أهل الهدى، ظهر له في ضمن ذلك من الحكم والعِبَر، والمِنَن التي حُرِسَت عن طَوَارق الغِيَر، واللطائف التي في الوجود لها واضح الأثر، وصار لها في الموعظة انتفاع ومُدَّكَر، وبان له ما جرى على الشيخ من المحن وصدر، زاد ولله الحمد منحًا وتبين له ذلك وظهر، حملهم على ذلك الحسد المحرم المذموم؛ فكان كلٌ منهم لما أمَّله محروم، وبالبعد والمذلة موسوم:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداءٌ له وخصوم(١)

ظنوا أن ذلك عار فأذاعوه، أو خزي فأفشوه وأشاعوه، وتأملوا أنهم بغير الكذب والمَيْن، لا يدركون مُنى، ولا يحصل لهم بغير المعتاد هَنَا، فأوهن الله تعالى بفضله كيد كل عدو وحسود، لأن الحسود كما في الأثر لا يسود، ولم يظفروا بمُرَام ولا مقصود، بل أضاء بسعيهم لأهل الدين في البسيطة إسعاد وسعود، وعروج إلى ذُرَا المفاخر وصعود، وما أحسن قول أبي تمام، فلقد أصاب الغرض في هذا المقام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُوِيَت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعْرَف فضل طيب العود(٢)

الثانية: كان، رحمة الله عليه، مع ما يسمع من الأذى ويُنقل إليه، وما يَنْمى من قبيحهم لديه، وفرط تعنتهم وعنادهم، وعدم توقفهم فيه وإسنادهم، وغلوهم في هجرهم له وانتقادهم، وتشريعهم على عرضه أسنة حدادهم، وشحذهم لدمه المعصوم مواضي جلادهم، ومبالغتهم في السعاية لإهلاكه وارتيادهم، غير مكترث بهم ولا مقترف ولا مبالي، ويتسلى بمن كان قبله من ذوي الفضل

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلي.
(٢) البيتان لأبي تمام.

والمعالي، ويقول متوكلًا على مولاه القاهر المتعالي: حسبي من سؤالي علمه بحالي. وينشد قول محسودٍ سالي:

إن يحسدوني فإني لست أحسدهم قبلي ذوو الفضائل أهلُ العلم قد حُسِدُوا[1]

بل كان يتضرع إلى سيده ومولاه، الذي خصه بهذا الفضل ووالاه، أن يشرح للحق صدورهم، ويجعل لمورد التوحيد ورودهم وصدورهم، وأن يسهل لقبوله قلوبهم وأمورهم، وأن يكفيه بحوله وقوته شرورهم، ويصرف عنه محذورهم، ويسير معهم بسيرة الصفح والعفو والمغفرة، وأحب ما لديه إتيان أحدهم إياه بالمعذرة.

ولم يعامل أحدًا من تلك المطاوعة بالإساءة بعد التولي والمقدرة، ولا ريب وحق ذي الجلال، أنهم لو مكنهم الله تعالى منه لقطعوه أوصال، وأوقعوا به أقبح المُثلة والنكال، وإلا حرقوه بالنار من غير مراجعة ولا سؤال، وهو يتحقق منهم تلك الأحوال والأمور، ولكنه لم ينتصر لنفسه بعد التمكن والظهور، فحين أكرمه الله تعالى وأعلى في الخافقين منزلته وشأنه، وأهلك حساده وعدوانه، وأعز جماعته وأعوانه، وجاءوا وافدين عليه، مُقَادين قسرًا إليه، وأُوقِفُوا أكثرُهم بين يديه، وتنصلوا معذرتهم بين يديه، أُدْخِلُوا بلده وأوطانه، فلم يعاملهم بالإذلال والإهانة، ولم يحتج إلى سبيل التوبيخ والعتاب، ولم يفتح للتأنيب والتبكيت أبواب، ومنحهم بره ومعروفه وإكرامه، ولم يقابل بالعذل والملامة، وأبدى لهم البشاشة والملاطفة، وأعرض عما أتوه من الإسراف والمجانفة، وكأنهم لم يصدر عليه منهم بَلَا، ولم يَسْعَوا به عند ولاة المَلَا، وأخذته لهم الرحمة، ولا أراد لهم سوء ولا وصمة، ولا مكروهًا ولا نقمة، وهذا الأمر لا

(١) البيت للكميت الأوسط.

تقواه الطباع البشرية، ولا تهواه قلوب أكثر البرية، ولا تحمله الأَنَفَة والحمية، ولا تكظم عليه ذو العصبية، وهذا الشأن والمقام، لا يُدْرَك ولا يُنَال ولا يُرَام، ولا يَتَبَوَّأ بحبوحته إلا البررة الكرام، والعلماء بالله الأعلام، ممن جمَّله الله تعالى بحلل تقواه، وحَلَّاه بحُلَل معرفته وهداه، وهم الذين يقومون حين ينادي المنادي من بطنان العرش: ليقم اليوم من أجره على الله[1]. ولعله رحمه الله تعالى لمح سر: «رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[2] فلم يؤاخذهم بما كانوا يصنعون، وتلقاهم بالقبول والإقبال، ولَيَّن لهم الجناح في المقال، حتى دَهِشَت قلوبهم من الاختجال، وما أسدى إليهم من النوال، فكانت حاله معهم كما بينه التهامي فقال:

إني لأرحم حاسدي لِحَرِّ ما ... ضمَّت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار

المهمة الثالثة: يتأكد على كل مؤمن وموحد، أن يسأل الله داوم الهداية ويسترشد، ويتفكر فيما حباه به مولاه، دون أكثر الخلق واختصه، ويشكره ﷻ أن وفقه، لتأهله بالقعود على هذه المنصة، وأهَّله لمراتب لم يكن لها أهلًا، وأسدى إليه من مواهبه إحسانًا وفضلًا، ويلزم منهج الصبر على ما تسنى له من الابتلاء عدلًا، فقلَّما سلم أهل الإخلاص والإيمان من عوارض الامتحان ونوائب البلايا والافتتان، في كل قطر ووقت وزمان.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣١٥) من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: من كان أجره على الله فليدخل الجنة. مرتين، فيقوم من عفا عن أخيه» قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٥) عن عبد الله بن عبيد بن عمير مرسلًا قال: لَمَّا كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشُجَّ فِي جَبْهَتِهِ، فَجَعَلَتِ الدِّمَاءُ تَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ! فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْنِي طَعَّانًا وَلَا لَعَّانًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي دَاعِيَةً وَرَحْمَةً، اللهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

ولكن السلوان المطاع، النافي للحزن والهم والارتياع، والجالب للنزعات النفسانية الارتداع، إجالةُ الإبصار والأفكار، وتحقيق مطالعة الأنظار، والاتعاظ بعد ذلك والادّكار، وزيادة التسلي والاعتبار، بما جري على الأتقياء الأبرار، من الفجرة الكفار، فقد فعلوا بالمصطَفين الأخيار، ما هو معلوم بضرورة الأخبار، من القتل والنشر بالمنشار، والإلقاء في موقد النار، وما وقع على النبي المختار، والآل والأصهار، من الفسقة الفجار.

فإذا تأمل ذلك ذو الإيمان، حصل له بالرضا إذعان، وازداد سكونًا وصبرًا على مضض الزمان، وتجرع غصص الهم والأحزان، وكفى له أسوه وقدوة واتباع، بهؤلاء السلف الصالح الأتباع، ولو لم يكن في ذلك من المصالح والأسرار، إلا تكفير الخطايا والأوزار، ورفع المنازل والدرجات العُلى في الجنات، والأمن في رفيع الغرفات، وظهور الدين والآيات، وإطفاء الشرك والضلالات، وإعزازه لأوليائه، وإذلاله لأعدائه - لكان كافيًا، وبالمقصود وافيًا، مع أن ابتلاءه لخاصته وأحبابه، فيه سر عظيم في نصر دينه وأحزابه، وانتشار الكلمة ونموها، وارتفاعها بعد ذلك وسموها، ورسوخ التوحيد والتوحيد والدين، وإقبال الخلق عليه أجمعين، فهو في الحقيقة حكمة بالغة، ولكنها والله مِنَّة سابغة، وقد جاء في بعض الأحاديث أن الله ذكر في التوراة لموسى: إني أقسّي قلب فرعون لتظهر آياتي وتظهر عجائبي[(١)].

فمن أكمل الله تعالى له هذا الدين، وقوي له الإيمان واليقين، من العلماء والمؤمنين، صبر على أذى المؤذِين، وتحمل مشقة الممتحنين، فهو لا بد أن تكون له العاقبة، ويدرك مأموله ومطالبه، وقد قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن

(١) سفر الخروج، الإصحاح السابع (٣ : ٧).

تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ويجأر في جميع حالاته وسائر طاعاته، إلى ربه القريب المجيب، أن يُنيله ويُقسم له من الجهاد فيه والصبر أوفر نصيب ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

فبعد سلوكه سَنَنَ الصبر وانتهاجه، يتسنى لذة سروره وابتهاجه، ويُفاض عليه من سحائب جُود مولاه وبره، وإضعاف ثوابه وأجره، مقابلة على ما عانى من صبره، ومعاملة على قيامه بشكره، ويفوز بدرجات الصبر في الثواب، وضده يحوز البعد عن الوصول إلى تلك الأبواب، والارتقاء بعصمة تلك الأسباب، إلى سَنَا تلك الأعتاب، ويُلْقَى إليهم الإزر والعقاب، ويُلقى في دَرَك الجحيم والعذاب، والحكمة في هذا واضحة جلية، والنكتة فيها لائحة غير خفية، وهو إظهار الله ﷻ العدل في ذلك المقام، حتى يقع ذلك معاينة في جميع الأنام، وتجري الأمور الأخروية على ما كان عليه في الدنيا من الأحكام، وإلا فهو جل ثناؤه، وعمت آلاؤه، يعلم الأشياء قبل وقوعها جملةً وتفصيلًا، ألا يعلمها من أوجدها وقدرها وصرفها تغييرًا وتبديلًا! ولا تقع إلا على وفق ما أراده وتصريفًا وتحويلًا، وهذا من عظيم عدله، وجسيم إحسانه وفضله، ألاَّ يؤاخذ أحدًا بعلمه، ولا يعاجل بالعقوبة لحلمه.

واعلم - رحمك الله تعالى وأرشدك، ويسر لك الخير وسددك - أن ما صدر على الشيخ من الاختبار والامتحان، وما قاساه من الابتلاء في تلك الأزمان، ممن يَدَّعِي الرفعة والشأن، والقدم الراسخ في العلم والعرفان، ولا ريب من أن الذي وقعوا فيه من الافتتان، مماثل لما وقع فيه من قبلهم كما في القرآن ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ

بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ فأوقعهم الخداع في تلك الأودية، وجبذهم إليها بأسباب الأهوية، حتى ألبسهم من ذلك الغدر أردية، وكانت حِيَلُهُ وتسويلاته لهم مُرْدِيَة، وإلا فالأكثر منهم ممن كسب واقترف، أقر على نفسه واعترف، أن ما أتى به محمد بن عبد الوهاب هو الحق والصواب، وأن هذا هو التوحيد المطلوب، ومن لم يتحقق به لم يفرق بين الرب والمربوب، ولكن أَنِفَت بعد ذلك منه القلوب، وخشي أن يكون كلٌّ من رياسته ودنياه وجاهه مسلوب.

وقد صرح كثير منهم في المحافل الكبار، بأن ما يُفْعَل عند القبور والأشجار، والطواغيت والأحجار، من الشرك الأكبر، الذي لا يُمحى إلا بالتوبة ويغفر، وبعضٌ من أولئك بَرَح على الإصرار، ودام على الإنكار، وبعضٌ يُقِرُّ عند الخاصة في إسرار، وينكر ذلك لدى الناس في الإجهار، حتى اجتمع منهم الحال، وأخذ بهم الحسد وآل، إلى إنكاره بعد المعرفة، وأضحت ألسنتهم بعد ذلك فيه مسرفة، ووجوههم عنه مصروفة، حتى أنكروا من الشرع الأمور المعروفة.

فذُكِرَ لنا عن تحقيق ويقين، أنهم أنكروا على عثمان بن معمر أدبه من تخلف عن الصلاة في جماعة المسلمين، وتأديبهم من لم يُصل جملة، وجبايته الزكاة وغير ذلك من أمور الدين، وكان كثير من علماء نجد العدوان، يأتون رؤساء البدوان، ويحذرونهم وقوع الصلاة في حيهم وسماع الأذان، ويحثونهم على التمسك بقبيح تلك الأديان، وما كانوا عليه من الفسق والعصيان، عياذًا بك اللهم عن الحسد والبغي فيه والطغيان، كما فعل ذلك المنتمون للعلم والبيان، كيف حملهم ما ملأ قلوبهم من البغض والحسد، وما أضمروه من الحقد والغل الذي أعقبهم الحسرة والكمد، على ذلك الزور المحظور في الدين والافتراء، والتعدي على منصب الشريعة والاجتراء، ولم يحذروا في ذلك سطوة الديان،

ولقد علموا أنهم باعوا الغالي بالدان، فباءوا من صفقتهم بالخسران.

وكان من أعظم الأسباب التي دعتهم إلى هذا الارتكاب، وعدم الخوف والارتقاب، وأشد ما حملهم على ذلك الإغراء، الذي حازوا به سخطًا وخُسرًا، وأجل الدواعي لذلك والبواعث، التي صيرت أكثرهم لمحكم التوحيد نواكث، إعلان الشيخ رحمة الله تعالى بما هو الحق والصواب، والواجب المحتم على من بلغ مناط الثواب والعقاب، واللازم على من عرف حق المعرفة رب الأرباب، وأراد القيام بوظائف الخدمة لينال الكرامة يوم الحساب، وهو التمسك والاعتصام بالسنة والكتاب، والعمل بما جاء من هدي الأصحاب، وبما اختاره الأئمة الأربعة، الذين شاعت مذاهبهم في الأمة، فهو إن كان التزم مذهب، فلا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب، بل إن لم يلق من النصوص القاطعة دليلًا، لم يتخذ غيرها سبيلًا، ولكنه يختار من إلى الدليل أقرب، ومن الأقوال ما هو أصوب، ومن الحكم ما هو أوفق بالشريعة وأنسب.

فلما أسفر من كلامه نور هذا الفجر المنير، وبدر منه هذا البرهان الساطع المستطير، والنبراس الذي يهتدي به من أراد إلى الله المسير، والحكم الذي أوجب الله تعالى على كافة الخلق إليه المصير، صارت قلوبهم من ذلك فرقًا أعظم مطير، وسَعَوا إلى عذب ذلك النمير، بالسعي إلى صافي سَلْسَاله بالتكدير، وإلى تلك المناهل المورودة للأفاضل باجتلاب شوائب التغيير، وتساعد على ذلك الفعل الخطير، الصغير منهم والكبير، وتغافلوا عما ورد من الأحكام البينات، والآيات القواطع المحكمات، ولو لم يكن إلا آية النِّسَاء لكفى حجة على المراد ودليلا ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.

قال العلامة شمس الدين في «إعلام الموقعين»: أجمع الناس على أن الرد

إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله هو الرد إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته[١] قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ فقسم الأمر إلى اثنين: إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به، وإما اتباع الهوى، وكلُّ ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى[٢] وقد حرم سبحانه القول عليه بلا علم، وجعل ذلك أعظم من الشرك؛ لأنه جعل في المرتبة الرابعة، فقال تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ وقال: كلام أهل الحق على أنه لا يجوز أن يقول العبد: هذا حلال وهذا حرام، إلا لما علم أن الله أحله وحرمه[٣].

وقال الشافعي، قدس الله تعالى روحه: وأجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس[٤].

وقال أبو عمر، وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودًا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله. وهذا أيضًا كما قال أبو عمر بن عبد البر، رحمه الله تعالى، فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فهو تقليد. فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى والمتعصب الأعمى عن زمرة العلماء، فإن العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٥٠).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٤٧).

(٣) إعلام الموقعين (١/ ٣٨ - ٣٩).

(٤) إعلام الموقعين (٢/ ٢٨٢).

أخذه أخذ بحظ وافر[١] وكيف يكون من ورثة الرسول من يجهد ويكدح في رد ما جاء به إلى قول مُقَلَّدِهِ ومتبوعه، ويضيع ساعات عمره في التعصب، ولا يشعر لتضييعه فتنة عمت فأعمت، ورَمَت القلوب فأَصْمَت[٢].

قال عبد الله بن المبارك، وغيره من السلف: صنفان إذا صَلَحَا صَلَحَ الناس، وإذا فَسَدَا فَسَدَ الناس. قيل: من هم؟ قال: العلماء والملوك.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذلَّ إدمانُها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ وأحبارُ سوء ورهبانُها[٣]

قال أبو عمر بن عبد البر: قال أهل العلم والنظر: حد العلم التبيين، وإدراك المعلوم على ما هو به، فمن بان له الشيء فقد علمه، قالوا: والمقلد لا علم له، لم يختلفوا في ذلك، ومن هنا والله أعلم قال البحتري:

عرف العارفون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد
وأرى الناس مجمعين على فضلك من بين سيّد ومَسُود

وقال أبو عبد الله بن خُوَيزِ مِنْدَاد البصري المالكي: التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع في الشريعة، والاتباع ما ثبت عليه حجة.

---

(١) هذا نص حديث أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٢٩٧).
(٢) إعلام الموقعين (١/ ٧ – ٨).
(٣) إعلام الموقعين (١/ ١٠).

وقال في موضع آخر من كتابه: كل من اتَّبَعْتَ قوله، من غير أن يجب عليك قبولُهُ بدليل يوجب ذلك، فأنت مُقَلِّدُه، والتقليد في دين الله غير صحيح، وكل من أوجب الدليلُ عليك اتباعَ قوله فأنت مُتَّبِعُه، والاتباع في الدين مسوغ، والتقليد ممنوع(١).

وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم، وذموا من أخذ قولهم بغير حجة.

فقال الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيها أفعى تلدغه، وهو لا يدري. ذكره البيهقي(٢).

وقال إسماعيل بن يحيى المزني، في أول مختصره: اختصرت هذا الكتاب من علم الشافعي لأقرِّبه على من أراده، مع إعلاميه نَهْيَه عن تقليده وتقليد غيره؛ لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه(٣).

وقال أبو داود: قلت لأحمد: الأوزاعي هو أتبع من مالك! قال: لا تقلد دينك أحدًا من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعدُ الرجلُ فيه مُخيَّر.

وقد فرق أحمد بين التقليد والاتباع، قال أبو داود: سمعته يقول: الاتباع أن يسمع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه، ثم هو في التابعين مُخَيَّر.

وقال أيضًا: لا تقلدني، ولا تقلد مالكًا ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا.

وقال: مِن قلة فقه الرجل أن يكون يقلد دِينَه الرجالَ.

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٩٧) وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٧).
(٢) المدخل إلى السنن الكبرى (٢٦٣).
(٣) مختصر المزني (١/ ١).

وقال بشر بن الوليد: قال أبو يوسف: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا.

وقد صرح الإمام مالك بأن من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي أنه يستتاب. فكيف مَن تَرَكَ قولَ الله ورسوله لقول مَن هو دون إبراهيم أو مثله!

وقال أبو جعفر الفِرْيَابي: حدثني أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقِيّ حدثني الهيثم بن جميل: قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله، إن عندنا قومًا وضعوا كتبًا، يقول أحدهم «حدثنا فلانٌ عن فلانٍ عن عمر بن الخطاب ﷺ بكذا وكذا، وفلان عن إبراهيم بكذا» ويأخذ بقول إبراهيم! قال مالك: وصح عندهم قول عمر؟ قلت: إنما هي رواية، كما صح عندهم قول إبراهيم. فقال: هؤلاء يستتابون[(١)].

وقال الطحاوي: حدثنا محمد بن الحكم، حدثنا عبد الله بن الحكم، حدثنا أشهب بن عبد العزيز قال: كنت عند مالك، فسئل عن البَتَّة[(٢)]، فأخذت ألواحي لأكتب ما قال، فقال لي مالك: لا تفعل؛ فعسى في العَشِيّ أقول: إنها واحدة.

وقال معن بن عيسى القزاز: سمعت مالكًا يقول: إنما أنا بشر، أخطئ وأصيب، فانظروا في قولي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه[(٣)].

وقال بَقِيّ بن مَخْلَد: حدثنا سحنون والحارث بن مسكين، عن ابن القاسم، عن مالك أنه كان يكثر أن يقول: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٠٠ - ٢٠٣).

(٢) أي: طلاق البتة. والصحيح أنه يقع واحدة. «فتاوى الشيخ ابن باز» (٢١ / ٣٦٤).

(٣) إعلام الموقعين (١/ ٧٥).

وقال القعنبي: دخلت على مالك بن أنس، في مرضه الذي مات فيه، فسلمت عليه ثم جلست، فرأيته يبكي، فقلت: يا أبا عبد الله، ما يبكيك؟ قال: يابن قعنب، ما لي لا أبكي! ومن أحق بالبكاء مني! والله لَوَدِدْتُ أني ضُرِبْتُ بكل مسألة أفتيت بها بالرأي سوطًا، وقد كانت لي السعة فيما سبقت إليه، وليتني لم أُفت بالرأي!

وقال ابن أبي داود: حدثنا أحمد بن سنان قال: سمعت الشافعي يقول: مَثَلُ الذي ينظر في الرأي ثم يتوب منه، مثل المجنون الذي عولج حتى برأ فأعقل ما يكون.

وقال ابن أبي داود: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: لا تكاد ترى أحدًا نظر في الرأي إلا وفي قلبه دَغَل[١].

وقال الأصم: أنبأنا الربيع بن سليمان: لنعطينك جملة تعينك إن شاء الله: لا تدع لرسول الله ﷺ حديثًا أبدًا، إلا أن يأتي عن رسول الله ﷺ خلافه، فتعمل بما قلت لك في الأحاديث إذا اختلفت.

قال الأصم: وسمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودَعُوا ما قلت[٢].

وقال أحمد بن علي بن عيسى بن ماهان الرازي: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: كل مسألة تكلمت فيها، صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فإني راجع عنها في حياتي وبعد موتي.

وقال الحاكم: سمعت الأصم يقول: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٧٣).

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى (٢٤٩).

يقول، وروى حديثًا، فقال له رجل: هل تأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: متى رَوَيْتُ عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم آخذ به، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب. وأشار بيده على رؤوسهم[١].

وقال الحميدي: سأل رجلٌ الشافعيَّ عن مسألة، فأفتاه وقال: قال رسول الله ﷺ كذا. وقال الرجل: تقول بهذا؟ قال: رأيتَ في وسطي زِنَّارًا! أتُراني خرجتُ من كنيسة! أقول (قال النبي ﷺ) وتقول لي: أتقول بهذا! أروي عن النبي ﷺ ولا أقول به[٢]!

وقال الحاكم: أنبأني أبو عمرو بن السماك، مشافهةً، أن أبا سعيد الجصاص حدثهم قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول، وسأله رجل عن مسألة فقال: رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا. فقال له السائل: يا أبا عبد الله، أتقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفَرَّ وحال لونه، وقال: ويحك! وأيُّ أرض تُقِلُّنِي وأى سماء تُظِلُّنِي إذا رويتُ عن رسول الله ﷺ شيئًا فلم أقل به! نعم، على الرأس والعينين، نعم، على الرأس[٣].

وقال: سمعت الشافعي يقول: ما من أحد إلا وقد يذهب عنه سنة لرسول الله ﷺ وتَعْزُبُ عنه، فمهما قلتُ من قول، أو أَصَّلْتُ من أصل، فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلتُ، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي. وجعل يردد هذا الكلام[٤].

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرى (٢٥٠).
(٢) تاريخ دمشق (٥١/ ٣٨٨).
(٣) تاريخ دمشق (٥١/ ٣٨٩).
(٤) تاريخ دمشق (٥١/ ٣٨٩).

وقال الربيع: قال الشافعي: لم أسمع أحدًا نَسَبْته عامَّة، أو نَسَبَ نفسه إلى علم، يخالف في أن اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه، فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قولُ رجلٍ قال إلا بكتاب الله أو سنه رسوله، وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله علينا، وعلى مَن بَعْدَنا وقَبْلَنا، في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد، لا يختلف فيه الفرق، وواجبٌ قبولُ الخبر عن رسول الله ﷺ إلا فرقة سأصف قولها إن شاء الله.

قال الشافعي: ثم تفرق أهل الكلام في تثبيت الخبر الواحد عن رسول الله ﷺ تفرقًا متباينًا، وتفرق عنهم ممن نَسَبْتهُ العامة في الفقه تفرقًا، أتى بعضهم فيه أكثر من التقليد والتحقيق من النظر والغفلة والاستعجال بالرياسة[١].

وتواتر عنه أنه قال: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط.

تتمة: قد بيَّن الشيخ، رحمة الله تعالى، في بعض رسائله: التقليد الممنوع، والمأذون فيه والمباح، فقال[٢]:

وأما القول في التقليد واتباع الدليل: . . الثاني: أن الله سبحانه فرض علينا فرضين:

الأول: اتباع رسول الله ﷺ وترك ما خالفه في كل شيء، وأن الإنسان ما يؤمن حتى يُحكمه فيما شجر بينه وبين غيره.

والفرض الثاني: أن الله فرض علينا في كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها إلى الله والرسول، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٨٥ - ٢٨٦).

(٢) ابن غنام يقتصر على نقل الشاهد من كلام الشيخ محمد رحمهما الله. ويُنظر: «إعلام الموقعين» (٢ / ١٧٨ ومابعدها)، فهو المرجع الأساس.

وخاطب بها جميع المؤمنين، المجتهد وغيره، ولكن نقول: الواجب عليك تقوى الله ما استطعت، وذلك أن تطلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة على قدر فهمك، فما عرَفْتَ من ذلك فاعمل به، وما لم تعرفه واحتجت فيه إلى تقليد أهل العلم قَلَّدْتَهم، وما أجمعوا عليه فهو الحق، وما تنازعوا فيه رُدَّ إلى الله والرسول. وأما أَخْذُ الإنسان ما اشتهت نفسه ووَجَد عليه أباه، وتَرْكُ ما خالفه من كلام أهل العلم، وغَفْلَتُه عن كلام الله ورسوله، واستهزاؤه بمَن طَلَب ذلك، فهذا هو الضلال الذي أنكرنا.

والأدلة على هذا من كلام أهل العلم أكثر من أن تُحْصَر، منها:

ما ذكره ابن رجب في «الطبقات» في ترجمة ابن هُبَيرة، قال: مما أنكرَه عليَّ بعضُ مَن يُفتِي في عصره، قال: وتارة إذا ذَكَرْتَ لأحدهم الدليل قال: وليس هذا مذهبنا. فيُقِيم أوثانًا تُعْبَد مع الله[1].

قال: وقال في «حاشية المنتقى» في كتاب القضاء: من قلَّد أمامًا ثم خالفه لقوة الدليل، أو يكون أحدهما أعلم أو أتقى أو أروع، فقد أحسن. فقد صرح أن المقلد إذا خالف إمامه لقوة الدليل أو يكون أحدهما أعلم فقد أحسن.

وقال الشيخ تقي الدين[2]، لما سئل عن المقلِّد لبعض الأئمة إذا رأى حديثًا يخالف إمامه: قد ثبت أن الله فَرَض على الخلق طاعته وطاعة رسوله، ولم يوجب على هذه الأمة طاعةَ أحدٍ بعينه، في كل ما يأمر به وينهى عنه، إلا رسول الله ﷺ، حتى إن صديق هذه الأمة وأفضلها بعد نبيها يقول: أطيعوني ما أطعتُ الله، فإذا عَصَيتُ الله فلا طاعة لي عليكم.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ١١١).

(٢) ابن تيمية، في «الفتاوى» (٢٠ / ٢١٠ - ٢١٦).

واتفقوا كلهم على أن ليس أحد معصومًا في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله ﷺ ولهذا قال غير واحد من الأئمة: كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويُتْرَك إلا رسول الله ﷺ. وهؤلاء الأئمة الأربعة قد نَهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه، وذلك هو الواجب عليهم، وقال أبو حنيفة: هذا رأيِي، فمن جاء برأيٍ خيرٍ منه قبلناه.

ولهذا لما حج أفضل أصحابه، أتى مالكًا، فسأله عن مسألة الصاع، وصدقة الخضروات، ومسألة الأجناس، فأخبره مالك بما تدل عليه السنة في ذلك، قال: قد رجعتُ إلى قولك يا أبا عبد الله، ولو رأى صاحبي مثل ما رأيتُ لرجَع كما رجَعتُ.

ومالك كان يقول: إنما أنا بشر أصيب وأخطئ، فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة. أو كلامًا هذا معناه.

والشافعي كان يقول: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فهو قولي.

والإمام أحمد كان يقول: لا تقلدوني، ولا تقلدوا مالكًا ولا الشافعي ولا الثوري، وتعلَّم كما تعلَّمنا.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من يُرِد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١) ولازم ذلك أن من لم يرد به خيرًا لم يفقهه في الدين، فيكون التفقه في الدين فرضًا. والتفقه في الدين: معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية، فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقهًا في الدين.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

لكن من الناس من يَعْجِزُ عن معرفة الأدلة التفصيلية في جميع أموره، فيسقط عنه ما يَعْجِزُ عن معرفته، ويلزمه ما يقدر عليه، وأما القادر على الاستدلال فقيل: يحرم عليه التقليد مطلقًا. وقيل: يجوز مطلقًا. وقيل: يجوز عند الحاجة، كما إذا ضاق الوقت عند الاستدلال. وهذا القول أعدل الأقوال.

والاجتهاد ليس هو أمرًا واحدًا، فيقبل التجزي والانقسام، بل قد يكون الرجل مجتهدًا في فن أو باب أو مسألة، دون فن أو باب أو مسألة، وكل أحد فاجتهاده بحيث وسعه، فمن نظر في مسألة تنازَعَ العلماء فيها، ورأى مع أحد القولين نصوصًا لا يعلم لها مُعَارضًا، بل نَظَرٌ مثلُه، فهو بين أمرين:

إما أن يتبع قول القائل الآخر، بمجرد كونه الإمام الذي اشتغل على مذهبه، ومثل هذا ليس بحجة شرعية، بل مجرد عادة يعارضها عادة غيره لاشتغاله على مذهب إمام آخر.

وإما أن يتبع القول الذي ترجح في نظره بالنصوص الدالة عليه، فحينئذ تكون موافقته لإمامٍ تقاوم ذلك الإمام، وتبقى النصوص سالمة في حقه عن المُعَارِض، فهذا هو الذي يصلح.

وإنما تنزلنا هذا التنزل لأنه قد يقال: إن نَظَرَ هذا قاصر، وليس اجتهاده تامًّا في هذه المسألة لضعف آلة الاجتهاد في حقه، وأما إذا قدر على الاجتهاد التام، الذي يعتقد معه أن القول الآخر ليس معه ما يدفع به النص، فهذا يجب عليه اتباع النصوص، وإن لم يفعل كان متبعًا للظن وما تهوى الأنفس، وكان من أكبر العصاة لله ولرسوله، بخلاف من قد يقول: قد يكون للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص، وأنا لا أعلمها. فهذا يقال له: قد قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ وقال النبي ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[1] والذي

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧).

تستطيعه من العلم والفقه في هذه المسألة قد دلك على أن هذا القول هو الراجح، فعليك أن تتبعه، ثم إن تبين لك فيما بعد أن للنص معارضًا راجحًا كان حكمك حكم المجتهد إذا تغير اجتهاده، وانتقالُ الإنسان من قول إلى قول لأجل ما تَبَيَّنَ له من الحق هو محمود فيه، بخلاف إصراره على قول لا حجة معه عليه، وتَرْكِ القول الذي توضحت حجته، أو الانتقالِ من قول إلى قولٍ لمجرد عادة أو اتباع هوى، فهذا مذموم.

وإذا كان الإمام المقلَّدُ قد سمع الحديث وتَرَكَه، لا سيما إذا كان قد رواه أيضًا، فمثل هذا وحده لا يكون عذرًا في ترك النص، قد بَيَّنَّا فيما كتبناه في «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» نحو عشرين عذرًا للأئمة في ترك العمل ببعض الحديث، وبَيَّنَّا أنهم يُعْذَرُون في الترك لتلك الأعذار، وأما نحن فلسنا معذورين في تركنا لهذا القول، فمن ترك الحديث لاعتقاده أن ظاهر القرآن يخالفه، أو القياسَ، أو عَمَلَ بعضِ الأمصار، وقد تبين لآخر أن ظاهر القرآن لا يخالفه، وأن نص الحديث الصحيح مقدَّم على الظواهر، ومقدَّم على القياس والعملِ، لم يكن عذر ذلك الرجل عذرًا في حقه؛ فإن ظهور المدارك الشرعية للأذهان وخفاءَها عنها أمرٌ لا ينضبط طرفاه، لا سيما إذا كان التارك للحديث معتقدًا أنه قد تَرَكَ العَمَلَ به المهاجرون والأنصار من أهل المدينة النبوية وغيرها، الذين يقال إنهم لا يتركون الحديث إلا لاعتقادهم أنه منسوخ، أو له معارض راجح، وقد بَلَغَ مَن بعده أن المهاجرين والأنصار لم يتركوه، بل عمل به طائفة منهم، أو من سمع منهم، ونحو ذلك مما يقدح في هذا المعارض للنص.

وإذا قيل لهذا المستهدِي المسترشِدِ: أنت أعلم أم الإمام الفلاني؟ كانت هذه معارضة فاسدة؛ لأن الإمام الفلاني قد خالفه في هذه المسألة مَن هو نظيرُهُ من الأئمة، ولستَ أعلم من هذا ولا هذا، ولكن نسبة هؤلاء إلى الأئمة كنسبة أبي

بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبيّ ومعاذ، ونحوهم إلى الأئمة وغيرهم، فكما أن هؤلاء الصحابة بعضهم لبعض أَكْفَاءٌ في موارد النزاع، وإذا تنازعوا في شيء رَدُّوا ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، وإن كان بعضهم قد يكون أعلَمَ في مواضع أُخَرَ، وكذلك موارد النزاع بين الأئمة.

وقد ترك الناس قول عمر وابن مسعود في مسألة تيمم الجُنب، وأخذوا بقول مَن هو دونهما كأبي موسى الأشعري وغيره لما احتج بالكتاب والسنة[١].

وتركوا قول عمر في دية الأصابع، وأخذوا بقول معاوية لما كان معه السنة أن النبي ﷺ قال: «**هذه وهذه سواء**».

وقد كان بعض الناس يناظر ابنَ عباس في المتعة، فقال له: قال أبو بكر وعمر. فقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء؛ أقول لكم: قال رسول الله ﷺ. وتقولون: قال أبو بكر وعمر!

وكذلك ابن عمر لما سألوه عنها فأمَرَ بها، فعارضوه بقول عمر، فبيَّنَ لهم أن عمر لم يُرِدْ ما يقولونه، فألَحُّوا عليه، فقال لهم: أَمْرَ رسولِ الله ﷺ أَحَقُّ أن تَتَّبِعُوا أم أَمْرَ عمر[٢]!

مع علم الناس أن أبا بكر وعمر أعلم ممن فوق ابن عمر وابن عباس.

ولو فُتِحَ هذا الباب لَوَجَبَ أن يُعْرَضَ عن قول الله ورسوله، ويبقى كل إمام في اتِّبَاعه بمنزلة النبي ﷺ وهذا تبديل للدين يشبه ما عاب اللهُ به النصارى في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧) ومسلم (٣٦٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٩٥).

(٣) انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

ولو أطلَقْتُ لِجَوَادِ الفهمِ العَنَانَ، وأَجْرَيْتُه في فسيح الميدان، واستوعبتُ ما ثبت فيه من قول العلماء الأعيان، وأتَيْتُ بما صَحَّ عن ذوي الشان، لكان عبابًا متلاطم الأمواج، وضبابًا هامل الوَدْقِ ثَجَّاج، ومَهَامِهَ لا يُسْتَطاع السلوك في فجاجها، ولا يُتَسَنَّم شامخ منهاجها، ويكاد صافن الفكر أن يُحجم في هذا المضمار، ويُسْرِع إلى سابق المراع الكبوة والعِثَار، في استيفاء تلك الآثار، والاستقصاء على وِرده من الأخبار، ولاقتضى في الكتابة أسفار، والمراد تأدية ما يحصل به للقلوب إسفار، فتستضيء ألباب ذوي الاستبصار، فتُشرق منه أنوار الاعتبار.

ولمحمد بن إسماعيل الصنعاني قصيدة بديعة في هذا المعنى، فائقة أترابها رونقًا وحسنا، وقد جَرَّت ذيول الفخر، لا سيما بمدح هذا الحبر، وها هي عليك بادية، وبلسان الفضيحة على المعاند منادية[1]:

سلامي على نجد ومَن حَلَّ في نجدِ ... وإن كان تسليمي على البُعْد لا يُجْدِي
لقد صَدَرَت مِن سفح صَنْعَا سَقَى الحَيَا ... رُبَاها وحَيَّاها بقهقهة الرعدِ
سَرَت من أسير يُنْشِد الريح إن سَرَت ... ألا يا صَبا نَجْدٍ متى هِجْتَ مِن نَجْدِ
يذكّرني مَسْرَاكِ نجدًا وأهله ... لقد زادني مسراكِ وجدًا على وَجْدِ
قِفِي واسألي عن عالِمٍ حَلَّ سُوحَهَا ... به يهتدي مَن ضَلَّ عن منهج الرشدِ
محمدِ الهادي لِسُنَّةِ أحمدٍ ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المَهْدِي
لقد أنكَرَت كلُّ الطوائف قَوْلَه ... بلا صَدَرٍ في الحق منهم ولا وِرْدِ
وما كل قولٍ بالقَبول مقابَلٌ ... ولا كل قول واجبُ الطَّرْدِ والرَّدِّ
سوى ما أتى عن ربِّنا ورسولِهِ ... فذلك قولٌ جَلَّ يا ذا عن الرَّدِّ

---

(١) انظرها في ديوانه (ص ١٦٦ - ١٧٠).

وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على قدر الأدلة في النقدِ
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يُعيد لنا الشرع الشريف بما يُبْدِي
وينشر جهرًا ما طَوَى كلُّ جاهلٍ ... ومُبْتَدِعٍ منه فوافق ما عندي
ويَعْمُرُ أركان الشريعة هادمًا ... مشاهد ضَلَّ الناس فيها عن الرُّشْدِ
أعادوا بها معنى سُوَاعٍ ومِثْلَهُ ... يَغُوثُ وَوَدٌّ بئس ذلك مِن وِدِّي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالواحد الفردِ
وكم عَقَروا في سُوحِهَا مِن عَقِيرة ... أُهِلَّت لغير الله جهرًا على عَمْدِ
وكم طائف حول القبور مُقَبِّلٍ ... ومستَلِمِ الأركان منهنّ باليَدِّ
وحَرَّقَ عمدًا للدلائل دَفْتَرًا ... أصاب ففيها ما يُجِلُّ عن العَدِّ
غُلُوٌّ نهى عنه الرسول وفِرْيَةٌ ... بلا مِرْيَةٍ فَاتْرُكْهُ إن كنت تَسْتَهْدِي
أحاديث لا تُعْزَى إلى عالِمٍ فلا ... تُسَاوي فلسًا إن رَجَعْتَ إلى النقدِ
وصَيَّرَها الجُهَّالُ للذكر ضَرَّةً ... تَرَى دَرْسَهَا أزكى لديهم مِن الحمدِ
لقد سرني ما جاءني من طريقة ... وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي
وأقبح من كل ابتداع سمعته ... وأنكاه للقلب الموفَّق للرشدِ
مذاهب من رام الخلاف لبعضها ... يَعَضُّ بأنياب الأساود والأُسْدِ
يَصُبُّ عليه سَوْطَ ذمٍّ وغِيبةٍ ... ويَجْفُوه من قد كان يهواه عن عمدِ
ويُعْزَى إليه كل ما لا يقوله ... لتنقيصه عند التُّهَامي والنجدي
فيرميه أهل النصب بالرفض فِرية ... ويرميه أهل الرفض بالنصب والجحدِ
وليس له ذنب سوى أنه غدا ... يتابع قول الله في الحَل والعقدِ
ويتبع أقوال الرسول محمد ... وهل غيره بالله في الناس من يَهْدِي
وإن عده الجهال ذنبًا فحبذا ... به حبذا يوم انفرادي في لحدي
علام جعلتم أيها الناس ديننا ... لأربعة لا شك في فضلهم عندي

وهم علماء الدين شرقًا ومغربًا ... ونور عيون الفضل والحق والزهدِ
ولكنهم كالناس ليس كلامهم ... دليلًا ولا تقليدهم في غدٍ يُجْدِي
ولا زعموا حاشاهمُ أن قولهم ... دليل فَيَسْتَهْدِي به كلُّ مُسْتَهْدِي
بلى صرحوا أنا نقابل قولهم ... إذا خالف المنصوص بالقدح والردِّ
سلامي على أهل الحديث فإنني ... نشأت على حب الأحاديث مِن مَهْدِي
هُمُ بذلوا في حفظ سنة أحمد ... وتنقيحها من جهدهم غاية الجهدِ
وأعني بهم أسلاف أمة أحمد ... أولئك في بيت القصيدة هُمُ قصدي
أولئك أمثال البخاري ومسلم ... وأحمد أهل الجهد في العلم والجدِ
بحور وحاشاهم عن الجَزْرِ إنما ... لهم مَدَدٌ يأتي من الله بالمَدِّ
رَوَوْا وارتَوَوْا من علم سنة أحمد ... وليست لهم تلك المذاهب من وِرْدِ
كفاهم كتاب الله والسنة التي ... كَفَتْ قبلهم صَحْبَ الرسول ذَوِي الرشدِ
أأنتم أهدى أم صحابة أحمد ... وأهل الكِسَا هيهات ما الشوك كالوردِ
أولئك أهدى في الطريقة منكمُ ... فهم قدوتي حتى أُوَسَّدَ في لحدي
وشتان ما بين المقلِّدِ في الهدى ... ومن يقتدي والضِّدُّ يُعْرَفُ بالضِّدِّ
فمن قلَّد النعمان أصبح شاربًا ... نبيذًا وفيه القول للبعض بالحَدِّ
ومن يقتدي أضحى إمامَ مَعَارِفٍ ... وكان إمامًا في العبادة والزهدِ
فمقتديًا في الحق كن لا مقلِّدًا ... وخَلِّ أخا التقليد في الأسر بالقَدِّ
وأكفر أهل الأرض من قال إنه ... إله فإن الله جل عن النِّدِّ
مُسَمَّاه كُلُّ الكائنات جميعُها ... من الكلب والخنزير والقرد والفهدِ
وأن عذاب النار عَذْبٌ لأهلها ... سواء عذابُ النار أو جنةُ الخلدِ
وعُبَّاد عِجْلِ السامريِّ على هدىً ... ولائمهم في اللوم ليس على رشدِ
وينشدنا عنه نصوصَ فُصُوصِهِ ... ينادي خذوا في النظم مكنون ما عندي

وكنتُ امرأً من جند إبليس فارتقى بِيَ الدهر حتى صار إبليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أدركت بعده دقائق كفر ليس يدركها بعدي
وكم من ضلال في الفتوحات صَدَّقت به فرقة أضحَوا أَلَدَّ من اللُّدِّ
يلوذون عند العجز بالذوق لَيْتَهُمْ يذوقون طعم الحقِّ والحقُّ كالشهدِ
فنسألهم ما الذوق قالوا مناله عزيز فلا بالرسم يُدْرَكُ والحَدِّ
تَسَتُّرُهُم بالكشف والذوق أشعَرَا بأنهمُ عن مطلب الحق في بُعْدِ
ومن يطلب الإنصاف يُدْلِي بحجة ويرجع أحيانًا ويهدي ويَستهدي
وهيهات كلٌّ في الديانة تابع أباه كأن الحق في الآباء والجَدِّ
وقد قال هذا قبلهم كل مشرك فهل قدحوا هذي العقيدة مِن زَنْدِ
كذلك أصحابُ الكتاب تتابعوا على ملة الآباء فردًا على فردِ
وهذا اغتراب الدين فاصبر فإنني غريب وأصحابي كثير بلا عَدِّ
إذا ما رأوني عظموني وإن أَغِبْ فكم أكلوا لحمي وكم مزقوا جلدي
هنيئًا مريئًا في اغتيابي فوائد فكلُّ فتىً يغتابني فَهْوَ لي يُهْدِي
يصلي ولي أجر الصلاة وصومُه ولي كل شيء من محاسنه يُبْدِي
وكم حاسد قد أنضج الغيظ قلبه ولكنه غيظ الأسير على القَدِّ
فدُونَكَها تَحْوِي علومًا جليلة منزَّهة عن وصف خَدٍّ وعن قَدِّ
فلا مَدَحَت وصلًا لِلَيْلَى وزينب ولا هي ذَمَّت هَجْرَ سُعْدَى ولا هندِ
إليك طَوَت عرض الفَيَافِي وطولَها فكم قَطَعَت غورًا ونجدًا إلى نجدِ
أناخت بنجدٍ فاستراحت ركابها وراح خليًّا من رحيل ومن شَدِّ
فأحسِنْ قِرَاها بالقراءة ناظمًا عليها جوابًا فَهْيَ من جملة الوفدِ
وقد طوت جبر الضعف نظامها كما سُتِر الوجه المشوه بالبُرد
وصلِّ على المختار والآل إنها لحسن ختام النظم واسطة العقدِ

قد تبين لكل متأمل منصف، فساد ما نحاه كل مجادل ومعاند مسرف، ووضح له بجلب هذه الآثار والأنقال، وسرد هذه العبارات البرية من وصمة المقال، الصحيح الذي يجب اتباعه والعمل به من الأقوال، والفاسد الذي لم يُنْسَج من الشريعة الغراء على منوال، وزال ما في قلبه من الرَّيْنِ والإشكال، وعرف يقينًا أن ما اقتفاه من الهدى الصحب والآل، هو النجاة يوم القيامة من شدائد تلك الأهوال، فيَدَع ما انتحله من المناهج المتأخرة الرجال، ويعرف فضل ذوي العلم والأعمال، الذين اتخذوا كتاب الله تعالى لهم سميرًا، وسنة نبيه ﷺ لهم ظهيرًا، فكان لهم تبارك وتعالى معينًا ونصيرًا، حتى عرجوا في معارج الكمال، وتبوأوا مراتب من الشرف لا تُدرك ولا تُنال، بل لا يوطأ بغير التوحيد لها جال، وصب عليهم من صَيِّبِ الرحمة سِجَال، وتلقاهم بالقبول والإقبال، وأسكنهم من الخلد أرفع ظلال، ينالون ما يشتهون فيه بالغدو والآصال.

فمن عَزَّت عليه نفسه سعى من الأسباب لها في الخلاص، وراقب يوم الأخذ بالنواص، حين يعَض الظالم على يديه ندامة وتسويلًا، وينادي على رءوس الأشهاد، يوم الوقوف والتناد، ولكن لا يُعَرَّج على قوله تعويلًا، ولا يجد إلى منهج الفكاك دليلًا، فيقول مما يكابد من العذاب جزاءً له وتنكيلًا: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ويتحقق بعد ذلك المشاهدة والمعاينة، على ما كان سالكًا في الدنيا من المباينة، لما كان عليه صالح السلف، والأتباع الذين هم أهدى خلف، وتستبين لهم سبيل الراسخين الأتباع، فيجاهد نفسه الراكنة إلى الهوى على الاهتداء بهم والاتباع، ويجزم بأن أكثر ما قرره غلاة الأحبار، وأجالوا فيه دقائق الأفكار، من إيجاب التقليد، وإنكار الاجتهاد، وأنه لا يسوغ لأحد من العباد، تعصب منهم على الوظائف والمناصب، ومصادمة للحق حملهم عليها الاستعلاء للمراتب، واستيفاء المقرر لأهل تلك المذاهب.

خاتمة: توفي الشيخ، رحمه الله تعالى، وله من العمر قريبٌ من ثنتين وتسعين سنة، وكان في خلال هذه المدة يبذل في طاعة مولاه جهده، محافظًا على ما له من الأحزاب والأوراد، مشمّرًا في تحصيل نافع الزاد، متجردًا للاستعداد ليوم المعاد، حتى لقي الله تعالى، فأفاض عليه من صَيّبِ الرحمة سِجَالًا.

وسيأتي الكلام على وفاته في سنتها المعلومة، مع مرثية هنا مثبتة مرقومة.

وقد صنف، رحمه الله تعالى، مصنفات كثيرة، وألف مؤلفات نافعة شهيرة، منها: كتاب «التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد» وكتاب «الكبائر» وكتاب «كشف الشبهات» وكتاب «السيرة المختصرة» وكتاب «السيرة المطولة» نحو مجلد، وكتاب «مختصر الهدي النبوي» في مجلد لطيف، وكتاب «مجموع الحديث على أبواب الفقه» وكتاب «مختصر الشرح الكبير والإنصاف» مجلد كبير، وله رسائل كثيرة عقدنا للمختصرات منها فصلًا، واستوعبنا ما وقفنا عليه منها.

وأما الرسائل المطولة فمنها «كشف الشبهات» وستأتي.

ومنها: رسالة كتبها لعبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي، وهي هذه، وأنا أذكرها بكمالها لما فيها من الفوائد الجليلة، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف، حفظه الله تعالى:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد وصل إلينا من ناحيتكم مكاتيب فيها إنكار وتغليظ عليَّ، ولما قيل إنك كَتَبْتَ معهم، وقع في الخاطر بعض الشيء؛ لأن الله سبحانه نشر لك من الذكر

الجميل، وأنزل في قلوب عباده لك من المحبة ما لم يُؤْتَهُ كثيرٌ من الناس، لما يُذْكَرُ عنك مِن مخالفة مَن قِبَلَكَ مِن حكام السوء، وأيضًا لما أعلم منك من محبة الله ورسوله، وحسن الفهم، واتباع الحق ولو خالفك فيه كبار أئمتكم، لأني اجتمعت بك من نحو عشرين، وتذاكرت أنا وإياك في شيء من التفسير والحديث، وأخرَجْتَ لي كراريس من البخاري كَتَبْتَهَا، ونَقَلْتَ على هوامشها من الشروح، وقلت في مسألة الإيمان التي ذكر البخاري في أول الصحيح: هذا هو الحق الذي أدين الله به. فأعجبني هذا الكلام؛ لأنه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين، وذاكرتني أيضًا في بعض المسائل، فكنت أحكي لمن يتعلم مني ما منَّ الله به عليك من حسن الفهم ومحبة الله والدار الآخرة.

فلأجل هذا لم أظن فيك المسارعة في هذا الأمر؛ لأن الذين قاموا فيه مخطئون على كل تقدير، لأن الحق إن كان مع خصمهم فواضح، وإن كان معهم فينبغي للداعي إلى الله أن يدعو بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وقد أمر الله رسولَيْهِ موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى.

وينبغي للقاضي، أعزه الله بطاعته، لما ابتلاه الله بهذا المنصب أن يتأدب بالآداب التي ذكرها الله في كتابه الذي أنزل ليبين للناس ما اختلفوا فيه وهدًى ورحمةً لقوم يوقنون، فمن ذلك لا يَسْتَخِفَنَّهُ الذين لا يوقنون، ويتثبت عند سِعَايات الفساق والمنافقين ولا يَعْجَل، وقد وصف الله المنافقين في كتابه بأوصافهم، وذكر شُعَبَ النفاق لِتُجْتَنَبَ ويُجْتَنَبَ أهلها أيضًا، فوصفهم بالفصاحة والبيان وحسن اللسان، بل وحسن الصورة، في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ الآية، ووصفهم بالمكر والكذب والاستهزاء بالمؤمنين في أول البقرة، ووصفهم بكلام ذي الوجهين، ووصفهم بالدخول في المخاصمات بين الناس بما لا يحب الله ورسوله، في قوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ الآية، ووصفهم باستحقار المؤمنين والرضا بأفعالهم، ووصفهم بغير هذا في البقرة وبراءة وسورة القتال، وغير ذلك، كل ذلك نصيحة لعباده ليجتنبوا الأوصاف ومَن تَلَبَّسَ بها، ونهى الله نبيه عن طاعتهم في غير موضع، فكيف يجوز من مثلك أن يَقْبَلَ مِن مثل هؤلاء! وأعظم من ذلك أن تعتقد أنهم من أهل العلم وتزورهم في بيوتهم وتعظمهم! وأنا لا أقول لك هذا في واحد بعينه، ولكن نصيحة وتعريف بما في كتاب الله من سياسة الدين والدنيا، لأن أكثر الناس قد نبذه وراء ظهره.

وأما ما ذُكر لكم عني فإني لم آته بجهالة، بل أقول، ولله الحمد والمنة وبه القوة: ﴿إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ولست، ولله الحمد، أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم؛ مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير، أو غيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أُشْهِدُ الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأَقْبَلَنَّها على الرأس والعين، ولأَضْرِبَنَّ الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق.

وصفة الأمر، غير خافٍ عليكم ما دَرَج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون وأتباعهم، والأئمة كالشافعي وأحمد وأمثالهما، ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم، وكذلك ما دَرَج عليه مَن سَبَقَت له من الله الحسنى من أتباعهم، وغير خاف عليكم ما أحدث الناس في دينهم من الحوادث، وما خالفوا فيه طريق سلفهم، ووَجَدْتُ المتأخرين أكثرهم قد غَيَّر وبَدَّل، وسادتُهُم وأئمتُهُم وأعلمُهُم وأعبدُهُم وأزهدُهُم؛ مثل ابن القيم والحافظ الذهبي والحافظ

العماد ابن كثير والحافظ ابن رجب، قد اشتد نكيرهم على أهل عصرهم الذين هم خيرٌ من ابن حجر وصاحب «الإقناع»[١] بالإجماع، فإذا استدل عليهم أهل زمانهم بكثرتهم وإطباق على طريقتهم قالوا: هذا من أكبر الأدلة على أنه باطل؛ لأن رسول الله ﷺ قد أخبر أن أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى «حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه»[٢] وقد ذكر الله في كتابه أنهم فرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعًا، وأنهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا: هذا من عند الله. وأنهم تركوا كتاب الله والعمل به، وأقبلوا على ما أحدثه أسلافهم من الكتب، وأخبر أنه وصاهم بالاجتماع، وأنهم لم يختلفوا لخفاء الدين، بل اختلفوا مِن بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ والزبر: الكتب.

فإذا فهم المؤمن قول الصادق المصدوق: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم» وجعله قِبْلَةَ قَلْبِهِ، تبين له أن هذه الآيات وأشباهها ليست على ما ظن الجاهلون أنها كانت في قومٍ كانوا فبانوا، بل يُفْهَمُ ما ورد عن عمر رضي الله عنه، أنه قال في هذه الآيات: مضى القوم وما يعني به غيركم[٣].

وقد فرض الله على عباده في كل صلاة أن يسألوه الهداية إلى صراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، الذين هم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فمن عرف دين الإسلام، وما وقع الناس فيه من التغيير له عرف مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه.

---

(١) موسى الحجّاوي (ت ٩٦٨هـ).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٠٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾.

والحاصل أن صورة المسألة: هل الواجب على كل مسلم أن يطلب علم ما أنزل الله على رسوله، ولا يُعْذَرُ أحد في تركه ألبتة، أم يجب عليه أن يَتَّبِعَ «التحفة»[(١)] مثلًا؟ فأعلم المتأخرين وسادتهم، منهم ابن القيم، قد أنكروا هذا غاية الإنكار، وأنه تغيير لدين الله، واستدلوا على ذلك بما يطول وصفه من كتاب الله الواضح، ومن كلام رسول الله ﷺ البين لمن نوَّر الله قلبه. والذين يُجيزُون ذلك أو يوجبونه يُدْلُون بشبهة واهية، لكن أكبر شُبَهِهِم على الإطلاق: أنَّا لَسْنَا من أهل ذلك ولا نقدر عليه، ولا يقدر عليه إلا المجتهد، و﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

ولأهل العلم في إبطال هذه الشبهة ما يحتمل مجلدًا، ومن أوضحه قول الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقد فسرها رسول الله ﷺ في حديث عَدِيٍّ[(٢)] بهذا الذي أنتم عليه اليوم في الأصول والفروع، لا أعلمهم يزيدون عليكم مثقال حبة خردل، بل يبين مصداق قوله: «**حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة...**» إلى آخره، وكذلك فسرها المفسرون، لا أعلم بينهم

---

(١) «تحفة المحتاج في شرح المنهاج»؛ لابن حجر الهيتمي الشافعي. قال محمد بن سليمان الكردي: «ذهب علماء حضرموت والشام والأكراد وداغستان وأكثر اليمن والحجاز إلى أن المعتمد ماقاله الشيخ ابن حجر في كتبه، بل في تحفته؛ لما فيها من إحاطة بنصوص الإمام، مع مزيد تتبع المؤلف فيها، ولقراءة المحققين لها عليه». عن: «المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي»؛ للدكتور أكرم القواسمي (ص ٤١٤ - ٤١٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) من حديث عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي اطرح عنك هذا الوثن**» وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه**» وحسنه الشيخ الألباني في (غاية المرام ٦).

اختلافًا، ومن أحسنه ما قاله أبو العالية: أما إنهم لم يعبدوهم، ولو أمروهم بذلك ما أطاعوهم، ولكنهم وجدوا كتاب الله فقالوا: لا نسبق علماءنا بشيء، ما أَمَرُونا به ائتمرنا، وما نَهَوْنَا عنه انتهينا.

وهذه رسالة لا تحتمل إقامة الدليل، ولا جوابًا عما يدلي به المخالف، لكن أَعْرِضُ عليه من نفسي الإنصاف والانقياد للحق، فإن أردتم عليَّ الرد بعلم وعدل فعندكم كتاب «إعلام الموقعين» لابن القيم، عند ابن فيروز في مشرفه[١]، فقد بسط الكلام فيه على هذا الأصل بسطًا كثيرًا، وسَرَدَ مِن شُبَهِ أئمتكم ما لا تعرفون أنتم ولا آباؤكم، وأجاب عنها، واستدل لها بالدلائل الواضحة القاطعة؛ منها أمر الله ورسوله عن أمركم هذا بعينه، وأن رسول الله ﷺ وأصحابه وصفوه من قبل أن يقع، وحذروا الناس منه، وأخبروا أنه لا يصير على الدين إلا الواحد بعد الواحد، وأن الإسلام يصير غريبًا كما بدأ، وقد علمتم أن رسول الله ﷺ لما سأله عمرو بن عبسة في أول الإسلام: من معك على هذا؟ قال: «حُرٌّ وعبدٌ» يعني أبا بكر وبلالًا[٢] فإذا كان الإسلام يعود كما بدأ، فما أجهل مَن استدل بكثرة الناس وإطباقهم، وأشباه هذه الشبهة التي هي عظيمة عند أهلها، حقيرة عند الله وعند أولي العلم مِن خلقه، كما قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ فلا أعلم لكم حجة تحتجون بها إلا وقد ذكر الله في كتابه أن الكفار استدلوا بها على تكذيب الرسل، مثل إطباق الناس وطاعة الكبراء وغير ذلك، فمَن مَنَّ الله عليه بمعرفة دين الإسلام الذي دعا إليه رسول الله ﷺ عرف قدر هذه الآيات والحجج، وحاجة الناس إليها.

---

(١) شمال مدينة المبرز.

(٢) أخرجه مسلم (٨٣٢).

فإن زعمتم أن ذكر هؤلاء الأئمة لهذا لِمَن كان مِن أهله، فقد صرحوا بوجوبه على الأسود والأحمر، والذكر والأنثى، وأن ما بعد الحق إلا الضلال، وأن قول من قال: ذلك صعب. مكيدة من الشيطان، كاد بها الناسَ عن سلوك الصراط المستقيم؛ الحنيفية ملة إبراهيم. وإن بان لكم أنهم مخطئون فبيِّنوا ليَ الحق حتى أرجع إليه.

وإنما كتبت لكم هذا معذرةً من الله ودعوةً إلى الله؛ لِأُحَصِّلَ ثواب الداعين إلى الله، وإلا أنا أظن أنكم لا تقبلونه، وأنه عندكم من أنكر المنكرات، مِن أن الذي يَعِيب هذا عندكم مثلُ مِن يَعِيب رسولَ الله ﷺ وأصحابَه، لكن أنت مَن سبب ما أظن فيك من طاعة الله، لاأبعدُ أن يهديك الله إلى الصراط المستقيم ويشرح قلبك للإسلام، فإذا قرأته، فإن أنكره قلبك فلا عجب، فإن العجب ممن نجا كيف نجا! فإن أصغى إليه قلبك بعض الشيء فعليك بكثرة التضرع إلى الله، والانطراح بين يديه، خصوصًا أوقات الإجابة، كآخر الليل، وأدبار الصلاة، وبعد الأذان، وكذلك بالأدعية المأثورة، خصوصًا الذي ورد في الصحيح أنه ﷺ كان يقول: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»(١)، فعليك بالإلحاح بهذا الدعاء بين يدي من يجيب المضطر إذا دعاه، وبالذي هدى إبراهيم لمخالفة الناس كلهم، وقل: يا معلم إبراهيم علمني.

وإن صعب عليك مخالفة الناس ففكر في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠).

ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ﴾ ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ وتأمل قوله في الصحيح: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»[(١)] وقوله ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم...**» إلى آخره[(٢)] وقوله: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[(٣)] وقوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**»[(٤)] والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة أُفْرِدَت بالتصنيف، فإني أحبك، وقد دعوت لك في صلاتي، وأتمنى مِن قبل هذه المكاتيب أن يهديك الله لدينه القيم، ولا يمنعني من مكاتبتك إلا ظني أنك لا تقبل، وتسلك مسلك الأكثر، ولكن لا مانع لما أعطى الله، والله لا يتعاظم شيئًا أعطاه، وما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقًا لدين الله، كعمر رضي الله عنه في أوله، فإنك لو تكون معنا لانتصفنا ممن أغلظ علينا.

وأما هذا الخيال الشيطاني الذي اصطاد به الناس؛ أن مَن سلك هذا المَسْلَك فقد نَسَب نفسَه للاجتهاد، وترك الاقتداء بأهل العلم، وزخرفه بأنواع الزخارف، فليس هذا بكثير من الشيطان وزخارفه، كما قال تعالى: ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ فإن الذي أنا عليه وأدعوكم إليه هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم، فإنهم قد وَصّوا الناس بذلك، ومن أشهرهم كلامًا في ذلك إمامكم الشافعي، قال: لا بد أن تجدوا عني ما يخالف الحديث، فكل ما خالفه فأشهدكم أني قد رجعت عنه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) والإمام أحمد (٤/ ١٢٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٩).

(٤) هو الحديث السابق نفسه.

وأيضًا أنا في مخالفتي هذا العالم لم أخالفه وحدي، فإذا اختلفت أنا وشافعيٌّ مثلًا في أبوال مأكول اللحم، وقلتُ: القول بنجاسته يخالف حديث العُرَنِيِّين(١) ويخالف حديث أنس أن النبي ﷺ صلى في مرابض الغنم(٢). فقال هذا الجاهل الظالم: أنت أعلم بالحديث من الشافعي! قلت: أنا لم أخالف الشافعي من غير إمام اتبعتُه، بل اتبعتُ مَن هو مثلُ الشافعي أو أعلمُ منه، قد خالفه واستدل بالأحاديث. فإذا قال: أنت أعلم من الشافعي! قلت: أنت أعلم من مالك وأحمد! فقد عارضتُهُ بمثل ما عارَضَني به، وسَلِمَ الدليل من المعارض، واتبعت قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية، واتبعتُ مَن اتَّبع الدليلَ في هذه المسألة مِن أهل العلم، لم أستدل بالقرآن أو الحديث وحدي حتى يَتَوَجَّهَ عليَّ ما قيل، وهذا على التَّنَزُّلِ، وإلا فمعلوم أن اتباعكم لابن حجر(٣) في الحقيقة، ولا تعبأون بمن خالفه مِن رسول أو صاحبٍ أو تابعٍ، حتى الشافعي نفسه، ولا تعبأون بكلامه إذا خالف نصَّ ابن حجر، وكذلك غيركم، إنما اتِّبَاعُهُم لبعض المتأخرين لا للأئمة، فهؤلاء الحنابلة مِن أقل الناس بدعةٍ، وأكثر «الإقناع» و«المنتهى»(٤) مخالف لمذهب أحمد ونَصِّهِ، يَعْرِفُ ذلك مَن عَرَفَه.

ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن إذا اختلفوا؛ هل يجب عليَّ أن أقبل الحق ممن جاء به وأَرُدَّ المسألة إلى الله والرسول مقتديًا بأهل العلم، أو أنتحل بعضهم من غير حجة، وأزعم أن الصواب في قوله؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٠١) ومسلم (١٦٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨) ومسلم (٥٢٤).

(٣) الهيتمي - كما سبق -.

(٤) «منتهى الإرادات في الجمع بين المقنع والتنقيح وزيادات»؛ للفتُوحي (ت ٩٧٢هـ).

فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي ذمه الله وسماه شركًا، وهو اتخاذ العلماء أربابًا، وأنا على الأول، أدعو إليه وأناظر عليه، فإن كان عندكم حق رجعنا إليه وقبلناه منكم، وإن أردت النظر في «إعلام الموقعين»(١) فعليك بمناظرة في أثنائه عقدها بين مُقَلِّدٍ وصاحبِ حجة، وإن أُلْقِيَ في ذهنك أن ابن القيم مبتدع، وأن الآيات التي استدل بها ليس هذا معناها، فاضرَعْ إلى الله، واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق، وتَجَرَّدْ إلى ناظر أو مناظر، أو اطلب كلام أهل العلم في زمانه، مثل الحافظ الذهبي وابن كثير وابن رجب وغيرهم. ومما ينسب للذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خُلْفٌ فيه
ما العلم نَصْبُكَ للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه

فإن لم تتبع هؤلاء فانظر كلام الأئمة قبلهم، كالحافظ البيهقي في كتاب «المدخل» والحافظ ابن عبد البر والخطابي وأمثالهم، ومَن قبلهم، كالشافعي وابن جرير وابن قتيبة وأبي عبيد، فهؤلاء إليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف، وإياك وتفاسيرَ المحرِّفين للكلم عن مواضعه وشروحهم؛ فإنها القاطعة عن الله وعن دينه، وتأمل ما في كتاب «الاعتصام» للبخاري، وما قال أهل العلم في شرحه.

وهل يُتصور شيءٌ أصرح مما صح عنه ﷺ أن أمته ستفترق على أكثر من سبعين فرقة، أخبر أنهم كلهم في النار إلا واحدة، ثم وصف تلك الواحدة أنها التي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه(٢) وأنتم مقرون أنكم على غير

(١) (٢ / ١٨٢ وما بعدها).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) والإمام أحمد (٣/ ١٢٠) من حديث أنس، وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٠٤٢) والإمام أحمد (٤/ ١٠٢) وأخرجه أبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية.

طريقتهم، وتقولون: ما نقدر عليها، ولا يقدر عليها إلا المجتهد. فجزمتم أنه لا يَنْتَفِعُ بكلام الله وكلام رسوله إلا المجتهد، وتقولون: يَحْرُمُ على غيره أن يطلب الهدى من كلام الله وكلام رسوله وكلام أصحابه. فجزمتم وشهدتم أنكم على غير طريقتهم، معترفين بالعجز عن ذلك.

وإذا كنتم مُقِرّين أن الواجب على الأوَّلين اتباعُ كتاب الله وسنة رسوله، لا يجوز العدول عن ذلك، وأن هذه الكتب والتي خير منها لو تَحْدُثُ في زمن عمر بن الخطاب لفعل بها وبأهلها أشد الفعل، ولو تَحْدُثُ في زمن الشافعي وأحمد لاشتد نكيرهم لذلك، فليت شعري؛ متى حرم الله هذا الواجب وأوجب هذا المحرم!

ولمَّا حَدَث قليل من هذا، لا يُشبهُ ما أنتم عليه، في زمن الإمام أحمد؛ اشتد إنكاره لذلك، ولما بلغه عن بعض أصحابه أنه يروي عنه مسائل بخراسان، قال: أشهدكم أني قد رجعت عن ذلك.

ولما رأى بعضهم يكتب كلامه أنكر عليه وقال: تكتب رأيًا لَعَلِّي أرجع عنه غدًا! اطلُب العلم مثلما طلبنا.

ولما سئل عن كتاب أبي ثور قال: كل كتاب ابتُدِعَ فهو بدعة. ومعلوم أن أبا ثور من كبار أهل العلم، وكان أحمد يُثْنِي عليه، وكان يَنْهَى الناسَ عن النظر في كتب أهل العلم الذين يثني عليهم ويعظمهم.

ولما أخذ بعض أئمة الحديث كتب أبي حنيفة هجره أحمد وكتب إليه: إن تَرَكْتَ كتب أبي حنيفة أتيناك تُسْمِعُنَا كتب ابن المبارك.

ولما ذكر له بعض أصحابه أن هذه الكتب فيها فائدة لمن لا يعرف الكتاب والسنة، قال: إن عَرَفْتَ الحديث لم تَحْتَجْ إليها، وإن لم تعرفه لم يَحِلَّ لك النظر فيها. وقال: عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحتِهِ يذهبون إلى رأي سفيان، واللهُ

يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك.

ومعلوم أن الثوري عنده غاية، وكان يسميه أمير المؤمنين. فإذا كان هذا كلام أحمد في كتب نتمنى الآن أن نراها، فكيف بكتب قد أقر أهلها على أنفسهم أنهم ليسوا من أهل العلم، وشهد عليهم بذلك! ولعل بعضهم مات وهو لا يعرف ما دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ.

وشبهتكم التي أُلْقِيَت في قلوبكم؛ أنكم لا تقدرون على فهم كلام الله ورسوله والسلف الصالح، وقد قدمنا أن النبي ﷺ قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ...**»[1] إلى آخره، فتأمل هذه الشبهة، أعني قولكم: لا نقدر على ذلك. وتأمل ما حكى الله عن اليهود في قوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ واطلب تفاسير هذه الآيات من كتب أهل العلم، واعرِفْ مَن نَزَلَت فيه، واعرف الأقوال والأفعال التي كانت سببًا لنزول هذه الآيات، ثم اعرضها على قولهم: لا نقدر على فهم القرآن والسنة. تَجِدْ مصداق قوله: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم**» وما في معناه من الأحاديث الكثيرة.

فلتكن قصة إسلام سلمان الفارسي منكم على بال، ففيها أنه لم يكن على دين الرسل إلا الواحد بعد الواحد، حتى أن آخرهم قال عند موته: لا أعلم على وجه الأرض أحدًا على ما نحن عليه، ولكن قد أظل زمان نبي[2]. واذكر مع

(١) أخرجه: البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٦٧٢٣) بلفظ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع...». وأما لفظ: «حذو القذة بالقذة» فأخرجه أحمد (٤/ ١٢٥).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤٤٢).

هذا قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.

فحقيق لمن نصح نفسه وخاف عذاب الآخرة أن يتأمل ما وصف الله به اليهود في كتابه، خصوصًا ما وصف به علماءهم ورهبانهم من كتمان الحق ولبس الحق بالباطل والصد عن سبيل الله، وما وصفهم الله - أي علماءهم - من الشرك والإيمان بالجبت والطاغوت، وقولهم للذين كفروا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ لأنه عرف أن كل ما فعلوا لا بد أن تفعله هذه الأمة، وقد فَعَلَت.

وإن صعب عليك مخالفة الكبراء، ولم يقبل ذهنك هذا الكلام، فأحضر بقلبك أن كتاب الله أحسن الكتب، وأعظمها بيانًا، وأشفاها لدواء الجهل، وأعظمها فرقًا بين الحق والباطل، والله سبحانه قد عرف تفرق عباده واختلافهم قبل أن يخلقهم، وقد ذكر في كتابه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ وأحضر قلبك هذه الأصول، وما يشابهها في ذهنك، واعرِضْها على قلبك، فإنه إن شاء الله يؤمن بها على سبيل الإجمال. فتأمل قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ وتكرير هذا الأصل في مواضع كثيرة، وكذلك قوله: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ فكل حجة تحتجون بها تجدها مبسوطة في القرآن، وبعضها في مواضع كثيرة، فأحضر بقلبك أن الحكيم الذي أنزل كتابه شفاء من الجهل، فارقًا بين الحق والباطل، لا يليق منه أن يقرر هذه الحجج ويكررها، مع عدم حاجة المسلمين إليها، ويترك الحجج التي يحتاجون إليها، ويعلم أن عباده يفترقون، حاشا أحكم الحاكمين من ذلك.

ومما يُهون عليك مخالفةَ مَن خالَفَ الحق، وإن كان من أعلم الناس وأذكاهم وأعظمهم جهلًا، ولو اتَّبعَه أكثر الناس، ما وقع في هذه الأمة من افتراقهم في

أصول الدين وصفات الله تعالى، وغالب مَن يَدَّعِي المعرفة وما عليه المتكلمون، وتسميتهم طريق رسول الله ﷺ حَشْوًا وتشبيهًا وتجسيمًا، مع أنك إذا طالعت في كتاب من كتب الكلام، مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد، وهو أصل الدين، تجد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله، اللهم إلا أن يذكره أو يحرفه عن مواضعه، وهم معترفون أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي، بل من عقولهم، ومعترفون أنهم مخالفون للسلف في ذلك.

مثلما ذكر في «فتح الباري» في مسألة الإيمان، على قول البخاري: «وهو قولٌ وعملٌ، ويزيد وينقص»[١] فذكر إجماع السلف على ذلك، وذكر عن الشافعي أنه نقل الإجماع على ذلك، وكذلك ذكر أن البخاري نقله، ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يَرُدَّه[٢]، فإن نظرت في كتاب التوحيد في آخر الصحيح، فتأمل تلك التراجم، وقرأت في كتب أهل العلم من السلف، ومِن أتباعهم من الخلف، ونقلهم الإجماع على وجوب الإيمان بصفات الله تعالى، وتلقيها بالقبول، وأن من جحد شيئًا منها أو تأول شيئًا من النصوص فقد افترى على الله، وخالف إجماع أهل العلم، ونقلهم الإجماع أن علم الكلام بدعة وضلالة، حتى قال أبو عمر بن عبد البر: أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات، لا يُعَدُّون عند الجميع من طبقات العلماء.

والكلام في هذا يطول، والحاصل أنهم عمدوا إلى شيء أجمع المسلمون

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٤٦).
(٢) ولهذا تعقبه الشيخ علي الشبل - بمتابعة من الشيخ ابن باز رحمه الله - في «التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري» (ص ٢٨ - ٢٩).

كلهم، بل وأجمع عليه أجهل الخلق بالله عَبَدَةُ الأوثان، الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ فابتدع هؤلاء كلامًا من عند أنفسهم كابروا به العقول أيضًا، حتى أنكم لا تقدرون تغيرون عَوَامّكم عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، ثم مع هذا كله تابعهم جمهور من يتكلم في علم هذا الأمر، إلا مَن سَبَقَت لهم من الله الحسنى، وهم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، يبغضونهم الناس ويرمونهم بالتجسيم.

هذا، وأهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنهم، حتى أن لهم من الذكاء والحفظ والفهم ما يحير اللبيب، وهم وأتباعهم مُقِرُّون أنهم مخالفون للسلف، حتى أن أئمة المتكلمين لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي، مثل قولهم: المراد بالصيام كتمان أسرارنا، والمراد بالحج زيارة مشايخنا، والمراد بجبريل العقل الفعال. وغير ذلك من إفكهم - رَدَّ عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام، فقال لهم الفلاسفة: أنتم جحدتم علو الله على خلقه واستواءه على عرشه، مع أنه مذكور في الكتب على ألسنة الرسل، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم، وغيرهم من أهل الملل، فكيف يكون تأويلنا تحريفًا وتأويلكم صحيحًا! فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب عن هذا الإيراد.

والمراد أن مذهبهم مع كونه فاسدًا في نفسه مخالفًا للعقول، هو أيضًا مخالف لدين الإسلام والكتاب والرسول، وللسلف كلهم؛ ويذكرون في كتبهم أنهم مخالفون للسلف، ثم مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل، حتى طَبَّقَت مشارق الأرض ومغاربها.

وأنا أدعوك إلى التفكير في هذه المسألة؛ وذلك أن السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم في أصول الدين، وإبطال كلام المتكلمين وتكفيرهم، وممن ذكر هذا

من متأخري الشافعية: البيهقي والبغوي وإسماعيل التيمي، ومَن بعدهم كالحافظ الذهبي، وأما متقدموهم كابن سُرَيج والدارقطني وغيرهما، فكلهم على هذا الأمر، ففتش في كتب هؤلاء، فإن أتيتني بكلمة واحدة أن منهم رجلًا واحدًا لم ينكر على المتكلمين ولم يكفرهم، فلا تقبل مني شيئًا أبدًا. ومع هذا كله وظهورِهِ غايةَ الظهور راج عليكم، حتى ادعيتم أن أهل السنة هم المتكلمون، والله المستعان.

ومن العجب أنه يوجد في بلدكم من يفتي الرجل بقول إمام، والثاني بقول آخر، والثالث بخلاف القولين، ويُعَدُّ فضيلةً وعلمًا وذكاءً، ويقال: هذا يُفْتِي في مذهبين أو أكثر! ومعلوم عند الناس أن مراده في هذا العلو والرياء وأكل أموال الناس بالباطل، فإذا خالَفْتُ قول عالمٍ لمن هو أعلم منه أو مثله، إذا كان معه الدليل، ولم آت بشيء من عند نفسي، تكلمتم بهذا الكلام الشديد، فإن سمعتم أني أفتيت بشيء خرجتُ فيه من إجماع أهل العلم تَوَجَّهَ عليَّ القول.

وقد بلغني أنكم في هذا الأمر قمتم وقعدتم، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر، فيا ليت قيامكم كان في عظائم في بلدكم تُضَادُّ أصلَيْ الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. منها، وهو أعظمها، عبادة الأصنام عندكم مِن بشر وحجر، هذا يُذبح له وهذا يُنْذر له، وهذا يُطلب إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات، وهذا يدعوه المضطر في البر والبحر، وهذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه في الدنيا والآخرة ولو عصى الله، فإن كنتم تزعمون أن هذا ليس هو عبادة الأصنام والأوثان المذكورة في القرآن، فهذا من العجب؛ فإني لا أعلم أحدًا من أهل العلم يختلف في ذلك، اللهم إلا أن يكون أحد وقع فيما وقع فيه اليهود من إيمانهم بالجبت والطاغوت.

وإن ادعيتم أنكم لا تقدرون على ذلك، فإن لم تقدروا على الكل قدرتم على

البعض، كيف وبعض الذين أنكروا عليَّ هذا الأمر، وادَّعوا أنهم من أهل العلم، ملتبسون بالشرك الأكبر ويَدْعُون إليه! ولو يسمعون إنسانًا يجرد التوحيد ألزموهُ بالكفر والفسوق! ولكن نعوذ بالله من رضا الناس بسخط الله.

ومنها: ما يفعله كثير من أتباع إبليس، وأتباع المنجمين والسحرة والكهان، ممن ينتسب إلى الفقر، وكثير ممن ينتسب إلى العلم، من هذه الخوارق التي يوهمون بها الناس، ويشبهون بمعجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، ومرادهم أكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله، حتى أن بعض أنواعها يعتقد فيه من يدعي العلم أنه من العلم الموروث عن الأنبياء، من علم الأسماء، وهو من الجبت والطاغوت، ولكن هذا مصداق قوله ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم**»[(١)] ومنها هذه الحيلة الربوية التي مثل حيلة أصحاب السبت أو أشد.

وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع: إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله ﷺ وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عانَدَ دَعَوْتُهُ إلى المباهلة كما دعا إليها ابنُ عباس في بعض مسائل الفرائض[(٢)] وكما دعا إليها سفيان والأوزاعي في مسألة رفع اليدين وغيرهما من أهل العلم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

يا مَن تَعِزُّ عليهم أرواحهم ... ويَرَوْنَ غَبْنًا بَيْعَهَا بِهَوَانِ
ويَرَوْنَ أن أمامهم يوم اللُّقَا ... للهِ مسألتان شاملتانِ
ماذا عبدتم؟ ثم ماذا قد أجبتمُ ... مَن أتَى بالحق والبرهان؟
هاتوا جوابًا للسؤال وهَيِّئُوا ... أيضًا صوابًا للجواب يداني

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).
(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٢٥٤).

وتيقنوا أنْ ليس يُنْجِيكم سوى تجـريـدكـم لحـقـائـق الإيمـانِ
تجريدكم توحيده سبحانه عن شركة الشيطان والأوثانِ
وكذاك تجريد اتِّبَاع رسوله عن هذه الآراء والهذيانِ
فالوحي كافٍ للذي يُعْنَى به شافٍ لِدَاءِ جهالة الإنسانِ(١)

وهذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله، في هذه الرسالة النافعة، المتضمنة لبيان حقيقة ما هو عليه، وما يدعو الناس إليه؛ من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله، والنهي عما يُضَادُّ ذلك، مما أحدثه أهل البدع والتفرق والاختلاف من هذه الأمة.

وانظر، رحمك الله، إلى تلطفه وإحسانه في الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، وصبره على إيذائهم له، وتشنيعهم عليه في رسائلهم وكتبهم التي أرسلوها إليه، حتى أن بعضهم سماه «مجنون» وقال: أطعموه الدُّبَّا(٢) والثوم المربا! يعني أنه مجنون، والمجنون يُدَاوَى بهذا.


فصل

ثم صنف الشيخ رحمه الله، رسالة عامة للمسلمين تسمى «كشف الشبهات» جوابًا لكثير من شُبَهِهِم التي أَدْلَوْا بها وذكروها في مصنفاتهم، وهذا لفظها بحروفها، قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم، رحمك الله، أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لما غَلَوْا في

---

(١) نونية ابن القيم (٢ / ٣٧٣).
(٢) الدُّبا: القرع.

الصالحين: وَدًّا وسُوَاعًا ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرا. وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمدًا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد مَحْضُ حق الله، لا يصلح منه شيء لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فضلًا عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات ومن فيهن، والأرض ومن فيها، كلهم عبيده، وتحت تصريفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا، فاقرأ قوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ وغير ذلك من الآيات.

إذا تَحَقَّقْتَ أنهم مُقِرُّون بهذا، ولم يُدْخِلْهُم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ وعَرَفْتَ أن التوحيد الذي جحدوه، وهو توحيد العبادة، الذي يسميه المشركون في زماننا «الاعتقاد» كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلًا ونهارًا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم إلى الله ليشفعوا له، ويدعو رجلًا صالحًا مثل «اللات» أو نبيًّا مثل عيسى، وعَرَفْتَ أن رسول الله ﷺ قاتلهم

على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستعانة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله، وعَرَفتَ أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدْخِلْهُم في الإسلام، وإنَّ قَصْدَهُمُ الملائكةَ والأنبياءَ والأولياءَ يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم - عرفتَ حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون.

وهذا التوحيد هو معنى قولك «لا إله إلا الله» فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان مَلَكًا، أو نبيًا، أو وليًا، أو شجرة، أو قبرًا، أو جنيًّا، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده، كما قدمتُ لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ «السيد» فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يُعبد من دونه، والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: «قولوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ فإذا عَرفتَ أن جُهَّال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله. فلا خير في رجلٍ جُهَّالُ الكفار أعلم منه بمعنى «لا إله إلا الله».

إذا عَرَفْتَ ما أقول لك معرفة قلب، وعَرَفْتَ الشرك بالله الذي قال فيه: ﴿إِنَّ

ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ وعَرَفْتَ دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يَقْبَل الله من أحد سواه، وعَرَفْتَ ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا - أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾.

وأفادك أيضًا: الخوف العظيم، فإنك إذا عَرَفْتَ أن الإنسان يكفر بكلمة يُخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يُعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما ظن الكفار، خصوصًا إن أَلْهَمَكَ الله ما قص عن قوم موسى، مع صلاحهم وعلمهم، أنهم أتَوْهُ قائلين: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ فحِينئذ يَعْظُمُ حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًّا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحُجَجٌ، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، إذا عَرَفْتَ ذلك، وعَرَفْتَ أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحُجَجٍ، فالواجب عليك أن تعلم مِن دين الله ما يصير سلاحًا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامهم ومُقَدَّمُهم لربك ﷻ: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾، ولكن إن أقبلت على الله، وأَصْغَيْتَ إلى حُجَجِ الله وبيناته، فلا تخف ولا تحزن ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

والعاميُّ من الموحِّدين يغلب ألفًا من علماء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم الغالبون

بالسيف والسِّنان، وإنما الخوف على الموحِّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح. وقد منَّ الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما يَنْقُضُها ويُبيِّن بطلانها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حُجَّة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة. وأنا أذكر لك شيئًا مما ذكره الله في كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا، فنقول:

جواب أهل الباطل من طريقين: مُجْمَل ومُفَصَّل.

أما المجمل فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عَقَلها، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم**»(١) مثل ذلك إذا قال بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وأن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جاهٌ عند الله، أو ذَكَرَ كلامًا للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره.

فجاوبه بقولك: إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المُحكَم ويتَّبِعون المتشابه، وما ذكرته لك؛ من أن الله ذكر أن المشركين يُقِرُّون بالربوبية، وأنه كفَّرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ هذا أمر مُحْكَمٌ بيِّن، لا يقدر أحد أن يغير معناه. وما ذَكَرْتَ لي، أيها

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥).

المشرك، من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله.

وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا مَن وَفَّقه الله، ولا تَسْتَهْوِنْهُ؛ فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

وأما الجواب المُفَصَّل، فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يَخْلُقُ ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاهٌ عند الله، وأطلب من الله بهم.

فجاوبه بما تقدم، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بما ذَكَرْتَ، ومُقِرُّون أن أوثانهم لا تُدَبِّر شيئًا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووَضَّحْهُ.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا؟

فجاوبه بما تقدم، فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا مما قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر، فاذكر له أن الكفار منهم مَن يدعو الصالحين والأصنام، ومنهم مَن يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ واذكر قوله: ﴿وَيَوْمَ

يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ فقل له: عَرَفْتَ أن الله كَفَّر مَن قَصَد الأصنام، وكَفَّر أيضًا مَن قَصَد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ.

فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله النافع الضار المُدَبِّر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله بشفاعتهم.

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء، فاقرأ عليه قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

واعلم أن هذه الشُّبَه الثلاث هي أكبر ما عنده، فإذا عَرَفْتَ أن الله وضَّحها في كتابه، وفَهِمْتَهَا فهمًا جيدًا، فما بعدها أيسر منها.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة.

فقل له: أنت تُقِرّ أن الله فرض عليك إخلاص العبادة، وهو حقه عليك؟

فإذا قال: نعم. فقل له: بيِّن لي هذا الذي فَرَض عليك، وهو إخلاص العبادة لله، وهو حقه عليك. فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فبيِّنْهَا بقولك: قول الله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ إذا عَلِمْتَ بهذا هل هو عبادة؟ فلابد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة[1]. فقل له: إذا قررتَ أنها عبادة، ودَعَوْتَ الله ليلًا ونهارًا، خوفًا وطمعًا، ثم دَعَوْتَ في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره، هل أشرَكْتَ في عبادة الله غيره، إذ قال الله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ وأطَعْتَ اللهَ ونَحَرْتَ له؟

(١) لفظ حديث أخرجه الترمذي (٣٣٧١) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٣٠٠٣).

فلابد أن يقول: نعم. فقل له: إذا نَحَرْتَ لمخلوق أو نبيٍّ أو جِنِّيٍّ أو غيرهما، هل أشرَكْتَ في هذه العبادة غيرَ الله؟ فلابد أن يُقِرَّ ويقول: نعم.

وقل له أيضًا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلابد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلا أنهم مُقِرُّون أنهم عبيد تحت قهر الله، وأن الله هو الذي يدبر الأمور، ولكن دَعَوهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جدًّا.

فإن قال: أتُنْكِر شفاعة رسول الله ﷺ وتبَرَأُ منها؟ فقل: لا أُنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافع المشفَّع، وأرجو شفاعته، لكن الشفاعة كلها لله، كما قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ ولا يَشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه، كما قال جل جلاله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وهو لا يرضى إلا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا بعد إذنه، ولا يَشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد - تَبيَّنَ أن الشفاعة كلها لله، واطلبها منه: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شَفِّعْهُ فيَّ. وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ أُعطِيَ الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة، ونهاك عن هذا، وقال: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وأيضًا: فإن الشفاعة أُعْطِيَهَا غيرُ النبي ﷺ فصح أن الملائكة يَشفعون، والأولياء يَشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة، وأطلبها منهم؟ فإن قلتَ هذا رَجَعْتَ إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه، وإن قلت: لا. بَطَلَ

قولك: أعطاه الله الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئًا، حاشا وكلاَّ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنت تُقِرُّ أن الله حرّم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتُقِرُّ أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي عظَّمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري، فقل له: كيف تَبْرَأُ من الشرك وأنت لا تعرفه! كيف يُحَرِّم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يُحَرِّمُه ولا يُبَيِّنُه لنا؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام!

فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبِّر أمر مَن دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن، أو هو قَصْدُ خشبة أو حجرة أو بِنْيَة أو غيره يَدْعُون ذلك ويذبحون له، يقولون إنه يقربنا إلى الله ويدفع عنا ببركته؟ فقد صَدَقْتَ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايا التي على القبور وغيرها، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام.

ويقال أيضًا: قولك: الشرك عبادة الأصنام. هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا؟ فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه؛ مِن كُفْرِ مَن تَعَلَّق على الملائكة وعيسى والصالحين. فلابد أن يقر لك أن مَن أشرك في عبادة الله أحدًا من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله. فقل: وما الشرك بالله؟ فَسِّرْهُ لي.

وإن قال: هو عبادة الأصنام. فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فَسِّرْهَا لي.

وإن قال: أنا لا أعبد إلا الله. فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فَسِّرْهَا لي.

فإن فَسَّرَها بما يبينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه، فكيف يدعي شيئًا وهو لا يعرفه!

وإن فسَّر ذلك بغير معناه بَيَّنْتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، الذي يفعلون في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا، ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾.

فإذا عَرَفْتَ أن هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا «الاعتقاد» هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأوَّلين أخفُّ مِن شِرْكِ أهل وقتنا بأمرين:

أحدهما: أن الأوَّلين لا يُشْرِكُون ولا يَدْعُون الملائكة والأولياء أوثانًا مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾، وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يَدْعُون الله ويَدْعُون غيره في السراء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ويَنْسَوْنَ سادَتَهم، تَبَيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأوَّلين، ولكن أين مَن يفهم قلبُهُ هذه المسألة فهمًا راسخًا؟ والله المستعان.

والأمر الثاني: أن الأوَّلين يَدْعُون مع الله أناسًا مُقَرَّبين عند الله؛ إما نبيًا وإما أولياءَ وإما ملائكةً، ويَدْعُون أحجارًا وأشجارًا مطيعةً لله ليست عاصية، وأهل زماننا يَدْعُون مع الله أناسًا مِن أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور؛ من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أَهْوَنُ مِمَّن يَعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

إذا تَحَقَّقْتَ أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولًا وأخفُّ شركًا من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شبهةً يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شُبَهِهِم، فَأَصْغِ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرًا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

والجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدَّق رسولَ الله ﷺ في شيء وكذَّبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الحج، ولما لم يَنْقَدْ أناسٌ في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، ومَن أَقَرَّ بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال جل جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ فإذا كان الله قد صرَّح في كتابه أن مَن آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقًّا، زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها

بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إلينا.

ويقال: إذا كنت تُقِرّ أن مَن صدَّق الرسولَ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، أنه كافر حلال الدم بالإجماع، وكذلك إذا أَقَرَّ بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، لا يُجْحَدُ هذا ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن، كما قدمنا، فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يَكْفُرُ! سبحان الله! ما أعجَبَ هذا الجهلَ؟!

ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويؤذنون.

فإن قال: إنهم يقولون إن مسيلمة نبيٌّ!

قلنا: هذا هو المطلوب، إذا كان مَن رَفَعَ رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كَفر وحَلَّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان ويوسف أو صحابيًّا أو نبيًّا في مرتبة جبار السماوات والأرض؟ سبحان الله! ما أعظم شأنه ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ويقال أيضًا: إن الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب بالنار(١) كلهم يَدَّعُون

---

(١) أخرج البخاري (٦٥٢٤) عن عكرمة قال: أتى علي بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله عليه الصلاة والسلام: «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «من بدل دينه فاقتلوه».

الإسلام، وهم من أصحاب عليٍّ، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفِّرون المسلمين؟ أم تظنون الاعتقاد في تاجٍ وأمثالِهِ لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يُكَفِّر؟

ويقال أيضًا: بنو عُبَيدٍ القَدَّاح، الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويَدَّعُون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضًا: إذا كان الأَوَّلُون لم يَكْفُرُوا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل والقرآن وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب «باب حكم المرتد» وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ذكروا أنواعًا كثيرة، كل نوع منها يُكَفِّر ويُحِلُّ دَمَ الرجل ومالَه، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من يفعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضًا: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أما سَمِعْتَ الله كَفَّرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون. وكذلك الذين قال فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم هم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة، ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تُكَفِّرُون المسلمين؛ أناسًا يشهدون أن لا إله إلا

الله، ويصلون ويصومون. ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

ومن الدليل على ذلك أيضًا: ما حكى الله عن بني إسرائيل، مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، أنهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ وقول أناس من الصحابة: «اجعل لنا ذات أنواط» فحلف ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾[1].

ولكن للمشركين شبهة أخرى يُدْلُون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون إن بني إسرائيل لم يكفروا، وكذلك الذين قالوا: (اجعل لنا ذات أنواط) لم يكفروا.

والجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم، بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فيفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه، أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان.

وتفيد أيضًا: أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر، وهو لا يدري، فنُبِّهَ على ذلك وتاب من ساعته، أنه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا رسول الله ﷺ.

وتفيد أيضًا: أنه لو لم يكفر فإنه يُغَلَّظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا كما فعل رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥/ ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٧٦).

وللمشركين شبهة أخرى؛ يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قَتْلَ من قال «لا إله إلا الله» وقال: «**أقَتَلْتَه بعدما قال لا إله إلا الله!**»[(١)] وكذلك قوله: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»[(٢)] وأحاديث أُخَر في الكف عمن قالها. ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء الجهلة: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم، وهم يقولون «لا إله إلا الله» وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويَدَّعُون الإسلام، وكذلك الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب بالنار.

وهؤلاء الجهلة يُقِرُّون أن من أنكر البعث كفر وقُتل، ولو قال «لا إله إلا الله» وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقُتل، ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعًا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فأما حديث أسامة؛ فإنه قتل رجلًا ادَّعَى الإسلام؛ بسبب أنه ظن أنه ما ادَّعَى الإسلام إلا خوفًا على دمه وماله، والرجلُ إذا أظهَرَ الإسلام وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ أي: تَثَبَّتوا. فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل، لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ ولو كان لا يُقْتَل إذا قالها لم يكن للتثبت معنًى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨) ومسلم (٩٦).
(٢) أخرجه البخاري (٣٩٣) ومسلم (٢٠).

ما ذكرناه، وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا: أن رسول الله ﷺ هو الذي قال: «**أَقَتَلْتَه بعدما قال: لا إله إلا الله!**» وقال: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**» هو الذي قال في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتُهم لَأَقْتُلَنَّهُم قَتْلَ عادٍ**»[١] مع كونهم من أكثر الناس عبادةً وتهليلًا، حتى أن الصحابة يَحْقِرُون أنفسهم عندهم، وتعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم «لا إله إلا الله» ولا كثرة العبادة ولا ادِّعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة.

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقِتالِ الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم مَنَعُوا الزكاة، حتى أنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾ وكان الرجل كاذبًا عليهم[٢].

وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه.

ولهم شبهة أخرى؛ وهي ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى، فكلهم يعتذر، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ[٣]. قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا.

والجواب أن نقول: سبحان مَن طَبَعَ على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٧٩).

(٣) هو حديث الشفاعة الطويل، أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣).

بالمخلوق فيما يَقْدِر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله، إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يَدْعُوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، أن تأتي عند رجل صالح حيّ، يجالسك ويسمع كلامك، تقول له: ادع الله لي. كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته، وأما بعد موته فحاشا وكَلَّا أنهم سألوا ذلك، بل أنكر السلف على مَن قَصَد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه؟

ولهم شبهة أخرى، وهي قصة إبراهيم، لما أُلْقِيَ في النار اعترض له جبريل في الهوى قال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا[1]. فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركًا لم يَعْرِضْهَا على إبراهيم.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق والمغرب لفعل، ولو أمره الله أن يَضَعَ إبراهيم عنهم في مكان بعيد لفعل، ولو أمره الله أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير، يرى رجلًا محتاجًا، فيعرض عليه أن يُقْرِضَه أو يَهَبَه شيئًا يقضي به حاجته، فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ، ويصبر إلى أن يأتيه

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٤٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٩) وهو منقطع.

الله برزق لا مِنَّةَ فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك، لو كانوا يفقهون!

ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة، تُفْهَم مما تقدم، لكن نُفْرِد الكلام لِعِظَمِ شأنها، ولكثرة الغلط فيها، فنقول:

لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختلف شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند، كفرعون وإبليس، وهذا يَغْلَط فيه كثير من الناس، يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا مَن وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار، ولم يَدْرِ المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ فإن عمل بالتوحيد عملًا ظاهرًا، وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه، فهو منافق، وهو أشر من الكافر الخالص ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وهذه المسألة مسألة طويلة، تبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به؛ لِخَوْفِ نَقْصِ دُنْيا أو جاهٍ أو مداراة، وترى من يعمل به ظاهرًا لا باطنًا.

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:

أولها: قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ فإذا تَحَقَّقْتَ أن بعض الصحابة الذين غَزَوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به، خوفًا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحدٍ، أعظمُ ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الآية، فلم يَعْذر الله مِن هؤلاء إلا مَن أُكْرِهَ مع كون قلبه مطمئنًا بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعل خوفًا، أو مداراة، أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعل على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض، إلا المُكْرَه.

والآية المشهورة تدل على هذا من جهتين:

الأولى: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ فلم يَسْتَثْنِ الله إلا المُكْرَه، ومعلوم أن الإنسان لا يُكْرَهُ إلا على الكلام والعمل، وأما عقيدة القلب فلا يُكْرِهُهُ أحد عليها.

والثانية: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل، أو البغض للدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظًّا من حظوظ الدنيا، فآثره على الدين. والله ﷻ أعلم.

هذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله، في هذه الرسالة النافعة، فليتأمل اللبيب الناصح لنفسه، الذي يخاف الله ويرجوه، ما قرره الشيخ رحمه الله، في هذا الكتاب مِن بيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن الإلهية كلها بجميع أنواعها لله وحده، لا يصلح منها شيء لا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، ثم يتدبر ما ذكره الله في كتابه من بيان هذا الأصل وتوضيحه، وتقريبه للأذهان بالأمثال العظيمة التي لا يَعْقِلها إلا من أراد الله هدايته، فإن هذا الأصل العظيم هو الذي خلق الله لأجله جميع الخلق، وأرسل لأجل معرفته والعمل به جميع المرسلين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ

وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾، وقال لسيد المرسلين محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ والإله هو الذي تَأْلَهُهُ القلوب عبادةً له، واستغاثةً به، ودعاءً له، ورجاءً له، وتوكلًا عليه، وخشيةً له، وإجلالًا وإكرامًا، فمن أخذ شيئًا من أنواع الإلهيةِ والعبادةِ التي لا تصلح إلا لله وجعله لمخلوق فقد اتخذه إلهًا مع الله، وإن لم يزعم أنه إلهٌ، فإذا فعل ما يفعل أهل الشرك وعبادة الأوثان بآلهتهم فقد عبدهم، وصار له إلهًا مع الله، فكان ممن اتخذ إلهين اثنين.

قال العلماء رحمهم الله: من غلا في نبي، أو رجل صالح، أو غير صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان، أَغِثْني واجبُرْني وانصُرْني. أو: اقض دَيْني. أو: أنا فقير إليك. أو: أنا في حسبك. أو: متوكل عليك. أو يذبح له، أو يَنْذِر له، أو يرجوه أو يخافه - فهذا كله شرك وضلال وجنون وخَبَال، يُستتاب صاحبه وتقام عليه الحجة، فإن تاب وإلا ضُرِبَت عنقه، وإن زعم أنه إنما يريد شفاعته له عند الله وتقريبه زلفى؛ فإن المشركين عَبَدَة الأوثان إنما غَرَّهم الشيطان وكادهم واصطادهم بذلك، كما هو صريح في محكم آيات التنزيل، لمن تدبره وعقل عن ربه العظيم الجليل.

وقد روى الترمذي وغير واحد من أهل الحديث عن أبي واقد الليثي أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين، ونحن حَدِيثُو عهد بكفر، وللمشركين سِدْرَة يَعْكُفُون عليها ويَنُوطُون بها أسلحتهم، يقال لها «ذات أنواط» فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال: «الله

أكبر، إنها السَّنَنُ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾»(١).

فتدبر رحمك الله هذا الحديث، وتفكر فيه وتأمله، كيف أفتى ﷺ وحلف على هذه الفتيا أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ مع أنهم لم يتلفظوا بذلك، وإنما قالوه بالمعنى، مع أنهم مجتهدون في ذلك، لم يشعروا أن هذا كقول بني إسرائيل، ولهذا أَتوا رسولَ الله ﷺ قائلين له ذلك جهلًا منهم، ومع هذا كله أخبر الصادق المصدوق وحلف على هذا الخبر أن هذا كقول بني إسرائيل لموسى سواءً بسواءٍ.

فإذا كان هذا الأمر العظيم خفي على أولئك السادة وجهلوه، فكيف لا يخفى على غيرهم في هذه الأزمان، التي خَفِيَت فيها أعلام الإسلام، واشتدت فيها غربة الإسلام بين الأنام والإيمان، حتى صار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والمجرِّد للتوحيد يخرج عن الإسلام، وكان الشيطان قد اصطاد كثيرًا من الناس، بأن هذا التعظيم للأنبياء والأولياء والصالحين تَوَسُّلٌ واستشفاعٌ إلى الله بهم في إجابة الدعوات، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وأنتم تقولون «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وأن هذه الأمة المحمدية لا تشرك بالله، ولا يقع الشرك في جزيرة العرب أصلًا، وأنتم لم تقولوا إن هؤلاء آلهة مع الله كما قاله عُبَّاد الأوثان، وإنما هؤلاء عِبَادٌ صالحون، وأنتم عِبَادٌ مذنبون مخطئون، فتجعلونهم وسائط بينكم وبين الله، فتُقَرِّبُون إليهم وتَستشفعون بهم وتَتَوَسَّلُون بهم؛ لأنهم أقرب منكم إلى الله، وهذا هو فعل الناس قبلكم، ولستم خيرًا من

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥/ ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٧٦).

فلان وفلان. وأشباه هذه الزخارف التي يُغْرِي بها الناسَ هو وإخوانه من شياطين الجن والإنس، فتصغي إلى ذلك أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ويرضونه ويقترفون ما هم مقترفون، ثم يُغْرِيهم بعداوة أهل التوحيد والإخلاص، فيستهزئون منهم بقلوبهم وأبدانهم، ويَسْعَوْنَ في أذيتهم، ويَبْغُون لهم الغَوَائل، والله مع الذين اتقوا والذين محسنون.

فإذا كان هذا تغليظ رسول الله ﷺ على أولئك السادة، لما طلبوا منه مجرد مشابهة المشركين في جعل سدرة لتنويط الأسلحة، والتبرك بها، والعكوف عندها، فكيف بما هو أشد من ذلك من الشرك الأكبر الذي لم يفعله عُبَّاد الأوثان، بل هو أعظم منه بكثير!

فوائد:

كان العلماء ﷺ، من قديم الزمان ينكرون هذا الذي حدث في هذه الأمة؛ من تعظيم القبور وبنائها، وبناء المشاهد عليها والمساجد، ودعائها، وسؤال أهلها الحاجات وتفريجَ الكربات، ويبينون للناس أن هذا خلاف دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ ودخولٌ في دين عُبَّاد الأوثان، فليس هذا الذي بَيَّنَه الشيخ ﷺ، للناس؛ من النهي عن دعوة أهل القبور، والإشراك بهم، والتبرك بالأشجار والأحجار فَهِمَه مِن تلقاء نفسه دون أن يفهمه أحد من علماء هذه الأمة، بل العلماء كلهم من جميع المذاهب مُطْبِقُون على النهي عنه، والإنكار والتغليظ على مَن فَعَلَه مِن الجُهَّال، وإزالة ما قدروا عليه من ذلك، ومرادي بالعلماء هم الذين يُعْتَدُّ بهم في معرفة الحلال والحرام، المشهورون بالعلم والمعرفة عند أهل الإسلام، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، بل يجاهدون في سبيل الله أهلَ البدع والآثام بحسب استطاعتهم وقدرتهم؛ إما باليد أو باللسان، أو بالقلب وهو أضعف مراتب الإيمان، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ

قال: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١) وقال ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»(٢) أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن ذلك ما ذكره الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله، في كتابه المشهور الذي سماه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»(٣): روى البخاري(٤) عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ حُنَين، ونحن حَدِيثُو عهدٍ بكفرٍ، وللمشركين سدرة يَعْكُفُون حولها ويَنُوطُون بها أسلحتهم، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم»(٥) فانظروا، رحمكم الله، أينما وَجَدتُم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البرْءَ والشفاء مِن قِبَلِهَا، ويَنُوطُون بها المسامير والخِرَق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها. انتهى كلامه رحمه الله(٦).

فانظر، رحمك الله، إلى تصريح هذا الإمام بأن كل شجرة يقصدها الناس ويعظمونها، ويرجون الشفاء والعافية مِن قِبَلِهَا، فهي ذات أنواط التي قال

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧).

(٣) هكذا. وكتاب الطرطوشي اسمه «الحوادث والبدع»، وأما «الباعث على إنكار البدع والحوادث» فهو لأبي شامة - كما سيأتي -

(٤) لم يروه البخاري، وهي في (مختصر الحوادث والبدع ص ١٨): (روى أحمد).

(٥) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥/ ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٧٦).

(٦) الحوادث والبدع (ص ١٠٥).

رسول الله ﷺ لأصحابه لما طلبوا منه أن يجعل لهم شجرة كذات أنواط فقال: «**الله أكبر، هذا كقول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾**» مع أنهم لم يطلبوا إلا مجرد مشابهتهم في العكوف عندها وتعليق الأسلحة للتبرك، فتبين لك بهذا أن من جعل قبرًا أو حجرًا أو شجرة، أو شيئًا حيًّا أو ميتًا، مقصودًا له، وعظّمه ودعاه، واستغاث به وتبرّك به، وعكف على قبره، فقد اتخذه إلهًا مع الله، فإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنكر عليهم مجرد طلبهم منه مشابهة المشركين في العكوف وتعليق الأسلحة للتبرك، فما ظنك بما هو أعظم من ذلك وأَطَمُّ؛ الشرك الأكبر الذي حرَّمه الله ورسوله، وأخبر أن أصلح الخلق لو يفعله لحبط عمله وصار من الظالمين، فصلوات الله وسلامه عليه كما بلَّغ البلاغ المبين، وعرَّفنا بالله، وأوضح لنا الصراط المستقيم، فحقيق بمن نصح نفسه وآمن بالله واليوم الآخر ألا يغتر بما عليه أهل الشرك من عبادة القبور من هذه الأمة.

ومن ذلك ما ذكره الإمام محدّث الشام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المعروف بـ«أبي شامة» من فقهاء الشافعية وقدمائهم، في كتابه الذي سماه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»(١) في فصل البدع المُسْتَقْبَحَة، قال:

ثم هذه البدعة المُسْتَقْبَحَة تنقسم إلى قسمين: قسم تعرف العامة والخاصة أنه بدعة، إما محرمة وإما مكروهة. وقسم يظنه معظمهم، إلا من عَصَمَ، عبادةً وقُرُبَات وطاعات وسُنَن.

فأما القسم الأول فلا نطول بذكره؛ إذ كُفِينَا مُؤْنَةَ الكلام فيه لاعتراف فاعله أنه ليس من الدين، لكن نبين من هذا القسم مما قد وقع فيه جماعة من جُهّال

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٥ - ٢٨).

العَوَامّ، النابذين لشريعة الإسلام، التاركين للاقتداء بأئمة الدين من الفقهاء، وهو ما يفعله طوائف من المنتمين للفقر، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان؛ من مؤاخاة النساء الأجانب والخلوة بهنَّ، واعتقادهم في مشايخ لهم ضالِّين مُضَلِّين، يأكلون في نهار رمضان من غير عذر، ويتركون الصلوات، ويخامرون النجاسات، غير مكترثين لذلك، فهم داخلون تحت قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها.

ومن هذا القسم أيضًا ما قد عم الابتلاء به؛ من تزيين الشيطان للعامة تخليقَ الحيطان والعُمُدَ، وسَرْجَ مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شُهِرَ بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يَعْظُمَ وَقْعُ تلك الأماكن في قلوبهم، فيعظمونها، ويرجون الشفاعة لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي من بين عيونٍ وشجرٍ وحائطٍ وحجر.

وفي مدينة دمشق، صانها الله تعالى من ذلك، مواضع متعددة: كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق خارج البيت الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق، سهَّل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق وسفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة، يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم، ويعكفون عندها، ويذبحون لها. وفي رواية: خرجنا مع النبي ﷺ قِبَلَ حُنَين، ونحن

حديثو عهد بكفر، وللمشركين سِدْرَة يعكفون عليها، ويَنُوطُون بها أسلحتهم، يقال لها «ذات أنواط» فمررنا بسدرة، فتنادينا من جَنْبَتَيْ الطريق، ونحن نسير إلى حنين: يارسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر، هذا كما قال قوم موسى لموسى** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لَتَرْكُبَنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم»[١] أخرجه الترمذي بلفظ آخر، والمعنى واحد، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في كتابه المتقدم ذكره: فانظروا، رحمكم الله، أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البَرْءَ والشفاء مِن قِبَلِهَا، ويَنوطُون بها المسامير والخِرَق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها.

قلت: ولقد أعجبني ما فعله الشيخ أبو إسحاق الجبنياني، رحمه الله تعالى، أحد الصالحين ببلاد أفريقية، حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب أنه كان إلى جانبه عين تسمى «عين العافية» كانت العامة قد افتُتِنُوا بها؛ يأتونها من الآفاق، مَن تَعذَّر عليها نكاح أو ولد قالت: امضوا بي إلى العافية. فتعرف بها الفتنة. قال أبو عبد الله: فأنا في السَّحَر ذات ليلة، إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها، وأَذَّنَ الصبحَ عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأسًا. قال: فما رُفع لها رأس إلى الآن.

قلت: وأدهى من ذلك وأَمَرُّ إقدامُهُم على قطع الطريق السابلة، يجيزون في

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥/ ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٧٦).

أحد الأبواب القديمة الثلاثة العادية، التي هي من بناء الجن في زمن نبي الله سليمان بن داود ﷺ، أو من بناء ذي القرنين، وقيل فيها غير ذلك، ما يؤذن بالتقدم على ما نقلناه في كتاب «تاريخ مدينة دمشق» حرسها الله تعالى، وهو بالباب الشمالي، ذَكَرَ لهم بعضُ مَن لا يوثق به، في شهور سنة ست وثلاثين وستمائة، أنه رأى منامًا يقتضي أن ذلك المكان دُفِنَ فيه بعض أهل البيت، وقد أخبرني عنه ثقة أنه اعترف له أنه افتعل ذلك، فقطعوا طريق المارة فيه، وجعلوا الباب بكماله أصل مسجد مغصوبًا، وقد كان الطريق يضيق بسالكيه، فتضاعف الضيق والحرج على من دخل ومن خرج، ضاعف الله عذاب من تسبب في بنائه، وأجزل ثواب من أعان على هدمه وإزالة اعتدائه، اتباعًا لسنة النبي ﷺ في هدم مسجد الضرار المُرْصَدِ لأعدائه من الكفار، فلم ينظر الشرع إلى كونه مسجدًا، وهَدَمَه لما قُصِدَ به من السوء والرَّدَى، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه، وألا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه. انتهى ما ذكره الشيخ أبو شامة، رحمه الله تعالى[1] وكان رحمه الله تعالى من أئمة الشافعية من أهل أوائل القرن السابع.

وقال الإمام أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي، رحمه الله تعالى: لما صعبت التكاليف على الجُهّال والطَّغَام، عَدَلُوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم؛ إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع؛ مثل تعظيم القبور وإكرامها، وإلزامها لما نَهى عنه الشرع؛ من إيقاد السُّرُج، وتقبيلها، وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيها «يا مولاي افعل بي كذا وكذا» وأخذ تربتها تبركًا بها، وإفاضة الطيب على

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٥ - ٢٨).

القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخِرَقِ على الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزى، والويل عندهم لمن لم يقبِّل مشهد الكف، ولم يتمسح بآجُرِّ مسجد المويئة يوم الأربعاء، ولم يقل الحمالون على جنازته: الصديق أبو بكر أو محمد وعلي. أو لم يعقد على قبر أبيه أَزَجًا بالجِصِّ والآجُرِّ، ولم يخرق ثيابه إلى الذيل، ولم يُرِقْ ماء الورد على القبر. انتهى[١].

فتأمل، رحمك الله تعالى، ما ذكره هذا الإمام، الذي هو أجل أئمة الحنابلة، بل من أجل أئمة الإسلام، وما كشفه من الأمور التي يفعلها الخواص من الأنام، فضلًا عن النساء والغوغاء والعوام، مع كونه في سادس القرون، والناس إذ ذاك لما ذكره يفعلون، وجهابذة العلماء والنُّقَدة لذلك يشهدون، وحَظُّهُم من النهي مرتبته الثانية فهم به قائمون، يتضح لك فساد ما زخرفه المبطلون، ومَوَّهَ به المتعصبة والملحدون.

الفائدة الثانية: قال الشيخ تقي الدين[٢]: جاءت السنة أن يُسْأَلَ الله بأسمائه وصفاته، فيقال: «أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم»[٣]، و«أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد»[٤]،

---

(١) نقله عنه الإمام ابن القيم في: (إغاثة اللهفان ١/ ١٩٥).

(٢) ابن تيمية رحمه الله، وابن غنام يُلخص هذه الفائدة من كتابه «الاستغاثة في الرد على البكري».

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٩٧) والنسائي (١٣٠٠) وابن ماجه (٣٨٥٨) وصححه الشيخ الألباني (صحيح ابن ماجه ٣٨٥٨).

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٩٥) والترمذي (٣٤٧٥) والنسائي (١٣٠١) وابن ماجه (٣٨٤٧) وصححه الشيخ الألباني (صحيح أبي داود ١٣٤١).

وكذلك قوله: «أسألك بمَعَاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم، وجدك الأعلى، وكلماتك التامة»(١)، مع أن هذا الدعاء الثالث في جواز الدعاء به قولان للعلماء.

قال الشيخ أبو الحسين القُدُورِيّ: قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العز من عرشك. أو يقول: بحق خلقك.

والجواز قول أبي يوسف. قال: قال أبو يوسف: بـ«معقد العز من عرشك» هو الله تعالى، فلا أكره ذلك، وأكره «بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام».

قال القُدُورِيّ: المسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق لمخلوق على الخالق، فلا تجوز. يعني وفاقًا.

وقال البلدحي في شرح «المختارة»: ويُكْرَهُ أن يدعو الله إلا به، فلا يقول: أسألك بفلان، أو بملائكتك، أو بأنبيائك، أو نحو ذلك؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق. انتهى.

قلت: وهذا من أبي يوسف وأبي حنيفة وغيرهما يقتضي المنع أن يُسْأَلَ اللهُ تعالى بغيره، وأما سؤال الميت أو الغائب، نبيًا كان أو غيره، فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله تعالى به، ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يُعْلَمُ بالاضطرار من دين الإسلام، فإن أحدًا منهم ما كان يقول إذا نَزَلَت به تِرَةٌ أو عَرَضَت له حاجة لميت: يا سيدي يا فلان، أنا في

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٥/ ١٢).

حسبك. أو: اقض حاجتي. كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم في الموتى والغائبين، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء، لا عند قبورهم، ولا إذا بعدوا عنها، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها.

ولما قحط الناس في زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه، وقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك إذا أجدبنا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. فَيُسْقَوْنَ. كما ثبت ذلك في صحيح البخاري[(١)].

وكذلك معاوية رضي الله عنه، لما استسقى بأهل الشام توسل بيزيد بن الأسود الجرشي[(٢)] فهذا الذي ذكره عمر رضي الله عنه، تَوَسُّلًا منهم تَوَسُّلٌ بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته، ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس، وبدعاء يزيد بن الأسود، وهذا هو الذي ذكره الفقهاء في كتاب «الاستسقاء» فقالوا: يستحب أن يَسْتَسْقِيَ بالصالحين، وإذا كانوا من أقارب رسول الله ﷺ فهو أفضل.

وقد كره العلماء، كمالك وغيره، أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه، وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف.

قال أصحاب مالك إنه إذا دخل المسجد، يدنو من القبر، فيسلم على النبي ﷺ ثم يدعو مستقبل القبلة، يوليه ظهره، وقيل: لا يوليه ظهره. وإنما اختلفوا لما فيه من استدباره، فأما إذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف.

---

(١) صحيح البخاري (٣٥٠٧).

(٢) أخرجه أبو زرعة الدمشقي في (تاريخ دمشق ١/ ٦٨) ويعقوب الفسوي في (المعرفة والتاريخ ١/ ٢٦٨، ٢/ ٢٢١) وقال الحافظ ابن حجر: بسند صحيح (التلخيص الحبير ٢/ ٢٠٦).

ولعل هذا الذي ذكره الأئمة أخذوه من كراهة الصلاة إلى القبر، فإن ذلك قد ثبت النهي فيه عن النبي ﷺ[١] فلما نهى أن يُتَّخَذَ القبرُ مسجدًا أو قبلةً أُمِرُوا بألا يتحرى الدعاء إليه، كما لا يصلى إليه.

قال مالك في «المبسوط»: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يسلم ويمضي.

ولهذا، والله أعلم، حُرِفَت الحجرة وثُلِّثَت لمّا بُنِيَت، فلم يُجْعَل حائطها الشمالي على سَمْتِ القبلة، ولا جُعِلَ مُسَطَّحًا.

وذكر الإمام أحمد وغيره أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره؛ لئلا يستدبره، وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام عليه، ثم يدعو لنفسه. وذكروا أنه إذا حَيَّاه وصلى يستقبل وجهه بأبي هو وأمي ﷺ، فإذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا، وهذا مراعاة منهم أن يفعل الداعي والزائر ما نهي عنه؛ مِن تَحَرِّي الدعاء عند القبر.

وقد كره مالك رحمه الله، وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد أن يجيء فيسلم على النبي ﷺ وصاحبيه، قال: وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر، أو أراد سفرًا، ونحو ذلك.

ورخص بعضهم في السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها، وأما قصده دائمًا للصلاة والسلام عليه فما علمتُ أحدًا أرخص في ذلك؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدًا، وأيضًا فإن ذلك بدعة؛ فقد كان المهاجرون والأنصار في

(١) أخرجه ابن حبان (الإحسان ٢٣٢٣) من حديث أنس أن النبي ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبور. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٨٩٣).

عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، يجيئون إلى المسجد كل يوم خمس مرات يصلون، ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمون عليه؛ لعلمهم ﷺ، بما كان النبي ﷺ يكرهه من ذلك، وما نهاهم عنه، ولأنهم كانوا يسلّمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه، وفي آخر الصلاة في التشهد، كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته، والمأثور عن ابن عمر يدل على ذلك.

قال سعيد في سننه: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد، حدثني أبي، عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فصلى وسلم عليه وقال: السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه[1]. وعبد الرحمن بن يزيد وإن كان يُضَعَّف، لكن الحديث الصحيح عن نافع يدل على أن ابن عمر ما كان يفعل ذلك دائمًا ولا غالبًا.

وما أحسن ما قال مالك رحمه الله: لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم، عُوِّضُوا عن ذلك بما أحدَثُوه من البدع والشرك وغيره، ولهذا كَرِهَت الأُمَّة استلامَ القبر وتقبيلَه، وبنوه بناءً مَنَعُوا الناس أن يَصِلُوا إليه.

ومما يبين حكمة الشريعة، وأنها كما قيل «سفينة نوح؛ مَن رَكِبَها نجا، ومَن تخلف عنها غَرِقَ» أن الذين خرجوا عن المشروع زَيَّن لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك، فطائفة من هؤلاء يُصَلُّون للميت، ويَستدبر أحدهم القبلة ويسجد للقبر، ويقول أحدهم: القبلة قبلة العامة، وقبر الشيخ فلان قبلة

(١) أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٥٧٦) وأبو بكر بن أبي شيبة (٣/ ٣٤١) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٥) قال الحافظ ابن حجر: رواه البيهقي موقوفًا بسند صحيح (إتحاف الخيرة المهرة ٣/ ٢٥٩).

الخاصة. وهذا يقوله مَن هو أكثر الناس عبادة وزهدًا، وهو شيخ متبوع، ولعله أمثل أتباع شيخه بقوله في شيخه. وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين، أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد، يأمر المرتدَّ أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ، ويعكُف عليه عكوف أهل التماثيل عليها. وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور؛ من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب، ما لا يجده أحدهم في مساجد الله التي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾.

وآخرون يَحُجُّون للقبور. وطائفة صنفوا كتبًا وسَمَّوها «مناسك حج المشاهد» كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان، الملقب بـ«المفيد» أحد شيوخ الإمامية كتابًا في ذلك، وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على مَن له معرفة بالنقل.

وآخرون يسافرون إلى قبور المشائخ، وإن لم يُسمُّوا ذلك نُسُكًا وحَجًّا، فالمعنى واحد، وكثير من هؤلاء أعظم قَصْدِهِ مِن الحج قَصْدُ قَبرِ النبي ﷺ لا حَجُّ البيت.

وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتابًا سماه «الاستغاثة بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام» وقد ذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة، وكان قبر النبي ﷺ منتهى قصده، ثم رجع إلى مكة، وجعل هذا من مناقبه. فإن كان هذا مستحبًّا فينبغي لمن يجب عليه حج البيت، إن حج، أن يجعل المدينة منتهى قصده، ولا يذهب إلى مكة، فإنه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الأفضل! وهذا لا يقوله عاقل.

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس، ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة، على طريقة ابن سبعين، قيل عنه إنه كان يقول: البيوت المحجوجة ثلاثة: مكة وبيت المقدس والبيت الذي

للمشركين في الهند. وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود حق ودين النصارى حق، وجاءه بعض إخواننا العارفين، قبل أن يعرف حقيقته، فقال له: أريد أن أسلك على يديك. فقال: على دين اليهود والنصارى أو المسلمين؟ فقال له: واليهود والنصارى أليسوا كفارًا! فقال: لا تشدد عليهم، ولكن الإسلام أفضل.

ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات، يسافرون إليها وقت الموسم، فيُعَرِّفُون بها كما يُعَرِّف المسلمون بعرفات، كما يُفْعَل هذا في المغرب والمشرق.

ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت أنه قال: كل خطوة إلى قبري كحجة، ويوم القيامة لا أبيع بحجة. فأنكر بعض الناس ذلك، فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ، وزجره عن إنكار ذلك.

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونُسُكهم لغير الله رب العالمين، فليسوا على ملة الحنفاء، وليسوا من عمار مساجد الله التي قال الله فيها: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وعُمّار مشاهد المقابر يَخْشَوْنَ غير الله، ويَرجُون غير الله، حتى أن طائفة من أرباب الكبائر، الذين لا يَخْشَوْنَ الله فيما يفعلونه من القبائح، إذا رأى قبة الميت، أو الهلال الذي على رأس القبة، يخشى من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك! هذا هلال القبة! فيَخْشَوْنَ المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السموات والأرض، وجعل أَهِلَّةَ السماء مواقيت للناس والحج!

وهؤلاء إذا نُوظِرُوا خوَّفُوا مُنَاظِرَهُم، كما صنع المشركون مع إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ

عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله، والشيخَ الحيَّ المتعلَّقَ به كالنبيّ، فمِن الميت تُطْلَب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما حلَّله والحرام ما حرَّمه، وكأنهم في أنفسهم قد عزلوا الله أن يتخذوه إلهًا، وعزلوا محمدًا ﷺ أن يتخذوه رسولًا. وقد يجيء القريب العَهِدُ بالإسلام والتابعُ لهم المُحْسِنُ الظَّنَّ بهم، أو غيره، يطلب من الشيخ الميت إما دَفْعَ ظلم مَلِكٍ يريد أن يظلمه، أو غير ذلك، فيدخل ذلك السادن فيقول: قد قلت للشيخ، والشيخ يقول للنبي، والنبي يقول لله، والله قد بعث رسولًا إلى السلطان فلان. فهل هذا إلا محض دين المشركين والنصارى، وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك أو نصراني، ولا يَرُوج عليه؟

ويأكلون من النذور، والمنذور ما يؤتى به إلى قبورهم، ما يدخلون به في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فإنهم يأكلون أموال الناس بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، ويعوضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم، إذِ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينه، فيمتنع لسبب ذلك من الدخول في دين الحق الذي بعث الله به رسوله، وأنزل به كتبه.

والله سبحانه لم يذكر في كتابه المشاهد، بل ذكر المساجد، وأنها خالصة لوجهه، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ﴾، ولم يذكر بيوت الشرك، كبيوت النيران

والأصنام والمشاهد؛ لأن الصوامع والبِيَع لأهل الكتاب، فالممدوح من ذلك ما كان مبنيًّا قبل النسخ والتبديل، كما أثنى على اليهود والنصارى والصابئين الذين كانوا قبل النسخ والتبديل، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات، فبيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح الله شيئًا منها، ولم يذكر ذلك إلا في قصة مَن لَعَنهم النبيُّ ﷺ، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾، فهؤلاء الذين اتخذوا مسجدًا على أهل الكهف كانوا من النصارى الذين لعنهم النبي ﷺ حيث قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١) وفي رواية: «**وصالحيهم**»(٢) ودعاء المقبورين من أعظم الوسائل إلى ذلك.

وقد قدم بعض شيوخ المشرق، فتكلم معي في هذا، فبيَّنْتُ له فساد هذا، فقال: كيف وقد قال النبي ﷺ: «**إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور**»؟ فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم، لم يَرْوِهِ عن النبي ﷺ أحد من علماء الحديث، وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبي ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن!**»(٣).

وهؤلاء الغلاة المشركون إذا حصل لأحدهم مطلبه، ولو من كافر، لم يُقْبِل على الرسول، بل يطلب حاجته من حيث يظن أنها تُقْضَى، فتارة يذهب إلى ما يظنه قبر رجل صالح، ويكون فيه قبر كافر أو منافق، وتارة يعلم أنه كافر أو منافق فيذهب إليه، كما يذهب قوم إلى الكنيسة، أو إلى مواضع يقال لهم إنها

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

تقبل النذر، فهذا يقع فيه عامتهم، وأما الأول فيقع فيه خاصتهم.

والمقصود هنا أن كثيرًا من الناس يعظِّم قبر مَن يكون في الباطن كافرًا أو منافقًا، ويكون هذا عنده والرسولُ من جنس واحد؛ لاعتقاده أن الميت يقضي حاجته إذا كان رجلًا صالحًا، وكِلَا هذين عنده من جنس واحد، يستغيث به، وكم مِن مشهد يعظِّمه الناس وهو كذب، بل يقال إنه قبر كافر، كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان، الذي يقال إنه «قبر نوح» فإن أهل المعرفة يقولون إنه قبر بعض العمالقة، وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة، وقبر أبيّ بن كعب الذي بدمشق، اتفق العلماء أنها كذب، ومنهم من قال إنهما قبران لنصرانيين. وكثير من المشاهد تنازع فيها وعندها شياطين تُضِلّ بسببها مَن تُضِلّ.

ومنهم من يرى في المنام شخصًا يظن أنه المقبور، ويكون ذلك شيطانًا تَصَوَّر بصورته، كالشياطين الذين يكونون بالأصنام، وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيثون بالأصنام والموتى والغائبين، وهذا كثير في زماننا وغيره، مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التي بالبَرَّاني بديار مصر، بأخميم وغيرها، يرصدون التماثيل مدة، لا يتطهرون طُهْرَ المسلمين، ولا يصلون صلاة المسلمين، ولا يقرأون، حتى يتعلق الشيطان تلك الصورة، فيراها تتحرك، فيطمع فيها أو غيرها، فيرى شيطانًا قد خرج له، فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضي بعض حوائجه.

ومثل هؤلاء كثير في شيوخ الترك الكفار، يسمونه البوي، وهو المخنث عندهم، إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور، أرسلوا له من ينكحه، وينصبون له حركات عالية في ليلة ظلماء، وقرَّبوا له خبزًا وميتة، وغنَّوا غناءً يناسبه، بشرط ألا يكون عنده من يذكر الله، ولا هناك شيء فيه شيء من ذكر الله، ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به في الهواء، ويَرَوْنَ الدف يطير في الهواء، ويُضْرَب مَن

مدَّ يده إلى الخبز، ويضرب الشيطان بآلات اللهو، وهم يسمعون، ويغني لهم الأغاني التي كانت تغنيها آباؤهم الكفار، ثم قد يغيب، وكذلك الطعام، وقد نقل إلى بيت البوي، وقد لا يغيب، ويقربون له ميتة يحرقونها بالنار، ويقضي بعض حوائجهم.

ومثل هذا كثير جدًا للمشركين، فالذي يجري عند المشاهد من جنس ما يجري عند الأصنام، وقد تَيَقَّنتُ بطرق متعددة أن ما يُشْرَكُ به مِن دون الله؛ مِن صنم وقبر وغير ذلك، قد يكون عنده شياطين تُضلّ من أشرك به، وأن تلك الشياطين لا يقضون إلا بعض أغراضهم، وإنما يقضون بعض أغراضهم إذا حصل لهم من الشرك والمعاصي ما يحبه الشيطان، فمنهم من يأمر الداعي أن يسجد له، ومنهم من يأمره بالفواحش، وقد يفعلها الشيطان، وقد ينهاه عما أُمِرَ به من التوحيد والإخلاص والصلوات الخمس وقراءة القرآن ونحو ذلك.

والشياطين تُغْوِي الإنسان بحسب ما تطمع منه، فإن كان ضعيف الإيمان أَمَرَتْهُ بالكفر البيِّن، وإلا أَمَرَتْهُ بما هو فسق أو معصية، وإن كان قليل العلم أَمَرَتْهُ بما لا يَعْرِف أنه مخالف للكتاب والسنة، وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة، لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله ﷺ طَمِعَت فيهم الشياطين، حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة.

وقد جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ، أنه كان يَستغيث بأحدهم بعضُ أصحابه، فيرى الشيخ قد جاء في اليقظة حتى قضى ذلك المطلوب، وإنما هي شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله، والجنُّ بحسب الإنس، والكافر للكافر، والفاجر للفاجر، والجاهل للجاهل، وأما أهل العلم والإيمان فاتِّبَاعُ الجن لهم كاتِّبَاع الإنس، يَتَّبِعُونه فيما أَمَرَ الله به ورسوله.

وكان رجل يباشر التدريس ويَنتسب إلى الفتيا، كان يقول: النبي ﷺ يَعلم ما يَعلمه الله، ويَقدر على ما يَقدر الله عليه، وأن هذا السر انتقل بعده إلى الحسن، ثم انتقل في ذرية الحسن إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي. وقالوا: هذا مقام القطب الغوث الفرد الجامع.

وكان شيخ آخر معظَّمٌ عند أتباعه يدعي هذه المنزلة ويقول إنه المهدي الذي بشَّر به النبي ﷺ وإنه يزوِّج عيسى ابنته، وأن نواصي الملوك والأولياء بيده، يولي من يشاء ويعزل من يشاء، وأن الرب يناجيه دائمًا، وأنه الذي يمد حملة العرش وحيتان البحر، وقد عَزَّرْتُهُ تعزيرًا بليغًا في يوم مشهود، بحضرةٍ مِن أهل المسجد الجامع، يوم الجمعة بالقاهرة، فعرفه الناس، وانكسر بسببه أشباهُهُ من الدجاجلة.

ومن هؤلاء من يقول: قول الله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أن الرسول هو الذي يُسَبَّحُ بكرة وأصيلا.

ومنهم من يقول: إن الرسول ﷺ يعلم مفاتيح الغيب الخمس التي قال ﷺ فيها: «**خمس لا يعلمهن إلا الله: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدري نفس بأي أرض تموت**»[١] وقال إنه عَلِمَها بعد أن أُخْبِر أنه لا يعلمها إلا الله.

ومنهم من يقول: أَسْقِطْ الربوبية وقل في الرسول ما شئت.

ومنهم من يقول: نحن نعبد الله ورسوله.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٧) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٩) من حديث ابن عمر.

ومنهم من يأتي قبر الميت فيقول: اغفر لي وارحمني ولا توقعني على زلة. إلى أمثال هذه الأمور التي يُتَّخذُ فيها المخلوق إلهًا.

أقول: وهذه سنة مأثورة، وطريقة مسلوكة، واللهِ غيرُ مهجورة، وضلالة واضحة مشهورة، وبدعة مشهودة غير منكورة، وأعلامها مرفوعة مشهورة، وآياتها منصورة غير مكسورة، وبراهينها غير محدودة ولا محصورة، ودلائلها في كثير من المصنفات والمناظيم مذكورة، كما قال في البردة، وبين في ذلك قَصْدَه:

دع ما ادَّعَتْهُ النصارى في نبيهمُ واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكِمِ

فإن مِن جُودِكَ الدنيا وضَرَّتها ومن علومك علم اللوح والقلمِ

ولو نطيل بنقل هذه الأخبار، لَحَبَّرْنَا منه أسفار، فلنكف عنان القلم اليَرَاع في هذا الميدان، فالحكم واللهِ لا يَخْفَى على ذي عيان، بل أجلى من ضياء الشمس في البيان، فلما استقر هذا في نفوس عامتهم، تجد أحدهم إذا سئل عمن ينهاهم: ما يقول هذا؟ فيقول: فلان عنده ما ثَمَّ إلا الله. لما استقر في نفوسهم أن يجعلوا مع الله إلهًا آخر، وهذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر.

وهؤلاء الضالون مُسْتَخِفُّون بتوحيد الله، ويعظِّمون دعاء غير الله من الأموات، فإذا أُمِروا بالتوحيد ونُهُوا عن الشرك استَخَفُّوا بمِن أَمَرَهم بتوحيد الله، كما أخبر الله تعالى عن المشركين، يقول: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُـزُوًا﴾ الآية، فاستهزأوا بالرسول إذ نهاهم عن الشرك، وقال تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ وما زال المشركون يسفِّهون الأنبياء، ويصفونهم بالجنون والضلال والسفاهة، كما قال قوم نوح

لنوح، وعادٍ لهودٍ ﷺ، قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ فأعظم ما سفَّهوه لأجله وأنكَرُوه هو التوحيد، وهكذا تجد مَن فيه شَبَهٌ مِن هؤلاء مِن بعض الوجوه، إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله، وإخلاص الدين له، وألا يعبد الإنسان إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه، استهان بذلك؛ لِمَا عنده من الشرك.

وكثير من هؤلاء يخرِّبون المساجد ويعمِّرون المشاهد، فتجد المسجد الذي بُنِيَ للصلوات الخمس معطَّلًا مخرَّبًا، ليس له كُسْوَة إلا من الناس، وكأنه خان من الخانات، والمشهد الذي بُنِيَ على الميت فعليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام، والنذور تغدو وتروح إليه، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وآياته ورسوله، وتعظيمهم الشرك، فإنهم يعتقدون أن دعاءهم للميت الذي بُنِيَ له المشهد، والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء الله والاستغاثة به في البيت الذي بُنِيَ لله ﷻ، ففضَّلوا البيت الذي بُنِيَ لدعاء المخلوق على البيت الذي بُنِيَ لدعاء الخالق.

وإذا كان لهذا وَقْفٌ ولهذا وَقْفٌ، كان وَقْفُ الشرك أعظم عندهم، مضاهاةً لمشركي العرب الذين ذكر الله حالهم في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ الآية، كانوا يجعلون لله زرعًا وماشية، ولآلهتهم زرعًا وماشية، فإذا أصيب نصيب آلهتهم أخذوا من نصيب الله فوضعوه فيه، وقالوا: الله غنيٌّ وآلهتُنا فقيرة! فيفضِّلون ما يَجْعَلُون لغير الله على ما يُجْعَلُ لله، وهكذا حال هؤلاء، الوقوفُ والنذورُ التي تُبْذَلُ عندهم للمَشَاهد أعظم مما يُبْذَل عندهم للمساجد، ولعُمَّار المساجد، والجهاد في سبيل الله.

وهؤلاء إذا قَصَد أحدهم القبر الذي يعظِّمه، بكى عنده وخضع، ويدعو ويتضرع، ويجعل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب ما لا يحصل

له مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن، فهل هذا الأمر إلا من حال المشركين المبتدعين، لا الموحِّدِين المخلِصِين المُتَّبِعِين لكتاب الله وسنة رسوله!

ومثل هذا إذا سمع أحدهم الأبيات، يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله، فيَخْشَع عند سماع المُبْتَدِعِين المشركين، ولا يخشع عند سماع المُتَّقِين المخلِصِين، بل إذا سمعوا آيات الله استثقلوها وكرهوها، واستهزأوا بها ومَن يقرأ بها، فيحصل له أعظم نصيب من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية، وألسن لاغية، كأنهم صم عمي، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم، وسكتت ألسنتهم، وسكنت حركاتهم، حتى لا يشرب العطشان منهم.

ومِن هؤلاء مَن إذا كانوا في سماعهم، فأذَّن المؤذِّنُ، قالوا: نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه.

ومنهم من يقول: كنا في الحضرة، فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا إلى الباب.

وقد سألني بعضهم عمَّن قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال، فقلت: كَذَبَ، كان في حضرة الشيطان، فصار على باب الله، فإن البدع والضلال فيها من حضور الشيطان ما قد فُصِّل في غير هذا الموضع.

والذين جعلوا دعاء الموتى؛ من الأنبياء والأئمة والشيوخ، أفضل من دعاء الله، أنواع متعددة، منهم من تقدم، ومنهم من يحكي أنواعًا من الحكايات أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه، واستغاث بشيخه فأغاثه، وحكاية أن بعض المأسورين في بلد العدو دعا الله فلم يخرجه، ودعا بعضَ المشايخ

الموتى فأخرجه إلى بلاد الإسلام، وحكاية أن بعض المشايخ قال لمريده: إذا كانت لك إلى الله حاجة فتعال إلى قبري. وآخر قال: فتوَسَّل إلى الله بي. وآخر قال: قبر فلان هو الترياق المجرب. فهؤلاء وأشباههم يرجحون هذه الأدعية على أدعية المخلصين لله، مضاهاةً لسائر المشركين، وهؤلاء يتمثل لكثير منهم صورةُ شيخه الذي يدعوه، فيظنه إياه، أو مَلَكًا على صورته، وإنما هو شيطان أغواه.

ومِن هؤلاء مَن إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه، ولا يذكر إلا اسمه، قد لَهِجَ به كما يَلْهَج الصبي بذكر أمه، فيتعس أحدهم فيقول: يا فلان. وقد قال الله للمؤمنين: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بشيخه وإمامه فيَصدُق، فيكون شيخه عنده وفي صدره أعظَمَ من الله، فإذا كان دعاء الموتى؛ مثل الأنبياء والصالحين، يتضمن هذا الاستهزاءَ بالله وآياته ورسوله؛ فأي الفريقين أحق بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله؟ من كان يأمر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم، مع مايترتب على ذلك من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله، أو من كان يأمر بدعاء الله وحده لا شريك له كما أَمَرت رُسُلُه، ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ما جاء به؟!

وأيضًا: فإن هؤلاء الموحِّدين من أعظم الناس رعاية لجانب الرسول، وتصديقًا له فيما أخبر، وطاعةً له فيما أَمَر، واعتناءً بمعرفة ما بُعِثَ به، والتمييزِ بين ما رُوِيَ عنه من الصحيح والضعيف، والصدق والكذب، واتِّباع ذلك دون ما خالفه، عملًا بقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

وأما أولئك الضُّلَّال، أشباهُ المشركين والنصارى، فعُمْدَتُهم إما أحاديث

ضعيفة، أو موضوعات، أو منقولات عمَّن لا يُحْتَجُّ بقوله، إما أن تكون كذبًا عليه، وإما أن يكون غلطًا منه، إذ هي نقل غير مصدق، عن قائل غير معصوم، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول حرفوا الكلم عن مواضعه، وتمسكوا بمتشابهه، وتركوا مُحْكَمَه، كما فعله النصارى، وهذا ما علمتُهُ يُنْقَل عن أحد من العلماء، لكنه موجود في كلام بعض الناس، مثل الشيخ يحيى الصرصري، ففي شعره قطعة منه، والشيخ محمد بن النعمان، وكتاب «المستغيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام» وهؤلاء لهم صلاح ودين، لكن ليسوا من أهل العلم العالِمِين بمدارك الأحكام، الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام، وليس لهم دليل شرعي، ولا نقل عن عالم مرضي، بل عادة جُرِيَ عليها، كما جَرَت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه، وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم، ولهم صلاح وعلم وزهد، إذا نزل به أمر خَطَا إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به، وهذا يفعله كثير من الناس، ولهذا لما نُبِّهَ مَن نُبِّهَ مِن فضلائهم تنبهوا وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام، بل هو مشابهة لِعُبَّاد الأصنام.

ونحن نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يَشْرَعْ لأمته أن يدعو أحدًا من الأموات، لا الأنبياء ولا غيرهم، ولا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت، ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يُمْكِنْ تكفيرهم بذلك حتى يُبيَّنَ لهم[1] ما جاء به الرسول مما يخالفه، ولهذا ما بينتُ هذه

---

(١) حرَّف بعض المناوئين للدعوة للسلفية هذه اللفظة إلى «حتى يتبين»؛ لمقصد إبطال =

المسألة قط لمن يعرف دين الإسلام إلا تفطن لها وقال: هذا أصل دين الإسلام. وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذه أعظم ما بيَّنْتَه لنا. لعلمه بأن هذا أصل الدين، وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم، ويستجيرون بهم ويتضرعون إليهم، وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم؛ لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم، فيدعون دعاء المضطر، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه، أو الدعاء به، أو الدعاء عند قبره، بخلاف عبادتهم للذي دعاهم إياه، فإنهم يفعلون في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف، حتى أن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق، خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، قال بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر

أو قال:

عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكمو من الضرر

فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم، لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم جماعة من المسلمين يوم أحد، فإنه كان قضى أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، والحكمة كانت لله في ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة؛ لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، فلما كانت بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله،

= قيام الحجة على مرتكبي الشرك؛ لأن كل واحد منهم سيزعم أنه لم «يتبين» له الأمر! انظر الرد على تحريفهم لكلام شيخ الإسلام في: «مصباح الظلام»؛ للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن (ص ٤٩٧ - ٥٠٤)، و«الأسنة الحداد»؛ للشيخ ابن سحمان (ص ١٥٧ - ١٥٨).

والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه، ولا يستغيثون بمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فلما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثة بربهم، نصرهم على عدوهم نصرًا عزيزًا لم يتقدم نظيره، ولم يُهْزَم التتار مثل هذه الهزيمة أصلًا، لمَّا صح من توحيد الله وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك، فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، كما قال تعالى في يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

وروي أن النبي ﷺ كان يقول يوم بدر: «**يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث**»[١] وفي لفظ: «**أصلح لي شأني كله، ولا تَكِلْنِي إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك**»[٢] وهؤلاء يدعون الميت أو الغائب، فيقول أحدهم: بك أستجير، أغثنا، أجرنا. ويقول: أنت تعلم ذنوبي. ومنهم من يقول للميت: اغفر لي وارحمني وتب عليَّ. ونحو ذلك، ومن لم يقل هذا من عقلائهم فإنه يقول: أشكو إليك ذنوبي، وأشكو إليك عدوي، وأشكو إليك جَوْرَ الولاة وظهور البدع، أو جدب الزمان. وغير ذلك، فيشكون إليه ما حصل مِن ضرر في الدين أو الدنيا، ومقصوده بالشكوى أن يُشْكِيَهُ فيُزِيلَ ذلك الضرر. وقد يقول مع ذلك للميت: أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر، وأنت تعلم ما فعلتُه من

---

(١) أخرج النسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٥٦) من حديث علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ أنظر ما صنع، فجئت فإذا هو ساجد يقول: «يا حي يا قيوم، يا حي يا قيوم» ثم رجعت إلى القتال، ثم جئت فإذا هو ساجد لا يزيد على ذلك، ثم ذهبت إلى القتال، ثم جئت فإذا هو ساجد يقول ذلك، ففتح الله عليه.

(٢) أخرج أبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (٢٩٢٥) عن رجل من بني زريق عن أبيه عن جده قال: أكثر دعاء النبي ﷺ يوم أحد: «**يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، اكفني كل شيء، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**».

الذنوب. فيجعل الميت أو الحي الغائب عالمًا بذنوب العباد وجراياتهم، التي يمتنع أن يعلمها بشر، حي أو ميت.

وعقلاؤهم يقولون: مقصودنا أن يَسْأَلَ اللهَ لنا ويَشْفَعَ لنا. ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته أن يسأل الله لهم، فإنه يُسْأَل ويَشْفَع كما كان يُسْأَل ويَشْفَع لما سأله الصحابة الاستسقاء وغيره، وكان يَشْفَع يوم القيامة إذا سئل الشفاعة، ولا يعلمون أن سؤال الميت أو الغائب غير مشروع البتة، ولم يفعله أحد من الصحابة، بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه، وأن الرسول ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم لا يُطْلَب مِن أحدهم بعد موته من الأمور ما كان يُطْلَب منه في حياته. انتهى كلام الشيخ رحمه الله، ملخصًا.

فانظر، رحمك الله، إلى ما ذكره هذا الإمام من أنواع الشرك الأكبر، الذي قد وقع في زمانه ممن يدعي المعرفة والدين، ينتصب للفتيا والقضاء، لكن نبَّههم الشيخ رحمه الله، على ذلك وبيّن لهم أن هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، فتنَبَّهَ مَن تَنَبَّهَ منهم، وتاب إلى الله، وعرف أن ما كان عليه شرك وضلال، وانقاد للحق، وهذا ما يبين لك غربة الإسلام في ذلك الوقت عند كثير من الأنام، وأن هذا مصداق ما تواترت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم...**» الحديث، وقوله: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**».

وبهذا ينكشف لك، ويتضح عندك، بطلان ما عليه كثير من أهل هذا الزمان، من أنواع الشرك والبدع والحَدَثان، فلا تغتر بما هم عليه، وهذه هي البلية العظيمة، والخصلة القبيحة الذميمة، وهي الاغترار بالآباء والأجداد، وما استمر عليه عمل كثير من أهل البلاد، وتلك هي الحجة التي انتحلها أهل الشرك والكفر والعناد، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في محكم التنزيل، من غير شك ولا تأويل، حيث قال تعالى، وهو أصدق القائلين، حكاية عن فرعون

اللعين، أنه قال لموسى وأخيه هارون المُكْرَمَيْن: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾، فأجابه عليه السلام بقوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

فمن امتطى كاهل الصدق والوفاء، وسلم من التعصب والعناد والجفاء، وتوسط في لاحِبِ المَحَجَّة، وقَنِعَ في قبول الحق بالحجة، وكان ذلك طريقه ونهجه، وأشرق في صدره مصباح القبول، وأوقد فيه بزيت المعرفة لمولاه والوصول، وكان من ضوء التوحيد على وصول، عرف صدق ما انتهجه شيخ الإسلام، وما أوضحه من سبل السلام، وما رفعه لكافة الأنام، من رفيع الأعلام، وما نشره من مطوي نافع العلوم، وما كشفه من صحيح المنطوق والمفهوم، ولكن لما أماط عن مُحَيًّا الحق كثيف النقاب، فأشرف لمُنَوِّرِ القلب ضوء الصواب، لم تَرُضْ له أفهام أولي الألبابِ، ولم تَرْضَ في الدليل بقواطع السنة والكتاب، بل لَجَّ أهل الزيغ في الضلال والارتياب، ودخلوا في التعصب لما كانوا عليه من كل باب، حين قام بدعوة رب الأرباب، الشيخ الإمام القدوة محمد بن عبد الوهاب، وأتوا في مصادمته بحُجَجٍ واهية النسج، بعيدة عن الحق والنهج، يقضي بفسادها، وبيان عنادها، وغلوها في مرادها، كل من لم يتورك سَنَامَ الاعتساف، ولم يقعد على منصة العصبية والإجناف، ولم يَدَّرِعْ بقميص السرف والإسراف، وراقب في ذلك مولاه وخاف، وما داهن في ذلك ولا حاف[1]، ولكنّ هذا القدوة، كلما أعلن بهذه الدعوة، لم يبال بما رُيّش له من النِبال، وما حُدد له من النِصال، وما أُوقع في عرضه من القيل والقال، ولله در المتنبي حيث قال:

لا يسلم الشرف من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

(١) من الحيف: الجور.

الفائدة الثالثة: قال ابن القيم رحمه الله في «الإغاثة»: قال ﷺ **«لا تتخذوا قبري عيدًا»**[(١)]، وقال: **«اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[(٢)] وفي اتخاذها عيدًا من المفاسد ما يغضب لأجله مَن في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد، ولكن ما لِجُرْحٍ بميت إيلام: منها الصلاة إليها، والطواف بها واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات، التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم، وكل مَن شم أدنى رائحة من العلم يعلم أن من أهم الأمور سَدَّ الذريعة إلى ذلك، وأنه ﷺ أعلم بعاقبة ما نَهى عنه وما يؤول إليه، وإذا لعن مَن اتخذ القبور مساجد يعبد الله فيها، فكيف بملازمتها واعتياد قصدها وعبادتها! ومن جمع بين سُنَّة رسول الله ﷺ في القبور وما أَمَر به ونَهى عنه وما عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضادًّا للآخر؛ فنهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ونهى عن تسريجها[(٣)] وهؤلاء يوقفون عليها الوقوف على إيقاد القناديل عليها، ونهى عن أن يتخذ عيدًا وهؤلاء يتخذونها أعيادًا، ونهى عن تشريفها وأمر بتسويتها، كما في «صحيح مسلم» عن علي رضي الله عنه[(٤)]، وهؤلاء يرفعونها ويجعلون عليها

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤٤) والإمام أحمد (٢/ ٣٦٧) وصححه الشيخ الألباني (أحكام الجنائز ١/ ٢١٩) من حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِى عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِى حَيْثُ كُنْتُمْ»**.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٤٦) وصححه الشيخ الألباني (أحكام الجنائز ١/ ٢١٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠) والنسائي (٢٠٤٣) والإمام أحمد (١/ ٣٣٧) عن ابن عباس قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٤٦٩١).

(٤) صحيح مسلم (٩٦٩) عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته.

القباب، ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما في «صحيح مسلم» عن جابر(١) ونهى عن الكتابة عليها، كما رواه أبو داود عن جابر(٢) وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن، ويزيدون على ترابها بالجِصِّ والآجُرِّ والأحجار(٣).

وقال: آل الأمر بهؤلاء الضُّلَّال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًّا ووضعوا لها مناسك، حتى صنّف بعضهم في ذلك كتابًا سماه «مناسك حج المشاهد» ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام، فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول ﷺ لأمته وبين ما شرعه هؤلاء. والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور لأنها تذكرة الآخرة، وأمر الزائر أن يدعو لأهل القبور، ونهاه أن يقول هُجْرًا، فهذه الزيارة التي أذن فيها لأمته وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئًا مما يعتمده أهل الشرك والبدع، أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه!

وما أحسَنَ ما قال الإمام مالك رحمه الله: لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أوّلَها. ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عُوِّضُوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك، ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحَمَوا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء جعل ظهره إلى جدار

---

(١) صحيح مسلم (٩٧٠) عن عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه.

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٥٢) والنسائي (٢٠٢٧) وابن ماجه (١٥٦٣) عن جابر قال: نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها، وأن توطأ. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترمذي).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ١٨٨ - ١٩٦).

القبر ثم دعا، وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة؛ أن يستقبل القبلة للدعاء حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة، وبالجملة فإن الميت قد انقطع عمله، فهو محتاج إلى مَن يدعو له، ولهذا شُرِعَ في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يُشْرَعْ مثله للحي، ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار له والدعاء له، وكذلك الزيارة مقصودها الدعاء للميت والإحسان إليه وتذكير الآخرة، فبدَّل أهل البدع والشرك قولًا غير الذي قيل لهم، فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه، والشفاعة له بالاستشفاع به، والزيارة التي شُرِعَت إحسانًا إلى الميت وإلى الزائر بسؤال الميت والإقسام به على الله، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو محض العبادة، وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد(١).

ثم ذكر حديث ذات أنواط ثم قال: فإذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذًا له مع الله، وهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه والدعاء عنده والدعاء به! وأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر، لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون! ومَن له خبرة بما بعث الله به رسوله، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم، في هذا الباب وغيره، علم أن بين السلف وبينهم أبعد مما بين المشرق والمغرب، والأمر والله أعظم مما ذكرنا(٢).

وعَمَّى الصحابة قبر دانيال بأمر عمر رضي الله عنه.

ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بويع رسول الله ﷺ تحتها أرسل إليها وقطعها، قال عيسى بن يونس: هو عندنا من حديث ابن عون عن نافع.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٧ - ٢٠٢).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٥).

فإذا كان هذا فعله في الشجرة التي ذكرها الله في القرآن، وبايع تحتها الصحابة ﷺ، رسولَ الله ﷺ فماذا حكمه فيما عداها؟

وأبلغ من ذلك أن رسول الله ﷺ هدم مسجد الضرار، ففيه دليل على هدم المساجد التي هي أعظم فسادًا منه، كالمبنية على القبور، وكذلك قبابها، فتجب المبادرة إلى هدم ما لعن رسولُ الله ﷺ فاعلَه، واللهُ يقيم لدينه مَن ينصره ويذب عنه(١).

وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب، فيسر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحِّدِين، وكانوا يقولون العامةُ للشيء منها إنه يَقْبَلُ النذر، أي يقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة يتقرب بها الناذر إلى المنذور.

ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله أن يُتَّخَذَ منه مُصَلًّى، قال قتادة في الآية: إنما أُمِرُوا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ما تكلفته الأمم قبلها، ذكر لنا مَن رأى أثر أصابعه، فمازالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق(٢).

وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أصحاب القبور، وهي أصل فتنة عباد الأصنام، كما ذكر الله في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ الآية، ذكر السلف في تفسيرها أن هؤلاء أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم(٣).

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٩ - ٢١٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٣٥).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٢) وما ذكره الإمام ابن القيم عن السلف أخرجه البخاري =

وتعظيم الصالحين إنما هو باتباع ما دَعَوا إليه دون اتخاذ قبورهم أعيادًا وأوثانًا، فأعرضوا عن المشروع واشتغلوا بالبدع، ومَن أصغى إلى كلام الله وتفهمه أغناه عن البدع والآراء، ومن بعد عنه فلابد أن يتعوض بما لا ينفعه، كما أن مَن عُمِّرَ قلبُهُ بمحبة الله وخشيته والتوكل عليه أغناه عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه، فالمُعْرِضُ عن التوحيد مُشْرِكٌ، شاء أم أبى، والمُعْرِضُ عن اتباع السنة مبتدعٌ، شاء أم أبى، والمعرض عن محبة الله عبد الصور، شاء أم أبى[(١)].

وهذه الأمور المبتَدَعَة عند القبور أنواع:

أبعدها عن الشرع: أن يَسْأَلَ الميتَ حاجتَهُ، كما يفعله كثير، وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لعباد الأصنام، وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به.

النوع الثاني: أن يَسْأَلَ اللهَ به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعة إجماعًا.

النوع الثالث: أن يَظُنَّ أن الدعاء عنده مستجاب، وأنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد القبر لذلك، فهذا أيضًا من المنكرات إجماعًا، وما علمت فيه

= (٤٩٢٠) عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: صارتِ الأوثانُ التي كانت في قوم نوح في العرب بَعْدُ: أمَّا «وَدّ» فكانتِ لكَلْبٍ بدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وأما «سُواعٌ» فكانت هذيل، وأما «يَغُوثُ» فكانت لِمُرادَ، ثم صارَت لِبَني غُطَيْفٍ بالجُرفِ عِند سَبأ، وأمَّا «يَعُوقُ» فكانت لِهَمْدانَ، وأمَّا «نَسْرٌ» فلِحِمْيَرَ، لآلِ ذي الْكَلاَعَ، وكلُّها أسماءُ رجالٍ صالحينَ من قوْمِ نُوحٍ، فلَّما هَلَكوا أَوْحى الشَّيطانُ إلى قَوْمِهِم أنِ انْصِبُوا إلى مَجالِسِهِمْ التي كانوا يَجلسون فيها أَنْصابا وسَمُّوها بأسمائهم، ففعلُوا، فلم تُعبدْ، حتى إذا هلك أولئك تَنَسَّخَ العلمُ عُبِدَتْ.

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٤).

نزاعًا بين أئمة الدين، وإن كان كثير من المتأخرين يفعله[١].

وبالجملة؛ فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام، ولم يتخلص منه إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم، وعبادتها في الأرض من قبل نوح، وهياكلها ووقوفها، وسدنتها وحجابها، والكتب المصنفة في عبادتها طبق الأرض، قال إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ وكفى في معرفة أنهم أكثر أهل الأرض بما صح عن النبي ﷺ أن بَعْثَ النار من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون[٢] وقد قال تعالى: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ وقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عُبَّادُها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، وهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حَلَّ بهم، ولا يزيدهم ذلك إلا حُبًّا لها وتعظيمًا، ويوصي بعضهم بعضًا بالصبر عليها[٣].

انتهى كلام الشيخ، رحمه الله تعالى، ملخصًا، وسيأتي بقية لكلام الشيخ ابن القيم في رسائل الشيخ الآتية، إن شاء الله، في مواضع من رسائله رحمه الله، متفرقة، كما ذكره في الرسالة التي كتبها حين ارتدوا أهل حُريملا، وكذلك ذكره في رسالته لعبد الله بن سحيم في الرد على عدو الله سليمان بن سحيم، مطوع الرياض.

وقال العماد ابن كثير في «تاريخه»[٤]: وفي سنة من السنين كان للناس شجرة

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٧ - ٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٧٠).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٥).

(٤) البداية والنهاية (١٤/ ٣٤).

يعظمونها، ويخرجون إليها ويربطون عليها الخِرَق، ويخرجون إليها في يوم من السنة. قال: لم يشعر الناس إلا والشيخ تقي الدين ابن تيمية تَحَزَّمَ وأخذ هو وجماعته الفؤوس، وخرج إليها فقطعها. قال: فوقع الإنكار من العامة عليه بسبب ذلك، فرحمه الله ورضي عنه على ما صنع؛ فإن ذلك ربما يفضي إلى الشرك، وطائفة من الكفار يعبدون الشجر، وقد ذكر ابن هشام في «السيرة» وغيره أن أهل نجران قبل مبعث النبي ﷺ كانوا يعبدون نخلة طويلة، لها عيد في السنة، إذا كان يوم ذلك العيد خرجوا إليها، وألبسوها الحلي وغيره، ويعكفون عليها، وأخبرني بعض أصحابنا أن ببلاد الهند طائفةً يعبدون الشجر، يعكفون عليها ويصلحونها ويلبسونها. انتهى كلامه رحمه الله.



الفصل الثالث
في سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان، وإلى بعض خواص الإخوان يدعوهم بالقول السديد إلى تجريد التوحيد

فمنها الرسالة التي أرسلها إلى أهل الأحساء، حين كتبوا الرسائل إلى أهل نجد بالإنكار عليه والتشنيع، **ومنها** رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل سدير والوشم والقصيم، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى مَن يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، خصوصًا محمد بن عبيد وعبد القادر العديلي(١) وابنه وعبد الله بن سحيم(٢) وعبد الله بن عضيب(٣) وحميدان بن تركي(٤) وعلي بن زامل ومحمد أبا الخيل(٥) وصالح بن عبد الله(٦)، أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى أرسل محمدًا ﷺ إلينا على حين فترة من الرسل، فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع التام، وأعظم ذلك وأكبره وزبدته هو إخلاص

---

(١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/ ٥٣٧ - ٥٣٨).

(٢) انظر ترجمته في: المرجع السابق (٤/ ٣٨ - ٤٠)، ومجلة الدرعية (س٣ ع١١ و١٢) مقال للأستاذ عبد الله بن حمد العسكر.

(٣) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤/ ٤١ - ٥٢).

(٤) انظر ترجمته في: المرجع السابق (٢/ ١٤٦ - ١٥٠).

(٥) انظر ترجمته في: المرجع السابق (٥/ ٤٦٥ - ٤٦٨).

(٦) لعله صالح بن عبدالله أبا الخيل، قاضي عنيزة، (ت ١١٨٤هـ). انظر ترجمته في: المرجع السابق (٢/ ٥١٣ - ٥١٦).

الدين لله، بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك، وهو ألا يُدْعَى أحد من دونه من الملائكة والنبيين، فضلًا عن غيرهم، فمِن ذلك أنه لا يُسْجَدُ إلا لله، ولا يُرْكَعُ إلا له، ولا يُدْعَى لكشف الضر إلا هو، ولا لجلب الخير إلا هو، ولا يُنْذَرُ إلا له، ولا يُحْلَفُ إلا به، ولا يُذْبَحُ إلا له، وجميع العبادة لا تصلح إلا له وحده لا شريك له، وهذا معنى قول «لا إله إلا الله»، فإن المألوه هو المقصود المعتَمَد عليه، وهذا أمر هيِّن عند مَن لا يعرفه، كبير عظيم عند مَن عرفه.

فمَن عرَف هذه المسألة عرَف أن أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان، وزين لهم الشرك بالله، وأخرجه في قالب حب الصالحين وتعظيمهم، والكلام في هذا ينبني على قاعدتين عظيمتين:

الأولى: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يعرفون الله ويعظمونه، ويحجون ويعتمرون، ويزعمون أنهم على دين إبراهيم الخليل، وأنهم يشهدون أنه لا يَخْلُقُ ولا يَرْزُقُ ولا يُدَبِّرُ إلا الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

فإذا عرفت أن الكفار يشهدون بهذا كله، فاعرف **القاعدة الثانية**، وهي أنهم يدعون الصالحين؛ مثل الملائكة وعيسى وعُزَيْر وغيرهم، وكل مَن ينتسب إلى شيء من هؤلاء سماه إلهًا ولا يعني بذلك أنه يَخْلُق أو يَرْزُق، بل يدعون الملائكة وعيسى ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ والإله في لغتهم هو الذي يسمَّى في لغتنا (الذي فيه سر) والذين يسمونه الفقراء شيخهم، يعنون بذلك أنه يُدْعَى ويَنْفَع ويَضُرّ، وإلا إنهم مُقِرُّون لله بالتفرد بالخلق والرزق، وليس ذلك معنى الإله، بل الإلهُ المقصودُ المدعُوُّ المرجُوُّ، لكن المشركون في زماننا أضل من الكفار الذين في زمن رسول الله ﷺ من وجهين:

أحدهما: أن الكفار إنما يدعون الأنبياء والملائكة في الرخاء، وأما في

الشدائد فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

والثاني: أن مشركي زماننا يدعون أناسًا لا يوازنون عيسى والملائكة.

إذا عرفتم هذا فلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر عبادة الأصنام؛ هذا يأتي إلى قبر نبي، وهذا إلى قبر صحابي، كالزبير وطلحة، وهذا إلى قبر رجل صالح، وهذا يدعوه في الضراء وفي غيبته، وهذا يَنْذِرُ له، وهذا يذبح للجن، وهذا يدخل عليه من مضرة الدنيا والآخرة، وهذا يسأله خير الدنيا والآخرة!

فإن كنتم تعرفون أن هذا من الشرك، عبادة الأصنام، الذي يُخْرِج الرجلَ من الإسلام، وقد ملأ البر والبحر، وشاع وذاع، حتى أن كثيرًا ممن يفعله يقوم الليل ويصوم النهار، وينتسب إلى الصلاح والعبادة، فما بالكم لم تُفْشُوه في الناس وتبينوا لهم أن هذا كفر بالله مخرج عن الإسلام! أرأيتم لو أن بعض الناس أو أهل بلده تزوجوا أَخَوَاتِهِم أو عَمَّاتِهِم، جهلًا منهم، أَفَيَحِلُّ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتركه، لا يُعْلِمُهُم أن الله حرَّم الأخوات والعمات؟ فإن كنتم تعتذرون أن نكاحهم أعظم مما يفعله الناس اليوم عند قبور الأولياء والصحابة وفي غيبتهم عنها، فاعلموا أنكم لم تعرفوا دين الإسلام، ولا شهادة أن لا إله إلا الله، ودليل هذا مما تقدم من الآيات التي بينها الله في كتابه.

وإن عرفتم ذلك، فكيف يحل لكم كتمان ذلك والإعراض عنه، وقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ فإن كان الاستدلال بالقرآن عندكم هُزُوًا وجهلًا، كما هي عادتكم ولا تقبلونه، فانظروا في «الإقناع» في باب حكم المرتد، وما ذكر فيه من الأمور الهائلة التي ذكر أن الإنسان إذا فعلها فقد ارتد وحل دمه؛ مثل الاعتقاد في الأنبياء والصالحين، وجعلهم وسائط بينه وبين الله، ومثل الطيران في الهوى، والمشي في الماء، فإذا كان مَن فعل هذه الأمور منكم؛ مثل السائح الأعرج ونحوه، تعتقدون صلاحه وولايته، وقد صرح في

«الإقناع» بكفره، واعلموا أنكم لم تعرفوا معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

فإن بان لكم في كلامي هذا شيء من الغلو؛ مِن أن هذه الأفاعيل لو كانت حرامًا فلا تُخْرِجُ من الإسلام، وأن فعل أهل زماننا في الشدائد في البر والبحر، وعند قبور الأنبياء والصالحين، ليست من هذه - بَيِّنُوا لنا الصواب وأرشدونا إليه. وإن تبين لكم أن هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، وأن الواجب إشاعته في الناس، وتعليمه النساء والرجال، فرحم الله مَن أدَّى الواجب عليه، وتاب إلى الله، وأقر على نفسه، فإن التائب عن الذنب كمن لا ذنب له، وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى، والسلام.

ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سحيم، مطوع المجمعة، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم، حفظه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد وصل كتابك تطلب شيئًا من معنى كتاب المويس الذي أرسل لأهل الوشم، وأنا أجيبك عن الكتاب جملة، فإن كان الصواب فيه فنبهني وأرجع إلى الحق، وإن كان الأمر كما ذكرتُ لك من غير مجازفة، بل أنا مقتصر، فالواجب على المؤمن أن يدور مع الحق حيث دار، وذلك أن كتابه مشتمل على الكلام في ثلاثة أنواع من العلوم:

الأول: علم الأسماء والصفات، الذي يسمى «علم أصول الدين» ويسمى أيضًا «العقائد»، **والثاني**: الكلام على التوحيد والشرك، **والثالث**: الاقتداء بأهل العلم واتباع الأدلة وترك ذلك.

أما الأول: فإنه أنكر على أهل الوشم إنكارهم على مَن قال: ليس بجوهر، ولا جسم، ولا عَرَض. وهذا الإنكار جمع فيه بين اثنتين:

إحداهما: أنه لم يفهم كلام ابن عيدان وصاحبه.

الثانية: أنه لم يفهم صورة المسألة، وذلك أن مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف أنهم لا يتكلمون في هذا النوع إلا بما تكلم الله به ورسوله، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله أثبتوه، مثل الفوقية والاستواء والكلام والمجيء وغير ذلك، وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله نَفَوه، مثل المِثْلِ والنِّدِّ والسَّمِيِّ وغير ذلك. وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباتُه ونفيُه، مثل الجوهر والجسم والعرض والجهة وغير ذلك، فلا يثبتونه، فمن نفاه، مثل صاحب الخطبة التي أنكرها ابن عيدان وصاحبه، فهو عند أحمد والسلف مبتدِع، ومَن أثبته، مثل هشام بن الحكم وغيرهم، فهو عندهم مبتدع، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع اقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه، هذا معنى كلام الإمام أحمد الذي في رسالة المويس، أنه قال: لا أرى الكلام إلا ما ورد عن النبي ﷺ! فمن العجب استدلاله بكلام الإمام أحمد على ضده!

ومثاله في ذلك كمثل حنفي يقول: الماء الكثير، ولو بلغ قلتين، ينجس بمجرد الملاقاة من غير تغير. فإذا سئل عن الدليل قال: قوله ﷺ: «**الماء طهور لا ينجسه شيء**»(١) فيستدل بدليل خصمه! فهل يقول هذا مَن يفهم ما يقول! وأنا أذكر لك كلام الحنابلة في هذه المسألة:

قال الشيخ تقي الدين، بعد كلام له على مَن قال إنه ليس بجوهر ولا عرض، ككلام صاحب الخطبة، قال رحمه الله:

فهذه الألفاظ لا يُطلق إثباتها ولا نفيها، كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة، ونحو ذلك من الألفاظ، ولهذا لما سئل ابن سُرَيج عن التوحيد، فذكر

---

(١) أخرجه أبو داود (٦٦) والترمذي (٦٦) والنسائي (٣٢٥) والإمام أحمد (٣/ ٣١) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٩٢٥).

توحيد المسلمين قال: وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والأعراض، وإنما بُعِثَ النبي ﷺ بإنكار ذلك. وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضع. والمقصود أن الأئمة، كأحمد وغيره، لما ذَكَر لهم أهلُ البدع الألفاظَ المجمَلَةَ، كلفظ الجسم والجوهر والحيِّز، لم يوافقوهم لا على إطلاق الإثبات ولا على إطلاق النفي(١). انتهى كلام الشيخ تقي الدين.

إذا تدبرتَ هذا عرَفتَ أن إنكار ابن عيدان وصاحبه على الخطيب الكلامَ في هذا هو عين الصواب، وقد اتبعا في ذلك إمامهما أحمد بن حنبل وغيره في إنكارهم ذلك على المبتدعة، ففهم صاحبكم أنهما يريدان إثبات ضد ذلك، وأن الله جسم وكذا وكذا، تعالى الله عن ذلك، وظن أيضًا أن عقيدة أهل السنة هي نفي أنه لا جسم ولا جوهر ولا كذا ولا كذا، وقد تبين لكم الصواب أن عقيدة أهل السنة هي السكوت، مَن أثبَتَ بدَّعُوه، ومَن نفَى بدَّعُوه، فالذي يقول: ليس بجسم، ولا، ولا. هم الجهمية والمعتزلة، والذين يثبتون ذلك هو هشام وأصحابه، والسلف بريئون من الجميع، مَن أثبَتَ بدَّعُوه، ومَن نفَى بدَّعُوه.

فالمويس لم يفهم كلام الأحياء ولا كلام الأموات، وجعل النفيَ الذي هو مذهبُ الجهمية والمعتزلة مذهبَ السلف، وظن أن مَن أنكر النفي أنه يريد الإثبات، كهشام وأتباعه.

ولكن أعجب من ذلك استدلاله على ما فهم بكلام أحمد المتقدم، ومن كلام أبي الوفاء ابن عقيل، قال: أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا وما عَرَفَا الجوهر والعَرَضَ، فإن رأيتَ أن طريقة أبي علي الجُبَّائي وأبي هاشم خير لك من طريقة

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٠٤ - ٢٠٧).

أبي بكر وعمر فبئسما رأيت[١]. انتهى.

وصاحبكم يدعي أن الرجل لا يكون من أهل السنة حتى يتبع أبا علي وأبا هاشم بنفي الجوهر والعرض، فإن أنكر الكلام فيهما، مثل أبي بكر وعمر، فهو عنده على مذهب هشام الرافضي، فظهر بما قررناه أن الخطيب الذي يتكلم بنفي العرض والجوهر أخَذَه من مذهب الجهمية والمعتزلةَ، وابن عيدان وصاحبه أنكرا ذلك مثلما أنكره أحمدُ والعلماءُ كلُّهم على أهل البدع.

وقوله في الكتاب: ومذهب أهل السنة إثبات من غير تعطيل ولا تجسيم، ولا كيف، ولا أين... إلى آخره، وهذا من أبين الأدلة على أنه لم يفهم عقيدة الحنابلة، ولم يميز بينها وبين عقيدة المبتدعة؛ وذلك أن إنكار «الأَيْنِ» من عقائد أهل الباطل، وأهل السنة يثبتونه اتِّبَاعًا لرسول الله ﷺ كما في الصحيح أنه قال للجارية: «أين الله؟»[٢] فزعم هذا الرجل أن إثباتها مذهب المبتدعة، وأن إنكارها مذهب أهل السنة، كما قيل، وعكسه بعكسه. وأما الجسم فتقدم الكلام أن أهل الحق لا يثبتونه ولا ينفونه، فغلط عليهم في إثباته. وأما التعطيل والكيف فصدَقَ في ذلك، فجمع لكم أربعة ألفاظ، نصفها حقٌّ من عقيدة الحق، ونصفها باطل من عقيدة الباطل، وساقها مساقًا واحدًا، وزعم أنه مذهب أهل السنة! فجهل وتناقض.

وقوله أيضًا: ويُثْبِتُون ما أثبته الرسول ﷺ من السمع والبصر والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام... إلى آخره، وهذا أيضًا من أعجب جهله؛ وذلك أن هذا مذهب طائفة من المبتدعة، يُثْبِتُون الصفات السبع ويَنْفُون ما عداها، ولو

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي (٨٥) ودرء تعارض النقل والعقل (٨/ ٤٨).
(٢) أخرجه مسلم (٧).

كان في كتاب الله، ويُؤَوِّلُونه. وأما أهل السنة فكل ما جاء عن الله ورسوله أثبتوه، وذلك صفات كثيرة، لكن أظنه نقل هذا من كلام المبتدعة، وهو لا يميز بين كلام أهل الحق من كلام أهل الباطل.

إذا تقرر هذا فقد ثبت خطؤه من وجوه:

الأول: أنه لم يفهم الرسالة التي بُعثت إليه.

الثاني: أنه بَهَت أهلَها بإثبات الجسم وغيره.

الثالث: أنه نسبهم إلى الرافضة، ومعلوم أن الرافضة من أبعد الناس عن هذا المذهب وأهله.

الرابع: أنه نسب مَن أنكر هذه الألفاظ إلى الرفض والتجسيم، وقد تبين أن الإمام أحمد وجميع السلف ينكرونه، فلازم كلامه أن مذهب الإمام أحمد وجميع السلف مجسِّمة على مذهب الرفض.

الخامس: أنه نسب كلامهما إلى الفرية الجسمية، فجعل عقيدة إمامه وأهل السنة فرية جسمية.

السادس: أنه زعم أن البدع اشتعلت في عصر الإمام أحمد ثم ماتت، حتى أحياها أهل الوشم، فمفهوم كلامه، بل صريحه، أن عصر الإمام أحمد وأمثاله عصر البدع والضلال، وعصر ابن إسماعيل عصر السنة والحق.

السابع: أنه نسبهما إلى التعطيل، والتعطيل إنما هو جحد الصفات.

الثامن: بَهَتُهُمَا أنهما نَسَبَا مَن قبلَهما من العلماء إلى التعطيل، لكونهما أنكرَا على خطيب من المبتدعة، وهذا من البهتان الظاهر.

التاسع: أنه نسبهما إلى وراثة هشام الرافضي.

العاشر: أن المسلم أخو المسلم، فإذا أخطأ أخوه نصحه سرًّا وبيّن له الصواب، فإذا عاند أمكنه المجاهرة بالعداوة، وهذا لما راسلاه صنف عليهما ما علمت، وأرسله إلى البلدان: اعرفوني اعرفوني، تراي جاي من الشام!

وأما التناقض وكون كلامه يُكذب بعضه بعضًا فمن وجوه:

منها: أنه نسبهما تارة إلى التجسيم، وتارة إلى التعطيل، ومعلوم أن التعطيل ضد التجسيم، وأهل هذا أعداء لأهل هذا، والحق وسط بينهما.

ومنها: أنه نسبهما إلى الجهمية وإلى المجسمة، والجهمية والمجسمة بينهما من التناقض والتباعد كما بين السواد والبياض، وأهل السنة وسط بينهما.

ومنها: أنه يقول: مذهب أهل الحق إثبات الصفات. ثم يقول: ولا أين، ولا، ولا. وهذا تناقض.

ومنها: أنه يقول: ما أثبته الله ورسوله أثبتُّ. ثم يخص ذلك بالصفات السبع، فهذا عين التناقض، فعقيدته التي نَسَبَ لأَهْلِ السنة جمعها من نحو أربع فرق من المبتدعة، يناقض بعضهم بعضًا، ويسب بعضهم بعضًا، ولو فهمت حقيقة هذه العقيدة لجعلتها ضحكة.

ومنها: أنه يذكر عن أحمد أن الكلام في هذه الأشياء مذموم، إلا ما نقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيهم، ثم ينقل لكم إثبات كلام المبتدعة ونفيهم، ويتكلم بهذه العقيدة المعكوسة، ويزعم أنها عقيدة أهل الحق.

هذا ما تيسر كتابته عَجِلًا على السراج في الليل، والمأمول فيك أنك تنظر فيها بعين البصيرة، وتتأمل هذا الأمر، واعْرِضْ هذا عليه، واطلُبْ منه الجواب عن كل كلمة من هذا، فإن أجابك بشيء فاكتبه، وإن عَرَفْتَهُ باطلًا، وإلا فراجعني فيه أبيِّنْهُ لك. ولا تستحقر هذا الأمر، فإن حَرَصْتَ عليه جدًّا عَرَّفَك

عقيدة الإمام أحمد وأهل السنة وعقيدة المبتدعة، وصارت هذه الوقعة أنفع لك من القراءة في علم العقائد شهرين أو ثلاثة بسبب الخطأ والاختلاف، مما يوضح الحق ويبين لخبائه.

وأما النوع الثاني: فهو الكلام في الشرك والتوحيد، وهو المصيبة العظمى، والداهية الصماء، والكلام على هذا النوع والرَّدُّ على هذا الجاهل يحتمل مجلدًا، وكلامه فيه كما قال ابن القيم: إذا قرأه المؤمن تارة يبكي وتارة يضحك. ولكن أنبهك منه على كلمتين:

الأولى: قوله إنهما نَسَبَا مَن قَبْلَهما إلى الخروج من الإسلام والشرك الأكبر، أفيظن أن قوم موسى لما قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ خرجوا من الإسلام؟ أفيظن أن أصحاب رسول الله ﷺ لما قالوا: «اجعل لنا ذات أنواط» فحلف لهم أن هذا مثل قول موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ أنهم خرجوا من الإسلام؟ أيظن أن النبي ﷺ لما سمعهم يحلفون بآبائهم فنهاهم وقال: «**مَن حلف بغير الله فقد أشرك**»[١] أنهم خرجوا من الإسلام! إلى غير ذلك من الأدلة التي لا تُحصَرْ، فلم يفرّق بين الشرك المُخْرِج عن الملة من غيره، ولم يفرق بين الجاهل والمعاند.

والكلمة الثانية قوله إن المشرك لا يقول «لا إله إلا الله» فيا عجبًا من رجل يدعي العلم، وجاي من الشام بِحِمْلِ كتب، فلما تكلم إذا أنه لا يعرف الإسلام من الكفر، ولا يعرف الفرق بين أبي بكر الصديق ومسيلمة الكذاب! أما علم أن مسيلمة يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلي ويصوم! أما علم أن غُلَاة الرافضة الذين حرَّقهم عليٌّ يقولونها! وكذلك الذين يقذفون عائشة

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٢٠٤).

ويكذِّبون القرآن! وكذلك الذين يزعمون أن جبريل غلط! وغير هؤلاء ممن أجمع أهل العلم على كفرهم، منهم مَن ينتسب إلى الإسلام، ومنهم مَن لا ينتسب إليه، كاليهود، وكلهم يقولون: «لا إله إلا الله» وهذا بيّن عند مَن له أقل معرفة بالإسلام مِن أن يُحْتَاج إلى تبيان.

وإذا كان المشركون لا يقولونها فما معنى باب «حكم المرتد» الذي ذكروا الفقهاء من كل مذهب! هل الذين ذكروهم الفقهاء وجعلوهم مرتدِّين لا يقولونها؟ هذا الذي ذكر أهل العلم أنهم أكفر من اليهود والنصارى، وقال بعضهم: مَن شك في كفر أتباعه فهو كافر. وذكرهم في «الإقناع» في باب حكم المرتد، وإمامهم ابن عربي، أيظنهم لا يقولون «لا إله إلا الله»؟ لكن هو آتٍ من الشام، وهم يعبدون ابن عربي جاعِلِين على قبره صنمًا يَعْبُدُونه! ولست أعني أهلَ الشام كلَّهم، حاشا وكَلَّا، بل لا تزال طائفة على الحق وإن قَلَّت واغتَرَبَت!

لكن العجب العجاب استدلاله أن رسول الله ﷺ دعا الناس إلى قول «لا إله إلا الله» ولم يطالبهم بمعناها، وكذلك أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الأعاجم وقَنِعُوا منها بلفظها... إلى آخر كلامه، فهل يقول هذا الكلام مَن يتصور ما يقول؟ فنقول:

أولًا: هو الذي نقض كلامه وكذبه بقوله: دعاهم إلى ترك عبادة الأوثان. فإذا كان لم يقنع منهم إلا بترك عبادة الأوثان، تبين أن النطق بها لا ينفع إلا بالعمل بمقتضاها، وهو ترك الشرك، هذا هو المطلوب، ونحن إذا نَهَينا عن الأوثان المجعولة على قبر الزبير وطلحة وغيرهما، في الشام أو في غيره.

فإن قلتم: ليس هذا من الأوثان، وإن دعاء أهل القبور والاستغاثة بهم في الشدائد ليست من الشرك، مع كون المشركين الذين في عهد رسول الله ﷺ يخلصون لله في الشدائد ولا يدعون أوثانهم. فهذا كفر، وبيننا وبينكم كلام

العلماء، من الأولين والآخرين، الحنابلة وغيرهم.

وإن أقررتم أن ذلك كفر وشرك، وتبيّن أن قول «لا إله إلا الله» لا ينفع إلا مع ترك الشرك، وهذا هو المطلوب، وهو الذي نقول، وهو الذي أكثرتم النكير فيه، وزعمتم أنه لا يَخْرُج إلا من خراسان، وهذا القول كما في أمثال العامة «لا وجه سميح ولا بنت رجال» لا أقول صوابًا، إلا خطأ ظاهرًا وسبًا لدين الله، ولا هو أيضًا قول باطل يصدق بعضه بعضًا، بل مع كونه خطأ فهو متناقض يكذب بعضه بعضًا، لا يصدر إلا ممن هو أجهل الناس.

وأما دعواه أن الصحابة لم يطلبوا منَ الأعاجم إلا مجرد هذه الكلمة، ولم يعرِّفُوهم بمعناها، فهذا قول مَن لا يفرق بين دين المرسلين ودين المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، فإن المؤمنين يقولونها، والمنافقين يقولونها، لكن المؤمنين يقولونها مع معرفة قلوبهم بمعناها، وعمل جوارحهم بمقتضاها، والمنافقون يقولونها من غير فهم لمعناها، ولا عمل بمقتضاها، فمن أعظم المصائب وأكبر الجهل مَن لا يعرف الفرق بين الصحابة والمنافقين! لكن هذا لا يعرف النفاق، ولا يظنه في أهل زماننا، بل يظنه في زمان رسول الله ﷺ وأصحابه، وأما زمانه فصَلَحَ بعد ذلك! وإذا كان زمانه وبلدانه يُنَزِّهُون عن البدع، ومخرجها من خراسان، فكيف بالشرك والنفاق!

ويا ويح هذا القائل! ما أجرأه على الله! وما أجهله بقدر الصحابة وعلمهم حيث ظن أنهم لا يعلِّمُون الناس «لا إله إلا الله»! أما علم هذا الجاهل أنهم يستدلون بها على مسائل الفقه فضلًا عن مسائل الشرك، ففي الصحيحين أن عمر رضي الله عنه، لما أشكل عليه قتال مانعي الزكاة، لأجل قوله ﷺ: **«أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا**

بحقها» قال أبو بكر: فإن الزكاة من حقها[1]. فإذا كان مَنْعُ الزكاة مِن مَنْعِ حَقِّ «لا إله إلا الله» فكيف بعبادة القبور، والذبح للجن، ودعاء الأولياء وغيرهم مما هو دين المشركين!

وصرح الشيخ تقي الدين في «اقتضاء الصراط المستقيم»[2] بأن مَن ذبح للجن فالذبيحة حرام من جهتين: من جهة أنها مما أُهِلَّ به لغير الله، ومن جهة أنها ذبيحة مرتدّ، فهي كخنزير مات من غير ذكاة، ويقول: ولو سمَّى اللهَ عند ذبحها، إذا كانت نيتُهُ ذَبْحَهَا للجن. ورد على مَن قال إنه إن ذكَر اسم الله حَلَّ الأكل منها مع التحريم.

وأما ما سألتَ عنه من قوله: اللهم صل على محمد... إلى آخره، فهذه المحامل التي ذكَر غير بعيدة، لو كان الإنكار على الرجل الميت الذي صنفها، والإنكار إنما هو على الخطباء والعامة الذين يسمعون، فإن كان يزعم أن عامة أهل هذه القرى كل رجل منهم يفهم هذا التأويل، فهذا مكابرة، وإن كان يعرف أنهم ما قصدوا إلا المعاني التي لا تصلح إلا لله، لم يُمْنَعْ من الإنكار عليهم، وتبين أنه شركٌ كون الذي قالها أولًا قصد معنًى صحيحًا.

كما لو أن رجلًا من أهل العلم كتب إلى عامَّةٍ أن نكاح الأخوات حلال، ففهموا منه ظاهره، وجعلوا يتزوجون أَخَوَاتِهِم، خاصَّتُهُم وعامَّتُهُم، لم يُمْنَعْ من الإنكار عليهم، وتبين أن الله حرم نكاح الأخوات، كون القائل أراد الأَخَوات في الدين، كما قال إبراهيم ﷺ لسارة: «هي أختي»[3] وهذا واضح بحمد الله، ولكن مَن انفتح له تحريف الكلم عن مواضعه انفتح له باب طويل عريض.

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣) ومسلم (٢٠).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٥٨).
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥٨) ومسلم (٢٣٧١).

وأما النوع الثالث: وهو الكلام على التقليد والاستدلال، فكلامه فيه من أبطل الباطل، وأظهر الكذب، وهو أيضًا كلام جاهل ينقض بعضه بعضًا، ونحن ما أردنا المعنى الذي ذكروا، الكلامُ على هذا طويل، ولكن أنا كتبت له كلامًا في هذا مع رسالة طويلة، فاطلبه وراجعه وتأمله، وتكلم لله في سبيل الله، بما يرضي الله ورسوله، واحذر من فتنة ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ فمن نجا منها فقد نجا من شرك كثير. ولا تغفل عن قوله في خطبة «شرح الإقناع»: من عثر على شيء مما طغى به القلم... إلى آخره، وقوله في آخرها: اعلم، رحمك الله، أن الترجيح إذا اختلفت بين الأصحاب... إلى آخره.

وإن طَمِعْتَ بالزيارة والمذاكرة من الرأس، لعلك أيضًا تحقق علم العقائد، وتميز بين حقه من باطله، وتعرف أيضًا علوم الإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت، فتراني أُشِير وأُلْزِم، فإن رأيت أمر الله ورسوله فهو المطلوب، وإلا فقد وهبك الله من الفهم ما تميز به بين الحق والباطل، إن شاء الله تعالى.

وهذا الكتاب لا تكتمه عن صاحب الكتاب، بل اعرضه عليه، فإن تاب وأقر ورجع إلى الله فعسى، وإن زعم أن له حجةً، ولو في كلمة واحدة، أو أن في كلامي مجازفةً، فاطلب الدليل، فإن أشكل شيء عليك فراجعني فيه حتى تعرف كلامي وكلامه، نسأل الله أن يهدينا وإياك والمسلمين إلى ما يحبه ويرضاه، وأنت لا تَلُمْنِي على هذا الكلام؛ تَرَانِي استدعيتُهُ أولًا بالملاطفة، وصبرتُ منه على أشياء عظيمة؛ والآن أشرَفْتُ منه على أمور ما ظَنَّيْتُهَا لا في عقله ولا في دينه: منها: أنه كاتب إلى أهل الحسا يعاونهم على سب دين الله ورسوله.

ومنها: رسالة كتبها إلى محمد بن عباد[1]، مطوع ثرمدا، وكان قد أرسل إليه

---

(١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٥/ ٥١٦ - ٥١٨)، وهو صاحب «تاريخ ابن عباد».

كتابًا فيه كلام حسن، في تقرير التوحيد وغيره، وطلب من الشيخ رحمه الله، أن يبين له إن كان فيه شيء يخفاه، فكتب له رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ محمد بن عباد، وفقه الله لما يحبه ويرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

وصلنا أوراق في التوحيد، فيها كلام من أحسن الكلام، وفقك الله للصواب، وتذكُرُ فيه أن وُدَّكَ نبين لك إن كان فيها شيء غاترك[1]، فاعلم، أرشدك الله، أن فيها مسائل غلطًا:

الأولى: قولك: أول واجب على كل ذكر وأنثى النظر في الوجود، ثم معرفة العقيدة، ثم علم التوحيد.

وهذا خطأ، وهو من علم الكلام الذي أجمع السلف على ذمه، وإنما الذي أتت به الرسل أول واجب هو التوحيد، ليس النظر في الوجود، ولا معرفة العقيدة كما ذَكَرْتَهُ أنت في الأوراق، أن كل نبي يقول لقومه: ﴿أَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

الثانية: قولك في الإيمان بالله وملائكته... إلى آخره: والإيمان هو التصديق الجازم بما أتى به الرسول.

فليس كذلك، وأبو طالب عمه جازم بصدقه، والذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والذين يقولون: الإيمان هو التصديق الجازم. هم الجهمية، وقد اشتد نكير السلف عليهم في هذه المسألة.

الثالثة: قولك: إذا قيل للعامي ونحوه: ما الدليل على أن الله ربك؟ ثم

---

(١) أي: يجهلك.

ذَكَرْتَ ما الدليل على اختصاص العبادة لله، وذكرت الدليل على توحيد الألوهية.

فاعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان، كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ وكما يقال: رب العالمين وإله المرسلين. وعند الإفراد يجتمعان، كما في قول القائل: من ربك؟ مثاله: الفقير والمسكين نوعان في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ ونوع واحد في قوله: «افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم»[(١)] إذا ثبت هذا فقول المَلَكَيْنِ للرجل في القبر: «مَن ربك؟»[(٢)] معناه: مَن إلهك؟ لأن الربوبية التي أقر بها المشركون ما يُمْتَحَنُ أحدٌ بها، وكذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ فالربوبية في هذا هي الألوهية، ليست قسيمة لها، كما تكون قسيمة لها عند الاقتران، فينبغي التفطن لهذه المسألة.

الرابعة: قولك في الدليل على إثبات نبوة محمد ﷺ: ودليله الكتاب والسنة. ثم ذكر الآيات.

كلام مَن لم يفهم المسألة، لأن المُنْكِرَ للنبوة أو الشاكَّ فيها إذا استدللْتَ عليه بالكتاب والسنة يقول: كيف تستدل عليَّ بشيء ما أتى به إلا هو! والصواب في المسألة أن تستدل عليه بالتحدي بأقصر سورة من القرآن، أو شهادة علماء أهل الكتاب، كما في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أو لكونهم يعرفونه قبل أن يخرج، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧١).

كَفَرُواْ﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات التي تفيد الحصر وتقطع الخصم.

الخامسة: قولك: اعلم يا أخي، لا عَلِمْتَ مكروهًا.

فاعلم أن هذه كلمة تضاد التوحيد؛ وذلك أن التوحيد لا يعرفه إلا مَن عرف الجاهلية، والجاهلية هي المكروه، فمن لم يعلم المكروه لم يعلم الحق، فمعنى هذه الكلمة: اعلم، لا علمت خيرًا. ومَن لم يعلم المكروه ليجتنبه لم يعلم المحبوب، وبالجملة فهي كلمة عامية جاهلية، ولا ينبغي لأهل العلم أن يقتدوا بالجهال.

السادسة: جزمك بأن النبي ﷺ قال: «**اطلبوا العلم ولو من الصين**»(١).

فلا ينبغي أن يجزم الإنسان على رسول الله ﷺ بما لا يعلم صحته، وهو من القول بلا علم، فلو أنك قلت: ورُوي، أو ذَكَر فلان، أو ذُكِرَ في الكتاب الفلاني. لكان هذا مناسبًا، وأما الجزم بالأحاديث التي لم تصح فلا يجوز، فتفطن لهذه المسألة، فما أكثر مَن يقع فيها.

السابعة: قولك في سؤال الملكين: والكعبة قبلتي، وكذا وكذا.

فالذي علمناه عن رسول الله ﷺ أنهما يَسْأَلَان عن ثلاث: عن التوحيد، وعن الدين، وعن محمد ﷺ فإن كان في هذا عندكم رابعة فأفيدونا، ولا يجوز الزيادة على ما قال الله ورسوله.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٥٣) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم**» قال البيهقي: هذا الحديث شبه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجه كلها ضعيفة. وقال الشيخ الألباني: موضوع (ضعيف الجامع ٩٠٦) والشطر الثاني ثابت (صحيح الجامع ٣٩١٣).

الثامنة: قولك في الإيمان بالقدر: إنه الإيمان بأن لا يكون صغير ولا كبير إلا بمشيئة الله وإرادته، وأن يفعل المأمورات، ويترك المنهيات.

وهذا غلط؛ لأن الله سبحانه له الخلق والأمر، والمشيئة والإرادة، وله الشرع والدين، إذا ثبت هذا ففعل المأمورات وترك المنهيات هو الإيمان بالأمر، وهو الإيمان بالشرع والدين، ولا يُذكر في حَدِّ الإيمان بالقدر.

التاسعة: قولك: الآيات التي في الاحتجاج بالقدر، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ الآية. ثم قلت: فإياك والاقتداءَ بالمشركين في الاحتجاج على الله، وحسبك من القدر الإيمانُ به.

فالذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات غير المعنى الذي أردتَ، فراجعه وتأمله بقلبك، فإن اتضح لك، وإلا فراجعني فيه؛ لأنه كلام طويل.

العاشرة: وأخَّرناها لشدة الحاجة إليها: قولك: إن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ قد أقروا بتوحيد الربوبية. ثم أوردت الأدلة الواضحة على ذلك، وإنما قاتلهم رسول الله ﷺ عن توحيد الألوهية، ولم يدخل الرجل في الإسلام بتوحيد الربوبية إلا إذا انضم إليه توحيد الألوهية.

فهذا كلام من أحسن الكلام وأَبْيَنِهِ تفصيلًا، ولكن العامَ لما وجهنا إبراهيم، كتبوا له علماءُ سدير مكاتبة وبعثها لنا، وهي عندنا الآن، ولم يذكروا فيها إلا توحيد الربوبية، فإذا كنت تعرف هذا فلأي شيء ما أخبَرْتَ إبراهيم ونَصَحْتَه أن هؤلاء ما عرفوا التوحيد، وأنهم مُنْكِرُون دين الإسلام! وكذلك أحمد بن يحيى راعي رغبة عداوته لتوحيد الألوهية والاستهزاء بأهل العارض لما عرفوه، وإن كان يقر به أحيانًا، عداوة ظاهرة لا يمكن أنها لا تبلغك، وكذلك ابن إسماعيل أنه نقض ما أبرمت في التوحيد، وتعرف أن عنده الكتاب الذي صنفه رجل من

أهل البصرة[١]، كله من أوله إلى آخره في إنكار توحيد الألوهية، وأتاكم به ولد محمد بن سليمان، راعي وثيثيه، وقرأه عندكم وجادل به جماعتنا، وهذا الكتاب مشهور عند المويس وأتباعه، مثل ابن سحيم وابن عبيد، يحتجون به علينا، ويدعون الناس إليه، ويقولون: هذا كلام العلماء. فإذا كنت تعرف أن النبي ﷺ ما قاتل الناس إلا عند توحيد الألوهية، وتعلم أن هؤلاء قاموا وقعدوا، ودخلوا وخرجوا، وجاهدوا ليلًا ونهارًا في صد الناس عن التوحيد، يقرؤون عليهم مصنفات أهل الشرك، لأي شيء لم تظهر عداوتهم وأنهم كفار مرتدون؟

فإن كان بائن لك أن أحدًا من العلماء لا يُكفر من أنكر التوحيد، أو أنه يشك في كفره، فاذكره لنا وأفدنا، وإن كنت تزعم أن هؤلاء فرحوا بهذا الدين، وأَحَبُّوه ودَعَوا الناسَ إليه، ولما أتاهم تصنيف أهل البصرة في إنكار التوحيد كفّروه وكفّرُوا من عمل به، وكذلك لما أتاهم كتاب ابن عفالق[٢] الذي أرسله المويس لابن إسماعيل، وقدم به عليكم العام، وقرأه على جماعتكم، يزعم فيه أن التوحيد دين ابن تيمية، وأنه لما أفتى به كفَّره العلماء، وقامت عليه القيامة. إن كنت تقول: ما جرى من هذا شيء. فهذا مكابرة، وإن كنت تعرف أن هذا هو الكفر الصُّرَاح والردة الواضحة، ولكن تقول: أخشى الناس. فالله أحق أن تخشاه.

ولا تظن أن كلامي هذا معاتبة وكلام عليك، فوالله الذي لا إله إلا هو إنه

---

(١) هو: أحمد بن علي البصري، الشهير بالقباني، (كان حيًا سنة ١١٥٧هـ)، ألف كتابًا عنوانه «فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبدالوهاب». انظر: «دعاوى المناوئين» (ص ٤٤).

(٢) عنوان كتابه في الرد على الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «تهكم المقلدين في مدعي تجديد الدين». انظر: «دعاوى المناوئين» (ص ٤٢).

نصيحة؛ لأن كثيرًا ممن واجهناه وقرأ علينا يتعلم هذا ويعرفه بلسانه، فإذا وقعت المسألة لم يعرفها، بل إذا قالوا له بعض المشركين: نحن نعرف أن رسول الله لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وأن النافع الضار هو الله. يقول: جزاك الله خيرًا! ويظن أن هذا هو التوحيد! ونحن نُعلمه أكثر من سنة أن هذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فاللهَ اللهَ في التفطن لهذه المسألة، فإنها الفارقة بين الكفر والإسلام، ولو أن رجلًا قال: شروط الصلاة تسعة. ثم سردها كلها، فإذا رأى رجلًا يصلي عريانًا بلا حاجة، أو على غير وضوء، أو لغير القبلة، لم يَدْرِ أن صلاته فاسدة، لم يكن قد عرف الشروط، ولو سردها بلسانه. ولو قال: الأركان أربعة عشر. ثم سردها كلها، ثم رأى من لا يقرأ الفاتحة، ومن لا يركع، ومن لا يجلس للتشهد، ولم يفطن أن صلاته باطلة، لم يكن قد عرف الأركان، ولو سردها. فاللهَ اللهَ في التفطن لهذه المسألة، ولكن أشير عليك بعزيمة؛ أنك تاصلنا ونتذاكر معك، وكذلك أيضًا من جهة البدع، قيل لي إنك تقول فيها شيئًا ما يقوله الذي عارف مسألة البدع. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ومنها: رسالة أرسلها إلى محمد بن عيد[1]، من مطاوعة ثرمدا، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن عيد: وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه، وبعد.

وصل الكراس، وتذكرون أن الحق إن بان لكم اتبعتم، وفيه كلام غير هذا سَرَّ الخاطرَ، مِن طرفك خاصة، بسبب أن لك عقلًا، والثانية أن لك عِرْضًا تَشِحُّ به، والثالثة أن الظن فيك إن بان لك الحق أنك ما تبيعه بالزهايد.

---

(١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٦/ ٢٧٤) وسماه «ابن عبيد»، وهو وهم.

فأما تقريركم أول الكلام أن الإسلام خمس كأعضاء الوضوء، وأنكم تعرفون كلام الله وكلام رسوله، وإجماع العلماء أن له نواقض كنواقض الوضوء الثمانية:

منها: اعتقاد القلب، وإن لم يعمل أو يتكلم، يعني إذا اعتقد خلاف ما علَّمه الرسول أُمَّتَه بعدما تبين له.

ومنها: كلام باللسان، وإن لم يعمل ولم يعتقد.

ومنها: عمل بالجوارح، وإن لم يعتقد ويتكلم، ولكن مَن أظهَرَ الإسلام، وظننا أنه أتى بناقض، لا نكفِّره بالظن؛ لأن اليقين لا يرفعه الظن، وكذلك لا نكفِّر من لا نعرف منه الكفر بسبب ناقض ذُكِرَ عنه ونحن لم نتحققه.

وما قررتم هو الصواب الذي يجب على كل مسلم اعتقاده والتزامه، ولكن قبل الكلام اعلم أني عُرِفْتُ بأربع مسائل:

الأولى: بيان التوحيد، مع أنه لم يطرق آذان أكثر الناس.

الثانية: بيان الشرك، ولو كان في كلام من ينتسب إلى العلم أو عبادةٍ، من دعوة غير الله أو قصده بشيء من العبادة، ولو زعم أنهم يريدون أنهم شفعاء عند الله، مع أن أكثر الناس يظن أن هذا من أفضل القربات، كما ذكرتم عن العلماء أنهم يذكرون أنه قد وقع في زمانهم.

الثالثة: تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله، ثم أبغضه ونفَّر الناس عنه وجاهد مَن صدَّق الرسولَ فيه، ومَن عرَف الشرك، وأن رسول الله ﷺ بُعِثَ بإنكاره، وأقرَّ بذلك ليلًا ونهارًا، ثم مدحه وحسَّنه للناس، وزعم أن أهله لا يخطئون لأنهم السواد الأعظم. وأما ما ذكَر الأعداء عني أني أكفِّر بالظن والموالاة، أو أكفِّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم يريدون

به تنفير الناس عن دين الله ورسوله.

الرابعة: الأمر بقتال هؤلاء خاصة ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾.

فلما اشتُهِرَ عني هؤلاء الأربع صدَّقني مَن يَدَّعِي أنه من العلماء، في جميع البلدان، في التوحيد وفي نفي الشرك، وردُّوا عليَّ التكفيرَ والقتالَ.

إذا تحققتَ ما ذكرتُ لك انبنى الجواب على ما ذكرتم في أول الأوراق، من إقراركم بمعرفة نواقض الإسلام بإجماع العلماء، بشرط أنكم لا تكفِّرون بالظن، ولا من لا تعرفون، فنقول:

من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم، فإن كابَرَ معاند لم يقدر على أن يقول إن عِنزَة وآل ظفير وأمثالهم كلهم، مشاهيرهم والأتباع، أنهم مُقِرُّون بالبعث ولا يَشُكُّون فيه، ولا يقدر أن يقول إنهم يقولون إن كتاب الله عند الحضر، وإنهم عايفينه ومتبعون ما أحدث آباؤهم مما يسمونه الحق، ويفضلونه على شريعة الله، فإن كان للوضوء ثمانية نواقض، ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض، فلما بينتُ ما صرَّحت به آيات التنزيل، وعلَّمه الرسولُ أمتَه، وأجمع عليه العلماء: من أنكرَ البعث، أو شك فيه، أو سَبَّ الشرع، أو سَبَّ الأذان إذا سمعه، أو فضَّل فراضة الطاغوت على حكم الله، أو سَبَّ من زعم أن المرأة تَرِث، أو أن الإنسان لا يؤخذ في القتل بجريرة أبيه وابنه - أنه كافر مرتد.

قال علماؤكم: معلوم أن هذا حال البوادي لا ننكره، ولكن يقولون «لا إله إلا الله» وهي تحميهم من الكفر، ولو فعلوا كل ذلك! ومعلوم أن هؤلاء أولى وأظهر مَن يدخل في تقريركم، فلما أظهرتُ تصديق الرسول فيما جاء به سبُّوني

غاية المسبة، وزعموا أني أكفِّر أهل الإسلام وأستحلُّ أموالهم، وصرحوا أنه لا يوجد في جزيرتنا رجل واحد كافر، وأن البوادي يفعلون من النواقض مع علمهم أن دين الرسول عند الحضر، وجحدوا كفرهم.

وأنتم تذكرون أن من رد شيئًا مما جاء به الرسول، بعد معرفته، أنه كافر، فإذا كان المويس وابن إسماعيل والعديلي وابن عباد وجميع أتباعهم كلهم على هذا، فقد صرحتم غاية التصريح أنهم كفار مرتدون، وإن ادعى مدعٍ أنهم يكفِّرونهم، أو ادعى أن جميع البادية لم نتحقق من أحد منهم من النواقض شيئًا، أو ادعى أنهم لا يعرفون أن دين الرسول خلاف ما هم عليه، فهذا كمن ادعى أن ابن سليمان وسويّد وابن دواس وأمثالهم، عبادٌ زهادٌ فقراء، ما شاخوا في بلد قط، ومن ادعى هذا فأسقط الكلام معه.

ونقول ثانيًا: إذا كانوا أكثر من عشرين سنة يقرأون ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، أن التوحيد الذي أظهر هذا الرجلُ هو دين الله ورسوله، لكن الناس لا يطيعوننا، وأن الذي أنكره هو الشرك، وهو صادق في إنكاره، ولكن لو يسلم من التكفير والقتال كان على الحق، هذا كلامهم على رؤوس الأشهاد، ثم مع هذا يُعَادُون التوحيد ومن مال إليه العداوة التي تَعْرِف، ولو لم يُكفر ويُقاتل، وينصرون الشرك نصر الذي تَعْرِف، مع إقرارهم بأنه مشرك، مثل كون المويس وخواص أصحابه ركبوا وتركوا أهليهم وأموالهم إلى أهل قبة الكواز وقبة رجب، سنة يقولون إنه قد خرج من ينكر قُبَبَكُم وما أنتم عليه، وقد أحل دماءهم وأموالهم. وكذلك ابن إسماعيل وابن ربيعة والمويس أيضًا بعدهم بسنة رحلوا إلى أهل قبة أبي طالب، وأغرَوْهُم بمن صدَّق النبيَّ ﷺ وأحلوا دماءنا وأموالنا، حتى جرى على الناس ما تعرف، مع أن كثيرًا منهم لم يُكفر ولم يُقاتل.

وقررتم أن من خالف الرسول في عُشْرِ مِعْشَار هذا، ولو بكلمة، أو عقيدة

قلب أو فعل، فهو كافر، فكيف بمن جاهد بنفسه وماله وأهله ومن أطاعه في عداوة التوحيد وتقرير الشرك، مع إقراره بمعرفة ما جاء به الرسول؟ فإن لم تكفِّروا هؤلاء ومن اتبعهم، ممن عرف أن التوحيد حق وأن ضده الشرك، فأنتم كمن أفتى بانتقاض وضوء من بزغ منه مثل رأس الإبرة من البول، وزعم أن من يتغوط ليلًا ونهارًا وأفتى للناس أن ذلك لا ينقض، وتبعوه على ذلك حتى يموت، أنه لا ينقض وضوؤه.

وتذكرون أني أكفِّرهم بالموالاة، وحاشا وكلا، ولكن أقطع أن كُفْرَ مَن عَبَدَ قبة أبي طالب لا يبلغ عُشْرَ كُفْرِ المويس وأمثاله، كما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ الآيتين، وأنا أمثل لك مثالًا، لعل الله أن ينفعك به، لعلمي أن الفتنة كبيرة، وأنهم يحتجون بما تعرفون، منها ما ذكروا في الأوراق أنهم لم يقصدوا بحربكم رد التوحيد وإحياء الشرك، وإنما قصدوا دفع الشر عن أنفسهم خوف البغي عليهم، فنقول:

لو نقدِّر أن السلطان ظلَم أهل المغرب ظلمًا عظيمًا في أموالهم وبلادهم، ومع هذا خافوا استيلاءهم على بلادهم ظلمًا وعدوانًا، ورأوا أنهم لا يدفعونهم إلا باستنجاد الفرنج، وعلموا أن الفرنج لا يوافقونهم إلا أن يقولوا: نحن معكم على دينكم ودنياكم، ودينكم هو الحق، ودين السلطان هو الباطل. وتظاهروا بذلك ليلًا ونهارًا، مع أنهم لم يدخلوا في دين الفرنج، ولم يتركوا الإسلام بالفعل، لكن لما تظاهروا بما ذكرنا، ومرادهم دفع الظلم عنهم، هل يشك أحد أنهم مرتدون في أكبر ما يكون من الكفر والردة، إذا صرحوا أن دين السلطان هو الباطل، مع علمهم أنه حق، وصرحوا أن دين الفرنج هو الصواب، وأنه لا يُتَصَوَّر أنهم لا يَتِيهُون؛ لأنهم أكثر من المسلمين، ولأن الله أعطاهم من الدنيا شيئًا كثيرًا، ولأنهم أهل الزهد والرهبانية؟

فتأمل هذا تأملًا جيدًا، وتأمل ما صدَّرتم به الأوراق؛ من موافقتهم به الإسلام، ومعرفتكم بالناقض إذا تحققتموه، وأنه يكون بكلمة ولو لم تُعْتَقَد، ويكون بفعل ولو لم يُتَكَلَّم، ويكون في القلب من الحب والبغض ولو لم يَتَكَلَّم ولم يَعْمَل، تبين لك الأمر، اللهم إلا إن كنتم ذاكرين في أول الأوراق وأنتم تعتقدون خلافه، فذاك أمر آخر.

وأما ما ذكرتم من كلام العلماء فعلى الرأس والعين، ولكن عنه جوابان:

أحدهما: أنكم لو لم تنقلوا كلام ابن عقيل في «الفنون» وكلام الشيخ في «اقتضاء الصراط المستقيم» وكلام ابن القيم لقلت: لعلهم مخطئون، قائلون بمبلغ علمهم. هذا كله عندنا في هذه الكتب كما هو عندكم، وابن عقيل ذكر أنهم كفار بهذا الفعل - أعني دعوة صاحب التربة ودس الرقاع - وأنتم تعلمون ذلك.

وأصرح منه كلام الشيخ في قوله: ومن ذلك ما يفعله الجاهلون بمكة. يا سبحان الله، كيف تركتم صريحه في العبادة بعينها أن هذا مَن فعله كان مرتدًّا، وأن المسلم إذا ذبح للزهرة والجن ولغير الله فهو مما أُهِلَّ لغير الله به، وهي أيضًا ذبيحة مرتد، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، فصرّح أن هذا الرجل إذا ذبح للجن مرة واحدة صار كافرًا مرتدًّا، وجميع ما يذبحه للأكل بعد ذلك لا يحل؛ لأنه ذبيحة مرتد، وصرّح في مواضع من الكتاب كثيرة بكفر من فعل شيئًا من الذبح والدعوة، حتى ذكر ثابت بن قرة وأبا معشر البلخي، وذكر أنهم كفار مرتدون وأمثالهم، مع كونهم من أهل التصانيف، وأصرح من الجميع كلامُ ابن القيم في كثير من كتبه، فلما نقلتم بعض العبارة وتركتم بعضها! علمتُ أنه ليس بجهالة، ولكن الشرهة عليك لو أنك فاعل كما فعل بعض أهل الحساء، لما صنف بعضهم كتابًا في الرد علينا، يريد أن يبعثه، تكلم رجل منهم وقال: أحب

ما إلى ابن عبد الوهاب وصول هذا إليه، أنتم ما تستحون! فتركوا الرسالة.

الجواب الثاني: أنه على سبيل التنزل أن الشرك لا يكفر مَن فعَله، وأنه شرك أصغر، أو أنه معصية غير الكفر، مع أن جميع ما ذكرتم لا يدل على ذلك، فإن أَرَدْتَ بَيَّنْتُ لك في غير هذه المرة معاني هذه العبارات من الأدلة من كلام كل رجل، كما بينته لك من كلام الشيخ، لكن أنتم مسلِّمون أن رسول الله ﷺ قد أنكره ونهى عنه، فلو أن رجلًا أَقَرَّ بذلك، مع كونه لم يفعله، لكنه زيَّنه للناس ورغَّبهم فيه، أليس هذا كافرًا مرتدًّا؟

ولو قدَّرنا أن الأمر الذي كرهه وصد الناس عنه، ما أمر به الرسول إلا أمر استحباب، كركعتي الفجر، أو أن الذي نهى عنه ما نهى عنه إلا نهي تنزيه، كالأكل بالشمال، والنوم للجُنُب من غير وضوء، ولو أن رجلًا عرف نهي الرسول، وزعم لأجل غرض من الأغراض أن الأكل بالشمال هو الأحب المرضي عند الله، وأن الأكل باليمين يضر عند الله، وأن الوضوء للجُنُب إذا أراد النوم يضر عند الله، وأن النوم من غير وضوء أحب إلى الله، مع علمه بما قال الرسول ﷺ أليس هذا كلام كافر مرتد! فكيف بمن سبَّ دين الله الذي بعث به جميع الأنبياء، مع إقراره ومعرفته به، ومدَح دينَ المشركين الذي بعث الله الأنبياء بإنكاره، ودعا الناس إليه مع معرفته؟

ولكن أرى لك أن تقوم في السحَر، وتدعو بقلب حاضر بالأدعية المأثورة، وتطرح نفسك بين يدي الله أن يهديك لدينه ودين نبيه ﷺ. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ومنها: رسالة أرسلها جوابًا لعبد الله بن سحيم، مطوع من أهل المجمعة، حين سأله عن الكتاب الذي أرسله عدو الله سليمان بن محمد بن سحيم، مطوع أهل الرياض، وكانت رسالة أرسلها إلى أهل البصرة والحسا، يشنع فيها على

الشيخ بالكذب والبهتان والزور والباطل الذي ما جرى وما كان، وقصده بذلك الاستنصار بكلامهم على إبطال ما أظهره الشيخ من بيان التوحيد وإخلاص الدعوة لله، وهدم أركان الشرك، وإبطال مناهج الضلال والإفك، ورام هذا أن يرتقي إلى ذلك بأسباب، ويستدعي من كل معاند مكابر جواب، وإلا فالله تعالى بفضله قد أزال اللبس والحجاب، وكشف عن القلوب المظلمات الرَّيْن والاحتجاب، ونصّ رسالة المجاب[1]:

من الفقير إلى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم، إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخُدَّام شريعة سيد ولد آدم، من الأولين والآخرين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فالذي يحيط به علمكم أنه قد خرج في قُطْرِنَا رجلٌ مبتدعٌ، جاهل، مُضِلٌّ ضالٌّ، من بضاعة العلم والتقوى عاطل، جَرَت منه أمور فضيحة، وأحوال شنيعة، منها شيء شاع وذاع وملأ الأسماع، وشيء لم يَتَعَدَّ أماكننا بعد، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين، وورثة سيد المرسلين، ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور، لصغار بغاث الطيور، ويردوا بدعه وضلالاته، وجهله وهفواته، والقصد في ذلك القيام لله ورسوله ونصرة الدين، جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى.

فمن بدعه وضلالته: أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة؛ زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها، لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يَحْفِرُوا لهم، فطَوَوا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا

---

(١) هذا من إنصاف الشيخ ابن غنام رحمه الله؛ إذ يورد رسالة هذا المناوئ للدعوة السلفية، وهي في غالبها مجرد افتراءات لا تستحق الالتفات.

الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد وأصحاب رسول الله ﷺ.

وعمد أيضًا إلى مسجد في ذلك وهدمه، وليس داع شرعي في ذلك إلا اتباع الهوى.

ومنها: أنه أحرق «دلائل الخيرات»[1]؛ لأجل قول صاحبها: سيدنا ومولانا.

وأحرق أيضًا «روض الرياحين»[2]، وقال: هذا روض الشياطين.

ومنها: أنه صحّ عنه أنه يقول: لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاب خشب. أما سمع قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾!

ومنها: أنه ثبت أنه يقول: الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء. وتصديق ذلك أنه بعث إليَّ كتابًا يقول فيه: أَقِرُّوا أنكم قَبْلِي جُهَّال ضُلَّال.

ومن أعظمها: أن من لم يوافقه في كل ما قال، ويشهد أن ذلك حق، يقطع بكفره، ومن وافقه وصدَّقه في كل ما قال قال: أنت موحِّد. ولو كان فاسقًا محضًا أو مَكَّاسًا، وبهذا أظهَرَ أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله.

ومنها: أنه بعث إلى بلداننا كتابًا مع بعض دعاته، بخط يده، وحلف فيه بالله

---

(١) لمحمد بن سليمان الجزولي (ت ٨٧٠ هـ)؛ فقيه صوفي من أهل سوسة بالمغرب، كتابه هذا عبارة عن «صلوات مبتدعة على النبي ﷺ». انظر لبيان ما فيه من انحراف: رسالة: «تنبيهات على ما في دلائل الخيرات من شطحات»؛ لأحمد السلمي، ضمن كتابه «ثلاث رسائل في الدفاع عن العقيدة» (ص ٢٧٧ - ٣٣٤٥)، وذكر العلماء الذين ردوا على كتابه.

(٢) «روض الرياحين في حكايات الصالحين»؛ للصوفي اليمني عبدالله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ). حشا كتابه بالخرافات والغلو. انظر: «كتب حذر منها العلماء»؛ للشيخ مشهور سلمان (٢ / ١٩٨).

أن عِلْمَهُ هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم، في زعمه، وإلا فليس له مشايخ، ولا عرفه أبوه، ولا أهل العارض. فيا عجبًا إذا لم يتعلمه من المشايخ، ولا عرفه أبوه، ولا أهل قطره، فمن أين علمه! وعمن أخذه! هل أوحي إليه، أو رآه منامًا، أو علمه به الشيطان! وحَلِفُهُ هذا أشرَفَ عليه جميع أهل العارض.

ومنها: أنه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربي(١).

ومنها: أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول؛ لأجل أنهم يأخذون النذر، ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده.

ومنها: أنه ثبت عنه لما قيل له: اختلاف الأئمة رحمة. قال: اختلافهم نقمة.

ومنها: أنه يقطع بفساد الوقف، ويكذِّب المرويَّ عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وقفوا.

ومنها: إبطال الجعالة على الحج.

ومنها: أنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة، وقال: السلطان فاسق، لا يجوز تمجيده.

ومنها: أنه قال: الصلاة على رسول الله ﷺ يوم الجمعة وليلتها، وقال: هي بدعة وضلالة تَهْوِي بصاحبها إلى النار.

ومنها: أنه يقول: الذي يأخذه القضاة قديمًا وحديثًا، إذا قَضَوا بالحق بين الخصمين، ولم يكن بيت مال لهم ونفقة، أن ذلك رشوة. ومن هذا القول، بخلاف المنصوص عن جميع الأمة، أن الرشوة ما أُخِذَ لإبطال حق أو لإحقاق باطل، وأن للقاضي أن يقول للخصمين: لا أقضي بينكما إلا بجُعْل.

---

(١) سيأتي الحديث عنهما - إن شاء الله -.

ومنها: أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمي عليها ويجعلها لله تعالى، ويدخل مع ذلك دفع شر الجن، ويقول: ذلك كفر، واللحم حرام. فالذي ذكره العلماء في ذلك أنه منهي عنه فقط، وذكره في حاشية «المنتهى».

فبيِّنوا، رحمكم الله، ذلك للعوام المساكين الذي لَبَّسَ عليهم وأبطَلَ عليهم الاعتقاد الصحيح، فإن رأيتم أن ذلك صواب فبيِّنوه لنا، ونرجع إلى قوله، وإن رأيتموه خطأً فاردَعُوه وازجُرُوه، وبَيِّنُوا للناس خطأه؛ فقد افتَتَنَ بسببه ناس كثير من أهل قطرنا، فتداركوا رحمكم الله الأمر قبل أن يرسخ في النفوس، فإن الجواب متعيِّنٌ على من وقَفَ عليه، ممن له معرفة بحكم الله ورسوله؛ لأن ذلك إظهار للحق عند خفائه وإدحاض للباطل. انتهى ما ذكره صاحب الرسالة.

وقد يسّر الله للشيخ اتصالٌ إليها، والوقوف عليها، وألهَمَه الجواب عنها والتنصُّلَ عن كثير منها، فبيَّنَ الحق الذي قاله، وبيَّن الكذب والزور الذي رماه به أهل الجهالة، وهذا نص الرسالة، كتبها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم، وبعد:

لَقَانَا مكتوبُك، وما ذكرت فيه من ذكرك وما بلغك، ولا يخفاك أن المسائل التي ذَكَرْتَ أنها بلغتكم في كتاب من «العارض» جملتها أربع وعشرون مسألة، بعضها حق، وبعضها بهتان وكذب، وقبل الكلام فيها لا بد من تقديم أصل. وذلك أن أهل العلم إذا اختلفوا، والجهال إذا تنازعوا، ومثلي ومثلكم إذا اختلفنا في مسألة؛ هل الواجب اتِّبَاع أمر الله ورسوله وأهل العلم، أو الواجب اتِّبَاع عادة الزمان الذي أدركنا الناس عليها ولو خالَفَتْ ما ذكره العلماء في جميع كتبهم؟

وإنما ذكرتُ هذا، ولو كان واضحًا، لأن بعض المسائل التي ذَكَرْتَ أنا قلتُها، لكن هي موافقة لما ذكره العلماء في كتبهم، الحنابلة وغيرهم، ولكن هي مخالفة لعادة الناس التي نشأوا عليها، فأنكرَها عليَّ مَن أنكرَها لأجل مخالفة العادة، وإلا فقد رَأوا تلك في كتبهم عيانًا، وأقروا بها، وشهدوا أن كلامي هو الحق، لكن أصابهم ما أصاب الذين قال الله فيهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الآية، وهذا هو ما نحن فيه بعينه، فإن الذي راسلكم هو عدو الله ابن سحيم، وقد بَيَّنْتُ ذلك له فأَقَرَّ به، وعندنا كتب يده في رسائل متعددة أن هذا هو الحق، وأقام على ذلك سنين، لكن أنكر آخر الأمر لأسباب، أعظمها البغي أن يُنزل الله من فضله على من يشاء من عباده، وذلك أن العامة قالوا له ولأمثاله: إذا كان هذا هو الحق فلأي شيء لم تَنْهَوْنا عن عبادة شمسان وأمثاله؟ فتَعَذَّرُوا أنكم ما سألتمونا. قالوا: وإن لم نسألكم كيف نُشرك بالله عندكم ولا تنصحونا! وظنوا أن يأتيهم في هذا غضاضة، وأن فيه شرفًا لغيره. وأيضًا لما أنكرنا عليهم أكل السحت والرِّشا، إلى غير ذلك من الأمور، فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان، والله ناصر دينه ولو كره المشركون.

وأنت لا تستهوِنْ مخالفة العادة على العلماء فضلًا عن العوام، وأنا أضرب لك مثلًا بمسألة واحدة، وهي مسألة الاستجمار ثلاثًا فصاعدًا، من غير عظم ولا روث، وهو كافٍ مع وجود الماء عند الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو إجماع الأمة لا خلاف في ذلك، ومع هذا لو يفعله أحد لصار هذا عند الناس أمرًا عظيمًا، ولَنَهَوْا عن الصلاة خلفه وبدَّعُوه، مع إقرارهم بذلك، ولكن لأجل العادة.

إذا تبين هذا؛ فالمسائل التي شنع بها منها ما هو من البهتان الظاهر، وهي

قوله إني مبطل كتب المذاهب، **وقوله** إني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، **وقوله** إني أدعي الاجتهاد، **وقوله** إني خارج عن التقليد، **وقوله** إني أقول إن اختلاف العلماء نقمة، **وقوله** إني أكفر من توسل بالصالحين، **وقوله** إني أكفر البوصيري لقوله «يا أكرم الخلق»، **وقوله** إني أقول: لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابًا من خشب، **وقوله** إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ، **وقوله** إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ، **وقوله** إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، **وإني** أكفر من يحلف بغير الله.

فهذه اثنتا عشرة مسألة، جوابي فيها أن أقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾، ولكن قَبْلَه مَن بَهتَ النبيَّ محمدًا ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين! تشابهت قلوبهم، ويَهتُوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعُزَير في النار، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ الآية.

وأما المسائل الأخر وهي: **أني** أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى «لا إله إلا الله» ومنها: أني أعرِّف من يأتيني بمعناها، **ومنها** أني أقول: الإله هو الذي فيه السر، **ومنها**: تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك، **ومنها**: أن الذبح للجن كفر، والذبيحة حرام، ولو سمّى الله عليها إذا ذبحها للجن.

فهذه خمس مسائل كلها حق، وأنا قائلها، ونبدأ بالكلام عليها لأنها أم المسائل، وقبل ذلك ذكر معنى «لا إله إلا الله»، فنقول:

التوحيد نوعان: توحيد الربوبية، وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم، وهذا حق لا بد منه، لكن لا يُدْخِل الرجلَ في الإسلام لأن أكثر الناس مُقِرُّون به، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وأن الذي يُدْخِل

الرجلَ في الإسلام هو توحيد الألوهية، وهو ألا يُعْبَد إلا الله، لا مَلَكٌ مُقرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل، وذلك أن النبي ﷺ بُعِثَ وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله؛ فمنهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو عيسى، ومنهم من يدعو الملائكة، فنهاهم عن هذا، وأخبرهم أن الله أرسله لِيُوَحَّدَ ولا يُدْعَى أحدٌ من دونه، لا الملائكة ولا الأنبياء، فمن تبعه ووحّد اللهَ فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة، واستنصرهم والتجأ إليهم، فهو الذي جحد «لا إله إلا الله» مع إقراره أنه لا يَخْلُقُ ولا يَرْزُقُ إلا الله.

وهذه جملة لها بسط طويل، لكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء، ولما جرى في هذه الأمة ما أخبر نبيها ﷺ حيث قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه**»[1] وكان مَن قبلَهم كما ذكر الله عنهم ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فصار ناس من الضالّين يَدْعُون أناسًا من الصالحين في الشدة والرخاء، مثل عبد القادر الجيلاني وأحمد البدوي وعدي بن مسافر، وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح، فأنكر عليهم أهل العلم غاية الإنكار، وزجروهم عن ذلك وحذروهم غاية التحذير والإنذار، من جميع المذاهب الأربعة في سائر الأقطار والأمصار، فلم يحصل منهم انزجار، بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار، وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم من ذلك، وبيّن أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر.

وأنت ذَكَرْتَ في كتابك: ما تقول يا أخي ما لنا واللهِ دليلٌ إلا من كلام أهل العلم. وأنا أقول كلام أهل العلم ﷺ، وأنا أنقله لك، وأنبهك عليه، فتفكر

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

فيه، وقم لله ساعةً ناظرًا ومناظرًا، مع نفسك ومع غيرك، فإن عَرَفْتَ أن الصواب معي، وأن دين الإسلام اليوم من أغرب الأشياء، أعني دين الإسلام الصِّرْفَ، الذي لا يُمْزَج بالشرك والبدع، وأما الإسلام الذي ضده الكفر، فلا شك أن أمة محمد ﷺ آخر الأمم، وعليها تقوم الساعة، فإن فَهِمْتَ أن كلامي هو الحق فاعمل لنفسك، واعلم أن الأمر عظيم، والخطب جسيم، فإن أشْكَلَ عليك شيء فسَفَرُكَ إلى المغرب في طلبه غير كثير.

واعتبر لنفسك، حيث كَتَبْتَ لي فيما مضى أن هذا هو الحق الذي لا شك فيه، لكن لا نقدر على تغييرٍ، وتكلمت بكلام حسن، فلما غربلك الله بولد المويس، ولبّس عليك، وكتب لأهل الوشم يستهزئ بالتوحيد، ويزعم أنه بدعة، وأنه خرج من خراسان، ويسب دين الله ورسوله، لم تفطن لجهله وعظم ذنبه، وظننت أن كلامي فيه من باب الانتصار للنفس، وكلامي هذا لا يغيرك، فإن مرادي تفهم أن الخطب جسيم، وأن أكابر أهل العلم يتعلمون هذا ويغلطون فيه، فضلًا عنا وعن أمثالنا، فلعله إن أشكل عليك تواجهني، هذا إن عَرَفْتَ أنه حق. وإن كنتُ إذا نقلتُ لك عبارات العلماء عَرَفْتَ أني لم أفهم معناها، وأن الذي نقلتُ لك كلامهم أخطأوا، وأنهم خالفهم أحد من أهل العلم، فنبِّهني على الحق، وأرجع إليه إن شاء الله تعالى، فنقول:

قال الشيخ تقي الدين: وقد غَلِطَ في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة حتى قلبوا حقيقته؛ فطائفة ظنت أن التوحيد هو نفي الصفات، وطائفة ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية، ومنهم من أطال في تقرير هذا الموضع، وظن أنه بذلك قرر الوحدانية، وأن الألوهية هي القدرة على الاختراع ونحو ذلك، ولم يعلم أن مشركي العرب كانوا مُقِرِّين بهذا التوحيد، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الآيات، وهذا حق،

لكن لا يَخْلُصُ به عن الإشراك بالله الذي لا يغفره الله، بل لابد أن يُخْلِصَ الدين لله، فلا يَعبدَ إلا الله، فيكون دينه لله، والإله هو المَأْلُوهُ الذي تَأْلَهُهُ القلوب[١]. وأطال رحمه الله الكلام.

وقال أيضًا في «الرسالة السنية» التي أرسلها إلى طائفة من أهل العبادة ينتسبون إلى بعض الصالحين ويَغْلُون فيه، فذكر حديث الخوارج ثم قال:

فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، ممن ينتسب إلى الإسلام، مَن مَرَقَ مع عبادته العظيمة، فَلْيُعْلَمْ أن المنتسب إلى الإسلام قد يَمْرُقُ من الدين، وذلك بأمورٍ:

منها الغلو الذي ذمه الله، مثل الغلو في عدي بن مسافر أو غيره، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه، فكل مَن غَلَا في نبي أو صحابي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني. أو: أنا في حسبك. ونحو هذا، فهذا كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لِيُعْبَدَ ولا يُدْعَى معه إله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم، لم يكونوا يعتقدون أنها تُنْزِل المطر أو تُنْبِت النبات، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون: ﴿هَٰؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تَنْهَى أن يُدْعَى أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة[٢]. وأطال الكلام رحمه الله، فتأمل كلامه في أهل عصره من أهل النظر الذين يدّعون العلم، ومن أهل العبادة الذين يدّعون الصلاح.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٤١ - ٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٣ - ٣٩٦).

وقال في «الإقناع» في باب حكم المرتد، في أوله:

فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته. . . إلى أن قال: أو استهزأ بالله أو رسله. قال الشيخ: أو كان مبغضًا لرسوله، أو لِمَا جاء به اتفاقًا، أو جعَل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم - كَفَرَ إجماعًا. . . إلى أن قال: أو أنكَرَ الشهادتين أو إحداهما[١].

فتأمل هذا الكلام بشَرَاشِرِ قلبك، وتأمل؛ هل قالوا هذا في أشياء وُجِدَت في زمانهم واشتد نكيرهم على أهلها، أو قالوها ولم تقع؟ وتأمل الفرق بين جحد الربوبية والوحدانية والبغض لما جاء به الرسول.

وقال أيضًا في أثناء الباب: ومن اعتقد أنَّ لأحدٍ طريقًا إلى الله غير متابعة محمد ﷺ أوْ لا يجب عليه اتباعُهُ، أو أن لغيره خروجًا عن اتباعه، أو قال: أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن. أو: في علم الشريعة دون علم الحقيقة. أو قال: إن من العلماء مَن يَسَعُهُ الخروج عن شريعته كما وسع الخَضِرَ الخروجُ عن شريعة موسى. كفر في هذا كله[٢].

ولو تعرف من قال هذا الكلام فيه وجزم بكفرهم، وعَلِمْتَ ما هم عليه من الزهد والعبادة، وأنهم عند أكثر أهل زماننا من أعظم الأولياء، لقضيت العجب.

وقال أيضًا في الباب:

ومن سبَّ الصحابة، واقترَن بِسَبّهِ دعوى أن عليًّا إلهٌ أو نبيٌّ، أو أن جبريل غَلِطَ، فلا شك في كفر هذا، بل لا شك في كفر مَن توقف في تكفيره[٣].

---

(١) الإقناع (٤/ ٢٩٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٦٣، ٢٧/ ٥٩).
(٣) الإقناع (٤/ ٢٩٩).

فتأمل هذا، إذا كان كلامه هذا في عليٍّ، فكيف بمَن ادَّعى أن ابن عربي أو عبد القادر إلهٌ! وتأمل كلام الشيخ في معنى الإله الذي تَأْلَهُهُ القلوب.

واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي ﷺ بأنهم يَدْعُون الأولياء والصالحين في الرخاء والشدة، ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات، مع كونهم يَدْعُون الملائكة والصالحين، ويريدون شفاعتهم والتقرب لهم، وإلا فهم مُقِرُّون بأن الأمر لله، فهم لا يدعونهم إلا في الرخاء، فإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا لله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ الآية.

وقال أيضًا في «الإقناع» في الباب:

ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفِعْلُهُ، وهو عُقَد ورُقًى وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله، ومنه ما يقتل، ومنه ما يُمْرِض، ومنه ما يأخذ الرجلَ عن امرأته فيَمْنَعُهُ وطأها، ومنه ما يبغِّض أحدهما للآخر، ويحبِّب بين اثنين، ويَكْفُرُ بتعلُّمِهِ وفِعْلِهِ، سواء اعتقد تحريمه أو إباحته[(١)].

فتأمل هذا الكلام، ثم تأمل ما جرى في الناس، خصوصًا الصرف والعطف، تعرف أن الكفر ليس ببعيد، وعليك بتأمل هذا الباب في «الإقناع» وشرحه تأملًا جيدًا، وقِفْ عند المواضع المشكلة، وذاكر فيها كما تفعل في باب الوقف والإجارة؛ يتبين لك إن شاء الله أمر عظيم.

وأما الحنفية؛ فقال الشيخ قاسم في «شرح درر البحار»:

النذر الذي يقع من أكثر العوام، وهو أن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلًا:

---

(١) الإقناع (٤/ ٣٠٧).

يا سيدي فلان إن رُدَّ غائبي، أو عوفي مريضي، أو قُضِيَت حاجتي فلك كذا وكذا. باطل إجماعًا؛ لوجوه؛ منها أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا كفر(١). إلى أن قال: إذا عُرِفَ هذا، فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها، ويُنْقَل إلى ضرائح الأولياء، فحرام بإجماع المسلمين، وقد ابتُلِيَ الناس، لاسيما في مولد أحمد البدوي(٢).

فتأمل قول صاحب «النهر» مع أنه بمصر ومقر العلماء، كيف شاع بين أهل مصر ما لا قدرة للعلماء على دفعه! فتأمل قوله: «من أكثر العوام» أتظن أن الزمان صلح بعده!

وأما المالكية؛ فقال الطرطوشي في كتاب «الحوادث والبدع»:

روى البخاري(٣) عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين، ونحن حَدِيثُو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكُفُون حولها، ويَنُوطُون بها أسلحتهم، يقال لها «ذات أنواط» فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال: «**الله أكبر، هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم»(٤) فانظروا، رحمكم الله، أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الخِرَقَ فهي ذات أنواط، فاقطعوها.

وقال ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء؛ الذين**

---

(١) البحر الرائق (٢/ ٣٢٠ - ٣٢١).
(٢) حاشية ابن عابدين (٢/ ٣٣٩ - ٤٤٠).
(٣) لم يروه البخاري، وهي في (مختصر الحوادث والبدع ص ١٨): (روى أحمد).
(٤) أخرجه الترمذي (٢١٨٠) والإمام أحمد (٥/ ٢١٨) وصححه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٧٦).

يُصْلِحُون إذا فسد الناس»[1] ومعنى هذا أن الله لما جاء بالإسلام، فكان الرجل إذا أسلم في قبيلته غريبًا مستخفيًا بإسلامه قد جفاه العشيرة، فهو بينهم ذليل خائف، ثم يعود غريبًا لكثرة الأهواء المضلة والمذاهب المختلفة، حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم.

وروى البخاري عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: والله، ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يُصَلُّون جميعًا[2]. وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره.

وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف فيهم شيئًا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيِّعَت[3]. انتهى كلام الطرطوشي[4].

فليتأمل اللبيب هذه الأحاديث، وفي أي زمان قيلت وفي أي مكان، وهل أنكرها أحد من أهل العلم!

والفوائد فيها كثيرة، ولكن مرادي منها ما وقع من الصحابة، وقول الصادق المصدوق أنه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ يا عجبًا إذا جرى هذا من أولئك السادة، كيف يُنكر علينا أن رجلًا من المتأخرين غلط في قوله «يا أكرم الخلق»! كيف تعجبون من كلامي فيه وتظنونه خيرًا وأعلم منهم!

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٤٤١).

(٢) صحيح البخاري (٦٥٠).

(٣) صحيح البخاري (٥٣٠).

(٤) مختصر الحوادث والبدع (ص ١٨ - ١٩).

ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها، وتظنون أن من وصف شركًا أو كفرًا أنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة. ولكن أين كلامك هذا من كتابك الذي أرسلْتَ إليّ، قبل أن يغربلك الله بصاحب الشام، وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق، وتعتذر أنك لا تقدر على الإنكار! ومرادي أبين لك كلام الطرطوشي ما وقع في زمانه من الشرك بالشجر، مع كونه في زمن القاضي أبي يعلى، أتظن الزمان صلح بعده؟

وأما كلام الشافعية؛ فقال الإمام محدث الشام أبو شامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» وهو في زمن الشارح وابن حمدان:

وقد وقع مِن جماعة مِن النابذين لشريعة الإسلام، المنتمين إلى الفقر، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان، من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالِّين مُضِلِّين؛ فهم داخلون تحت قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها.

ومن هذا القسم ما قد عمَّ الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليقَ الحيطانِ والعُمُدِ، وسَرْجَ مواضع في كل بلد يَحْكِي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه أحدًا ممن شُهِرَ بالصلاح، فيفعلون ذلك، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله، ثم يجاوزون ذلك إلى أن يَعْظُمَ وَقْعُ تلك الأماكن في قلوبهم، ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي بين عيون وشجر وحائط وحجر. وفي دمشق، صانها الله من ذلك، مواضع متعددة، كعوينة الحمى والشجرة الملعونة خارج باب النصر، سهل الله قطعها، فما أشبهها بذات أنواط[1]. ثم ذكر كلامًا طويلًا، إلى أن قال: أسأل الله الكريم معافاتِهِ من كل ما يخالف رضاه، ولا

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٥ - ٢٦).

يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه[١].

فتأمل ذكره في هذا النوع أنه نَبْذٌ لشريعة الإسلام، وأنه خروج عن الإيمان، ثم ذكر أنه عمَّ الابتلاء به في الشام، فأنت قل لصاحبكم: هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشرك عم الابتلاء به وغيره، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، وذكروا أن الدين عاد غريبًا، فهو بين اثنتين: إما أن يقول: كل هؤلاء العلماء جاهلون ضالُّون مُضِلُّون خارجون. وإما أن يدَّعي أن زمانه وزمان مشايخه صلح بعد ذلك.

ولا يخفاك أني عثرت على أوراق عند ابن عزاز، فيها إجازات له من عند مشايخه، وشيخ مشايخه رجلٌ يقال له «عبد الغني»[٢] ويُثنون عليه في أوراقهم ويسمونه «العارف بالله»، وهذا اشتُهِرَ عنه أنه على دين ابن عربيّ، الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون، حتى قال ابن المُقْرِي الشافعي: من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر. فإذا كان إمام دين ابن عربي والداعي إليه هو شيخهم، ويثنون عليه أنه العارف بالله، فكيف يكون الأمر! ولكن أعظم من هذا كله ما تقدم عن أبي الدرداء وأنس، وهما بالشام، ذلك الكلام فيه العظيم، واحتج به أهل العلم على أن زمانهم أعظم، فكيف بزماننا!

وقال ابن القيم رحمه الله، في «الهدي النبوي» في الكلام على حديث وفد الطائف، لما أسلموا وسألوا النبي ﷺ أن يترك لهم اللات؛ لا يهدمها سنة، ولما تكلم ابن القيم على المسائل المأخوذة من القصة قال:

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢٨).

(٢) هو الصوفي النقشبندي الشهير: عبدالغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ). انظر الرد على انحرافاته في: «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي»؛ للدكتور محمد أحمد لوح (١/ ٥٤٤ - ٥٤٩).

ومنها: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت، بعد القدرة على هدمها وإبطالها، يومًا واحدًا، فإنها شعائر الشرك والكفر، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة. وهكذا حكم المشاهد التي بُنِيَت على القبور التي اتُّخِذَت أوثانًا تُعْبَد من دون الله، والأحجار التي تُقْصَد للتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، بل أعظم شركًا عندها وبها، والله المستعان، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تَخْلُق وتَرْزُق، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سَنَنَ مَن قبلهم، وسلكوا سبيلهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، وسلكوا سبيلهم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، وغلب الشرك على أكثر النفوس؛ لغلبة الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهَرِمَ عليه الكبير، وطَمَسَت الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس[1]. انتهى كلامه.

وقال أيضًا في الكلام على هذه القصة، لما ذكر أن النبي ﷺ أَخَذَ مال اللات وصَرَفَه في المصالح:

ومنها: جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه الطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين، فيجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تُسَاق إليها ويصرفها على الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات، وكذا الحكم في وقفها، والوقف عليها باطل، وهو مال ضائع، فيصرف

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٤٣).

في مصالح المسلمين؛ فإن الوقف لا يصح إلا في قربة وطاعة لله ولرسوله، فلا يصح على مشهد، ولا قبر يُسْرَج عليه، ويُعَظَّم، ويُنْذَر له، ويُعْبَد من دون الله، وهذا مما لا يُخَالِفُ فيه أحدٌ من أئمة الدين ومن اتبع سبيلهم[1]. انتهى كلامه.

فتأمل كلام هذا الرجل، الذي هو من أهل العلم، وهو أيضًا من أهل الشام، كيف صرّح أنه ظهر في زمانه، فيمن يدعي الإسلام في الشام وغيره، عبادةُ القبور والمشاهد والأشجار والأحجار، التي هي أعظم من عبادة اللات والعزى أو مثله، وأن ذلك ظهر ظهورًا عظيمًا، حتى غلب الشرك على أكثر النفوس، وحتى صار الإسلام غريبًا، بل اشتدت غربته! أين هذا من قول صاحبكم لأهل الوشم في كتابه، لما ذكروا له أن في بلدانكم شيئًا من الشرك: يأبى الله أن يكون ذلك في المسلمين! وكلام هؤلاء الأئمة من أهل المذاهب الأربعة أعظم وأعظم وأَطَمُّ مما قال ابن عيدان وصاحبه في أهل زمانهما. أَفَتَرَى هؤلاء العلماء أَتَوا فِرْيَةً عظيمة ومقالة جسيمة!

فهذا ما يسر الله نقله من كلام أهل العلم على سبيل العجلة، فأنت تأمله تأملًا جيدًا، واجعل تأملك لله، مستعيذًا بالله من اتباع الهوى، ولا تفعل فِعْلَكَ أولًا.

ولما ذكرت لك أنك تأمل كلامي وكلامه، فإن كان كلامي صحيحًا لا مجازفة فيه، وأن شامِيّكم لا يعرف معنى «لا إله إلا الله»، ولا يعرف عقيدة الإمام أحمد وعقيدة الذين ضربوه، فاعرف قدره، فهو بغيره أجهل، واعرف أن الأمر أمرٌ جليلٌ. فإن كان كلامي باطلًا، ونَسَبتُ رجلًا من أهل العلم إلى هذه الأمور العظيمة بالكذب والبهتان، فالأمر أيضًا عظيم، فأَعْرَضْتَ عن ذلك كله، وكَتَبْتَ لي كتابًا في شيء آخر.

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٤٤٣).

فإن كان مرادُكَ اتباعَ الهوى، أعاذنا الله منه، وأنك مع ولد المويس كيف كان، فاترُكِ الجواب؛ فإن بعض الناس يذكرون عنك أنك صائر معه لأجل شيء من أمور الدنيا. وإن كنتَ مع الحق فلا أَعْذِرُكَ مِن تَأَمُّلِ كلامي هذا وكلامي الأول، وتَعْرِضهُما على كلام أهل العلم، وتُحَرِّرهما تحريرًا جيدًا، ثم تتكلم بالحق.

إذا تقرر هذا؛ فخَمْسُ المسائل التي قدَّمْتُ جوابُها في كلام العلماء، وأضيف إليها مسألة سادسة، وهي إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم، وسميتهم «طواغيت»؛ ذلك أنهم يَدْعُون الناسَ إلى عبادتهم من دون الله عبادةً أعظَمَ من عبادة اللات والعزى بأضعاف، وليس في كلامي مجازفة، بل هو الحق؛ لأن عبادة اللات والعزى يَعبُدُونها في الرخاء ويُخْلِصُون لله في الشدة، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم في شدائد البر والبحر، فإن كان اللهُ أوقَعَ في قلبك معرفةَ الحق والانقيادَ له، والكفرَ بالطاغوت والتَّبَرّيَ ممن خالف هذه الأصول، ولو كان أباك أو أخاك، فاكتب لي وبَشِّرْنِي؛ لأن هذا ليس مثل الخطأ في الفروع، بل ليس الجهل بهذا، فضلًا عن إنكاره، مثل الزنا والسرقة، بل والله، ثم والله، ثم والله، إن الأمر أعظم. وإن وقع في قلبك إشكال فاضرَعْ إلى مُقَلِّبِ القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه.

وأما بقية المسائل فالجواب عنها ممكن إذا خلصنا من شهادة أن لا إله إلا الله، وبيننا وبينكم كلام أهل العلم، لكن العجب من قولك: أنا هادمٌ قبورَ الصحابة، وعبارة «الإقناع» في الجنائز: يجب هدم القباب التي على القبور؛ لأنها أُسِّسَت على معصية الرسولِ[1]. والنبيُّ ﷺ صحَّ عنه أنه بعث عليًا لهدم القبور.

---

(١) الإقناع (١/ ٢٣٣) نقلا عن ابن القيم.

ومِثْل صاحب كتابكم لو كتب لكم أن ابن عبد الوهاب ابتدع؛ لأنه أنكر على رجل تزوَّج أخته! فالعجب كيف راج عليكم كلامه فيه!

وأما قولي: إن الإله الذي فيه السر. فمعلوم أن اللغات تختلف؛ فالمعبود عند العرب، والإله الذي يسمونه عوامُّنا «السيد، والشيخ، والذي فيه السر» والعرب الأولون يسمون الألوهية ما يسميه عوامُّنا «السر» لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر، وكونه يصلح أن يُدْعَى ويُرْجَى ويُخَاف ويُتَوَكَّل عليه، فإذا قال رسول الله ﷺ: **«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»**[1] وسُئِل بعض العامة: ما فاتحة الكتاب؟ ما فسَّرْتَ له إلا بلغة بلده؛ فتارة تقول: هي فاتحة الكتاب. وتارة تقول: هي أم القرآن. وتارة تقول: هي الحمد. وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد، ولكن إن كان السر في لغة عوامنا ليس هذا، وأن هذا ليس هو الإله في كلام أهل العلم، فهذا وجه الإنكار، فبَيِّنُوا لنا.

وأما قول ابن سحيم في أول الرسالة: إنه عَمَدَ إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة؛ زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها، لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يَحْفِرُوا لهم، فطَوَوا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد بن الوليد وأصحاب رسول الله ﷺ. وعَمَدَ أيضًا إلى مسجد في ذلك وهدمه، إلى آخره.

فهذا الكلام ذَكَرَ فيه ما هو حق وصدق، وذَكَرَ فيه ما هو كذب وزور وبهتان، فالذي حدث من الشيخ رحمه الله، وأتباعه، أنه هدم البناء الذي على القبور، والمسجدَ المجعولَ في المقبرة على القبر الذي يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك كذب ظاهر؛ فإن قبر زيد رضي الله عنه، ومن معه من الشهداء لا

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٣٩٤).

يُعْرَف أين موضعه، بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ قُتِلُوا في أيام مُسَيْلِمَة في هذا الوادي، ولا يُعْرَف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يُعْرَف قبر زيد مِن قبر غيره، وإنما كَذَبَ ذلك بعضُ الشياطين وقال للناس: هذا قبر زيد. فافتُتِنُوا به، وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد بالزيارة، ويجتمع عنده جمع كثير، ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات؛ فلأجل ذلك هَدَمَ الشيخُ ذلك البناء الذي على قبره، وذلك المسجدَ المبنيَّ على المقبرة، اتباعًا لما أمر الله به ورسوله مِن تسوية القبور، والنهيِ الغليظِ الشديد فِي بناء المساجد عليها، كما يَعرف ذلك من له أدنى مَلَكَة من المعرفة والعلم.

وقوله: وبعثرها لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يَحْفِرُوا لهم، فطَوَوا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع. فكل هذا كذب وزور، وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور، وكلامه هذا تكذبه المشاهدة؛ فإن الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سهل لين للحفر، وأهل العُيَيْنَة والجُبَيْلَة، وغيرهما من بلدان العارض، يدفنون موتاهم في تلك المقبرة، وهي أرض سهلة، لا حجارة فيها، والحجارة والوَعْرُ عن تلك المقبرة شمالًا وجنوبًا، ولكن هذا العدو وأشباهه يرمون هذا الشيخ بالأمور الفظيعة، والأهوال الهائلة الشنيعة، لكي يَنْفِرَ السامعون لذلك عن الدخول في دين الله، وليس ذلك ببدع من الشيطان وحزبه، والحمد لله رب العالمين. آخر الرسالة، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

وقد أجاب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، في هذه الرسالة عما رماه به عدو الله سليمان بن سحيم؛ من الزور والكذب والبهتان، وما هو قائل به، وذكر دليله من الكتاب والسنة وأقوال أئمة أهل الإيمان، وأعرض عن بعض المسائل لم يجب عنها في هذه الرسالة، وقد أجاب عنها في غيرها، فأحسن وأجاد، وكشف حُجُبَ الضلال عن العباد.

فمن ذلك قوله: إنه أبطل الوقف، ويكذّب بالمَرْوِيِّ عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وَقَفُوا، وقد كذَب وافترى فيما رمى به شيخ الوَرَى.

وصورة الوقف التي أنكرها الشيخ رحمه الله، وأبطَلَهُ هو ما كان مخالفًا لما ثبت في الأحاديث عن رسول الله ﷺ وأصحابه؛ وذلك أن كثيرًا من الجُهَّال والعامة إذا أراد أن يغيِّر فرائض الله، ويَحْرِمَ بَعْضَ أولاده من الإناث ما قَسَمَ الله له، أو يَحْرِمَ أولادَ الإناث ويَخُصَّهُ بالذكور وأولادِهِم، وَقَفَ مالَه وأشهَدَ عليه، وشَرَطَ فيه هذه الشروط المخالفة لما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ وأصحابه مِن صفة وقفهم، فلما أنكر ذلك الشيخ رحمه الله، استعظم ذلك جُهَّالُ القُضَاة؛ لأنه مخالف لعادتهم التي جَرَوا عليها، ومخالف لما ذكره بعض المتأخرين في كتبهم، فشَنَّعُوا بذلك على الشيخ، وافترَوْا عليه الكذب العظيم، مثل قولهم: وكذَّب المَرْوِيَّ عن رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم وَقَفُوا. وحاشاه من ذلك، بل ما صح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فهو عنده المعمول به، المُفْتَى به، المحمول على الرأس والعين.

وهذا نص جوابه عن شُبْهَتِهِم التي شَبَّهُوا بها في ذلك، قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كلماتٌ جوابٌ عن الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجَنَف والإثم، ونحن نذكر قبل ذلك صورة المسألة، ثم نتكلم على الأدلة.

وذلك أن السلف اختلفوا في الوقف الذي يراد به وجه الله، على غير من يرثه، مثل الوقف على الأيتام وصُوَّام رمضان أو المساكين أو أبناء السبيل.

فقال شريح القاضي وأهل الكوفة: لا يصح ذلك الوقف. حكاه عنهم الإمام أحمد.

وقال جمهور أهل العلم: هذا وقف صحيح. واحتجوا بحُجَجٍ صحيحة صريحة ترد قول أهل الكوفة، فهذه الحُجَجُ التي ذكرها أهل العلم يَحْتَجُّون بها على علماء أهل الكوفة، مثل قوله: «صدقة جارية» ومثل وقف عمر، وأوقاف أهل المقدرة من الصحابة على جهات البر التي أمر الله بها ورسوله، ليس فيها تغيير لحدود الله.

وأما مسألتنا فهي إذا أراد الإنسان أن يَقْسِمَ مالَهُ على هواه، وفَرَّ من قسمة الله وتمرَّد عن دين الله، مثل أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل، ولا تأكل منه إلا حياة عينها، أو يريد أن يَزِيدَ بعضَ أولاده على بعضٍ فرارًا من وصية الله بالعدل، أو يريد أن يَحْرِمَ نَسْلَ البنات، أو يريد أن يُحَرِّمَ على ورثته بيع هذا العقار لئلا يفتقروا بعده، ويُفْتِي له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صَدَقَةُ بِرٍّ تُقَرِّبُ إلى الله، ويوقِفُ على هذا الوجه قاصدًا وجه الله. فهذه مسألتنا.

فتأمل هذا بشَرَاشِرِ قلبك، ثم تأمل ما نذكره من الأدلة، فنقول:

من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر تغيير شرع الله ودينه، والتحيل على ذلك بالتقرب إليه، وذلك مثل أوقافنا هذه؛ إذا أراد أن يَحْرِمَ مَن أعطاه الله، من امرأةٍ، أو امرأةِ ابنٍ، أو نسلِ بناتٍ، أو غير ذلك، أو يُعْطِيَ مَن حَرَمَه الله، أو يَزِيدَ أحدًا عما فرَض الله، أو يَنْقُصَهُ من ذلك، ويريد التقرب إلى الله بذلك، مع كونه مُبْعِدًا عن الله، فالأدلة على بطلان هذا الوقف، وعَوْدِهِ طَلْقًا، وقَسْمِهِ على قَسْمِ الله ورسوله أكثر من أن تُحْصَرَ.

ولكن من أوضحها دليلٌ واحدٌ، وهو أن يقال لِمُدَّعِي الصحة: إذا كنت تدَّعِي أن هذا مما يحب اللهُ ورسولُه، وفِعْلَهُ أفضلُ مِن تَرْكِهِ، وهو داخل فيما حض عليه النبي ﷺ من الصدقة الجارية، وغير ذلك، فمعلوم أن الإنسان مجبول على حبه لولده، وإيثاره على غيره، حتى أصحاب رسول الله ﷺ قال الله تعالى:

﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ فإذا شرع الله لهم أن يُوقِفُوا أموالهم على أولادهم، ويزيدوا من شاء، أو يَحْرِمُوا النساء والعَصَبَةَ ونَسْلَ البنات، فلأي شيء لم يفعل ذلك أصحاب رسول الله ﷺ! ولأي شيء لم يفعله التابعون! ولأي شيء لم يفعله الأئمة الأربعة وغيرهم! أتُرَاهم رَغِبُوا عن الأعمال الصالحة ولم يَحْبُوا أولادهم، وآثروا البعيد عليهم وعلى العمل الصالح، ورغب في ذلك أهل القرن الثاني عشر! أم تُرَاهم خفي عليهم حكم هذه المسألة ولم يعلموها حتى ظهر هؤلاء فعلموها! سبحان الله! ما أعظَمَ شأنَهُ وأعَزَّ سلطانَهُ!

فإن ادعى أحدٌ أن الصحابة فعلوا هذا الوقف، فهذا عين الكذب والبهتان، والدليل على هذا أن هذا الذي تَتَبَّعَ الكتب، وحرص على الأدلة، لم يجد إلا ما ذكره، ونحن نتكلم على ما ذكره.

فأما حديث أبي هريرة الذي فيه: «**صدقة جارية**»[1] فهذا حق، وأهل العلم استدلوا به على من أنكر الوقف على اليتيم وابن السبيل والمساجد، ونحن أنكرنا على من غيّر حدود الله، وتقرَّب بما لم يَشْرَعْهُ، ولو فهم الصحابة وأهل العلم هذا الوقف من هذا الحديث لبادروا إليه.

وأما حديث عمر أنه تصدق بالأرض على الفقراء والرقاب والضيف وذوي القربى وأبناء السبيل[2] فهذا بعينه من أبين الأدلة على مسألتنا؛ وذلك أن من

---

(١) يعني حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة؛ صدقة جارية، وعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٤) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رضي الله عنهما، أَنَّ عُمَرَ تَصَدَّقَ بِمَالٍ لَهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ (ثَمْغٌ) وَكَانَ نَخْلًا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي اسْتَفَدْتُ مَالًا، وَهُوَ عِنْدِي نَفِيسٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَصَدَّقْ بِأَصْلِهِ، لَا يُبَاعُ وَلَا يُوهَبُ وَلَا يُورَثُ، وَلَكِنْ يُنْفَقُ ثَمَرُهُ**» فَتَصَدَّقَ بِهِ عُمَرُ، فَصَدَقَتُهُ =

احتج على الوقف على الأولاد ليس له حجة إلا هذا الحديث؛ لأن عمر قال: «لا جناح على مَن وَلِيَهُ أن يأكل بالمعروف» وأن حفصة وَلِيَتْهُ، ثم وَلِيَهُ عبدُ الله بن عمر، فاحتجوا بأكل حفصة وأخيه دون بقية الورثة، وهذه الحُجَّة من أبطل الحُجَج، وقد بينه الشيخ الموفق رحمه الله، والشارح، وذكر أن أكل الولي ليس زيادة على غيره، وإنما ذلك أجرة عمله، كما كان في زماننا هذا يقول صاحب الضحية: «لِوَلِيِّهَا الجلد والأكارع» ففي هذا دليل من جهتين:

الأول: أن مَن وقَف مِن الصحابة، مثل عمر وغيره، لم يوقفوا على ورثتهم، ولو كان خيرًا لبادروا إليه، وهذا المصحِّح لم يصحِّح بقوله: «ثم أدناك أدناك»[1] فإذا كان وقف عمر على أولاده أفضل من الفقراء وأبناء السبيل، فما باله لم يوقف عليهم! أتظنه اختار المفضول وترك الفاضل! أم تظن أنه هو ورسول الله ﷺ الذي أمره لم يفهما حكم الله!

الثاني: أن من احتج على صحة الوقف على الأولاد وتفضيل البعض لم يحتج إلا بقوله: «تَلِيهِ حفصة ثم ذوُو الرأي، وأنه يأكل بالمعروف» وقد بينّا معنى ذلك، وأنه لم يبر أحد، وإنما جعل ذلك للولي عن تعبه في ذلك، فإذا كان المستدل لم يجد عن الصحابة إلا هذا تبين لك أن قولهم: تصدق أبو بكر بداره على ولده، وتصدق فلان وفلان، وأن الزبير خصّ بعض بناته. ليس معناه كما

= ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِي الرِّقَابِ وَالْمَسَاكِينِ وَالضَّيْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلِذِي الْقُرْبَى، وَلاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُوكِلَ صَدِيقَهُ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ بِهِ.

(١) أخرجه الطيالسي (١٢٥٧) والنسائي في الكبرى (٤/ ٧٠٣٨) وابن أبي شيبة (٢/ ٤٢٧) والبيهقي (٨/ ٣٤٥) من حديث ثعلبة بن زهدم. وأخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٦) من حديث أبي رمثة. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٨٠٧٦).

فهموا، وإنما معناه أنهم تصدقوا بما ذكر صدقة عامة على المحتاجين، فكان أولاده إذا قدموا البلد نزلوا تلك الدار؛ لأنهم من أبناء السبيل، كما يوقف الإنسان مِسْقَاة ويتوضأ منها وينتفع بها هو وأولاده مع الناس، وكما يوقف مسجدًا ويصلي فيه.

وعبارة البخاري في صحيحه: وتصدَّق أنس بدارٍ فكان إذا قدم نزلها، وتصدق الزبير بدوره واشترط للمردودة من بناته أن تسكن[1]. فتأمل عبارة البخاري يتبين لك أن ما ذكر عن الصحابة، مثل من وقف نخلًا على المُفْطِرِين من الفقراء في هذا المسجد، ويقول: إن افتقر أحد من ذريتي فليُفْطِرْ معهم. فأين هذا من وقف الجَنَف والإثم!

على أن هذه العبارة كلام الحميدي، والحميدي في زمن القاضي أبي يعلى، وأجمع أهل العلم على أن مراسيل المتأخرين لا يجوز الاحتجاج بها، فمن احتج بها فقد خالف الإجماع، هذا لو فرضنا أنه يدل على ذلك، فكيف وقد بينا معناه، ولله الحمد!

إذا تبين لك أن من أجاز الوقف على الأولاد والتفضيل لم يجد إلا حديث عمر، وقوله: ليس على من وَلِيَهُ جناح. وأن الموفَّق وغيره ردوا على من احتج به - تبين لك أن حديث عمر من أبين الأدلة على بطلان الوقف الجنف والإثم.

وأما قوله: لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ ذو مقدرة إلا وقف. فهل هذا

---

(١) فتح الباري (٥/ ٤٠٦) باب: إِذَا وَقَفَ أَرْضًا أَوْ بِئْرًا وَاشْتَرَطَ لِنَفْسِهِ مِثْلَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ. ولفظه: وَأَوْقَفَ أَنَسٌ دَارًا، فَكَانَ إِذَا قَدِمَهَا نَزَلَهَا. وَتَصَدَّقَ الزُّبَيْرُ بِدُورِهِ، وَقَالَ لِلْمَرْدُودَةِ مِنْ بَنَاتِهِ أَنْ تَسْكُنَ غَيْرَ مُضِرَّةٍ وَلَا مُضَرٌّ بِهَا، فَإِنْ اسْتَغْنَتْ بِزَوْجٍ فَلَيْسَ لَهَا حَقٌّ. وَجَعَلَ ابْنُ عُمَرَ نَصِيبَهُ مِنْ دَارِ عُمَرَ سُكْنَى لِذَوِي الْحَاجَةِ مِنْ آلِ عَبْدِ اللَّهِ.

يدل على صحة وقف الجنف والإثم! وما مثله إلا كمن رأى رجلًا يصلي في أوقات النهي، فأنكر عليه، فقال: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ ويقول: إن أصحاب رسول الله ﷺ يصلون. أو يذكر فضل الصلاة! وكذلك مسألتنا إذا قلنا: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ وغير ذلك، أو قلنا: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»(١) أو قلنا: إن النبي ﷺ غلَّظ القول فيمن تصدق بماله كله. أو قلنا: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. وادَّعَوْا علينا أن الصحابة وَقفُوا، هل أنكرنا الوقف كأهل الكوفة حتى يحتج علينا بذلك!

وأما قول أحمد: مَن رَدَّ الوقف فكأنما رَدَّ السنة. فهذا حق، ومراده وقف رسول الله ﷺ وأصحابه، كما ذكره أحمد في كلامه، وأما وقف الإثم والجَنَف فمَن رَدَّه فقد عمل بالسنة، ورَدَّ البدعة واتبع القرآن.

وأما قوله: إن في صدقة رسول الله ﷺ أن يأكل بالمعروف، وإن زيدًا وعمرًا سَكَنَا دارَيْهِمَا التي وَقَفَا. فيا سبحان الله، من أنكر هذا! وهذا كمن وقف مسجدًا وصلى فيه وذريته، أو وقف مِسْقَاة واستسقى منها وذريته.

وقول الخرقي: والظاهر أنه عن شرط، فكذلك. وهذا شرط صحيح، وعمل صحيح، كمن وقف داره على المسجد أو أبناء السبيل، أو استثنى سكناها مدة حياته، وكل هذا يردون به على أهل الكوفة، فإن هذا ليس من وقف الجنف والإثم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٢١) والنسائي (٣٦٤١) من حديث عمرو بن خارجة، والترمذي (٢١٢٠) والنسائي (٢١٢٠) وابن ماجه (٢٧١٣) من حديث أبي أمامة (٢٧١٣) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٧٢٠، ١٧٨٩).

وأما قوله: «**ابدأ بنفسك ثم بمن تعول**»(١) وقول: «**صدقتك على رحمك صدقة وصلة**»(٢) وقوله: «**ثم أدناك أدناك**»(٣) وأشباه ذلك، فكل هذا صحيح لا إشكال فيه، لكن لا يدل على تغيير حدود الله، فإذا قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ وَقَفَ الإنسان على أولاده، ثم أخرج نسل الإناث محتجًا بقوله: «**ثم أدناك أدناك**» أو صلة الرحم، فمثله كمثل رجل أراد أن يتزوج خالة أو عمة فقيرة، فتزوجها يريد الصلة، واحتج بتلك الأحاديث، فإن قال: إن الله حرم نكاح الخالات والعمات. قلنا: وحرم تعدي حدود الله التي حَدَّ في سورة النساء، قال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ فإذا قال: الوقف ليس من هذا. قلنا: هذا مثل قوله: من تزوج خالته إذا تزوجها لفقرها ليس من هذا، فإذا كان عندكم بين المسألتين فرق فبينوه.

وأما قول عمر: إن حدث بي حادث أن ثَمْغًا صدقة. هذا يستدلون به على تعليق الوقف بالشرط، وبعض العلماء يبطله، فاستدلوا به على صحته.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩٧) بلفظ: «**ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا**» يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك.

وأخرجه البخاري (١٤٢٧) ومسلم (١٠٣٤) بلفظ: «**أفضل الصدقة أو خير الصدقة عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول**».

(٢) أخرجه الترمذي (٦٥٨) والنسائي (٢٥٨٢) من حديث سلمان بن عامر. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٣٨٥٨).

(٣) أخرجه الطيالسي (١٢٥٧) والنسائي في الكبرى (٤/ ٧٠٣٨) وابن أبي شيبة (٢/ ٤٢٧) والبيهقي (٨/ ٣٤٥) من حديث ثعلبة بن زهدم. وأخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٦) من حديث أبي رمثة. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٨٠٧٦).

وأما القول بأن عمر وقفه على الورثة، فيا سبحان الله، كيف يكابرون النصوص، ووقف عمر وشرطه ومصارفه في ثَمْغٍ وغيرها معروفة مشهورة!

وأما قول عمر: إلا سهمي الذي بخيبر، أردت أن أتصدق بها[١]. فهذا دليل على أن أهل الكوفة كما قدمناه، فأين في هذا دليل على صحة هذا الوقف الملعون، الذي بطلانه أظهر من بطلان أصحابه بكثير.

وأما وقف حفصة الحلي على آل الخطاب، فيا سبحان الله، هل وقفت على ورثتها أو حَرَمَت أحدًا أعطاه الله، أو أعطت أحدًا حَرَمَه الله، أو استثنت غلبة مدة حياتها! فإذا وقف محمد بن سعود نخلًا على الضعيف من آل مقرن، أو مثل ذلك، هل أنكرنا هذا! وهذا وقف حفصة، فأين هذا مما نحن فيه!

وأما قولهم إن عمر وقف على ورثته، فإن كان المراد ولاية الوقف فهو صحيح، وليس مما نحن فيه، فإن كان مراد القائل أنه ظن أنه وقف يدل على صحة ما نحن فيه، فهذا كذب ظاهر ترده النقول الصحيحة في صفة وقف عمر.

وأما كون حفصة وقفت على أخ لها يهودي[٢] فهو لا يرثها، ولا ننكر ذلك.

وأما كلام الحميدي فتقدم الكلام عنه.

وسر المسألة: أنك تفهم أن أهل الكوفة يبطلون الوقف على المساجد، وعلى

---

(١) أخرجه النسائي (٣٦٠٣) وابن ماجه (٢٣٩٧) من حديث ابن عُمَرَ قال: قال عُمَرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ الْمِائَةَ سَهْمٍ التي لي بِخَيْبَرَ لم أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَعْجَبَ إلي منها، قد أَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بها. فقال النبي ﷺ: «**احْبِسْ أَصْلَهَا وَسَبِّلْ ثَمَرَتَهَا**» وصححه الشيخ الألباني.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٣٣) عن ابن عمر أن صفية بنة حُيَيٍّ أوصت لابن أخ لها يهودي.

الفقراء أو القرابات الذين لا يرثونهم، فردَّ عليهم أهل العلم بتلك الأدلة الصحيحة، ومسألتنا هي إبطال هذا الوقف الذي يغيّر حدود الله، وإيتاء حكم الجاهلية، وكل هذا ظاهر لا خفاء فيه، ولكن إذا كان الذي كتبه يفهم معناه، وأراد به التلبيس على الجهال كما فعل غيره، فالتلبيس يضمحل، وإن كان هذا قدر فهمه، وأنه ما فهم هذا الذي تعرفه العوام، فالخَلَف والخليفة على الله.

وأما ختمه الكلام بقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ فيا لها من كلمة، ما أجمعها! ووالله إن مسألتنا هذه من إنكارها، وقد أتانا رسول الله ﷺ بلزوم حدود الله والعدل بين الأولاد، ونهانا عن تغيير حدود الله والتحيل على محارم الله، وإذا قدَّرنا أن مراد صاحب هذا الوقف وجه الله لأجل من أفتاه بذلك، فقد نهانا رسول الله ﷺ عن البدع في دين الله ولو صحت نية فاعلها، فقال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(١)] وفي لفظ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(٢)] هذا نص الذي قال الله فيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ فمن قَبِلَ ما آتاه الرسول، وانتهى عما نهى، وأطاعه ليهتدي، واتبعه ليكون محبوبًا عند الله، فَلْيُوقِفْ كما أوقف رسول الله ﷺ وكما وَقَفَ عمر رضي الله عنه، وكما وقفت حفصة وغيرهم من الصحابة وأهل العلم.

وأما هذا الوقف المُحْدَث الملعون المغيّر لحدود الله، فهذا الذي قال الله فيه بعدما حَدَّ المواريثَ والحقوقَ للأولاد والزوجات وغيرهم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ وقد علمتم ما قال الرسول فيمن أعتق سِتَّةً من العَبِيدَ وما رَدَّ وأبطَلَ مِن ذلك، فهو شبيه بمَن أوقف ماله كله خالصًا لوجه الله على مسجد أو صُوَّام أو غير ذلك، فكيف بما هو أعظم وأطَمُّ من هذه الأوقاف!

وأما قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ فوالله الذي لا إله إلا الله هو، إنَّ فِعْلَ الخير اتباعُ ما شرَع اللهُ، وتبطيلُ مَن غَيَّر حدودَ الله، والإنكارُ على من ابتدع في دين الله، هذا هو فعل الخير المعلَّق به الفلاح، خصوصًا مع قوله ﷺ: «**وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**»[1] وقوله: «**لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل**»[2] وقوله: «**لعن الله اليهود؛ حُرِّمَت عليهم الشحوم، فجَمَلُوها فباعوها وأكلوا ثمنها**»[3].

فليتأمل اللبيب الخالي عن التعصب والهوى، الذي يعرف أن وراءه جنة ونارًا، الذي يعلم أن الله يطلع على خفيات الضمير - هذه النصوص ويفهمها فهمًا جيدًا، ثم يُنَزِّلُهَا على مسألة وقف الجَنَف والإثم، ثم يتبين له الحق، إن شاء الله. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

هذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله، في الرد على من أجاز الوقف الجنف، وبيان

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٩).

(٢) أخرجه ابن بطة في إبطال الحيل (١/ ٤٧) وحسنه الشيخ الألباني في صفة الفتوى.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٠) ومسلم (١٥٨٢).

الوقف الصحيح الموافق لما فعله أصحاب رسول الله ﷺ.

وأما قول عدو الله ابن سحيم في تشنيعه على الشيخ رحمه الله، إنه أحرق «دلائل الخيرات» لأجل قوله: اللهم صلِّ على سيدنا ومولانا. فهذا من الكذب والزور، وقد أجاب الشيخ رحمه الله، عن هذا في بعض رسائله بقوله:

وأما «دلائل الخيرات»؛ فلذلك سبب، وذلك أني أشرت على مَن قَبِلَ نصيحتي من إخواني ألا يصير في قلبه أَجَلُّ من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن.

وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان؛ فهذا من البهتان.

وأما قوله: وأحرق أيضًا «روض الرياحين» وسماه «روض الشياطين»؛ فهذا من الكذب والزور المبين.

وأما إنكار الشيخ رحمه الله، فيه ما خالف الكتاب والسنة، وأنكره غيره من علماء المسلمين مِن تُرَّهَات الصوفية وشَطَحَاتهم التي تخالف السنة المحمدية، وتَمُجُّهُ الطباع التي سَلِمَت من العصبية، وتَنْفِر عنه الأسماع التي هي عن وقر الباطل خلية، فأين الغارة لله تعالى والغضبية؟ وأين النصرة لسنة نبيه والحمية، عند سماع مثل بعض الحكايات الردية؟ كما ذكر في بيع الجنة وغرفها العَلية، عند الحكاية السادسة والستين والأربعمائة، وفي غيرها، مثل كون الولي يجر على مركب في الهوى من الذهب، مثل قول بعضهم إن البرَّ في يمينه والبحر في شماله، فهذا مقام الربوبية بلا خفاء ولا إشكال، وليس وراءه ضلال، ودعوى بعضهم العروج إلى السماء بالأرواح كل حين، وعلمهم بما سيقع من الغيب في العالمين، وأمثال هذه الحكايات، وأشكال هذه التزاوير والخرافات، الصادرة

ممن لم يكن له إلى منهاج السنة التفات، ولم يبال بما وقع فيه من الهلكات، وما صدر منه على منصب الشرع من الجنايات، وما أتى به من البهتان والزور، مما تضيق عند سماعه القلوب والصدور ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ ولو لم يكن فيه إلا ما ذكره في خاتمة ذلك الكتاب، من ذلك الكلام الذي هو هتك للشريعة من غير ارتياب، وسلوك للغي من كل باب، مثل ما ذكر عن بعضهم من ترك الصلاة وكشف العورات بحضرة الناس، وكون هذا في العذر له وجه التماس، كما جرى لموسى مع الخضر، حسبما في القرآن قد ذُكِر، فقد ذكر كافة العلماء أن من ادعى أنه يَسَعُهُ الخروج عن الشريعة الغراء فقد أتى ضلالًا وكفرًا، وأن تلك الدعوى تُصَيِّرُهُ مرتدًّا، فيقيم عليه أهل الحق حدًّا، حتى يرجع عما خرق به الدين وتَعَدَّى.

وأما قوله: ومن أعظمها أن من لم يوافقه في كل ما قال، ويشهد أن ذلك حق، يقطع بكفره، ومن وافقه وصدقه في كل ما قال قال: أنت مُوَحِّد، ولو كان فاسقًا محضًا أو مَكَّاسًا، وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله.

فمراده بذلك أن من وافق الشيخ على توحيد الله وتبرأ من عبادة الأوثان؛ تاج وشمسان وإدريس وقريوه والمغربي، وتبرأ من الشرك وأهله، سمَّاه مُوَحِّدًا، ومن لم يوافقه على توحيد الله وإخلاص العبادة له بجميع أنواعها، واستمر على عبادة المخلوقين مع الله، وسب دين الله الذي يدعو إليه هذا الشيخ، يقطع بكفره. وهذا الخبيث وأشباهه لا يعرفون الشرك في العبادة، ويظنون أن المشرك إذا جعل الإنسان مخلوقًا مع الله في التدبير والملك والإحياء والإماتة والنفع والضر. وأما كونه يجعل المخلوقين وسائط بينه وبين الله، يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وقَصْدُهُ بذلك التقربُ بهم

إلى الله، وطلب شفاعتهم، فهذا عند هؤلاء المشركين من أعظم القربات، وأفضل الطاعات، ومَن أنكر هذا كَفَّروه وبَدَّعوه وخَرَّجُوه، ونَسَبُوه إلى السفه والضلال، كما فعل إخوانهم من المشركين، حيث حكى الله عنهم أنهم قالوا لنوح عليه السلام، حين أمرهم بالتوحيد وإخلاص الدعوة لله: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وقال قوم هود لهود عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وأما قوله: من وافقه في كل ما قال قال: أنت مُوَحِّد. ولو كان فاسقًا أو مَكَّاسًا.

فمراده بذلك أن من وافقه على إخلاص العبادة والدعوة لله، وتاب وأناب إلى الله مما كان يفعله من الشرك بالله، ودعوة الصالحين وغيرهم من الأحياء والأموات، وعرف معنى قوله «لا إله إلا الله» وأنها نفي وإثبات، فشطرها الأول نفي الإلهية مطلقًا، والثاني إثباتها لله دون ما سواه من أهل السموات والأرض، ومن الأحياء والأموات - سماه مؤمنًا مُوَحِّدًا، ولو كان فاسقًا أو مَكَّاسًا، وهو صادق في ذلك.

وذلك أن الإنسان إذا عرَف التوحيد، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، صدقًا من قلبه، والتزم مضمون هاتين الشهادتين، فهو عند الشيخ رحمه الله، مؤمن مُوَحِّد، ولو كان فاسقًا أو مَكَّاسًا، وكذلك عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة، وذلك أن الإنسان إذا دخل في الإسلام وحُكِمَ بإسلامه، لا يُخْرِجُهُ من الإسلام ما يَفْعَلُهُ من الكبائر، كالسرقة والزنا وشرب المسكر وأخذ الأموال ظلمًا وعدوانًا، وإنما يُخْرِجُهُ من الإسلام إلى الكفر هو الشركُ بالله، وإنكار ما جاء به الرسول من الدين بعد معرفته بذلك وإقامة الحجة

عليه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ فثبت بهذه الآية المُحْكَمَة أن جميع الذنوب، ما خلا الشرك بالله، معلَّقة بالمشيئة؛ قد يغفرها لمن يشاء من عباده، وأن الشرك بالله لا يغفره إلا بالتوبة، ومن مات عليه فهو من أهل النار المخلَّد فيها، ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم، ولا ينفع مع الشرك بالله عملٌ البتة، ولكن هذا الرجل وأشباهه لا يعرفون إلا ظلم الأموال والمعاصي.

وأما ظلم الشرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ وقال فيه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لما سئل: أي الذنب أعظم؟: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»[1][2].

وأما قوله: ومنها: إبطاله الجَعَالة على الحج.

فهذه مسألة فيها اختلاف بين العلماء، والذي يبطله الشيخ رحمه الله، من ذلك ما أبطَلَه غيرُه من علماء المسلمين؛ وهو أنه لا يَحُجُّ إلا لأن يُعْطَى أجرةً أو جُعْلًا على ذلك، فهذا عمله باطل، ولا ثواب له في الآخرة؛ لأنه قصد بعمله الدنيا،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧) ومسلم (٨٦).

(٢) ستأتي رسالة الشيخ محمد إلى أهل الرياض ومنفوحة، وفيها: «.. أما في هذا ما يدل على جهالتهم وضلالتهم، إذا رأوا من يُعلم الشيوخ، وصبيانهم أو البدو، شهادة أن لا إله إلا الله، قالوا: لو قالوا لهم يتركون الحرام; وهذا من أعظم جهلهم، فإنهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال، وأما ظلم الشرك فلا يعرفونه، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾. وأين الظلم الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه، أو مدح الطواغيت، أو جادل عنهم، خرج من الإسلام، ولو كان صائما قائما؟ من الظلم الذي لا يُخرج من الإسلام؟ بل: إما أن يؤدي إلى صاحبه بالقصاص، وإما أن يغفره الله، فبين الموضعين فرق عظيم». وانظرها أيضًا في: «الدرر السنية» (١٠/ ٥٥ - ٥٦).

ومن قصد بعمله الذي يُبْتَغى به وجه اللهِ الدنيا فليس له في الآخرة من نصيب.

وصح في «الشرح الكبير» و«المغني» أنه لا يجوز الاستئجار للحج، قالا: وهو مذهب أبي حنيفة وإسحاق؛ لأنها عبادة يَخْتَصُّ فاعلها أن يكون من أهل القربة، فلم يجز أخذ الأجرة عليها كالصلاة[1].

قال الشيخ تقي الدين، رحمه الله: والمستحب أن يأخذ الحاج من غيره لِيَحُجَّ، لا أن يَحُجَّ ليأخذ، ومثله كرزق أُخِذَ على عمل صالح يفرق بين من قصد الدين، والدنيا وسيلة، والأشبه أن عكسه ليس له في الآخرة من نصيب، والأعمال التي يختص فاعلها أن يكون من أهل القربة، هل يجوز إيقاعها على غير وجه القربة؟ فمن قال: لا يجوز ذلك. لم يُجِزْ الإجارة عليها؛ لأنها بالعِوَضِ تقع غير قربة، وإنما الأعمال بالنيات، والله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أُرِيدَ به وجهه. ومن جوَّز الإجارة جوَّز إيقاعها على غير وجه القربة وقال: تجوز الإجارة عليها؛ لما فيها من نفع المستأجر. انتهى، ذكره عنه في «الاختيارات»[2] فهذه الذي ذكره الشيخ رحمه الله، لمن استفتاه في الجَعَالة على الحج.

وأما قوله: إنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة، فهو صادق في ذلك، وإنما تركه الشيخ رحمه الله، لأنه من البدع المُحْدَثَة، وقد كره جمع من المالكية وغيرهم ذلك، وقالوا إنه من البدع المنكرة، ولم يستحب ذلك أحد من أئمة الدين.

وأما قوله: وأبطل الصلاة على رسول الله ﷺ في يوم الجمعة وليلتها.

فهذا الكلام مع بشاعة لفظه فيه إيهام وإبهام، وتشنيع بظاهره عند العوام، وتنفير لهم عن توحيد الملك العلام؛ فإن الشيخ رحمه الله، لم يَنْهَ عن ذلك ولم

---

(١) المغني (٣/ ٩٣) والشرح الكبير (٦/ ٦٣).

(٢) الاختيارات الفقهية (١/ ٤٩٢).

يُبْطِلُهُ، إلا الفعل الذي يُفْعَل في كثير من البلدان، وقد أبطله جماعة قبله من الأعيان[(١)]، وأنكره جمع من نُقَّاد هذا الشأن، وقالوا: لا يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى ولا يُدَان؛ لأنه بدعة محضة أظهرها في مقام العبادةِ الشيطانُ، وأُشْرِبَ حُبَّهَا مَن هو في الحماقة والتعصب كالولدان، فخير الهدي هدي الرسول، وما ورد عن خلفائه مقبول، وما حدث بعد القرن السابع وكان بعده متواليًا متتابعًا، حتى صيّر واتخذ دينًا ومنهجًا جاء به الشارع، وكان للنفوس إليه أعظم داعٍ ووازع، فلا يسوغ لذوي العقول، من حملة الشرع وممارسي المنقول، أن يسكتوا عنه فلا ينتهروا صاحبه ولا يزجروه، ولا يزيلوه فورًا ويغيروه، ولا يعترضوه وينكروه، فضلًا عن كونهم يرتضون فعله، ويُقِرُّون أربابه وأهله.

وليت من دان الله تعالى به، عرَف دِينَ مَن أَصَّله ووَضَعَه، حتى يعترض على من أنكره ومنعه، فقد ذكر السيوطي في كتاب «الوسائل إلى معرفة الأوائل»[(٢)] أن أول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها، بعد السبعمائة، في زمن الناصر بن قلاوون، ولا شك أن ما كان من الدين إذ ذاك متخذًا مجعول، ومؤسسًا شرعه منحول، ليس مأخوذًا به ولا معمول، أما يخاف مُغْتَرٌّ مِن شؤم ذنبه وسخطه، لمولاه وربه في توسله وتوصله إليه وقربه، بعملٍ لم يشرعه سبحانه

---

(١) قال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ في رسالته التي كتبها عند دخولهم مكة مع الإمام سعود، عام ١٢١٨هـ: «فمن البدع المذمومة التي ننهي عنها: رفع الصوت في مواضع الأذان بغير الأذان، سواء كان آيات، أو صلاة على النبي ﷺ، أو ذكر غير ذلك بعد أذان، أو في ليلة الجمعة، أو رمضان، أو العيدين، فكل ذلك بدعة مذمومة. وقد أبطلنا ما كان مألوفًا بمكة، من التذكير، والترحيم، ونحوه، واعترف علماء المذاهب أنه بدعة». «الدرر السنية» (١ / ٢٣٧).

(٢) ص ٢٦ .

ولم يأذن به؟ فويل لمن يحرف الكلم عن مواضعه، وينتحل في الدين ما ليس واضعه، ويحسن ذلك في مواقعه، ويضلل من قام حسبة لله في تهيئة موانعه؟ ما جوابه إذا قام بين يدي مولاه، فيما أسداه من الدين وأبداه، وزاد على ما جاء به الرسول وأتاه؟ أَظَنَّ أن تأسيس دينه ناقص فكَمَّلَه؟ ومُحَيَّاه قبيح فحَسَّنَه وجَمَّلَه؟ نعوذ بالله مما تقوله الغلاة، ونسأله أن يجنبنا طريق الغواة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وليعلم القارئ لهذا الكتاب، والواقف على هذا الخطاب، أن خلاصة البيان عن ذلك في الجواب، أن الذي أنكره من غير شك ولا ارتياب، هو ما يُفعل في غالب الأمصار، ويُعمل في كثير من الأقطار، لا سيما الحرمين، كما صح بالمشاهدة والأخبار، وذلك أن يصعد ثلاثة أو أكثر على رؤوس المنابر، ويقرأون آيات من القرآن، ويصلون على النبي بأرفع صوت وإعلان، ويأتون بقبيح الألحان، وأصوات تحاكي غناء القِيان، ويمططون آيات الله الكريمة، ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة، وينقلونها من معناها إلى معنى، وكفى بهذا إثمًا ووهنًا، وتغييرًا لما أراد الله بأسمائه وصفاته، لقد خَسِرَ واللهِ مَن ضَلَّ سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعًا.

وأما قوله: ومنها أنه يقول إن الذي يأخذه القضاة، قديمًا وحديثًا، إذا قَضوا بالحق بين الخصمين، ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة، أن ذلك رشوة، وهذا قول يخالف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل، وأن للقاضي أن يقول: لا أحكم بينكم إلا بجُعْلٍ.

فقد تقدم جواب الشيخ، رحمه الله تعالى، عن ذلك في فصل ذكر المسائل، في المسألة السادسة، حين سئل عن ذلك، فأجاب وأجاد، وأصاب في ذلك منهج السداد، فلْيُرَاجَعْ في محله.

وقول هذا الجاهل الغبي: إن الرشوة ما أخذ لإبطال حق.. إلى آخره، وقوله: إن هذا هو نص جميع الأمة، فهذا لا يشك عاقل، فضلًا عن عارف فاضل، أنها دعوى مردودة قبيحة، وحجة واهية فضيحة، لا تصدر ممن له في أدنى العلوم ممارسة، ومذاكرة ومدارسة، فالكتب من المذاهب الأربعة مصرحة، بضد ما اختلقه ووضعه، والخلاف فيها عنهم مُسَطَّر، والنزاع مُحَرَّر فيها ومُقَرَّر، ومحل الخلاف المسطور، والنزاع المقرر المشهور، فيما إذا أخذ مِن كِلَا الخصمين، وكانا في المأخوذ منهما مستويين، لا يزيد منهما أحد على أحد، فيما دَفَع إليه ونَقَد، ولم يكن القضاء متعينًا عليه، وإلا فلا شك في حرمة ما دفع إليه، وأن يكون فقيرًا محتاجًا، وإلا فلا يسلك لذلك فجاجًا، وألا يضر ذلك بالخصوم، وإلا فالاتفاق على كونه رشوة من المعلوم، وأن يأذن له في الأخذ السلطان، وأن يمنعه القضاء عن التكسب في ذلك الزمان، وأن يكون ذلك بقدر الحاجة، كما وضح المجيز لذلك منهاجه، وألا يزيد على أجرة العمل، كما اشترطه من أباحه ونقل، وألا يوجد متطوع بالقضا، وأن يكون لكل من الخصمين بما دَفَع رِضَا؛ إذ لا يحل مال امرئ بغير طيب نفس، وإن لم يكن فلا ريب أنه نجس.

هذه المسألة هي محل النزاع، وما سوى ذلك فهو محرم بالإجماع، وقد سد، ولله الحمد، أصحاب مالك، جميع تلك المناهج والمسالك، ولم يجيزوا للقاضي أخذ شيء أصلًا، ولم يأذنوا أن ينتهج لذلك سبلًا، وعباراتهم في الكتب المحررة الصحيحة، وافية بالمراد صريحة.

ونص «التبصرة» لابن فرحون الإمام، تُبين مناهج الأحكام: ويلزم القاضي أمور، منها أنه لا يقبل الهدية ولو كافأ عليها أضعافها، إلا من خواص القرابة، كالولد والوالد والعمة والخالة وبنت الأخ؛ لأن الهدية تورث إدلال المهدي

وإغضاء المُهْدَى إليه، وفي ذلك ضرر القاضي ودخول الفساد عليه، وقيل إن الهدية تطفئ نور الحكمة.

وقال ربيعة: إياك والهدية؛ فإنها ذريعة الرشوة.

وأجاز أشهب قبولها من غير الخصمين، إذا كان صديقًا، وكافأه عليها، أو كان قريبًا.

وقال سُحْنُون: لا يقبلها إلا من ذي رحم.

ولابن سحنون عن مالك: لا ينبغي لأمير ولا لِعَامِلِ صدقةٍ أن ينزل على أحد من أهل عمله، ولا يقبل له هدية ولا منفعة.

قال ابن حبيب: لم تختلف العلماء في كراهة الهدية للسلطان الأكبر، وإلى القضاة والعمال وجُبَاة المال، وهذا قول مالك ومَن قَبْلَه من أهل العلم والسنة، وكان النبي ﷺ يقبل الهدية، وهذا من خواصه، والنبي ﷺ معصوم مما يُتقى على غيره منها.

ولما ردَّ عمر بن عبد العزيز الهدية، قيل له: كان النبي ﷺ يقبلها! فقال: كانت له هدية، ولنا رشوة.

وقال ﷺ: **«يأتي على الناس زمان يُستحل فيه السُحت بالهدية»**[1].

وقال ابن عبد الغفور: وما أهدي إلى الفقيه، رجاء العون على خصمه، أو في مسألة تُعْرَضُ عنده رجاء قضاء حاجته، على خلاف المعمول به، فلا يحل له قبولها، وهي رشوة يأخذها، وكذلك إذا تنازع عنده خصمان، فأهدَيَا إليه

(١) ذكره الغزالي في الإحياء (٢/ ١٥٦) ولا أصل له، وانظر الأحاديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي أصلا (طبقات الشافعية ٦/ ٣١٤).

جميعًا، أو أحدهما، يرجو كل واحد منهما أن يعينه في حجته، أو عند حاكم إذا كان ممن يَسمَع، فلا يحل له الأخذ منهما ولا من أحدهما.

قال ابن فرحون: وأرزاق الأعوان، الذين يوجههم الإمام في مصالح الناس، ورفع المدعي عليه، وغير ذلك، تكون من بيت المال، كالحكم في أرزاق القضاة، ولا ينبغي للقاضي أن يجعل لهم شيئًا في أموال المسلمين، وإذا كان لهم رزق من بيت المال فلا يجوز لهم أخذ شيء على القضايا التي يُبْعَثُون فيها، كما لا يجوز للقضاة أخذ شيء، فإن لم يُصْرَف لهم شيء من بيت المال دفع القاضي للطالب طابعًا يَرْفَع به الخصم إلى مجلس الحكم، فإن لم يرتفع واضطر إلى الأعوان، فليجعل القاضي لهم شيئًا من رزقه، إذا أمكنه وقوي عليه؛ إذ دفع المطلوب مما يلزمه، فإن عجز عن ذلك فأحسَنُ الوجوه أن يكون الطالب هو المستأجر على النهوض في إحضار المطلوب ودفعه، فيتفق مع العَوِين على ذلك بما يراه، إلا أن يتبين لرد الجواب بالطالب، وأنه امتنع من الحضور بعد أن دعاه، فإن أجرة العَوِين الذي يحضره على المطلوب. انتهى المقصود منه. ونحو هذا عبارة متأخري مذهبهم، مثل خليل وشراحه، فإنها صريحة في ذلك.

فانظر، رحمك الله، إلى كلام هؤلاء الأئمة، وتغليظهم في هذا الأمر هذا التغليظ، وسدهم الباب على القاضي أن يأخذ شيئًا من الخصمين، أو أحدهما، سواء كان له في بيت المال رزق أو لم يكن، وسواء كان غنيًّا أو فقيرًا.

وقد حرم ذلك مطلقًا أيضًا من أصحاب الشافعيِّ: الزركشيُّ صاحب «المنهاج»، كالسبكي، وشريح الروياني.

واشترط الماوردي من أصحاب الشافعي لجواز الأخذ من الخصمين عشرة شروط:

أحدها: أن يكون فقيرًا.

ثانيها: أن يقطعه النظر عن كسبه.

ثالثها: أن يكون أجره على الخصمين معًا بالسوية بينهما؛ لأنه لو أخذه أو الأكثر من أحدهما تطرقت إليه التهمة والريبة.

رابعها: أن يأذن له السلطان في الأخذ، فإن لم يأذن امتنع عليه.

خامسها: ألا يوجد متطوع بالقضاء، فإن وجد امتنع الأخذ؛ لأنه لا ضرورة إليه.

سادسها: أن يعجز الإمام عن القيام برزقه من بيت المال، فمتى أمكن الإمام القيام به من بيت المال لم يجز له أن يأخذ شيئًا منهما.

سابعها: أن يكون ما يأخذه غير مُضِرٍّ بالخصمين، فمتى أضرَّ بهما المأخوذ لم يجز له أن يأخذ شيئًا منهما.

ثامنها: أن يكون المأخوذ بقدر حاجته، أي الناجزة حال الحكومة فيما يظهر. وقال غير الماوردي: ألا يزيد على أجرة عمله. قال بعضهم: والظاهر أن كل منهما شرط. انتهى.

تاسعها: أن يُعْلِمَ الخصمين قبل التحاكم إليه أن من عادته الأخذ من الخصوم، فإن لم يعلما ذلك إلا بعد الحكم لم يجز له أن يأخذ شيئًا منهما ولا من أحدهما شيئًا.

عاشرها: أن يكون قدر المأخوذ معلومًا يتساوى فيه الخصوم، وإن تفاضلوا في المطلب، فإن فاضل بينهم لم يجز، إلا أن يتفاضلوا في الزمان[١].

(١) الحاوي الكبير (١٦/ ٢٩٣ - ٢٩٤).

ثم قال بعد كلام: فمن أراد السلامة لدينه، والخلاص من ورطة هذا الخلاف، وهذه التشديدات العظيمة، فليترك القضاء، أو يتطوع به، والله سبحانه يرزقه من حيث لا يحتسب، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وأما من يتولى القضاء ليتأثّل به الأموال على اختلاف أنواعها، فهو الذي أخبر عنه ﷺ أنه في النار، وبأنه ذُبِحَ بغير سكين، وبغير ذلك من المصائب التي تلحقه في الدنيا والآخرة ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. انتهى ما ذكره الماوردي رحمه الله، نقله ابن حجر في فتاويه[١].

وقال في «الإنصاف» للحنابلة: إذا لم يكن له ما يكفيه ففي جواز أخذه من الخصمين وجهان، وأطلقهما في «الفروع» و«الرعاية الكبرى» و«الحاوي الصغير»: أحدهما يجوز. والثاني لا يجوز. اختاره في «الرعايتين» و«النظم». قلتُ: وهو الصواب أيضًا في باب أدب القاضي: الرشوة ما يعطى بعد طلبه، والهدية الدفع إليه ابتداءً، قاله في «الترغيب» ذكره عنه في «الفروع» في باب حكم الأرضين المغنومة.

قال أحمد رحمه الله، فيمن ولي شيئًا من أمر السلطان: لا أجيز له أن يقبل شيئًا - يرى هدايا الأمراء غلولًا، والحاكم خاصة - لا أجيز له إلا ممن كان له به خلطة ووصلة ومكافأة قبل أن يلي[٢]. انتهى.

وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: مَن شَفَع لرجل ليدفع عنه مظلمة، ويرد عليه حقًّا، فأهدي له هدية، فقبلها، فذاك السحت.

---

(١) الفتاوى الفقهية الكبرى (٤/ ٣٢١).

(٢) مطالب أولي النهى (٦/ ٤٨١).

فقلنا: يا أبا عبد الرحمن، إنا كنا نَعُدُّ السحت الرشوةَ في الحكم! فقال عبد الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١].

وروى أيضًا في تفسيره بإسناده عن مسروق قال: القاضي إذا أكل الهدية فقد أكل السحت، وإذا قبل الرشوة بلغت به الكفر[٢].

وروى أبو حيان في تفسيره أن أبا حنيفة قال: إذا ارتشى الحاكم يُعْزَل[٣].

قال أبو حيان: ومن أعظم السحت الرِّشا في الحكم، وهي المشار إليها في قوله: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ قال الحسن: كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة، جعلها في كمه، فأراه إياها، فتكلم بحاجته، فيسمع منه، ولا ينظر إلى خصمه، فيأكل الرشوة ويسمع الكذب[٤]. انتهى.

وأما قوله: ومنها أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمِّي عليها ويجعلها لله تعالى، ويُدخل مع ذلك دفع شر الجن، ويقول: ذلك كفر، واللحم حرام. والذي ذكره العلماء في ذلك أنه يُنهى عنه فقط. ذكره في «حاشية المنتهى».

والذي ذكره الشيخ رحمه الله، في الذبح للجن، أو غيرهم، أنه كفرٌ يكفر به المسلم إذا ذبحه تعظيمًا له وتقربًا إليه، وإرادة أن يدفع عنه السوء والمكروه الذي جعل به، وقد نصَّ العلماء، رحمهم الله، على أن ذلك كفر ورِدَّة.

قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» في باب تحريم الذبح لغير الله: قوله ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»[٥] أما الذبح لغير الله تعالى فالمراد به أن يذبح باسم

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٣٤).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٣٥).
(٣) البحر المحيط (٣/ ٥٠١).
(٤) البحر المحيط (٣/ ٥٠١).
(٥) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

غير الله تعالى، كمن ذبح للصليب، أو للصنم، أو لموسى أو عيسى، صلى الله عليهما وسلم، أو للكعبة، ونحو ذلك؛ فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًّا أو يهوديًّا، نصَّ عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابُنا، فإن قَصَدَ بذلك تعظيمَ المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفرًا، فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًّا[(١)]. انتهى.

وقد قال الشيخ تقي الدين في «اقتضاء الصراط المستقيم» في الكلام على قوله تعالى ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: ظاهره أن ما ذُبِحَ لغير الله تعالى، سواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه: باسم المسيح. ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه: باسم الله. فإن عبادة الله تعالى له بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، والعبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه لحرم، وإن قال فيه: باسم الله. كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدِّين، لا تباح ذبيحتهم، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن[(٢)]. انتهى كلامه.

فانظر، رحمك الله، كيف صرح هذا الإمام بأن الذبح للجن كفر ورِدَّة عن الإسلام، وأن الذبيحة تَحْرُمُ ولو سمَّى اللهَ عليها؛ لأنها تصير ذبيحة مرتد. وكذلك تصريح الإمام النووي رحمه الله، بأن الذابح إذا قصِد تعظيمَ المذبوح له والعبادةَ له كان ذلك كفرًا، وإن كان مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًّا. ولا

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (٦/ ٤٧٥).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٦٤ - ٦٥).

يخالف في ذلك أحد من أئمة الإسلام، بل كلهم مجمعون على ذلك، وهذا هو الذي يقول الشيخ ﷺ، أنه كفر وردة؛ إذا ذبح للجن تقربًا إليهم، وقَصْدُهُ بذلك أن يُبْرِئَ مريضه من شكواه.

ومن العجب أن ذلك يُفْعَل في بلدان العارض وغيرها، لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله، بل منهم من يفتي الجهال بذلك ويقول: اذبحوا على هذا الصبي، أو هذا المريض، ذبيحة سوداء للجن، ولا تسموا عليها. وقَصْدُهُ بذلك أن الجن يُزِيلُون ذلك المرض إذا ذُبِحَت لهم تلك الذبيحة، فلما أظهر الله هذا الشيخ، ونهى عن ذلك، وبلَّغ الناسَ كلامَ الله وكلامَ رسوله وكلامَ أهل العلم؛ أن ذلك كفر وردة، ينكر ذلك عليه من يزعم أنه من العلماء، فهل يشك أحد من العلماء أن ذلك كفر وشرك وعبادة للجن؟ نعوذ بالله من الطبع على القلب! وأما من ذبح مخلصًا لله في ذلك النية، وقصده بذلك أن يبرئ الله مريضه، فهذا عمل خالص لله، لا ينكره مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، فضلًا عن أن يجعله كفرًا وردة، ولكن هذا الخبيث يفتري الكذب الظاهر على الشيخ ﷺ، عداوة منه لدين الله ورسوله، وحنقًا وحسدًا لهذا الشيخ وأتباعه؛ أن خَصَّهم الله بهذه الفضيلة وهذه النعمة والمنحة الجسيمة، ومراده بذلك إطفاء هذا النور بالكذب والزور والفجور ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

فصل: ومنها رسالة كتبها الشيخ ﷺ، إلى سليمان بن سحيم، صاحب تلك الرسالة التي شنَّع بها على الشيخ، المتقدمة قبل ذلك وجوابها، وكان الشيخ ﷺ، قد راسله وتلطف له قبل ذلك، فلما تبين للشيخ أنه معاند للحق والإيمان، ومن أعوان أهل الشرك والطغيان، كتب له هذه الرسالة، وهذا نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعلم به سليمان بن سحيم أنك أزعجتَ قرطاسةً فيها عجائب، فإن كان

هذا قدر فهمك فهذا من أفسد الأفهام، وإن كنت تلبّس به على الجهال فلا أنت برابح، وقبل الجواب نذكر لك أنك أنت وأباك مصرحون بالكفر والشرك والنفاق، ولكن صائر لكم عند خمامة في معكال قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء، ونداريكم ودنا أن الله يهديكم ويهديهم، وأنت إلى الآن، أنت وأبوك لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، أنا أشهد بهذا، شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة، أنك لا تعرفها إلى الآن ولا أبوك، ونكشف لك هذا كشفًا بينًا لعلك تتوب إلى الله وتدخل في دين الإسلام، إن هداك الله، وإلا تبين لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر حالكما، والصلاة وراءكما، وقبول شهادتكما، وخطؤكما، ووجوب عداوتكما، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وأكشف ذلك بوجوه:

الأول: أنكم تقرون أن الذي يأتيكم من عندنا هو الحق، وأنت تشهد به ليلًا ونهارًا، وإن جَحَدْتَ هذا شَهِدَ عليك الرجال والنساء، ثم مع هذه الشهادة أن هذا دين الله، أنت وأبوك مجتهدان في عداوة هذا الدين ليلًا ونهارًا، ومن أطاعكما، وتَبْهَتُون، وتَرْمُون المؤمنين بالبهتان العظيم، وتصورون على الناس الأكاذيب الكبار، فكيف تشهد أن هذا دين الله ثم تتبين في عداوة من تبعه؟

الوجه الثاني: أنك تقول إني أعرف التوحيد، وتقر أن من جعل الصالحين وسائط فهو كافر، والناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد، وتقرأه لهم، وتحضرهم وهم ينخون، ويَنْدُبون مشايخهم، ويطلبون منهم الغوث والمدد، وتأكل اللُقَم من الطعام المُعَدِّ لذلك، فإذا كنت تعرف أن هذا كفر فكيف تروح لهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم؟

الوجه الثالث: أن تعليقهم التمائم من الشرك بنص رسول الله ﷺ[١] وقد ذكر تعليق التمائم صاحب «الإقناع» في أول الجنائز[٢] وأنت تكتب الحُجُب، وتأخذ عليها شرطًا، حتى أنك كتبت لامرأة حجابًا لعلها تحبل، وشَرَطت لك أحمرين[٣]، وطالبتها تريد الأحمرين، فكيف تقول إني أعرف التوحيد وأنت تفعل هذه الأفاعيل؟ وإن أنكرت فالناس يشهدون عليك بهذا.

الوجه الرابع: أنك تكتب في حجبك طلاسم، وقد ذكر في «الإقناع» أنها من السحر[٤] والسحر يكفر صاحبه، فكيف تفهم التوحيد وأنت تكتب الطلاسم! وإن جحدت فهذا خط يدك موجود.

الوجه الخامس: أن الناس فيما مضى عبدوا الطواغيت عبادة ملأت الأرض بهذا الذي تقر أنه من الشرك، ينخونهم ويندبونهم ويجعلونها وسائط، وأنت وأبوك تقولان: نعرف هذا، لكن ما سألونا؟ فإذا كنتم تعرفونه كيف يحل لكم أن تتركا الناس يكفرون، ما تنصحانهم ولو ما سألوكم؟

الوجه السادس: أنا لما أنكرنا عبادة غير الله بالَغْتُم في عداوة هذا الأمر وإنكاره، وزعمتم أنه مذهب خامس، وأنه باطل، وإن أنكرتما فالناس يشهدون عليكم بذلك، وأنتم مجاهرون به، فكيف تقولون: هذا كفر ولكن ما سألونا عنه؟ فإذا قام من يبين للناس التوحيد قلتم إنه مغيِّر الدين وآتٍ بمذهب خامس؟ فإذا كنتَ تعرف التوحيد وتقر أن كلامي هذا حق؛ فكيف تجعله تغييرًا لدين الله

---

(١) أخرجه الإمام احمد (٤/ ١٥٦) من حديث عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قال: «من علق تميمة فقد أشرك» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٣٩٤).

(٢) الإقناع (١/ ٢١٠).

(٣) نقد يُتعامل به في زمانهم.

(٤) الإقناع (٤/ ٣٠٨).

وتشكونا عند أهل الحرمين؟

والأمور التي تدل على أنك أنت وأباك لا تعرفان شهادة أن لا إله إلا الله لا تُحصر، لكن ذكرنا الأمور التي لا تقدر تنكرها، وليتك تفعل فعل المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾؛ لأنهم يخفون نفاقهم، وأنت وأبوك تظهران للخاص والعام.

وأما الدليل على أنك رجل معاند ضالٌّ، على علم، مختارٌ الكفرَ على الإسلام، فمن وجوه:

الأول: أني كتبتُ ورقة لابن صالح من سنتين فيها تكفير الطواغيت شمسان وأمثاله، وذكرتُ فيها كلام الله ورسوله، وبينتُ الأدلة، فلما جاءتك نَسَخْتَهَا بيدك لموسى بن سليم، ثم سَجَّلْتَ عليها وقلت: ما ينكر هذا إلا أعمى القلب. وقرأها موسى في البلدان، وفي منفوحة، وفي الدرعية، وعندنا، ثم راح بها للقبلة، فإذا كنت من أول موافق لنا على كفرهم، وتقول: ما ينكر هذا إلا من أعمى الله بصيرته. فالعلم الذي جاءك بعد هذا يبين لك أنهم ليسوا بكفار بَيِّنْهُ لنا.

الوجه الثاني: أني أرسلت لك رسالة الشيخ تقي الدين، التي يذكر فيها أن من دعا نبيًّا أو صحابيًّا أو وليًّا، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني وأغثني. أنه كافر بالإجماع، فلما أتتك استحسنتها وشَهِدْتَ أنها حق، وأنت تشهد به الآن، فما الموجب لهذه العداوة؟

الوجه الثالث: أنه إذا أتاك أحد من أهل المعرفة أقررتَ أن هذا دين الله، وأنه الحق، وقلته على رؤوس الأشهاد، وإذا خَلَوْتَ مع شياطينك وقصاصيبك فلك كلام آخر.

الوجه الرابع: أن عبد الرحمن الشنيفي، ومن معه، لما أَتَوْكَ وذاكروك، أقررتَ بحضرة شياطينك أن هذا هو الحق، وشهِدْتَ أن الطواغيت كفار، وتَبَرَّأْتَ من طالب الحمضي وعبد الكريم وموسى بن نوح، فأي شيء بان لك بعد هذا أن هذا باطل وأن الذي تبرأت منهم وعاديتهم أنهم على حق؟

الوجه الخامس: أنك لما خرجت من عند الشيوخ، وأتيت عند الشنيفي، جَحَدْتَ الكلام الذي قلتَ في المجلس، فإن كان الكلام حقًّا فلأي شيء تجحده؟

وأنت وأبوك مُقِرَّان أنكما لا تعرفان كلام الله ورسوله، لكن تقولان: نعرف كلام صاحب «الإقناع» وأمثاله، وأنا أذكر لك كلام صاحب «الإقناع» أنه مُكَفِّرُكَ ومُكَفِّرٌ أباك في غير موضع من كتابه:

الأول: أنه ذكر في أول سطر من أحكام المرتد أن الهازل بالدين يكفر[(١)] وهذا مشهور عنك وعن ابن أحمد بن نوح؛ الاستهزاء بكلام الله ورسوله، وهذا كتابكم كَفَّرَكم.

الثاني: أنه ذكر في أوله أن المُبْغِضَ لما جاء به الرسول كافر بالإجماع، ولو عمل به[(٢)] وأنت مُقِرٌّ أن هذا الذي أقول في التوحيد أمر الله ورسوله، والنساء والرجال يشهدون عليكم أنكم مُبْغِضُون لهذا الدين، مجتهدون في تنفير الناس عنه، والكذب والبهتان على أهله، فهذا كتابكم كَفَّرَكم.

الثالث: أنه ذكر من أنواع الردة إسقاط حرمة القرآن[(٣)] وأنتم كذلك تستهزؤون

---

(١) الإقناع (٤/ ٢٩٧).
(٢) الإقناع (٤/ ٢٩٧).
(٣) الإقناع (٤/ ٢٩٧).

بمن يعمل به، وتزعمون أنهم جهال، وأنكم علماء.

الرابع: أنه ذكر أن من ادَّعى في عليٍّ بن أبي طالب ألوهية أنه كافر، ومن شك في كفره فهو كافر[1] وهذه مسألتك التي جادَلْتَ بها في مجلس الشيوخ، وقد صرح في «الإقناع» أن من شك في كفرهم فهو كافر، فكيف بمن جادل عنهم وادَّعى أنهم مسلمون وجعلنا كفارًا لما أنكرنا عليهم؟

الخامس: أنه ذكر أن السحر يكفر بتعلمه وتعليمه، والطلاسم من جملة السحر.

فهذه ستة مواضع في «الإقناع» في باب واحد، أن من فعلها فقد كفر، وهي دينك ودين أبيك؛ فإما أن تبرؤوا من دينكم هذا، وإلا أجيبوا عن كلام صاحب «الإقناع».

وكلامنا هذا لغيرك الذين عليهم الشرهة مثل الشيوخ، أو من يصلي وراءك كود إن الله يهديهم[2] ويعزلونك أنت وأبوك عن الصلاة بالناس؛ لئلا تُفسد عليهم دينهم، وإلا فأنا أظنك لا تقبل، ولا يزيدك هذا الكلام إلا جهالة وكفرًا.

وأما الكلام الذي لَبَّسْتَ به على الناس، فأنا أبينه، إن شاء الله، كلمة كلمة؛ وذلك أن جملة المسائل التي ذكرتَ أربعًا:

الأولى: النذر لغير الله، تقول إنه حرام، ليس بشرك.

الثانية: أن من جعل بينه وبين الله وسائط كفر، أما الوسائط بأنفسهم فلا يكفرون.

---

(١) الإقناع (٤/ ٢٩٩).

(٢) أي: لعل الله يهديهم.

الثالثة: عبارة العلماء أن المسلم لا يجوز تكفيره بالذنوب.

الرابعة: التذكير ليلة الجمعة لا ينبغي الأمر بتركه.

هذه المسائل التي ذَكَرْتَ.

فأما المسألة الأولى: فدليلك قولهم إن النذر لغير الله حرام بالإجماع، فاستدللت بقولهم «حرام» على أنه ليس بشرك، فإن كان هذا قدر عقلك فكيف تدعي المعرفة! يا ويلك! ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، فهذا يدل على أن الشرك حرام ليس بكفر، يا هذا الجاهل المركب، ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾؟ هل يدل هذا التحريم على أنه لا يكفر صاحبه! يا ويلك! في أي كتاب وجدته إذا قيل لك: هذا حرام. أنه ليس بكفر؟ فقولك إن ظاهر كلامهم أنه ليس بكفر كذب وافتراء على أهل العلم، بل يقال: ذكر أنه حرام، وأما كونه كفر فيحتاج إلى دليل آخر. والدليل عليه أنه صرح في «الإقناع» أن النذر عبادة، ومعلوم أن «لا إله إلا الله» معناها: لا يُعبد إلا الله. فإذا كان النذر عبادة، وجعَلْتَها لغيره، كيف لا يكون شركًا!

وأيضًا: مسألة الوسائط تدل على ذلك، والناس يشهدون أن هؤلاء الناذرين يجعلونهم وسائط، وهم مُقِرُّون بذلك.

وأما استدلالك بقوله: من قال: انذرُوا لي. وأنه إذا رضي وسكت لا يكفر.

فبأي دليل؟ غاية ما يقال إنه سكت عن الأخذ الراضي، وعُلِمَ من دليل آخر، والدليل الآخر أن الرضا بالكفر كفر، صرح به العلماء، وموالاة الكفار كفر، وغير ذلك، هذا إذا قُدِّر أنهم لا يقولونه، فكيف وأنت وغيرك تشهد عليهم أنهم

يقولون، ويبالغون فيه، ويقصُّون على الناس الحكايات التي تُرسخ الشرك في قلوبهم، وتُبغِّض إليهم التوحيد، ويكفِّرُون أهل العارض لما قالوا: لا يُعبد إلا الله.

وأما قولك: ما رأينا للترشح معنى في كلام العلماء.

فمن أنت حتى تعرف كلام العلماء!

وأما الثانية: وهي أن الذي يجعل الوسائط هو الكافر، وأما المجعول فلا يكفر.

فهذا كلام تلبيس وجهالة، ومن قال إن عيسى وعُزَيرًا، أو علي بن أبي طالب وزيد بن الخطاب، وغيرهم من الصالحين، يلحقهم نقص بجعل المشركين إياهم وسائط؟ حاشا وكلّا ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وإنا كفرنا هؤلاء الطواغيت، أهل الخرج وغيرهم، بالأمور التي يفعلونها هم:

منها: أنهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط.

ومنها: أنهم يدعون الناس إلى الكفر.

ومنها: أنهم يُبغِّضُون عند الناس دين محمد ﷺ ويزعمون أن أهل العارض كفروا لما قالوا: لا يُعبد إلا الله.

وغير ذلك من أنواع الكفر، وهذا أمر أوضح من الشمس لا يحتاج إلى تقرير، ولكن أنت رجل جاهل مشرك، مُبْغِضٌ لدين الله، وتُلَبِّس على الجُهَّال الذين يكرهون دين الإسلام ويحبون الشرك ودين آبائهم، وإلا فهؤلاء الجُهَّال لو مرادهم اتباع الحق عرفوا أن كلامك من أفسد ما يكون.

وأما المسألة الثالثة، وهي من أكبر تلبيسك الذي تلبس به على العوام، أن أهل العلم قالوا: لا يجوز تكفير المسلم بالذنب.

وهذا حق، ولكن ليس هذا ما نحن فيه؛ وذلك أن الخوارج يكفِّرُون مَن زنا، أو مَن سرَق، أو سفَكَ الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كَفَر، وأما أهل السنة فمذهبهم أن المسلم لا يكفر إلا بالشرك. ونحن ما كفَّرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك، وأنت رجل من أجهل الناس؛ تظن أن مَن صلَّى وادَّعى أنه مسلم لا يكفُرْ، فإذا كنتَ تعتقد ذلك؛ فما تقول في المنافقين الذين يُصلُّون ويصومون ويجاهدون؟ قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

وما تقول في الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**لئن أدركتُهُم لأَقْتُلَنَّهُم قَتْلَ عادٍ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم**»[1] أتظنهم ليسوا من أهل القبلة!

ما تقول في الذين اعتقدوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مثل اعتقاد كثير من الناس في عبد القادر وغيره، فأضرم لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، نارًا فأحرقهم بها، وأجمعت الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس أنكر تحريقهم بالنار وقال: يُقْتَلُون بالسيف[2]. أتظن هؤلاء ليسوا من أهل القبلة أم أنت تفهم الشرع وأصحاب رسول الله ﷺ لا يفهمونه؟

أرأيت أصحاب رسول الله ﷺ لما قاتلوا مَن مَنَع الزكاة، فلما أرادوا التوبة قال أبو بكر: لا نقبل توبتكم حتى تشهدوا أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار[3]. أتظن أن أبا بكر وأصحابه لا يفهمون وأنت وأبوك الذين تفهمون؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخرج البخاري (٦٥٢٤) عن عكرمة قال: أتى علي بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقتلتهم لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**من بدل دينه فاقتلوه**».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٦٩٨) وعبد الرزاق (٦/ ٤٣٧) من حديث عاصم بن ضمرة قال: ارتد علقمة بن علاثة عن دينه بعد النبي ﷺ فقاتله المسلمون. =

يا ويلك، أيها الجاهل المركب، إذا كنت تعتقد هذا؛ أن مَن أَمَّ القبلةَ لا يكفر، فما معنى هذه المسائل العظيمة الكثيرة التي ذكرها العلماء في باب حكم المرتد، التي كثير منها في أناس أهل زهد وعبادة عظيمة، ومنها طوائف ذكر العلماء أن مَن شك في كفرهم فهو كافر؟ ولو كان الأمر على زعمك بطَل كلام العلماء في حكم المرتد، إلا مسألة واحدة، وهي: الذي يصرِّح بتكذيب الرسول وينتقل يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا ونحوهم، هذا هو الكفر عندك! يا ويلك، ما تصنع بقوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تَعْبُدَ فِئَام من أمتي الأوثانَ**»[(١)]، وكيف تقول هذا وأنت تُقِرُّ أن من جعل الوسائط كفر! فإذا كان أهل العلم في زمانهم حكموا على كثير من أهل زمانهم بالكفر والشرك، أتظن أنكم صلحتم بعدهم؟ يا ويلك!

وأما مسألة التذكير، فكلامك فيها من أعجب العجاب، أنت تقول: بدعة حسنة. والنبي ﷺ يقول: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[(٢)]، ولم يَستثن شيئًا، تشير علينا نصدِّقُك أنت وأبوك لأنكم علماء ونكذِّب رسول الله!

والعجب مِن نَقْلِكَ الإجماع، فتجمع مع الجهالةِ المركبةِ الكذبَ الصريحَ والبهتانَ، فإذا كان في «الإقناع» في باب الأذان، قد ذكر كراهيته في مواضع

= قال: فأبى أن يجنح للسلم، فقال أبو بكر: لا يقبل منك إلا سلم مخزية أو حرب مجلية. قال: فقال: وما سلم مخزية؟ قال: تشهدون على قتلانا أنهم في الجنة وأن قتلاكم في النار، وتَدُون قتلانا ولا نَدِي قتلاكم. فاختاروا سلما مخزية.

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢) والترمذي (٢٢١٩) وابن ماجه (٣٩٥٢) من حديث ثوبان، ولفظه: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٧٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) والإمام أحمد (٤/ ١٢٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٩).

متعددة[١] أتظن أنك أعلم من صاحب «الإقناع» أم تظنه مخالفًا للإجماع! وأيضًا لما جاءك عبد الرحمن الشنيفي أقْرَرْتَ لهم أن التذكير بدعة مكروهة، فمتى هذا العلم جاءك!

وأما قولك: أمر الله بالصلاة على نبيه على الإطلاق.

فأيضًا: أمر الله بالسجود على الإطلاق في قوله: ﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾، فيدل هذا على السجود للأصنام أو يدل على الصلاة في أوقات النهي!

فإن قلتَ: ذاك قد نهى عنه النبي ﷺ.

قلنا: وكذلك نهى النبي ﷺ عن البدع، وذكر أن كل بدعة ضلالة.

ومعلوم أن هذا حادث من زمن طويل، وأنكره أهل العلم، منهم صاحب «الإقناع» وقد ذكر السيوطي في كتاب «الأوائل» أن أول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها، بعد السبعمائة، في زمن الناصر بن قلاوون، فأَرِنَا كلام واحد من العلماء رخَّص فيه وجعله بدعة حسنة، فليس عندك إلا الجهل المركب والبهتان والكذب.

وأما استدلالك بالأحاديث التي فيها إجماع الأمة والسواد الأعظم، وقول: «**من شذ شذ في النار**»[٢] و«**يد الله على الجماعة**»[٣]، وأمثال هذا، فهذا أيضًا

---

(١) الإقناع (١/ ٧٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٦٧) من حديث عبد الله بن عمر، والحاكم (١/ ٢٠٢) من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**لا يجمع الله أمر أمتي على ضلالة أبدا، اتبعوا السواد الأعظم، يد الله على الجماعة، من شذ شذ في النار**» وضعفه الشيخ الألباني (ظلال الجنة ٨٠).

(٣) أخرجه النسائي (٤٠٢٠) من حديث عرفجة بن شريح الأشجعي أن النبي ﷺ قال: «**ستكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يفرق بين أمة** =

من أعظم ما تُلَبِّسُ به على الجُهَّال، وليس هذا معنى الأحاديث بإجماع أهل العلم كلهم، فإن النبي ﷺ أخبر أن الإسلام سيعود غريبًا، فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس! وكذلك الأحاديث الكثيرة، منها قوله: «**يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه**»[(١)] وأحاديث عظيمة كثيرة يبيّن ﷺ أن الباطل يصير أكثر من الحق، وأن الدين يصير غريبًا، ولو لم يكن في ذلك إلا قوله ﷺ: «**ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**»[(٢)] هل بعد هذا البيان بيان!

يا ويلك! كيف تأمر بعد هذا باتباع أكثر الناس؟ ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز، الذي يُنْكِرُ البعث منهم أكثر ممن يُقِرُّ به، وأن الذي يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه، والذي يضيع الصلاة أكثر من الذي يحافظ عليها، والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها[(٣)]؟ فإن كان الصواب عندك اتباعَ هؤلاء فَبَيِّنْ لنا، وإن كان عنزة وآل ظفير وأشباههم من البوادي هو السواد الأعظم، ولَقِيتَ في علمك وعلم أبيك أن اتِّبَاعَهم حَسَنٌ فاذكروا لنا.

ونحن نذكر كلام أهل العلم في معنى تلك الأحاديث ليتبين للجُهَّال الذين مَوَّهْتَ عليهم.

= محمد، وأمرهم جميع، فاقتلوه كائنًا من كان، فإن يد الله على الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض» وصححه الشيخ الألباني (صحيح النسائي).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣١١) وضعفه الشيخ الألباني (الضعيفة ١٩٣٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) والإمام أحمد (٣/ ١٢٠) من حديث أنس، وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٠٤٢) والإمام أحمد (٤/ ١٠٢) وأخرجه أبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية.

(٣) هذا في زمن الشيخ رحمه الله. أما الآن فقد انتشر الخير - ولله الحمد، ونسأله المزيد من فضله -.

قال ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين»:

واعلم أن الإجماعَ والحُجَّةَ والسوادَ الأعظَمَ هو العالِمُ صاحبُ الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض.

وقال عمرو بن ميمون: سمعت ابن مسعود يقول: عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة. وسمعته يقول: سَيَلِي عليكم ولاةٌ يؤخرون الصلاة عن وقتها، فَصَلِّ الصلاة وحدك، وهي الفريضة، ثم صل معهم، فإنها لك نافلة. قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري ما تُحَدِّثُون! قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة ثم تقول: صَلِّ الصلاة وحدك! قال: يا عمرو بن ميمون، لقد كنت أظنك مِن أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحقَّ وإن كنت وحدك[(١)].

وقال نُعيم بن حماد: إذا فَسَدَت الجماعة، فعليك بما كان عليه الجماعة قبل أن تَفْسَدَ الجماعة، وإن كنتَ وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ[(٢)].

وقال بعض الأئمة، وقد ذُكِرَ له السواد الأعظم: أتدري ما السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه[(٣)].

فمسخ المختلفون الذين جعلوا السوادَ الأعظَمَ والحجةَ هم الجمهور، فجعلوهم عيارًا على السنة، وجعلوا السنة بدعة، وجعلوا المعروف منكرًا؛ لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: «من شذ شذ في النار» وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق، وإن كان عليه الناس كلهم، إلا واحدًا، فهم الشاذُّون، وقد شذ الناس كلهم في زمن أحمد بن حنبل، إلا نفرًا يسيرًا،

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦/ ٤٠٩).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦/ ٤٠٩).

(٣) قاله إسحاق بن راهويه، أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٣٨).

فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة يومئذ والمفتون والخليفة وأتباعُهُم كلهم هم الشاذُّون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم يتحمل ذلك عقولُ الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين، أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل، وأحمد وحده على الحق! فلم يتسع علمه لذلك، فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل، فلا إله إلا الله! ما أشبه الليلة بالبارحة(١). انتهى كلام ابن القيم.

ياسلامة ولد أم سلامة، هذا كلام الصحابة، في تفسير السواد الأعظم، وكلام التابعين وكلام السلف وكلام المتأخرين، حتى ابن مسعود ذكر في زمانه أن أكثر الناس فارقوا الجماعة، وأبلغ من هذه الأحاديثُ المذكورة عن رسول الله ﷺ من غربة الإسلام، وتفرُّقِ هذه الأمة أكثر من سبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. فإن كنت وَجَدْتَ في علمك وعلم أبيك ما يَرُدُّ على رسول الله ﷺ والعلماء، وأن عنزة وآل ظفير والبوادي يجب علينا اتباعُهُم فأخبرونا. وكتبه محمد بن عبد الوهاب. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ومنها: رسالة أرسلها إلى أهل الرياض ومنفوحة، وهو إذ ذاك مقيم في بلد العُيَيْنَة، وكتب إلى عبد الله بن عيسى(٢) قاضي الدِّرْعِيَّة يسجل تحتها بما رآه من الكلام، ليكون ذلك سببًا لقبول الجُهَّال والطَّغَام(٣)، وهذا نص الرسالة:

---

(١) إعلام الموقعين (٣/ ٣٩٧ - ٣٩٨).

(٢) انظر ترجمته وابنه عبدالوهاب في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٥/ ٣٣٩ - ٣٤٠)، ومقال الأستاذ إبراهيم بن عيسى العيسي في جريدة الجزيرة (٢٦/ ٨/ ١٤٢١هـ)، وأفاد أن وفاته عام ١١٦٤هـ.

(٣) وهذا من حكمة الشيخ رحمه الله، لاسيما وقد قال في رسالته: «وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد، لا علماء العارض ولا غيره، أَجَلَّ منه، وهذا كلامه واصلٌ إليكم».

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وذلك أن الله أرسل محمدًا ﷺ ليبين للناس الحق من الباطل، فبيّن ﷺ للناس جميع ما يحتاجون إليه في أمر دينهم بيانًا تامًّا، وما مات ﷺ حتى ترَكَ الناسَ على المَحَجَّة البيضاء، ليلُها كنهارها.

فإذا عَرَفْتَ ذلك، فهؤلاء الشياطين مِن مَرَدَة الإنس، الذين يُحَاجُّون في الله من بعد ما استُجِيب له، إذا رأوا مَن يُعَلِّم الناس ما أمرَهم به محمدٌ ﷺ من شهادة أن لا إله إلا الله، وما نهاهم عنه؛ مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين وغيرهم - قاموا يجادلون ويُلَبِّسُون على الناس، ويقولون: كيف تكفِّرُون المسلمين؟ كيف تسبُّون الأموات آل فلان، أهل ضيف آل فلان، أهل كذا وكذا؟ ومرادهم بهذا لئلا يَتَبيَّنَ معنى «لا إله إلا الله» ويَتَبَيَّنَ أن الاعتقاد في الصالحين النَّفْعَ والضُّرَّ ودعاءَهُم كُفْرٌ يَنْقُل عن الملة، فيقولون الناس لهم: إنكم قبل ذلك جُهَّال، لأي شيء لم تأمرونا بهذا؟

وأنا أخبركم عن نفسي، والله الذي لا إله إلا هو، لقد طلبتُ العلم، واعتقَدَ مَن عرَفَني أن لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى «لا إله إلا الله» ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي منّ الله به، وكذلك مشايخي، ما منهم رجل عرَف ذلك، فمَن زعم مِن علماء العارض أنه عرف معنى «لا إله إلا الله» أو عرَف معنى الإسلام قبل هذا الوقت، أو زعم مِن مشايخه أن أحدًا عرَف ذلك فقد كذَب وافترَى، ولَبَّس على الناس، ومدَح نفسه بما ليس فيه.

وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد، لا علماء العارض ولا غيره، أَجَلَّ منه، وهذا كلامه واصلٌ إليكم، إن شاء الله، فاتقوا الله عباد الله، ولا تكبَّرُوا على ربكم ولا نبيكم، واحمَدُوه سبحانه الذي مَنَّ عليكم، ويَسَّرَ لكم من يعرِّفُكم بدين نبيكم ﷺ ولا تكونوا من ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾.

إذا عرفتم ذلك، فاعلموا أن قول الرجل «لا إله إلا الله» نفي وإثبات، إثبات الألوهية كلها لله وحده، ونَفْيُها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم، وليس معنى الألوهية أنه لا يَخْلُق ولا يَرْزُق ولا يُدَبِّر ولا يحيي ولا يميت إلا الله، فإن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يُقِرُّون بهذا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فتفكروا عبادَ الله فيما ذكَر الله عن الكفار أنهم مُقِرُّون بهذا كله لله وحده لا شريك له، وإنما كان شِرْكُهم أنهم يَدْعُون الأنبياء والصالحين، ويَنْدُبُونهم، ويَنْذِرُون لهم، ويتوكلون عليهم، يريدون منهم أنهم يقربونهم إلى الله، كما ذكر الله عنهم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾.

إذا عرفتم ذلك؛ فهؤلاء الطواغيت الذين يَعتقد الناس فيهم، من أهل الخرج وغيرهم، مشهورون عند الخاص والعام بذلك، وأنهم يترشحون[1] له ويأمرون به الناس، كلهم كفار مرتدُّون عن الإسلام، ومَن جادَل عنهم، أو أنكر على مَن كفَّرهم، أو زعَم أن فِعْلَهم هذا لو كان باطلًا فلا يُخرِجُهم إلى الكفر، فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق، لا يُقْبَلُ خَطُّه ولا شهادته، ولا يُصَلَّى خلفه، بل

(١) ترشح للشيء: التزم أو اقتنع به، ودافع عنه بكلامه.

لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾.

ومصداق هذا أنكم إذا رأيتم مَن يخالف هذا الكلام وينكره، فلا يخلو إما أن يَدَّعِيَ أنه عارف، فقولوا له: هذا الأمر العظيم لا يُغْفَلُ عنه، فَبَيِّنْ لنا ما يُصدِّقُك من كلام العلماء إذا لم تعرف كلام الله ورسوله. فإن زعم أن عنده دليلًا، فقولوا له يكتبه حتى نعرضه على أهل المعرفة، وتُبين لنا أنك على الصواب ونتبعك، فإن نبينا ﷺ قد بيّن لنا الحق من الباطل. وإن كان المجادل يُقِرُّ بالجهل ولا يَدَّعِي المعرفة، فيا عباد الله، كيف تَرْضَوْنَ بالأفعال والأقوال التي تُغْضِبُ اللهَ ورسولَه وتُخْرِجُكُم عن الإسلام اتِّبَاعًا لرجل يقول: إني عارف. فإذا طالبتموه بالدليل عرفتم أنه لا علم عنده، أو اتِّبَاعًا لرجل جاهل، وتُعْرِضُون عن طاعة ربكم، وما بَيَّنَه نبيُّكُم ﷺ وأهلُ العلم بعده، واذكروا ما قصّ الله عليكم في كتابه لعلكم تعتبرون، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ وهؤلاء أهلَكَهُم الله بالصيحة، وأنتم الآن إذا جاءكم مَن يُخْبِرُكُم بأمر رسول الله ﷺ إذا أنكم فريقان تختصمون، أفلا تخافون أن يصيبكم من العذاب ما أصابهم؟

والحاصل أن مسائل التوحيد ليست من المسائل التي هي مِن فن المطاوعة خاصة، بل البحث عنها وتعلُّمُها فرض لازم على العالم والجاهل، والمُحْرِمِ والمُحلِّ، والذكر والأنثى، وأنا لا أقول لكم: أطيعوني، ولكن الذي أقول لكم: إذا عرفتم أن الله أنعم عليكم وتفضل عليكم بمحمد ﷺ والعلماء بعده، فلا ينبغي لكم معاندة محمد ﷺ وقول: تكفِّرُون المسلمين؟ كيف تفعلون كذا؟ كيف تفعلون كذا؟ فإنّا لم نكفِّر المسلمين، بل ما كفَّرْنا إلا المشركين.

وكذلك أيضًا من أعظم الناس ضلالًا متصوفةٌ في معكال وغيره، مثل ولد

موسى بن جوعان وسلامة بن مانع وغيرهما، يتَّبِعُون مذهب ابن عربي[١] وابن الفارض[٢]، وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفرًا من اليهود والنصارى، فكل من لم يدخل في دين محمد ﷺ ويتبرأ من دين الاتحادية فهو كافر بريء من الإسلام، ولا تصح الصلاة خلفه، ولا تُقبل شهادته.

والعَجَبُ العَجَبُ أن الذي يَدَّعِي المعرفة يزعُمُ أنه لا يعرف كلام الله، ولا كلام رسوله، بل يَدَّعِي أني أعرف كلام المتأخرين مثل «الإقناع» وغيره، وصاحب «الإقناع» قد ذكر أن مَن شَكَّ في كُفْرِ هؤلاء السادة والمشايخ فهو كافر! سبحان الله، كيف يفعلون أشياءَ في كتابهم أن مَن فعَلَها كفَر، ومع هذا يقولون: نحن أهل المعرفة وأهل الصواب، وغيرنا صبيان جُهَّال؟ والصبيان

(١) الصوفي الشهير (ت ٦٣٨هـ)، يُنظر لبيان حاله: «الفتاوى»؛ لشيخ الإسلام (المجلد الثاني)، و«الإلحادية: عقيدة ابن عربي الاتحادية»؛ للأستاذ مصطفى سلامة، و«كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق» للشيخ عبدالقادر السندي، و«العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين»؛ للفاسي؛ حيث ترجم لابن عربي وذكر فتاوى العلماء فيه. وقد طبعت الترجمة مفردة بتحقيق الشيخ علي الحلبي، و«رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي» جمع وتحقيق الشيخ موسى الدويش.

(٢) الصوفي الشهير (ت ٦٣٢هـ)، قال ابن كثير رحمه الله: «ابن الفارض، ناظم التائية في السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد، هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في ميزانه وحط عليه». (البداية والنهاية: ١٣-١٤٣). قال الذهبي عن قصيدته التائية: «فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى وأعذنا من الهوى فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله». (سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٣٦٨).

يقولون: أَظْهِرُوا لنا كتابكم. ويأْبَوْنَ عن إظهاره، أمَا في هذا ما يدل على جهالتهم وضلالتهم؟

وكذلك أيضًا مِن جَهَالة هؤلاء وضَلَالتهم، إذا رأوا مَن يعلِّم الشيوخَ وصبيانَهُم، أو البدو، شهادة «لا إله إلا الله» قالوا: قولوا لهم يتركون الحرام. وهذا من عظيم جهلهم، فإنهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال، وأما ظلم الشرك فلا يعرفون، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وأين الظلم الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه، أو مدَح الطواغيت، أو جادَل عنهم خرَج من الإسلام، ولو كان صائمًا قائمًا، مِن الظلم الذي لا يُخرج من الإسلام، بل إما أن يؤدي إلى صاحبه بالقصاص، وإما أن يغفره الله؟ فبَيْنَ الموضعين فرق عظيم.

وبالجملة، رحمكم الله، إذا عرفتم ما تقدم أن نبيكم ﷺ قد بيّن الدين كله، فاعلموا أن هؤلاء الشياطين قد أحلوا كثيرًا من الحرام في الربا والبيع وغير ذلك، وحرموا عليكم كثيرًا من الحلال، وضيقوا ما وسعه الله، فإذا رأيتم الاختلاف فاسألوا عما أمر الله به ورسوله، ولا تطيعوني ولا غيري. وسلام عليكم ورحمة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ومنَّ علينا باتباع محمدٍ عليه أفضل الصلاة والسلام، وبعد:

فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى، عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن:

إن أول واجب على كل ذكر وأنثى معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي أرسل الله بها جميع رسله، وأنزل لأجلها جميع كتبه، وجعلها أعظم حقه على عباده، كما ذكر الله لنا في كتابه، وعلى لسان رسوله، في

مواضع لا تحصى، منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ وقال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ الآية. وقد أمر الله عباده بالاستجابة لهذه الكلمة، فقال: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ وتوعَّد سبحانه أفضلَ الخلق وأكرمَهم، سيِّدَ وَلَدِ آدم والنبيين قبْلَهُ على مخالفتها، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فكيف بغيرهم من سائر الخلق؟ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

فمَن نصح نفسَه وأهلَه وعيالَه، وأراد النجاة من النار، فليعرف شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها العروة الوثقى، وكلمة التقوى، لا يقبل الله مِن أحد عملًا إلا بها، لا صلاةً ولا صومًا ولا حجًا ولا صدقةً ولا جميع الأعمال الصالحة إلا بمعرفتها والعمل بها، هي كلمة التوحيد، وحق الله على العبيد، فمَن أشرَكَ مخلوقًا فيها؛ مِن مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، أو نبيٍّ مُرْسَلٍ، أو وَليٍّ، أو صحابيٍّ وغيره، أو صاحِبِ قبر، أو جنيٍّ، أو غيره، أو استغاث به، أو استعانه فيما لا يُطْلَبُ إلا من الله، أو نذر له، أو ذبح له، أو توكَّلَ عليه، أو رجاه، أو دعاه دعاء استغاثة أو استعانة، أو جعَله واسطة بينه وبين الله لقضاء حاجته لِجَلْبِ نَفْعٍ أو كَشْفِ ضُرٍّ - فقد كفر كُفْرَ عُبَّاد الأصنام القائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ القائلين: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ كما ذكر الله عنهم في كتابه، وهم مخلَّدُون في النار، وإن صاموا وصلَّوا وعملوا بطاعة الله الليلَ والنهارَ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية، وغيرها من الآيات.

وكذلك مَن تَرَشَّحَ بشيء من ذلك، أو أحب مَن تَرَشَّحَ له[(١)]، أو ذَبَّ عنه، أو جادَل عنه؛ فقد أشرَكَ شركًا لا يُغْفَرُ، ولا تُقْبَلُ ولا تَصِحُّ منه الأعمال الصالحة؛ الصوم والحج وغيرها، فإن الله لا يغفر أن يُشْرَكَ به، ولا يَقْبَلُ عمل المشركين، وقد نهى الله نبيَّه وعبادَه عن المجادلة عمَّن فعَل ما دون الشرك من الذنوب بقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ الآية، فكيف بمن جادل عن المشركين، وصد عن دين رب العالمين؟

فاللهَ اللهَ عبادَ الله، لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله، وتلطَّخ بالشرك وهو لا يشعر، فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم، فلله الحمد على ما علمنا من دينه. ولا يَهُولَنَّكُم اليوم أن هذا غريب؛ فإن نبيكم ﷺ قال: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**» واعتبروا بدعاء أبينا إبراهيم عليه السلام، بقوله في دعائه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ ولولا ضيق هذه الكراسة، وأن الشيخ محمدًا أجاد وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها لأطللنا الكلام.

وأما الاتحادي ابن عربي صاحب «الفصوص» المخالف للنصوص، وابن الفارض الذي لدين الله محارب، وبالباطل للحق معارض، فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلًا، وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين، المخالفين لشريعة سيد المرسلين؛ فإن ابن عربي وابن الفارض ينتحلان نحلًا تكفِّرُهما، وقد كفَّرَهم كثير من العلماء العاملين، فهؤلاء يقولون كلامًا أخشى المَقْتَ مِن الله في ذِكْرِه، فضلًا عمن انتحله، فإن لم يتبْ إلى الله مَن انتحل مذهبهما وجب هَجْرُهُ، وعَزْلُهُ عن الولاية إن كان ذا ولاية؛ من إمامة

(١) ترشح للشيء: التزم أو اقتنع به، ودافع عنه بكلامه.

أو غيرها، فإن صلاته غير صحيحة، لا لنفسه ولا لغيره. فإن قال جاهل: أرى عبد الله تَوّه يتكلم في هذا الأمر![١] فيعلم أنه إنما تبين لي الآن وجوب الجهاد في ذلك، عليّ وعلى غيري، لقوله تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ إلى أن قال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ومنها: الرسالة التي أرسلها إلى بعض البلدان قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

اعلموا رحمكم الله أن الله بعث محمدًا ﷺ إلى الناس بشيرًا ونذيرًا، مبشّرًا لمن اتبعه بالجنة، ومُنْذِرًا لمن لا يتبعه عن النار، وقد علمتم إقرار كل مَن له معرفةٌ أن التوحيد الذي بَيّنّا للناس هو الذي أرسل الله به رسله، حتى كل مطوع معاند يشهد بذلك، وأن الذي عليه غالب الناس من الاعتقادات في الصالحين وفي غيرهم هو الشرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾.

فإذا تحققتم هذا، وعرفتم أنهم يقولون: لو يتركون أهل العارض التكفير والقتال كانوا على دين الله ورسوله. ونحن ما جئناكم في التكفير والقتال، لكن ننصحكم بهذا الذي قطعتم أنه دين الله ورسوله، إن كنتم تعلمونه وتعملون به، إن كنتم من أمة محمد باطنًا وظاهرًا، وأنا أبين لكم هذه بمسألة القبلة.

---

(١) أي: لماذا تأخر إلى هذا الوقت؟ والشيخ عبدالله بن عيسى يعتذر لنفسه عن تأخره في نُصرة الشيخ. ومع هذا التعليق التأييدي منه إلا أن ابنه صرفه عن مناصرة الدعوة - كما سيأتي إن شاء الله -.

إن النبي ﷺ وأمته يُصلُّون، والنصارى يُصلُّون، لكن قبلته ﷺ وأمته بيت الله، وقبلة النصارى مطلع الشمس، فالكل منا يصلي، ولكن اختلفنا في القبلة، ولو أن رجلًا من أمة محمد ﷺ يُقر بهذا، ولكن يكره من يستقبل القبلة ويُحب من يستقبل الشمس، أتظنون أن هذا مسلم؟ وهذا ما نحن فيه، فالنبي ﷺ بعثه الله بالتوحيد، وألاَّ يُدْعَى مع الله أحدٌ، لا نبي ولا غيره، والنصارى يدعون عيسى رسول الله، ويدعون الصالحين، يقولون: ليشفعوا لنا عند الله. فإذا كان كل مطوع مُقِرًّا بالتوحيد، فاجعلوا التوحيد مثل القبلة، واجعلوا الشرك مثل استقبال المشرق، مع أن هذا أعظم من القبلة، وأنا أنصحكم لله وأنخاكم، لا تضيعوا حظكم من الله، وتحبوا دين النصارى على دين نبيكم، فما ظنكم بمن واجه الله وهو يعلم مِن قلبه أنه عرف أن التوحيد دينه ودين رسوله، وهو يُبْغِضُهُ ويُبغضُ مَن اتَّبعه، ويعرف أن دعوة غيره هو الشرك، ويحبه ويحب من اتبعه، أتظنون أن الله يغفر لهذا؟ والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة، وأما القلب الخالي من ذلك فلا، والسلام.

ومنها: رسالة أرسلها إلى فاضل آل مزيد، رئيس بادية الشام، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد، زاده الله من الإيمان، وأعاذه من نزغات الشيطان، أما بعد:

فالسبب في المكاتبة أن راشد بن عربان ذكر لنا عنك كلامًا حسنًا أسر الخاطر، وذكر عنك أنك طالبٌ مني المكاتبة؛ بسبب ما يجيئك من كلام العدوان من الكذب والبهتان، وهذا هو الواجب من مثلك، أنه لا يقبل كلامًا إلا إذا تحققه، وأنا أذكر لك أمرين قبل أن أذكر لك صفة الدين:

الأمر الأول: أني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به

النبي ﷺ أمته، وأقول لهم: الكتب عندكم، انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامي شيئًا، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ الذي في كتبكم فاتبعوه، ولو خالفه أكثر الناس.

والأمر الثاني: أن هذا الأمر الذي أنكروا عليَّ، وأبغضوني وعادَوْني من أجله، إذا سألوا عنه كلَّ عالم في الشام واليمن أو غيرهم يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أُظْهِرهُ في مكاني لأجل أن الدولة ما يَرْضَوْنَ، وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه. هذا كلام العلماء، وأظنه وصلك كلامهم.

فأنت تَفَكَّرْ في الأمر الأول، وهو قولي: لا تطيعوني، ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله ﷺ الذي في كتبكم. وتَفَكَّرْ في الأمر الثاني أن كل عاقل مُقِرٌّ به، لكن ما يقدر يظهره، فقَدِّمْ لنفسك ما ينجيك عند الله، واعلم أن ما ينجيك إلا اتباع رسول الله ﷺ والدنيا زائلة، والجنة والنار ما ينبغي للعاقل أن ينساهن.

وصورة الأمر الصحيح أني أقول: ما يُدْعَى إلا الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى في كتابه: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال في حق النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ فهذا كلام الله، والذي ذكره لنا رسول الله ووصانا به، ونهى الناس لا يدعونه، فلما ذكرت لهم أن هذه المقامات التي في الشام والحرمين وغيرهم أنها على خلاف أمر الله ورسوله، وأن دعوة الصالحين والتعلق عليهم هو الشرك بالله، الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ فلما أظهرت هذا أنكروه وكبر عليهم وقالوا: أجعلتنا مشركين! وهذا ليس إشراكًا.

هذا كلامهم، وهذا كلامي أُسْنِدُهُ عن الله ورسوله، وهذا هو الذي بيني وبينكم، فإن ذُكِرَ شيء غير هذا فهو كذب وبهتان، والذي يصدِّق كلامي هذا أن

العالِمَ ما يقدر يُظهره، حتى من علماء الشام من يقول: هذا هو الحق، ولكن لا يُظهره إلا من يحارب الدولة! وأنت ولله الحمد ما تخاف إلا الله. نسأل الله أن يهدينا وإياكم إلى دين الله ورسوله. والله أعلم.

ومنها: رسالة أرسلها إلى ابن السويدي[1]، عالم من أهل العراق، وكان قد أرسل له كتابًا وسأله عما يقول الناس فيه، فأجابه بهذه الرسالة، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن بن عبد الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فوصل كتابك، وسَرَّ الخاطرَ، جَعَلَكَ الله من أئمة المتقين، ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين، وأُخْبِرُكَ أني ولله الحمد مُتَّبِع ولست بمبتدع؛ عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة، لكني بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات، من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يُعْبَدُ الله به؛ من الذبح والنذر والتوكل والسجود، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يُشْرَكُ فيه مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسل، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة.

وبينت لهم أن أول من أدخل الشرك في هذه الأمة هم الرافضة الملعونة، الذين يدعون عليًّا وغيره، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وأنا صاحب منصب في قريتي، مسموع الكلمة، فأنكَرَ هذا بعض الرؤساء؛ لأنه خالف عادة نشأوا عليها.

---

(١) عبدالرحمن السويدي، المتوفى عام ١٢٠٠هـ. انظر ترجمته في «المسك الأذفر»؛ للألوسي (ص١٣١ - ١٣٥).

وأيضًا أَلْزَمْتُ مَن تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر، وأنواع من المنكرات، فلم يمكن الرؤساءَ القدحُ في هذا وعَيبه؛ لكونه مستحسنًا عند العوام، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمُرُ به من التوحيد وأنهى عنه من الشرك، ولَبَّسُوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس، وكبرت الفتنة جدًّا، وأجلَبُوا علينا بخَيْل الشيطان ورَجِلِه، منها إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلًا عن أن يفتريه، منها ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجبًا! كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟

وكذلك قولهم إنه يقول: لو أقدر أهدم قبة النبي ﷺ لهدمتها.

وأما «دلائل الخيرات» فله سبب، وذلك أني أشرت على مَن قَبِلَ نصيحتي من إخواني ألا يصير في قلبه أَجَلُّ من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن.

وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان، فهذا من البهتان.

والحاصل؛ أن ما ذُكِرَ عنا من الأسباب، غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك، فكله من البهتان، وهذا لو خفي على غيركم فلا يخفى على حضرتكم. ولو أن رجلًا من أهل بلدكم، ولو كان أحبَّ الخلق إلى الناس، قام يُلْزِمُ الناسَ الإخلاصَ، ويمنعهم من دعوة أهل القبور، وله أعداء وحُسَّاد أشدُّ منه رياسة وأكثر أتباعًا، وقاموا يرمونه بما تسمع، ويوهمون الناس أن هذا تنقُّصٌ بالصالحين، وأن دعوتهم من إجلالهم واحترامهم، تعلمون كيف يجري عليه، ومع هذا وأضعافه فلا بد من الإيمان بما جاء به الرسول ونصرته، كما أخذ الله على الأنبياء قبله وأممهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم

مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ فلما فرض الله الإيمان لم يَجُزْ تَرْكُ ذلك، وأنا أرجو أن الله يكرمك بنصر دينه ونبيه، وذلك بمقتضى الاستطاعة، ولو بالقلب والدعاء، وقد قال ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[1] فإن رأيتَ عَرْضَ كلامي على مَن ظَنَنْتَ أنه يَقبل مِن إخواننا فإن الله لا يُضيع أجر من أحسن عملًا.

ومن أعجب ما جرى من الرؤساء المخالفين أني لما بينت لهم كلام الله وما ذكر أهل التفسير في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ وما ذكر الله من إقرار الكفار في قوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، وغير ذلك، قالوا: القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا، ولا بكلام الرسول، ولا بكلام المتقدمين، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون. قلت لهم: أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي، كلٌّ أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم. فلما أَبَوا ذلك نقلتُ لهم كلام العلماء من كل مذهب، وذكرت ما قالوا بعدما حدَثَت الدعوة عند القبور والنذر لها، فعرفوا ذلك وتحققوه، ولم يزدهم إلا نفورًا.

وأما التكفير، فأنا أكفِّر مَن عرف دين الرسول، ثم بعدما عرَفه سَبَّه ونَهى الناسَ عنه وعادَى مَن فعَله، فهذا هو الذي أُكفِّره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧).

(٢) وهذا فيه أبلغ رد على من يتهم الشيخ بتكفير عموم المسلمين!

وأما القتال فلم نقاتل أحدًا إلى اليوم، إلا دون النفس والحُرمة، وهم الذين أَتَوْنَا في ديارنا ولا أَبْقَوْا ممكنًا، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، وجزاء سيئة سيئة مثلها، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعدما عرفه، والسلام.

ومنها: رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل الدرعية، وهو إذ ذاك في بلد العُيَيْنَة، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب وعبد الله بن عبد الرحمن حفظهم الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ذكر لي أحمد أنه مُشْكِلٌ عليكم الفتيا بكفر هؤلاء الطواغيت، مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس، والذين يعبدونهم مثل طالب وأمثاله، فيقال أولًا:

دين الله تعالى ليس لي دونكم، فإذا أفتيت أو عملت بشيء، وعلمتم أني مخطئ وجب عليكم تبيين الحق لأخيكم المسلم، وإن لم تعلموا وكانت المسألة من الواجبات، مثل التوحيد، فالواجب عليكم أن تطلبوا وتحرصوا حتى تفهموا حكم الله ورسوله في تلك المسألة، وما ذكر أهل العلم قبلكم، فإذا تبين حكم الله ورسوله بيانًا كالشمس؛ فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يرده لكونه مخالفًا لهواه، أو لما عليه أهل وقته ومشايخه، فإن الكفر كما قال ابن القيم في نونيته:

فالكفر ليس سوى العناد ورَدِّ ما … جاء الرسول به لقول فلانِ

فانظر لعلك هكذا دون التي … قد قالها فتبوء بالخسرانِ

ومتى لم تتبين لكم المسألة لم يَحل لكم الإنكار على مَن أفتى أو عمل، حتى يتبين لكم خطؤه، بل الواجب السكوت والتوقف، فإذا تحققتم الخطأ بينتموه،

ولم تهدروا جميع المحاسن لأجل مسألة أو مائة أو مائتين أخطأت فيهن، فإني لا أدّعي العصمة، وأنتم تقرون أن الكلام الذي بيّنته في معنى «لا إله إلّا الله» هو الحق الذي لا ريب فيه.

سبحان الله! إذا كنتم تقرون بهذا، فرجل بيّن اللهُ به دينَ الإسلام، وأنتم ومشايخكم ومشايخهم لم يفهموه، ولم يميزوا بين دين محمد ﷺ ودين عمرو بن لُحَيٍّ الذي وضعه للعرب، بل دين عمرو عندهم دين صحيح، ويسمونه «رقة القلب، والاعتقاد في الأولياء» ومن لم يفعل فهو متوقف، لا يدري ما هذا، ولا يُفرق بينه وبين دين محمد ﷺ فالرجل الذي هداكم الله به لهذا، إن كنتم صادقين، لو يكون أحب إليكم من أموالكم وأولادكم لم يكن كثيرًا، فكيف يقال: أفتى في مسألة الوقف، أفتى في كذا، أفتى في كذا. كلها، ولله الحمد، على الحق، إلّا أنها مخالفة لعادة الزمان ودين الآباء.

وأنا إلى الآن أطلب الدليل مِن كل مَن خالفني، فإذا قيل له: استدل، أو اكتب، أو ذاكر. حادَ عن ذلك وتبيّن عجزه، لكن يجتهدون الليل والنهار في صد الجُهّال عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، اللهم إلّا إن كنتم تعتقدون أن كلامي باطل وبدعة، مثلما قال غيركم، وأن الاعتقاد في الزاهد وشمسان والمطيوية والاعتماد عليهم هو الدين الصحيح، وكل ما خالفه بدعة وضلالة، فتلك مسألة أخرى.

إذا ثبت هذا، فتكفير هؤلاء المرتدين، انظروا في كتاب الله من أوله إلى آخره، والمرجع في ذلك إلى ما قاله المفسرون والأئمة، فإن جادل منافق بكون الآية نزلت في الكفار، فقولوا له: هل قال أحد من أهل العلم أولهم وآخرهم إن هذه الآيات لا تعم مَن عَمِلَ بها مِن المسلمين؟ مَن قال هذا قبلك؟ وأيضًا فقولوا له: هذا رد على إجماع الأمة، فإن استدلالهم بالآيات النازلة في الكفار على مَن

عمل بها، ممن انتسب إلى الإسلام، أكثر من أن تُذكر.

وهذا أيضًا كلام رسول الله ﷺ فيمن فعل مثل هذه الأفاعيل، مثل الخوارج العُبَّاد الزُّهَاد، الذين يحقر الإنسان الصحابة عندهم، وهم بالإجماع لم يفعلوا ما فعلوا إلَّا باجتهاد وتقرب إلى الله.

وهذه سيرة أصحاب رسول الله ﷺ فيمن خالف الدين، ممن له عبادة واجتهاد، مثل تحريق عليٍّ رضي الله عنه مَن اعتقد فيه بالنَّار، وأجمع الصحابة على قتلهم وتحريقهم، إلَّا ابن عباس رضي الله عنهما خالفهم في التحريق، فقال: يُقْتَلُون بالسيف.

وهؤلاء الفقهاء من أولهم إلى آخرهم عقدوا باب «حكم المرتد» للمسلم إذا فعل كذا وكذا، ومصداق ذلك في هذه الكتب الذي يقول المخالف: جمعوا فيها الثمر، وهم أعلم منا، وهم وهم. انظروا في متن «الإقناع» في باب حكم المرتد، هل صرح أن مَن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم أنه كافر بإجماع الأمة، وذكر فيمن اعتقد في علي بن أبي طالب، دون ما يعتقد طالب في حسين وإدريس، أنه لا شك في كفره، بل لا يشك في كفر مَن شك في كفره؟

وأنا ألزم عليكم أنكم تحققون النظر في عبارات «الإقناع» وتقرؤونها قراءة تفهم، وتعرفون ما ذكر في هذا، وما ذكر في التشنيع عليَّ من الأصدقاء، عرفتم شيئًا من مذاهب الآباء وفتنة الأهواء، وإذا تحققتم ذلك وطالعتم الشروح والحواشي، فإذا إني لم أفهمه وله معنى آخر، فأرشدوني، عسى الله أن يهدينا وإيَّاكم وإخواننا لما يحب ويرضى. ولا يدخل خواطركم غلظة هذا الكلام، فالله سبحانه يعلم قصدي به، والسلام.

ومنها: رسالة أرسلها أيضًا إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وعبد الوهاب، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ذُكِرَ لي أنكم زَعْلِين عليّ في ها الأيام بعض الزَّعل، ولا يخفاك أني زَعِلٌ زَعَلًا كبيرًا، وناقد عليكم منقودًا أكبر من الزَّعل، ولكن وابطناه! واظهراه! ومعي في ها الأيام بعض تنغص المعيشة والكدر مما يبلغني عنكم، والله سبحانه إذا أراد أمرًا فلا رادّ له، وإلَّا ما خطر على البال أنكم تَرْضَوْنَ لأنفسكم بهذا. ثم من العجب تكفّيكم عن نفع المسلمين في المسائل الصحيحة، وتقولون: لا يتعين علينا الفتيا. ثم تبالغون في مثل هذه الأمور، مثل التذكير الذي صَرَّحَت الأدلة والإجماع وكلام «الإقناع» بإنكاره[١].

ولا ودي إنكم بعدما أنزلكم الله هذه المنزلة، وأنعم عليكم بما تعلمون وما لا تعلمون، وجعلكم من أكبر أسباب قبول الناس لدين ربكم، وسُنَّة نبيكم، وجهادكم في ذلك، وصبركم على مخالفة دين الآباء، أنكم ترتدون على أعقابكم، وسبب هذا أنه ذُكِرَ لي عنكم أنكم ظننتم أني أعنيكم ببعض الكلام الذي أجبت به مَن اعتقد حِلَّ الرشوة، وأنه مزْعِلكُم. فيا سبحان الله! كيف أعنيكم به وأنا كاتب لكم تسجلون عليه، وتكونون معي أنصارًا لدين الله؟

وقيل لي إنكم ناقدون عليّ بعض الغلظة فيه على مَلفاه[٢]، والأمر أغلظ مما ذكرنا، ولولا أن الناس إلى الآن ما عرفوا دين الرسول، وأنهم يستنكرون الأمر الذي لم يألفوه، لكان شأن آخر، بل والله الذي لا إله إلَّا هو لو يعرف الناس

(١) الإقناع (١/ ٧٧).
(٢) الملفى: الوصول إلى مكان مطلوب.

الأمر على وجهه لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله، ووجوب قتلهم، كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم، لا أجد في نفسي حرجًا من ذلك، ولكن إن أراد الله أن يتم هذا الأمر تبيّن أشياء لم تخطر لكم على بال، وإن كانت من المسائل التي إذا طلبتم الدليل بيّنا أنها إجماع أهل العلم.

وبالحاضر؛ لا يخفاكم أن معي غيظًا عظيمًا، ومضايقة من زعلكم، وأنتم تعلمون أن الله ألزم، والدين لا محاباة فيه، وأنتم من قديم لا تشكون فيَّ، والآن غايتكم قريبة وداخلتكم الريبة، وأخاف أطول الكلام فيجري فيه شيء يزعلكم، وأنا فيَّ بعض الحدة، فأنا أشير عليكم وألزم أن عبد الوهاب يزورنا سواء كان يومين وإلا ثلاثة وإن كان أكثر يصير قطعًا لهذه الفتنة، ويخاطبني وأخاطبه من الرأس، وإن كان كَبُرَ عليه الأمر فيوصي لي وأعني له، فإن الأمر الذي يزيل زَعَلكُم، ويؤلف الكلمة، ويهديكم الله بسببه؛ نحرص عليه، ولو هو أشق من هذا، اللهم إلَّا أن تكونوا شايفين شيئًا من أمر الله، فالواجب عليكم اتباعه، والواجب علينا طاعتكم والانقياد لكم، وإن أبينا كان الله معكم وخلقه.

ولا يخفاكم أنه وصلني أمس رسالة في صفة مذاكرتكم في التذكير، ويطلبون مني جوابًا عن أدلتكم، وأنتم ضحكتم على ابن فيروز، وتسافهتموه، وتساخفتم عقله في جوابه، وانحرفتم تعدلون عداله، لكن ما أنا بكاتب لهم جوابًا؛ لأن الأمر معروف أنه منكم، وأخاف أن أكتب لهم جوابًا، فينشروه، فيزعلكم، وأشوف غايتكم قريبة، وتحملون الأمر على غير محمله. والسلام.

ومنها: رسالة كتبها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

وصل كتابك، وما ذَكَرْتَ فيه من الظن والتجسس وقبول خبر الفاسق، فكل هذا حق، وأريد به باطل، والعجب منك إذا كنت من خمس سنين تجاهد جهادًا كبيرًا في رد دين الإسلام، فإذا جاءك مساعد أو ابن راجح وإلا صالح بن سليم، وأشباه هؤلاء الذين تلقنهم شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأن عبادة المخلوقات كفر، وأن الكفر بالطاغوت فرض، قمت تجاهد، وتبالغ في نقض ذلك، والاستهزاء به، وليس الذي يذكر هذا عنك بعشرة ولا عشرين ولا ثلاثين، ولا أنت بمتخفٍّ في ذلك، ثم تظن في خاطرك أن هذا يخفى عليَّ، وأني أصدقك إذا قلت ما قلت، ولو أن الذي جرى عشر أو عشرون أو ثلاثون مرة أمكَنَ تعداد ذلك، وأحسن ما ذكرت أنك تقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ وتُقِرُّ بالذنب، وتجاهد في إطفاء الشرك وإظهار الإسلام، كما جاهدت في ضده، ويصير ما تُقِرُّ به كأن لم يكن، فإن كنت تريد الرفعة في الدنيا والجاه حصل لك بذلك ما لا يحصل بغيره من الأمور بأضعاف مضاعفة، وإن أردت به الله والدار الآخرة فهي التجارة الرابحة، وأتتك الدنيا تبعًا، وإن كنتَ تظن في خاطرك أنا نبغي نداهنك في دين الله، ولو كنتَ أجل عندنا مما كنت، فأنت مخالف، فإن كنت تتهمني بشيء من أمور الدنيا فلك الشرهة، فإن كان أني أدعو لك في سجودي، وأنت وأبوك أجل الناس إليَّ، وأحبهم عندي، وأمرك هذا أشق عليَّ من أمر أهل الحسا، خصوصًا بعدما استركبت أباك وخربته، فعسى الله أن يهدينا وإياك لدينه القيم، ويطرد عنا الشيطان، ويعيذنا من طريق المغضوب عليهم والضالين.

ومنها: رسالة كتبها إلى أحمد بن محمد بن سويلم وثنيان بن سعود، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخوين أحمد بن محمد وثنيان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ذُكِرَ لي عنكم أن بعض الإخوان تكلم في عبد المحسن الشريف يقول إن أهل الحسا يحبون على يدك، وإنك لابس عمامة خضراء، والإنسان لا يجوز له الإنكار إلَّا بعد المعرفة، فأول درجات الإنكار معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله.

وأما تقبيل اليد فلا يجوز إنكار مثله، وهي مسألة فيها اختلاف بين أهل العلم، وقد قبّل زيدُ بن ثابت يدَ ابن عباس وقال: هكذا أُمِرْنَا أن نفعل بأهل بيت نَبِيِّنَا. وعلى كل حال فلا يجوز لهم إنكار كل مسألة لا يعرفون حكم الله فيها.

وأما لبس الأخضر فإنها أُحْدِثَت قديمًا تمييزًا لأهل البيت؛ لئلَّا أحد يظلمهم، أو يقصر في حقهم مَن لا يعرفهم، وقد أُوجِبَ لأهل بيت رسول الله ﷺ على الناس حقوق، فلا يجوز لمسلم أن يُسقط حقهم ويظن أنه من التوحيد، بل هو من الغلو، ونحن ما أنكرنا إكرامهم إلَّا لأجل الألوهية، أو إكرام المدَّعِي لذلك، وقيل إنه ذكر عنه أنه معتذر عن بعض الطواغيت.

وهذه مسألة جليلة ينبغي التفطن لها، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ فالواجب عليهم إذا ذُكِرَ لهم عن أحد منكرًا عدم العجلة، فإذا تحققوه أتوا صاحبه ونصحوه، فإن تاب ورجع، وإلَّا أُنكر عليه وتُكلم فيه.

فعلى كل حال نبِّهُوهم على مسألتين:

الأولى: عدم العجلة، ولا يتكلمون إلَّا مع التحقق، فإن التزوير كثير.

الثانية: أن النبي ﷺ كان يعرف المنافقين بأعيانهم، ويقبل علانيتهم ويَكِلُ سرائرهم إلى الله، فإذا ظهر منهم وتحقق ما يوجب جهادَهُم جاهَدَهُم.

وغير ذلك: عبد الرحمن بن عقيل رجع إلى الحق، ولله الحمد، ولكن وُدِّي

أقرأ عليه رسالة ابن شلهوب وغيرها. وأنت يا أحمد على كل حال أرسل المجموع مع أول مَن يُقْبِل وأرسلها فيه، خذه من سليمان، لا تغفل، تراك خالفت خلافًا كبيرًا في ها المجموع. والسلام.

ومنها: رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سويلم، حين غضب على ابن عمه أحمد في شدته على المنافقين، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ عبد الله بن عبد الرحمن، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

ذكَر لي ابن زيدان أنك يا عبد الله زَعْل على أحمد بعض الزَّعَل لما تكلم في بعض المنافقين، ولا يخفاك أن بعض الأمور كما قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ وذلك أني لا أعرف شيئًا يُتقَرَّب به إلى الله أفضل من لزوم طريقة الله ﷺ في حال الغربة، فإن انضاف إلى ذلك الجهاد عليها للكفار والمنافقين كان ذلك تمام الإيمان، فإذا أراد أحد من المؤمنين أن يجاهد، فأتاه بعض أخوانه فذكر له أن أمرك للدنيا، أخاف أن يكون هذا من جنس ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ فأنتم تأملوا تفسير الآية، ثم نَزِّلُوه على هذه الواقعة.

وأيضًا في «صحيح مسلم» أن أبا سفيان مر على بلال وسلمان، وأجناسهما، فقالوا: ما أَخَذَت سيوفُ الله من عنق عدو الله مأخذها! فقال أبو بكر: تقولون هذا لشيخ قريش وسيدها! ثم أتى النبيَّ ﷺ فذكر له ذلك، فقال: «**يا أبا بكر، لئن كنتَ أغضبْتَهُم لقد أَغْضَبْتَ ربَّك**»[1] ومن أفضل الجهاد جهاد المنافقين في

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٠٤).

زمن الغربة، فإذا خاف أحد منكم مِن بعض إخوانه قصدًا مسيئًا فلينصحه برفق وإخلاص لدين لله، وترك الرياء والقصد الفاسد، ولا يَفِلَّ عزمه عن الجهاد، ولا يتكلم فيه بالظن السيئ وينسبه إلى ما لا يليق، ولا يدخل خاطرك شيء من النصيحة، فلو أدري أنه يدخل خاطرك ما ذكرته، وأنا أجد في نفسي أن وُدِّي من ينصحني كلما غَلِطْتُ، والسلام.

ومنها رسالة كتبها إلى أحمد بن إبراهيم، مطوع مرات، من بلدان الوشم، وكان قد أرسل إليه رسالة، فأجابه الشيخ بهذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن إبراهيم، هدانا الله وإياه، وبعد:

ما ذَكَرْتَ من مسألة التكفير، وقولك: ابسُط الكلام فيها. فلو بيننا اختلاف أمكنني أن أبسط الكلام أو امتنع، وأما إذا اتفقنا على الحكم الشرعي، لا أنت بمنكر الكلام الذي كتبت إليك، ولا أنا بمنكر العبارات التي كتبت إليّ، وصار الخلاف في أناس مُعَيَّنِين أقروا أن التوحيد الذي ندعو إليه دين الله ورسوله، وأن الذي نَنْهَى عنه في الحرمين والبصرة والحسا هو الشرك بالله، ولكن هؤلاء المُعيَّنُون هل تركوا التوحيد بعد معرفته وصدوا الناس عنه، أم فرحوا به وأَحَبُّوه ودانوا به وتبرؤوا من الشرك وأهله؟ فهذا ليس مرجعها إلى طالب العلم، مرجعها إلى علم الخاص والعام.

مثال ذلك: إذا صح أن أهل الحسا والبصرة يشهدون أن التوحيد الذي نقول دين الله ورسوله، وأن هذا المفعول عندهم في الأحياء والأموات هو الشرك بالله، ولكن أنكروا علينا التكفير والقتال خاصة، والمرجع في المسألة إلى الحضر والبدو، والنساء والرجال، هل أهل قبة الزبير وقبة الكواز تابوا من دينهم وتبعوا ما أقروا به من التوحيد، أم هم على دينهم؟ ولو يتكلم الإنسان بالتوحيد

فسلامته على أخذ ماله، فإن كنت تزعم أن الكواوزة وأهل الزبير تابوا من دينهم وعادَوْا مَن لم يَتُبْ، فتبعوا ما أَقَرُّوا به وعادَوْا مَن خالفه، هذا مكابرة، وإن أقررتم أنهم بعد الإقرار أشد عداوة ومَسَبَّةً للمؤمنين والمؤمنات، كما يعرفه الخاص والعام، وصار الكلام في أتباع المويس وصالح بن عبد الله؛ هل هم مع أهل التوحيد أم هم مع أهل الأوثان، بل أهل الأوثان معهم، وهم حزبة العدو وحاملو الراية، فالكلام في هذا نحيله على الخاص والعام. فوُدِّي إنك تسرع بالنفور، فتتوجه إلى الله وتنظر نظر مَن يؤمن بالجنة والخلود فيها، ويؤمن بالنار والخلود فيها، وتسأله بقلب حاضر أن يهديك الصراط المستقيم.

هذا مع أنك تعلم ما جرى من ابن إسماعيل وولد ابن ربيعة سنة الحبس، لما شكونا عند أهل قبة أبي طالب يوم يكسيه صايه[١]، وجميع مَن معك من خاص وعام معهم إلى الآن، وتعرف روحة المويس وأتباعه لأهل قبة الكواز[٢]، وسية طالب يوم يكسيه صايه، ويقول لهم: طالع أناس ينكرون قببكم، وقد كفرروا وحل دمهم ومالهم.

وصائر هذا عندك، وعند أهل الوشم، وعند أهل سدير والقصيم، من فضائل المويس ومناقبه، وهم على دينه إلى الآن، مع أن المكاتيب التي أرسلها علماء الحرمين مع المزيودي سنة الحبس عندنا إلى الآن تتناك[٣]، وقد صرحوا فيها أن من أقر بالتوحيد كفر، وحل ماله ودمه، وقُتِلَ في الحل والحرم، ويذكرون دلائل

---

(١) الصايه: القماش الناعم.

(٢) مسجد بمدينة البصرة، نسبة للشيخ محمد أمين الكواز، أحد شيوخ الطريقة الشاذلية الصوفية، (ت ٩٥٣هـ)، ودُفن بالمسجد! وانظر: «الكشاف الأثري في العراق»؛ للدكتور قحطان صالح (ص٢٧٨).

(٣) أي: تنتظرك.

على دعاء الأولياء في قبورهم، منها قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ﴾ فإن كانت ليست عندك، ولا صبرت إلى أن تجيء؛ فأرسل إلى ولد محمد بن سليمان في وشيقر، ولسيف العتيقي، يرسلونها إليك، ويجيبون عن قوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أنهم يُدعون على أنهم المعطون المانعون بالأصالة، وأما دعوتهم على أنهم شفعاء فهو الدين الصحيح، ومَن أنكره قُتِلَ في الحل والحرم.

وأيضًا جاءنا بعض المجلد الذي صنَّف القباني[1]، واستكتبوه أهل الحسا وأهل نجد، وفيه نقل الإجماع على تحسين قبة الكواز وأمثالها، وعبادتها وعبادة سية طالب، ويقول في تصنيفه إنه لم يخالف في تصنيفه إلَّا ابن تيمية وابن القيم وعشرة أنا عاشرُهُم، الجميع اثنا عشر، فإذا كان يوم القيامة اعتزلوا وحدهم عن جميع الأمة! وأنتم إلى الآن على ما تعلم، مع شهادتكم أن التوحيد دين الله ورسوله، وأن الشرك باطل.

وأيضًا مكاتيب أهل الحسا موجودة، فأما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فحَشو بالزبيل، أعني سبابة التوحيد، واستحلال دم مَن صدَّق به أو أنكر الشرك، ولكن تعرف ابن فيروز أنه أَقْرَبُهُم إلى الإسلام، وهو رجل من الحنابلة، وينتحل كلام الشيخ وابن القيم خاصة، ومع هذا صنَّف مصنفًا أرسله إلينا قرر فيه أن هذا الذي يُفْعَلُ عند قبر يوسف وأمثاله هو الدين الصحيح، واستدل في تصنيفه بقول النابغة:

أيا قبر النبي وصاحبيه ... وامصيبتنا لو تعلمونا

---

(١) أحمد بن علي البصري، (كان حيًا سنة ١١٥٧هـ)، وعنوان كتابه «فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبدالوهاب». انظر: «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (ص ٤٤).

وفي مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر:

وكن لي شفيعًا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب

ولكن الكلام الأول أبلغ من هذا كله، وهو شهادة البدو والحضر، والنساء والرجال أن هؤلاء الذين يقولون: التوحيد دين الله ورسوله، ويُبْغِضُونه أكثر من بُغْضِ اليهود والنصارى، ويسبونه ويصدون الناس عنه، ويجاهدون في زواله، وتثبيت الشرك بالنفس والمال، خلاف ما عليه الرسل وأتباعهم، فإنهم يجاهَدون ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾.

وأما قولك: أبغى أشاور إبراهيم. فلا وُدِّي تصير ثالثًا لابن عباد وابن عيد، أما ابن عباد فيقول: أي شيء أفعل بالعناقر! وإلّا فالحق واضح، ونصحتُهُم وبيّنتُ لهم. وابن عيد أنت خابره، حاول إبراهيم في الدخول في الدين، وتعذر من الناس أن إبراهيم ممتنع! يا سبحان الله! إذا كان أهل الوشم وأهل سدير وغيرهم يقطعون أن كل مطوع في قرية لو ينقاد شيخها، ما منهم أحد يتوقف، كيف يكون قدر الدين عندكم؟ كيف قدر رضا الله والجنة؟ كيف قدر النار وغضب الله؟

ولكن ودي تفكر فيما تعلم: لما اختلف الناس بعد مقتل عثمان، وبإجماع أهل العلم أنهم لا يقال فيهم إلّا الحسنى، مع أنهم عثوا في دمائهم، ومعلوم أن كلًّا من الطائفتين؛ أهل العراق وأهل الشام، معتقدة أنها على الحق والأخرى ظالمة، ونبغ من أصحاب عليٍّ من الشرك بعليٍّ، وإجماع الصحابة على كفرهم وردتهم وقتلهم، لكن حرَّقهم عليٌّ، وابن عباس يرى قتلهم بالسيف، أترى أهل الشام لو حملهم مخالفةُ عليٍّ على الاجتماع بهم والاعتذار عنهم والمقاتلة معهم، لو امتنعوا، أترى أحدًا من الصحابة يشك في كفر مَن التجأ إليهم، ولو أظهر البراءة من اعتقادهم، وإنما التجأ إليهم وزين مذهبهم لأجل الاقتصاص

من قتلة عثمان؟ فتفكر في هذه القضية، فإنها لا تبقي شبهة، إلا على مَن أراد الله فتنته.

وغير ذلك، قولك: أريد أمانًا على كذا وكذا. فأنت مخالف، والخاص والعام يفرحون بجيتك مثلما فرحوا بجية ابن غنام والمنقور وابن عضيب[1]، مع أن ابن عضيب أكثر الناس سبًّا لهذا الدين إلى الآن، وراحوا مُوَقَّرِين مَحْشُومِين، كيف لو تجيء أنت؟ كيف تظن أن يجيئك ما تكره؟ فإن أردت تجديد الأمان على ما بغيت فاكتب لي، ولكن تعرف حرصي على الكتب، فإن عزمت على الراضة[2]، وعجّلتها عليّ قبلك، فتراها عليّ بنوّ الخير، وإن ما جاز عندك كلها فبعضها، ولو مجموع ابن رجب، ترى ما جاءنا فهو عاريّة موداة، وإن لم تأتنا، قال ابن القيم في النونية:

يا فرقة جهلت نصوص نبيها ... وقصوده وحقائق الإيمان
فسَطَوا على أتباعه وجنوده ... بالبغي والتكفير والطغيان
لله حقٌّ لا يكون لغيره ... ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقًّا واحدًا ... من غير تمييز ولا فرقان

المراد تعريفك لما صدقتك أن لك نظرًا في الحق، أن في ذلك الزمان مَن يكفِّر العلماء إذا ذكروا التوحيد، ويظنونه تنقيصًا للنبي ﷺ فما ظنك بزمانك هذا؟ وإذا كان المكفرون ممن يُعَدُّون من علمائهم، فما ظنك بولد المويس

---

(١) قال ابن بشر في «عنوان المجد» (١ / ٣٥) في أحداث سنة ١١٧٠هـ: «ثم إن عبدالعزيز رحل من البلد، وأناخ في سدير، وأرسل إلى قضاتهم، وهم حمد بن غنام قاضي بلد الروضة، ومحمد بن عضيب قاضي بلد الداخلة، وإبراهيم بن حمد المنقور قاضي بلد الحوطة، وأمرهم يرحلون معه لمواجهة الشيخ؛ فرحلوا معه».

(٢) الراضة: التأني وعدم العجَلة.

وفاسد[١] وأمثالهما؟ يوضحه تسجيلهم على جواب علماء مكة ونشره وقراءته على جماعتهم ودعوتهم إليه.

ذكر ابن عبد الهادي في مناقب الشيخ، لما ذكر المحنة التي نالته بسبب الجواب في شد الرحل، فالجواب الذي كفَّروه بسببه ذكر أن كلامه في هذا الكتاب أبلغ منه، فالعجب إذا كان هذا الكتاب عندك، وعلماء في زمن الشيخ كفَّروه بكلام دونه، فكيف بالمويس وأمثاله لا يكفروننا بمحض التوحيد؟ وذكر ابن القيم في النونية ما يصدق هذا الكلام، لما قالوا له إنك مثل الخوارج، رد عليهم بقوله:

مَن لي بمثل خوارج قد كفَّرُوا   بالذنب تأويلًا بلا إحسان

ثم ذكر في البيت الثاني أن هؤلاء يكفروننا بمحض الإيمان، والخوارج يكفرون بالذنوب.

وكلامي هذا تنبيه أن إنكار التوحيد متقدم، وكذلك التكفير لمن اتبعه، وأنت لا تعتقد أن الزمان صلح بعدهم، ولا تعتقد أن المويس وأمثاله أجلّ وأورع من أولئك الذين كفّروا الشيخ وأتباعه.

وعند ابن عبد الهادي من كتبه كتاب «الإغاثة» مجلد، ولفانا من الشام مع مربد[٢]، وسببه أن رجلًا من فقهاء الشافعية يقال له ابن البكري عثر على جواب للشيخ في الاستغاثة بالموتى في الشدائد، فأنكر ذلك وصنّف مصنفًا في جواز

---

(١) صالح بن عبدالله، الذي ذكره في أول الرسالة، وماكان صالحًا!

(٢) مربد بن أحمد التميمي (ت ١١٧١هـ)، له ترجمة في «علماء نجد» (٦ / ٤١٦ - ٤٢٠). قال عنه: «قاضي بلدة حريملاء، إلا أنه صار من الأعداء الألداء للشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الصحيحة السلفية، وصار يُحذر منها، ويُشوه سمعة دعاتها والقائمين عليها». ثم ذكر أنه كان السبب في التشويش على الصنعاني في أمر دعوة الشيخ.

الاستغاثة بالنبي ﷺ في كل ما يُسْتَغَاث اللهُ فيه، وصرح بتكفير الشيخ في ذلك الكتاب، وجعله مستنقصًا للأنبياء، وأورد فيه آيات وأحاديث، فصنّف الشيخ كتاب «الاستغاثة» ردًا على ابن البكري، وقرر فيه مذهب الرسل وأتباعهم، وذكر أن الكفار لم يبلغ شركهم هذا، بل ذكَر الله عنهم أنهم إذا مسهم الضر أخلصوا ونَسُوا ما يُشركون.

والمقصود أن في زمن الشيخ، ممن يدعي العلم والتصنيف، مَن أنكر التوحيد وجعله سبًّا للأنبياء والأولياء، وكفَّر مَن ذهب إليه، فكيف تزعم أن عَبَدَةَ قبة الكواز وأمثالها ما أنكروه، بل تزعم أنهم قَبِلُوه ودانوا به، وتبرأوا من الشرك، ولا أنكروا إلَّا تكفير مَن لا يَكفر؟

وأعظَمُ وأَطَمُّ أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله، وتبرأوا من الدين كله، واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث، وفضّلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها، مع إقرارهم بأن محمدًا رسول الله، وأن كتاب الله عند الحضر، لكن كذّبوا وكفّروا واستهزأوا عنادًا، ومع هذا تنكرون علينا كفرهم، وتصرحون بأن مَن قال «لا إله إلَّا الله» لا يكفر، ثم تذكر في كتابك أنك تشهد بكفر العالم العابد، الذي ينكر التوحيد ولا يُكفر المشركين، ويقول: هؤلاء السواد الأعظم، ما يتيهون! فإن قلتم: إن الأولين، وإن كانوا علماء، فلم يقصدوا مخالفة الرسول، بل جهلوا. وأنتم وأمثالكم تشهدون ليلًا ونهارًا أن هذا الذي أخرجنا للناس؛ من التوحيد وإنكار الشرك، أنه دين الله ورسوله، وأن الخلاف منا التكفير والقتال، ولو قدّرنا أن غيركم يُعذر بالجهل فأنتم مصرحون بالعلم، والله أعلم.

ومنها: رسالة أرسلها إلى عبد الرحمن بن ربيعة[1]، مطوع أهل ثادق، وهي هذه:

---

(١) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/ ١٧٢ - ١٧٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على رسول الله ﷺ من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن بن ربيعة، سلمه الله تعالى، وبعد:

وصل كتابك تسأل عن مسائل كثيرة، وتذكر أن مرادك اتباع الحق، منها مسألة التوحيد، ولا يخفاك أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إن أوّل ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله، فإنهم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات...**» إلى آخره[1] فإذا كان الرجل لا يُدْعَى إلى الصلوات الخمس إلَّا بعد ما يعرف التوحيد وينقاد له، فكيف بمسائل جزئية اختلف فيها العلماء؟

فاعلم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل، من أولهم إلى آخرهم، إفراد الله بالعبادة كلها، ليس فيها حق لمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولا نبيٍّ مُرْسَلٍ، فضلًا عن غيرهم، فمن ذلك لا يُدْعَى إلَّا إيَّاه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ فمن عبد الله ليلًا ونهارًا، ثم دعا نبيًّا أو وليًّا عند قبره، فقد اتخذ إلهين اثنين، ولم يشهد أن لا إله إلَّا الله؛ لأن الإله هو المدعوُّ، كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير أو عبد القادر أو غيرهما، وكما يُفْعَل قبل هذا عند قبر زيد وغيره. ومَن ذَبح لله ألف أضحية، ثم ذَبح لنبي أو غيره، فقد جعل إلهين اثنين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الآية، والنُّسُك هو الذبح.

وعلى هذا فَقِسْ، فمن أخلص العبادة كلها، ولم يشرك فيها غيره، فهو الذي شهد أن لا إله إلَّا الله، ومَن جعَل فيها مع الله غيره فهو المشرك الجاحد لقوله

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

«لا إله إلَّا الله» وهذا الشرك الذي ذكره اليوم قد طبّق مشارق الأرض ومغاربها، إلَّا الغرباء المذكورين في الحديث ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.

وهذه المسألة لا خلاف فيها بين أهل العلم من كل المذاهب، فإذا أردت هذا فتأمل باب «حكم المرتد» في كل كتاب وفي كل مذهب، وتأمل ما ذكروه في الأمور التي تجعل المسلم مرتدًا، يحل دمه وماله. منها: مَن جعل بينه وبين الله وسائط، كيف حكى الإجماع في «الإقناع» على ردته[1] ثم تأمل ما ذكروه في سائر الكتب، فإن عرفتَ أن في المسألة خلافًا، ولو في بعض المذاهب، فنَبِّهْني.

وإن صح عندك الإجماع على تكفير مَن فعل هذا، أو رضيه، أو جادل فيه، فهذه خطوط المويس وابن إسماعيل وأحمد بن يحيى عندنا في إنكار هذا الدين، والبراءة منه ومن أهله، وهم الآن مجتهدون في صد الناس عنه، فإن استقمت على التوحيد وتبيّنت فيه، ودعوت الناس إليه بعداوة هؤلاء، خصوصًا ابن يحيى؛ لأنه مَنْ أنجسهم وأعظمهم كفرًا، وصبرت على الأذى في ذلك - فأنت أخونا وحبيبنا، وذلك محل المذاكرة في المسائل التي ذكرت، فإن بان الصواب معك وجب علينا الرجوع إليك، وإن لم تستقم على التوحيد علمًا وعملًا ومجاهدة فليس هذا محل المراجعة في المسائل، والله أعلم.

ومنها: رسالة أرسلها جوابًا لرجل من أهل الحسا يقال له «أحمد بن عبد الكريم»، وكان قد عرف التوحيد وكفَّر المشركين، ثم إنه حصل له شبهة في ذلك، بسبب عبارات رآها في كلام الشيخ تقي الدين، ففهم منها غير مراد الشيخ، رَحِمَهُ اللَّهُ. قال فيها:

---

(١) الإقناع (٤/ ٢٩٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن عبد الكريم، سلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، أما بعد:

وصل مكتوبك، تقرر المسألة التي ذكرت، وتذكر أن عليك إشكالًا تطلب إزالته، ثم ورد منك مراسلة تذكر أنك عثرت على كلام للشيخ أزال عنك الإشكال، فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام، وعلى أي شيء يدل كلامه، على أن مَن عبد الأوثان عبادة أكبر من عبادة اللات والعزى، وسَبَّ دينَ الرسول بعدما شهد به مثل سَبِّ أبي جهل، أنه لا يكفر بعينه! بل العبارة صريحة واضحة في تكفير مثل ابن فيروز وصالح بن عبد الله وأمثالهما كفرًا ظاهرًا ينقل عن الملّة، فضلًا عن غيرهما، هذا صريح واضح في كلام ابن القيّم الذي ذكرتَ، وفي كلام الشيخ الذي أزال عنك الإشكال في كفر مَن عَبَد الوَثَنَ الذي على قبر يوسف وأمثاله، ودعاهم في الشدائد والرخاء، وسَبَّ دينَ الرسل بعدما أَقَرَّ به، ودان بعبادة الأوثان بعدما أَقَرَّ بها.

وليس في كلامي هذا مجازفة، بل أنت تشهد به عليهم، ولكن إذا أعمى الله القلب فلا حيلة فيه، وأنا أخاف عليك من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ والشبهة التي دَخلَت عليك هذه البُضَيِّعَة التي في يدك، تخاف تغدى أنت وعيالك إذا تَرَكْتَ بلد المشركين، وشاكٌّ في رزق الله، وأيضًا قرناء السوء أضلوك كما هي عادتهم، وأنت، والعياذ بالله، تنزل درجة درجة، أول مرة في الشك، وبلد الشرك، وموالاتهم، والصلاة خلفهم، وبراءتك من المسلمين مداهنة لهم، ثم بعد ذلك طحت على ابن غنام وغيره، وتبرأت من ملة إبراهيم، وأشهدتهم على نفسك باتباع المشركين من غير إكراه، لكن خوفًا ومداراة، وغاب عنك قوله تعالى في عمار بن ياسر وأشباهه:

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فلم يستثن الله إلا مَن أُكْرِهَ وقلبه مطمئن بالإيمان، بشرط طمأنينة قلبه، والإكراه لا يكون على العقيدة، بل على القول والفعل، فقد صرّح بأن مَن قال المُكَفِّرَ أو فَعَلَه فقد كَفَر، إلَّا المُكْرَهَ، بالشرط المذكور، وذلك أن ذلك بسبب إيثار الدنيا، لا بسبب العقيدة، فتَفَكَّرْ في نفسك؛ هل أكرهوك وعَرَضُوك على السيف مثل عمار أم لا؟ وتَفَكَّرْ؛ هل هذا بسبب أن عقيدته تغيرت أم بسبب إيثار الدنيا؟

ولم يبق عليك إلَّا رتبة واحدة، وهي أنك تصرح، مثل ابن رفيع، تصريحًا بسبة دين الأنبياء، وترجع إلى عبادة العيدروس وأبي حديدة وأمثالهما، ولكن الأمر بيد مقلب القلوب، فأول ما أنصحك به أنك تفكر؛ هل هذا الشرك الذي عندكم هو الشرك الذي ظَهَرَ نبيك ﷺ يَنْهَى عنه أهلَ مكة، أم شرك أهل مكة نوع آخر أغلظ منه، أم هذا أغلظ؟ فإذا حَكَمْتَ المسألةَ وعَرَفْتَ أن غالب مَن عندكم سمع الآيات، وسمع كلام أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين، وأَقَرَّ به، وقال: أشهد أن هذا هو الحق، ونعرفه قبل ابن عبد الوهاب. ثم بعد ذلك يصرِّح بِمَسَبَّة ما شَهِدَ أنه الحق، ويصرِّح بحُسْنِ الشرك وأتباعه، وعدم البراءة من أهله. فتَفَكَّرْ؛ هل هذه مسألة، أو مسألة الرِّدَّة الصريحة التي ذكرها أهل العلم في الردة؟

ولكن العجب من دلائلك التي ذكرت كأنها أتت ممن لا يسمع ولا يُبصر، أما استدلالك بترك النبي ﷺ ومن بعده تكفير المنافقين وقتلهم، فقد صرح الخاص والعام ببديهة العقل أنهم لو يُظهرون كلمة واحدة، أو فعلًا واحدًا من عبادة الأوثان، أو مَسَبَّة التوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ أنهم يُقْتَلُون شَرَّ قِتْلَة، فإن كنت تزعم أن الذين عندكم أظهروا اتباع الدين الذي تشهد أنه دين الرسول ﷺ

وتبرأوا من الشرك بالقول والفعل، ولم يبق إلَّا أشياء خفية تظهر على صفحات الوجه، أو فلتة لسان في السر، وقد تابوا من دينهم الأول، وقتلوا الطواغيت، وهدموا البيوت المعبودة، فقل لي.

وإن كنت تزعم أن الشرك الذي خرج عليه رسول الله ﷺ أكبر من هذا، فقل لي.

وإن كنت تزعم أن الإنسان إذا أظهر الإسلام لا يكفر إذا أظهر عبادة الأوثان، وزعم أنها الدين، وأظهر سب دين الأنبياء، وسماه دين أهل العارض، وأفتى بقتل مَن أخلص لله الدين وإحراقه وحل ماله، فهذه مسألتك، وقد قررتها وذكرت أن من زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا لم يقتلوا أحدًا، ولم يكفروه من أهل الملّة!

أما ذكرت قول الله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ إلى قوله: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ واذكر قوله: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ إلى قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾ الآية، واذكر قوله في الاعتقاد في الأنبياء: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ واذكر ما صح عن رسول الله ﷺ أنه أشخَصَ رجلًا معه الراية إلى مَن تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله[1] فأي هذين أعظم؛ تَزَوُّجُ امرأة الأب أو سَبُّ دين الأنبياء بعد معرفته؟

واذكر أنه قد هم بغزو بني المصطلق، لما قيل إنهم منعوا الزكاة، حتى كذّب الله مَن نقل ذلك.

واذكر قوله في أعبد هذه الأمة وأشدهم اجتهادًا: «لئن أدركتُهم لأَقْتُلَنَّهم قَتْلَ

(١) أخرجه البخاري (٢٣١٤) ومسلم (١٦٩٦).

عاد، **أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة**»[١].

واذكر قتال الصديق وأصحابه مانعي الزكاة، وسبي ذَرَاريهِم وغنيمة أموالهم[٢].

واذكر إجماع الصحابة على قتل أهل مسجد الكوفة، وكفرهم وردتهم، لما قالوا كلمة في تقرير نبوّة مسيلمة، ولكن الصحابة اختلفوا في قبول توبتهم لما تابوا، والمسألة في «صحيح البخاري» وشرحه في «الكفالة».

واذكر إجماع الصحابة لما استفتاهم عمر على أن مَن زعم أن الخمر تحل للخواص، مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾[٣] مع كونه من أهل بدر.

وأجمع الصحابة على كفر مَن اعتقد في عليٍّ مثل اعتقاد هؤلاء في عبد القادر ورِدَّتِهِم وقَتْلِهِم، فأحرقهم علي بن أبي طالب ﷺ، وهم أحياء، فخالفه ابن عباس في الإحراق، وقال: يُقْتَلُون بالسيف[٤]. مع كونهم من أهل القرن الأول، أخذوا العلم عن الصحابة.

واذكر إجماع أهل العلم، من التابعين وغيرهم، على قتل الجعد بن درهم وأمثاله، قال ابن القيم:

شكر الضحية كلُ صاحب سُنَّة   لله درك من أخي قربان

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣) ومسلم (٢٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).
(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩/ ٢٤٠).
(٤) أخرج البخاري (٦٥٢٤) عن عكرمة قال: أتى علي بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقتلتهم لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**من بدل دينه فاقتلوه**».

ولو ذهبنا نعدد مَن كفّره العلماء، مع ادِّعائه الإسلام، وأَفْتوا بِرِدَّتِه وقَتْلِهِ لطال الكلام، لكن مِن آخر ما جرى قصة بني عُبَيدٍ ملوك مصر وطائفتهم، وهم يَدَّعُون أنهم من أهل البيت، ويُصلون الجمعة والجماعة، ونصبوا القضاة والمفتين، وأجمع العلماء على كفرهم ورِدَّتِهِم وقتالِهِم، وأن بلادهم بلاد حرب، يجب قتالهم، ولو كانوا مُكْرَهِين مُبْغِضِين لهم.

واذكر كلامه في «الإقناع» وشرحه في الردة، كيف ذكروا أنواعًا كثيرة موجودة عندكم، ثم قال منصور: وقد عمّت البلوى بهذه الفرق، وأفسدوا كثيرًا من عقائد أهل التوحيد، نسأل الله العفو والعافية[1]. هذا لفظه بحروفه، ثم ذكر قتل الواحد منهم وحكم ماله، هل قال واحد من هؤلاء من الصحابة إلى زمن منصور إن هؤلاء يكفر أنواعهم لا أعيانهم؟

وأما عبارة الشيخ التي لَبَّسُوا بها عليك، فهي أغلظ من هذا كله، ولو نقول بها لكفّرنا كثيرًا من المشاهير بأعيانهم، فإنه صرّح فيها بأن المُعَيَّنَ لا يكفرُ إلَّا إذا قامت عليه الحجة، فإن كان المُعَيَّنَ لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة، فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله، وخلا من شيء يُعْذَرُ به فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قول الله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ وقوله: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وإذا كان كلام الشيخ ليس في الشرك والردة، بل في المسائل الجزئيات، سواء كانت من الأصول أو الفروع، ومعلوم أنهم يذكرون في كتبهم؛ في مسائل الصفات، أو مسألة القرآن، ومسألة الاستواء، أو غير ذلك، مذهب السلف،

---

(١) كشاف القناع (٦/ ١٧١).

ويذكرون أنه الذي أمر الله به ورسوله، والذي درج عليه هو وأصحابه، ثم يذكرون مذهب الأشعري أو غيره، ويرجحونه ويسبون مَن خالفه، فلو قدَّرنا أنها لم تقم الحجة على غالبهم، قامت على هذا المُعَيَّنِ الذي يحكي المذهبين؛ مذهب رسول الله ﷺ ومَن معه، ثم يحكي مذهب الأشعري ومَن معه، فكلام الشيخ في هذا النوع، يقول إن السلف كفروا النوع، وأمَّا المُعَيَّنُ؛ فإن عرف الحق وخالف كفَر بعينه، وإلَّا لم يكفر.

وأنا أذكر لك من كلامه ما يُصدق هذا لعلك تنتفع، إن هداك الله، وتقوم عليك الحجة قيامًا بعد قيام، وإلَّا فقد قامت عليك وعلى غيرك قبل هذا.

قال رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم» في الكلام على قوله ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾: ظاهره أن ما ذُبحَ لغير الله حرم، سواء لفظ به أو لم يلفظ، وهذا أظهر من تحريم ما ذُبح لِلَّحْمِ وقال فيه: باسم المسيح. ونحوه، فإن عبادة الله والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه، وعلى هذا لو ذبح لغير الله متقربًا إليه، وإن قال فيه: بسم الله. كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدِّين، لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا الباب ما قد يفعله الجاهلون بمكة وغيرها من الذبح للجن[(١)]. انتهى كلامه بحروفه.

فانظر كلامه لمن ذبح لغير الله، وسمى الله عليه عند الذبح، أنه مرتد تحرم ذبيحته، ولو ذبحها للأكل، لكن هذه الذبيحة تحرم من جهتين: من جهة أنها مما أُهِل به لغير الله، وتحرم أيضًا لأنها ذبيحة مرتد. يوضح ذلك ما ذكرته أن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٥٩).

المنافقين إذا أظهروا نفاقهم صاروا مرتدين، فأين هذا من نسبتك عنه أنه لا يُكفر أحدًا بعينه؟

وقال أيضًا في أثناء كلامه على المتكلمين ومن شاكلهم، لما ذكر عن أئمتهم شيئًا من أنواع الردة والكفر، قال رحمه الله:

وهذا إذا كان في المقالات الخفيّة، فقد يقال إنه فيها مخطئ ضال، لم تقم عليه الحجة التي يكفُرُ صاحبها، لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة، التي يعلم المشركون واليهود والنصارى أن محمدًا ﷺ بُعِثَ بها وكَفَّر مَن خالفها؛ مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحدٍ سواه من النبيين والملائكة وغيرهم، فإن هذا أظهر شرائع الإسلام، ثم تجد كثيرًا من رؤوسهم وقعوا في هذه الأنواع، فكانوا مرتدين، وكثير منهم تارة يرتد عن الإسلام ردّة صريحة، وتارة يعود إليه مع مرض في قلبه ونفاق، والحكاية عنهم في ذلك مشهورة، وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفًا في أول «مختلف الحديث» وأبلغ من ذلك أن منهم مَن صنّف في الردة، كما صنّف الرازي في عبادة الكواكب، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين[1]. هذا لفظه بحروفه.

فانظر كلامه في التفرقة بين المقالات الخفية وبين ما نحن فيه في كفر المعين، وتأمل تكفيره رؤوسهم فلانًا وفلانًا بأعيانهم، وردتهم ردة صريحة، وتأمل تصريحه بحكاية الإجماع على ردة الفخر الرازي عن الإسلام، مع كونه عند علمائكم من الأئمة الأربعة، هل يناسب هذا لما فهمت من كلامه أن المعين لا يكفر، ولو دعا عبد القادر في الرخاء والشدة، ولو أحب عبد الله بن عون وزعم أن دينه حسن، مع عبادته أبي حديدة، ولو أبغضك واستنجسك، مع أنك أقرب

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٤ - ٥٥).

الناس إليه، لما رآك ملتفتًا بعض الالتفات إلى التوحيد، مع كونك توافقهم على شيء من شركهم وكفرهم؟

وقال الشيخ أيضًا في ردّه على بعض المتكلمين وأشباههم:

والقوم، وإن كان لهم ذكاء وفطنة، وفيهم زهد وأخلاق، فهذا لا يوجب السعادة إلّا بالإيمان بالله وحده، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن، وأهل الرأي والعلم بمنزلة الملك والإمارة، فكل منهم لا ينفعه ذلك إلّا أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويتخذه إلهًا دون ما سواه، وهو معنى قول «لا إله إلّا الله» وهذا ليس في حكمتهم، ليس فيها الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة المخلوقات، بل كل شرك في العالم إنما حدث بزي جنسهم، فهم الآمرون بالشرك، الفاعلون له، ومَن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه، بل يُقِرُّ هؤلاء وهؤلاء، وإن رجّح الموحِّدِين ترجيحًا ما، فقد يرجح غيرُهُ المشركين، وقد يُعْرِضُ عن الأمرين جميعًا، فتدبر هذا فإنه نافع جدًّا. وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد، بل يسوِّغون الشرك ويأمرون به، وهم إذا ادَّعَوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد التي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين كله لله، وعبادته وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه، والتوحيد الذي يَدَّعُونه إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات، فلو كانوا موحدين بالكلام؛ وهو أن يصفوا الله بما وصفته به رسله، لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في النجاة، بل لا بد أن يعبد الله وحده، ويتخذه إلهًا دون ما سواه، وهو معنى قوله «لا إله إلّا الله» فكيف وهم في القول معطِّلُون جاحدون، لا موحِّدُون ولا مخلصون[١]. انتهى.

---

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٣٥ - ٣٧).

فتأمل كلامه، واعرضه على ما غرك به الشيطان من الفهم الفاسد، الذي كذّبت به اللهَ ورسولَه وإجماعَ الأمة، وتحيزت به إلى عبادة الطواغيت، فإن فهمت هذا، وإلَّا أشير عليك أنك تكثر من التضرع والدعاء إلى مَن الهدايةُ بيده، فإن الخطر عظيم، فإن الخلود في النار جزاء الردّة الصريحة ما يَسْوَى بُضَيِّعَة تربح تومانًا أو نصف تومان، وعندنا ناس يجون بعيالهم بلا مال، ولا جاعوا ولا شحذوا، وقد قال الله في هذه المسألة: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، والله أعلم.

ومنها: رسالة أرسلها إلى إخوانه من أهل سدير، بسبب أمر جرى بين أهل الحوطة من بلدان سدير، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى مَن يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

يجري عندكم أمور تجري عندنا من سابق، وننصح إخواننا إذا جرى منها شيء حتى فهموها، وسببها أن بعض أهل الدين ينكر منكرًا، وهو مصيب، لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ الآية، وقال ﷺ: **«إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تُناصِحُوا مَن وَلَّاه الله أمركم»**(١).

وأهل العلم يقولون: الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٥).

ثلاث؛ أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه، ويكون رفيقًا فيما يأمر به وينهى عنه، صابرًا على ما جاءه من الأذى. وأنتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به، فإن الخلل إنما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا، أو قلة فهمه. وأيضًا يذكرون العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره، فاللهَ اللهَ في العمل بما ذكرتُ لكم والتفقه فيه، فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مَضَرَّةً على الدين، والمسلم ما يسعى إلّا في صلاح دينه ودنياه.

وسبب هذه المقالة التي وقعت بين أهل الحوطة، أن صار أهل الدين واجبًا عليهم إنكار المنكر، فلما غلظوا الكلام صار فيه اختلاف بين أهل الدين، فصار فيه مضرة على الدين والدنيا، وهذا الكلام وإن كان قصيرًا فمعناه طويل، فلازمٌ تأملوه وتفقهوا فيه واعملوا به، فإن عملتم به صار نصرًا للدين واستقام الأمر، إن شاء الله.

والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره، أن يُنصح برفق خفية ما يشترف أحد[1]، فإن وافق وإلّا استلحق عليه رجلًا يقبل منه بخفية، فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظاهرًا، إلّا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق، واستلحق عليه ولا وافق، فيرفع الأمر يمنا خفية.

وهذا الكتاب كل أهل بلد ينسخون منه نسخة ويجعلونها عندهم، ثم يرسلونه لحَرمة والمجمعة، ثم للغاط والزلفى. والله أعلم.

ومنها: رسالة أرسلها إلى أحمد بن يحيى[2]، مطوع من أهل رغبة، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن يحيي، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

(١) أي: لا يعرف به أحد.

(٢) انظر ترجمته في: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/ ٥٥٣ - ٥٥٤).

ما ذكرت من طرف مراسلة سليمان فلا ينبغي أنها تزعلك: الأولى: أنه لو خالف فمثلك يحلم، ولا يأتي بغايته هذا ولا أكثر منه، وثانيًا: أنك إذا عرفت أن كلامه ما له فيه قصد إلَّا الجهر في الدين، ولو صار مخطئًا فالأعمال بالنيَّات، والذي هذه مقصده يُغتفر له، ولو جهل عليك. ونحن ملزمون عليك لزمة جيدة، وربك ونبيك ودينك لزمتهم لزمة تتلاشى فيها كل لزمة.

وهذه الفتنة الواقعة ليست في مسائل الفروع التي ما زال أهل العلم يختلفون فيها من غير نكير، ولكن هذه في شهادة أن لا إله إلَّا الله، والكفر بالطاغوت، ولا يخفاك أن الذي عادانا في هذا الأمر هم الخاصة، ليسوا بالعامّة، هذا ابن إسماعيل والمويس وابن عبيد، جتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام الذي حكاه في «الإقناع» في باب حكم المرتد الإجماع من كل المذاهب؛ أن مَن لم يَدِنْ به فهو كافر، وكاتبناهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن، وما زادهم ذلك إلَّا نفورًا، وزعموا أن أهل العارض ارتدوا لما عرفوا شيئًا من التوحيد! وأنت تفهم أن هذا لا يسعك التكفي عنه، فالواجب عليك نصر أخيك ظالمًا أو مظلومًا، وإن تفضل الله عليك بفهم ومعرفة، فلا تُعذر لا عند الله ولا عند خلقه من الدخول في هذا الأمر، فإن كان الصواب معنا فالواجب عليك الدعوة إلى الله، وعداوة مَن صرّح بسب دين الله ورسوله، وإن كان الصواب معهم، أو معنا شيء من الحق وشيء من الباطل، أو معنا غلو في بعض الأمور، فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا، وتورينا عبارات أهل العلم، لعل الله أن يردنا بك إلى الحق.

وإن كان إذا حررت المسألة إذًا أنها من مسائل الاختلاف، وأن فيها خلافًا عند الحنفيّة أو الشافعيّة أو المالكيّة، فتلك مسألة أخرى. وبالجملة فالأمر عظيم، ولا نعذرك من تأمُّلِ كلامنا وكلامهم، ثم تعرضه على كلام أهل العلم،

ثم تبين في الدعوة إلى الحق، وعداوة مَن حادّ الله ورسوله، منا أو من غيرنا. والسلام.

ومنها: رسالة أرسلها إلى عبد الله بن عيسى، مطوع الدرعية، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقال ابن القيِّم في «إعلام الموقعين»: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما: إمَّا الاستجابة للرسول، وإمَّا اتباع الهوى[(١)].

وذكر كلامًا في تقرير ذلك، إلى أن قال:

ثم أخبر سبحانه أن مَن تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكَّم الطاغوت وتحاكم إليه. يعني الآيات في النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ قال: والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده؛ من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم مَن يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم، إذا تأملتها، وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممَن أعرض عن طاعة الله ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين من هذه الأمة، وهم الصحابة ومَن تبعهم، وقال الله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ والزُّبُر: الكتب. أي كل فرقة صنفوا كتبًا

(١) إعلام الموقعين (١/ ٤٧).

أخذوا بها وعملوا بها دون كتب الآخرين، كما هو الواقع سواء، وقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال ابن عباس: تَبْيَضُّ وجوه أهل السُّنَّة والائتلاف، وتَسْوَدُّ وجوه أهل الفرقة والاختلاف[1]. هذا كله كلام ابن القيِّم.

وقال الشيخ تقي الدين في كتاب «الإيمان»:

قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، وفي حديث عدي بن حاتم أنه قال للنبي ﷺ: إنا لسنا نعبدهم! قال: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟**» قلت: بلى. قال: «**فتلك عبادتهم**» رواه الإمام أحمد والترمذي وغيره[2]. وقال أبو العالية: إنهم وجدوا في كتاب الله ما أُمِرُوا به وما نُهُوا عنه، فقالوا: لن نَسْبِقَ أحبارَنا بشيء، فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا! لقوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾[3] انتهى كلام ابن تيمية.

فتأمل هذا الكلام بشراشر قلبك، ثم نزِّلْهُ على أحوال الناس وحالك، وتفكر في نفسك، وحاسبها؛ بأي شيء تدفع هذا الكلام؟ وبأي حجة تحتج يوم القيامة على ما أنت عليه؟ فإن كان عندك شبهة فاذكرها، فأنا أبيِّنها، إن شاء الله تعالى، والمسألة مثل الشمس، ولكن مَن يهد الله فلا مضل له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وإن لم يتسع عقلك لهذا فتضرع إلى الله بقلب حاضر، خصوصًا في الأسحار، أن يهديك للحق، ويريك الباطل باطلًا، وفِرَّ بدينك، فإن الجنَّة والنَّار قدامك، والله المستعان، ولا تستهجن هذا الكلام، فوالله ما أردتُ به إلَّا الخير. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٢٥٩) وتفسير ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٢٤).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) وحسنه الشيخ الألباني (غاية المرام ٦).
(٣) الإيمان (٢/ ٨٠).

ومنها: رسالة أرسلها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد أن تفضلتم بالسؤال، فنحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو بخير وعافية، جعلكم الله كذلك، وأحسن من ذلك، وأبلغوا لنا الوالد السلام، وسلمه الله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وغير ذلك: في نفسي عليه بعض الشيء، من جهة هالمكاتيب لما حبسها عنا هجسنا فيه الظن الجميل، ثم بعد ذلك سمعنا بعض الناس يذكر أنه معطيها بعض السفهاء يقرؤونها على الناس، وأنا أعتقد فيه المحبة، وأعتقد أيضًا أن له غاية وعقلًا، وهو صاحب إحسان علينا وعلى أهلنا، فلا وُدِّي يعقبه بالأذى ويكدر هذه المحبة بلا منفعة في العاجل والآجل، وأنا إلى الآن ما تحققت ذلك، وأهوجس فيه بالهاجوس الجيد.

وذكر أيضًا عنه بعضُ الناس بعضَ الكلام الذي يشوش الخاطر، فإن كان يرى أن هذا ديانة ويعتقده من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأنا ولله الحمد لم آت الذي أتيت بجهالة، وأُشْهِدُ الله وملائكته إن أتاني منه أو ممن دونه في هذا الأمر كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، وأترك قول كل إمام اقتديت به، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يفارق الحق، فإن كانت مكاتيب أولياء الشيطان وزخرفة كلامهم، الذي أَوْحَى إليهم ليجادل في دين الله لما رأى أن الله يريد أن يُظهر دينه، غَرَّتْهُ، وأَصْغَتْ إليها أفئدتكم، فاذكروا لي حجة مما فيها، أو كلها، أو في غيرها من الكتب، مما تقدرون عليه أنتم ومَن وافقكم، فإن لم أجاوبه عنها بجواب فاصل بيِّن، يعلم كل مَن هداه الله أنه الحق، وأن تلك هي الباطل، فأنْكِرُوا عليَّ. وكذلك عندي من الحجج الكثيرة الواضحة ما

لا تقدرون أنتم ولا هم أن تجيبوا عن حجة واحدة منها، وكيف لكم بملاقاة جند الله ورسوله؟

وإن كنتم تزعمون أن أهل العلم على خلاف ما أنا عليه، فهذه كتبهم موجودة، ومن أشهرهم وأغلظهم كلام الإمام أحمد، كلهم على هذا الأمر، لم يَشِذَّ منهم رجل واحد، ولله الحمد، ولم يأت عنهم كلمة واحدة أنهم أرخصوا لمن لم يعرف الكتاب والسنة في أمركم هذا، فضلًا عن أن يوجبوه.

وإن زعمتم أن المتأخرين معكم، فهؤلاء سادات المتأخرين وقادتهم؛ ابن تيمية وابن القيم، وابن رجب عندنا له مصنف مستقل في هذا، ومن الشافعية الذهبي وابن كثير وغيرهم، وكلامهم في إنكار هذا أكثر من أن يُحصر، وبعض كلام الإمام أحمد ذكره ابن القيم في «الطرق الحكمية» فراجعه، ومن أدلة شيخ الإسلام ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، فقد فسرها رسول الله ﷺ والأئمة بعده بهذا الذي تسمونه «الفقه» وهو الذي سماه الله شركًا واتخاذهم أربابًا، لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافًا.

والحاصل؛ أن من رزقه الله العلم يعرف أن هذه المكاتيب التي أتتكم، وفرحتم بها وقرأتموها على العامة، من عند هؤلاء الذين تظنون أنهم علماء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ لكن هذه الآيات ونحوها عندكم من العلوم المهجورة، بل أعجب من هذا أنكم لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، ولا تُنكرون هذه الأوثان التي تُعْبَدُ في الخرج وغيره، التي هي الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم، وأنا لا أقول هذا وحدي.

❑ ❑ ❑

الفصل الرابع
في المسائل التي سئل عنها فأجاب، وتركتُ كثيرًا منها لئلا يطول الكتاب

سُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ، عن معنى «لا إله إلا الله»؛ فأجاب بقوله:

اعلم، رحمك الله، أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون، وليس المراد بقولها باللسان مع الجهل بمعناها؛ فإن المنافقين يقولونها، وهم تحت الكفار، في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يُصلون ويتصدقون، ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض ما خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: «**مَن قال لا إله إلا الله مخلصًا**»[(١)] وفي رواية «**خالصًا من قلبه**»[(٢)] وفي رواية «**صدقًا من قلبه**»[(٣)] وفي حديث آخر: «**مَن قال: لا إله إلا الله. وكفر بما يعبد من دون الله**»[(٤)] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات، نفي الألوهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات، حتى محمد ﷺ حتى جبريل، فضلًا عن غيرهما من الأولياء والصالحين، إذا فهمت ذلك فتأمل هذه الألوهية التي أثبتُّها لله ونفيتُّها عن محمد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣).

وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة خردل، فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا «السر والولاية» والإله معناه: الولي الذي فيه السر. وهو الذي يسمونه الفقراء «الشيخ» ويسمونه العامة «السيد» وأشباه هذا، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة، يرضى أن الإنسان يلتجئ إليهم، ويرجوهم، ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله، فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط، هم الذين يسمونهم الأولون «الآلهة» والواسطة هو الإله، فقول الرجل «لا إله إلا الله» إبطال للوسائط.

وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين:

الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وقتلهم، ونهب أموالهم، واستحل نساءهم كانوا مُقِرّين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يَخْلُق ولا يَرْزُق، ولا يحيي ولا يميت، ولا يدبر الأمر إلا الله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ وهذه مسألة عظيمة مهمة، وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله، ومُقِرُّون به، ومع هذا لم يُدْخِلْهُمْ ذلك في الإسلام، ولم يُحَرِّمْ دماءهم وأموالهم، وكانوا أيضًا يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون، ويتركون أشياء من المحرمات خوفًا من الله ﷻ.

ولكن **الأمر الثاني** هو الذي كفَّرهم وأحلَّ دماءهم وأموالهم، وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وهو أنه لا يُدْعَى ولا يُرْجَى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذر لغيره، لا مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، ولا نبيٍّ مرسلٍ، فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومَن ذبح لغيره فقد كفر، ومَن نذر لغيره فقد كفر، وأشباه ذلك. وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يَدْعُون الصالحين، مثل الملائكة وعيسى وعُزَير، وغيرهم من الأولياء، فكفروا بهذا، مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر.

إذا عَرَفْتَ هذا عَرَفْتَ معنى «لا إله إلا الله» وعَرَفْتَ أن مَن نَخَا نبيًّا أو مَلَكًا، أو ندبه واستغاث به، فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ.

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحون مُقَرَّبُون، ونحن ندعوهم، وننذر له، وندخل عليهم، ونستغيث بهم، نريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا نحن نفهم أن الله هو المدبر.

فقل: كلامُكَ هذا مذهب أبي جهل وأمثاله؛ فإنهم يدعون عيسى وعُزَيْرًا والملائكة والأولياء، يريدون ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

فإذا تأملتَ هذا تأملًا جيدًا عَرَفْتَ أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية، وهو التفرد بالخلق والرزق والتدبير، فهم يَنْخُون عيسى والملائكة والأولياء، يقصدونهم أنهم يقربونهم إلى الله ويشفعون لهم عنده، وعَرَفْتَ أن مِن الكفار، خصوصًا النصارى، مَن يعبد الله الليل والنهار، ويزهد في الدنيا، ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزل في صومعة عن الناس، ومع هذا هو كافر عدو لله مُخَلَّد في النار؛ بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء، يدعوه ويذبح له وينذر له - تبين لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك ﷺ وتبين لك أن كثيرًا من الناس عنه بمَعْزِلٍ، وتبين لك معنى قوله ﷺ: **«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»**.

فاللهَ اللهَ يا إخواني، تمسكوا بأصل دينكم، وأولُهُ وآخرُهُ وأُسُّهُ ورأسُه شهادةُ أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناه، وأحبوها وأحبوا أهلها، واجعلوهم

إخوانكم لو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادُوهُم، وأَبْغِضُوهم وأَبْغِضُوا مَن أحبَّهم، أو جادل عنهم، أولم يكفرهم، وقال: ما عليَّ منهم. أو قال: ما كلفني الله بهم. فقد كذَب هذا على الله وافترَى، فقد كلَّفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم، ولو كانوا إخوانهم وأولادهم. فاللهَ اللهَ، تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئًا. اللهم توَفَّنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه، تبيّن لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرًا من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ، فلم يدعوا أحدًا منهم، ولم يستغيثوا به، بل أخلصوا لله وحده لا شريك له، واستغاثوا به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا. وأنت ترى المشركين من أهل زماننا، ولعل بعضهم يدّعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة، إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله، مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني، وأجلّ من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب، وأجلّ من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ فالله المستعان، وأعظم من ذلك وأطمُّ أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة، مثل شمسان وإدريس ويوسف وأمثالهم، والله سبحانه أعلم.

المسألة الثانية:

سُئِلَ رحمه الله، عن قوله تعالى في سورة هود: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فأجاب بقوله:

ذُكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع ما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه:

فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثيرٌ من الناس ابتغاء وجه الله؛ من صدقة وصلة وإحسان إلى الناس، ونحو ذلك، وكذلك ترك ظلم، أو كلام في عرض، مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصًا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازى به بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ونحو ذلك، ولا همة لهم في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يُعْطَى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عباس[(١)].

وقد غلط فيه بعض مشايخنا بسبب عبارة ذكرها في «الإقناع» في أول باب النية، لما قسّم الإخلاص مراتب وذكر هذا، ظن أنه يسمى إخلاصًا مدحًا له، وليس كذلك، وإنما أراد أنه لا يُسمى رياء، وإلا فهو عمل حابط في الآخرة.

النوع الثاني، وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أن الآية نزلت فيه[(٢)] وهو أن يعمل أعمالًا صالحة، ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة، وكما ذكر لمعاوية حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين أول مَن تُسَعَّرُ بهم النار، وهم الذي تعلم العلم ليقال عالم، وتصدق ليقال جواد، وجاهد ليقال شجاع - بكى معاوية بكاءً شديدًا، ثم قرأ هذه الآية[(٣)].

النوع الثالث: أن يعمل الأعمال الصالحة ويقصد بها مالًا، مثل الحج لمال

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ١٣٦).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٨٢) وصححه الشيخ الألباني (التعليق الرغيب ١/ ٢٩ - ٣٠).

يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذُكر أيضًا هذا النوع في تفسير هذه الآية، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**تعس عبد الدينار...**» إلى آخره[١].

وكما يتعلم الرجل لأجل مدارسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن، أو يواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقعٌ كثيرًا، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم؛ عملوا لمصلحة يحصِّلونها، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل.

والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم؛ لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا الخير الكثير العظيم الدائم، وهو الجنَّة، ولم يرهبوا من الشر العظيم، وهو النار.

النوع الرابع: أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفِّره كفرًا يُخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله، أو تصدقوا، أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك، أو كفر أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة؛ لأنهم على أعمال تُخرجهم من الإسلام تمنع قبول أعمالهم. فهذا النوع أيضًا قد ذُكر في الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها، قال بعضهم: لو أعلم أن الله يقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

فهذا قَصَدَ وجهَ الله والدارَ الآخرة، لكن فيه مِن حب الدنيا والرياسة والمكث

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٣).

والمال ما حمله على ترك كثير مِن أمر الله ورسوله أو أكثر، فصارت الدنيا أكبر قصده، ولذلك قبل قصد الدنيا، وذلك القليل كأنه لم يكن، كقوله ﷺ: «**فإنك لم تصلِّ**»(١).

والأول أطاع الله ابتغاء وجه الله، لكن أراد الثواب في الدنيا، وخاف على الحظ والعيال، مثلما يقول الفَسَقَة، فصحّ أن يقال: قصد الدنيا. والثاني والثالث واضح.

لكن بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالبًا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالًا كثيرة أو قليلة قاصدًا بها الدنيا، مثل أن يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع، فهو لما غلب عليه منهما.

وقد قال بعضهم: القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنَّة الخُلَّص وأهل النار الخُلَّص، ويسكت عن صاحب الشائبتين. وهو هذا وأمثاله، ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال.

وأما الفرق بين الحبوط والبطلان؛ فلا أعلم بينهما فرقًا. والله أعلم.

المسألة الثالثة:

قال ﷺ: سألني الشريف عما نُقاتل عليه وعما نُكفر به الرجل، فأجبته وبيَّنت له أيضًا الكذب الذي بهت به الأعداء، فسألني أن أكتب له، فأقول: أركان الإسلام الخمسة؛ أولها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقرَّ بها وتركها تهاونًا، ونحن وإن قاتلناه على فعلها فلا نُكفره بتركها، والعلماء اختلفوا

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧) ومسلم (٣٩٧).

في كفر التارك لها كسلًا من غير جحود، ولا نقاتل إلاَّ ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان، وأيضًا نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر. فنقول: أعداؤنا على أنواع:

النوع الأول: مَن عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهرناه للناس، وأقرّ أيضًا أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر، الذي هو دين غالب الناس، هي الشرك بالله الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل أهله؛ ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك. فهذا كافر، نقاتله بكفره؛ لأنه عرف دين الرسول فلم يتبعه، وعرف دين الشرك فلم يتركه، مع أنه لا يُبغض دين الرسول ولا مَن دخل فيه، ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس.

النوع الثاني: مَن عرف ذلك كله ولكنه تبين في سب دين الرسول مع أعدائه أنه عامل به، وتبيّن في مدح مَن عَبَدَ يوسفَ والأشعري، ومَن عَبَدَ أبا علي والخضر من أهل الكويت، وفضّلهم على مَن وحّد الله وترك الشرك. فهذا أعظم من الأول، وفيه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهو ممن قال الله فيه: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾.

النوع الثالث: مَن عرف التوحيد وأحبّه واتّبعه، وعرف الشرك وتركه، ولكن يكره مَن دخل في التوحيد، ويحب مَن بقي على الشرك، فهذا أيضًا كافر، وهو ممن ورد فيه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

النوع الرابع: مَن سَلِمَ من هذا كله، ولكن أهل بلده مُصرحون بعداوة التوحيد واتباع الشرك وساعون في قتالهم، ويتعذر عليهم تركه، وظنه يشق عليه، ويقاتل

أهل التوحيد من أهل بلده، ويجاهد بماله ونفسه، فهذا أيضًا كافر؛ فإنهم لو يأمرون بترك صوم رمضان، ولا يمكنه الصيام إلاَّ بفراقهم فعل، ولو يأمرونه بتزويج امرأة أبيه، ولا يمكنه ذلك إلاَّ بمخالفتهم فعل، وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله، مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكثر مما ذكرنا بكثير، وهذا أيضًا كافر، وهو ممن قال الله فيه: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ فهذا الذي نقول.

وأمَّا الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على مَن قدر على إظهار دينه، وإنا نكفِّر مَن لم يكفِّر ولم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا مِن الكذب والبهتان الذي يعتدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفِّر مَن عَبَدَ الصنم الذي على قبر عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من يُفهمهم، فكيف نكفِّر مَن لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يُكفر ويقاتل؟ ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾! بل نُكفر تلك الأنواع الأربعة لأجل محادَّتهم لله ورسوله. فرحم الله امرأً نظر لنفسه، وعرف أنه ملاقٍ الله الذي عنده الجنة والنار، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

المسألة الرابعة:

سأل ثنيان بن سعود عن قوله تبارك وتعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وعن الحديث المذكور في مسند أحمد أن نوحًا عليه السلام نهى بنيه عن الشرك وأمرهم بـ(لا إله إلاَّ الله)[١] فأجاب بقوله:

(١) المسند (٢/ ٢٤٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ١٥٣٢).

من محمد بن عبد الوهاب إلى ثنيان بن سعود، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد سألتم عن معنى قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وكونها نزلت بعد الهجرة، فهذا مصداق كلامي لكم مرارًا عديدة، أن الفهم الذي يقع في القلب غير فهم اللسان، وذلك أن هذه المسألة من أكثر ما يكون تكرارًا عليكم، وهي التي بوّب لها الباب الثاني في كتاب التوحيد، وذلك أن العالم لا يُسمى عالمًا إلاَّ إذا أثمر فيه العلم، فإذا لم يُثمر فهو جاهل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ وقال عن يعقوب: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ والكلام في تقرير هذا يطول.

إذا ثبت أن العلم هو الذي يستلزم العمل، فمعلوم أن تفاضل الناس في الأعمال تفاضل لا ينضبط، وكل ذلك بسبب تفاضلهم في العلم، ويكفيك في هذا استدلال الصديق على عمر في قصة أبي جندل، مع كونها من أشكل المسائل التي وقعت في الأولين والآخرين، شهادة أن محمدًا رسول الله.

وسر المسألة أن العلم بـ(لا إله إلاَّ الله) ليس أمرًا واحدًا لا يتفاضل، بل تفاضُلُ الناس في هذه المسألة لا يعلمه إلاَّ الله،، وشبه هذا قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإن العلم بهذه الأصول الكبار يتفاضل فيه الأنبياء فضلًا عن غيرهم.

وأما نهي نوح عليه السلام بنيه عن الشرك وأمرهم بـ(لا إله إلاَّ الله) فليس هذا تكرارًا، بل هذان أصلان مستقلان كبيران، وإن كانا متلازمَين، فالنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت، و(لا إله إلاَّ الله) والإيمان بالله، وهذا وإن كان متلازمًا فنوضحه لكم، والواقع أن كثيرًا من الناس يقول: لا أعبد إلاَّ الله، وأنا أشهد بكذا، وأقر بكذا. ويكثر الكلام، فإذا قيل له: ما تقول في فلان وفلان إذا عَبد وعُبد من دون الله؟ قال: ما عليّ من الناس، الله أعلم بحالهم!

ويظن بباطنه أن ذلك لا يجب عليه، فمن أحسن الاقتران أن الله قرن بين الإيمان بالله والكفر بالطاغوت والبداءة بالكفر به على الإيمان بالله، وقرن أيضًا بين الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، مع أن الوصية بـ(لا إله إلاَّ الله) ملازمة للذكر بهذه اللفظة والإكثار منها، وتبين عظمة قدرها، كما بيَّن النبي ﷺ فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ على غيرها من السور، وذكر أنها تعدل ثلث القرآن مع قصدها، وكذلك حديث موسى ﵇، فإن في ذلك ما يقتضي كثرة الذكر بهذه الكلمة؛ كما في الحديث: «**أفضل الذكر (لا إله إلاَّ الله)**»[1] ثم أنتم في أمان الله وحفظه، والسلام.

المسألة الخامسة:

سأله الشيخ عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم، في أول إسلامهما، عن قول الشيخ تقي الدين: مَن جحد ما جاء به الرسول وقامت به الحجة فهو كافر. فأجاب بقوله:

إلى الأخوين عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم، سلام عليكم ورحمة الله، وبعد:

فما ذكرتموه من قول الشيخ: من جحد كذا وكذا، وأنكم شاكُّون فيه؛ هؤلاء الطواغيت وأتباعهم هل قامت عليهم الحجة أم لا؟ فهذا من العجب العجاب، كيف تشكون في هذا وقد وضحته لكم مرارًا؟ فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣) والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٠٨) وابن ماجه (٣٨٠٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ١٥٢٦).

خفية، مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يعرف.

وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله، مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر.

فإن أشكل عليكم ذلك فانظروا قوله ﷺ في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**»(١) وقوله: «**شر قتلى تحت أديم السماء**»(٢) مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع الإجماع أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والاجتهاد، وهم يظنون أنهم مطيعون لله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها.

وكذلك قَتْلُ عليٍّ رضي الله عنه، الذين اعتقدوا فيه، وتحريقهم بالنار، مع كونهم تلاميذ الصحابة، ومع عبادتهم وصلاحهم وصيامهم، وهم أيضًا يظنون أنهم على حق.

وكذلك إجماع السلف على تكفير ناس من غلاة القدرية، وغيرهم، مع كثرة علمهم وشدة عبادتهم، مع كونهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لأجل أنهم لم يفهموا، فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٠٠) والإمام أحمد (٥/ ٢٥٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترمذي).

إذا علمتم ذلك؛ فهذا الذي أنتم فيه، وهو الشك في أناس يعبدون الطواغيت، ويعادُون دينَ الإسلام، ويزعمون أنه ردة؛ لأجل أنهم ما فهموا، كلُ هذا أظهر وأبيَنُ مما تقدم، إلاَّ الذين حرقهم عليٌّ فإنه يشابه هذا.

وأما إرسال كلام الشافعية أو غيرهم فلا يتصور أن يأتيكم أوضح مما أتاكم، فإن كان عليكم بعض الإشكال فارغبوا إلى الله أن يزيله عنكم.

وأيضًا ذكر لي محمد بن سليمان أنه جرى عندكم مسألتان:

الأولى: صورة المقاصة؛ يريد بعض الناس أن يحتال على المنهي عنه، من بيع الطعام قبل قبضه، ويقول للخشير[١] إذا جاء بدراهم التمر: بعها عليّ بتمر، قدر الذي في ذمته. ثم يتساقطان، ويجعل هذه من المقاصة المباحة.

وكذلك ذكروا: إذا اشترى منه سلعة، وشرط عليه أن يوفيه بها، صح العقد وفسد الشرط، أن بعض الناس يريد أن يجعل هذه حيلة إلى قلب الدَّيْن الذي في ذمته دَيْنًا آخر، وينسب الصحة إلى «الإقناع» و«المنتهي» وهما من أشد الناس كلامًا وتحريمًا لمثل هذا، حتى أنهما يحرمان صورًا، مع كون المتعاقدان لم يقصدا الحيلة، لئلا يُتخذ ذريعة، مثل العينة وغيرها.

وأنا ذكرت لكم مرارًا: إذا ادعى أحد في هذا وأمثاله الجواز، فاسألوا عن الحيل المحرّمة التي هي مخادعة لله؛ ما معناها وما صورتها؟

مثال ذلك: أنك لو تسألني عن رجل اشترى منك سلعة بعشرين مشخصًا[٢]، وهي تساوي العشرين ثيابًا أو طعامًا أو غيرها، قلت لك: هذا صحيح بالإجماع. فإذا سألتني عن إبرائه من العشرين مشخصًا، بعدما ثبتت في ذمته،

---

(١) أي: الشريك.

(٢) عملة ذهبية كانت متداولة عندهم.

قلت: هذا من الإحسان بالإجماع. فإذا قلت: إنه لم يشتر مني، ولم أبرئه إلاَّ لأنه يريد أن يقرضني مائتي مشخص بربح عشرين، وقال لي: هذا ربا لا يصح، ولكن بعني سلعة تساوي عشرين، ثم بعد ذلك أبرئني منها. قلت لك: هذا صريح الربا والمخادعة لله بلا شك، وكذلك أشباه هذه الصورة، فالذي يجعل التحيل على بيع الطعام قبل قبضه من المقاصة، أو يجعل بيع السلعة ليوفيه بها حيلة إلى حل كون رأس السَلم دينًا، مع تصريحهم بتحريمه، بلا هذه الحيلة[1]، اسألوه: ما الفرق بين هذه الصورة وبين تلك؟ فإنه لا يجد فرقًا إلاَّ بالمكابرة.

وهنا فائدة ينبغي التنبيه لها، وهي أنَ الحيل على الربا قد نشأتم عليها أنتم ومشايخكم، ويسمونها (التصحيح)، والأمور التي نشأ الإنسان عليها صعب عليه مفارقتها بالكلية، والاستجابة لله والرسول وترك مذهب الآباء وما عليه المشايخ، إنه عظيم، لا يوافق عليه أكثر الخلق، فأمر الحيل ومسائله مثل أمر الشرك، فكما أنكم لم تفهموا الشرك أول مرة ولا ثانية ولا ثالثة، ولم تفهموه كله إلى الآن، كذلك الحيل، لأجل نشأتكم عليها، وتسميتها (التصحيح) تحتاج منكم إلى نظر وفطنة، فأكثروا التدبر لها والمطالعة، والتمثيل في «إغاثة اللهفان»[2] وغيرها، والله أعلم.

المسألة السادسة:

سأله محمد بن صالح عن رشوة الحاكم الذي ورد عنه ﷺ أنه لعن الراشي

---

(١) أي: بدون هذه الحيلة.

(٢) (١ / ٣٣٨ ومابعدها): «فصل: ومن مكايده التي كاد بها الإسلام وأهله: الحيل والمكر والخداع، الذي يتضمن تحليل ما حرم الله، وإسقاط ما فرضه، ومضادته في أمره ونهيه، وهي من الرأي الباطل الذي اتفق السلف على ذمه..».

والمرتشي[١] وذلك أنه وقع بينه وبين سليمان بن سحيم[٢] مجادلة في ذلك.

فقال الشيخ رحمه الله في الجواب:

سألتم، رحمكم الله، عن رشوة الحاكم الذي ورد عن رسول الله ﷺ أنه لعن الراشي والمرتشي، وذكر له أن بعض الناس حملها على ما إذا حكم الحاكم بغير الحق، وأما إذا أخذ رشوة من صاحب الحق وحكم له به فهي حلال، مستدلاً بقوله ﷺ: «**أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**»[٣] وأنكم استدللتم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وأجابكم بأنها نزلت في كعب بن الأشرف، وبأن الناس فرضوا لأبي بكر لما تولى الأمر درهمين كل يوم، وكذلك قول مَن قال: لا أحكم بينكما إلاَّ بجُعل.

فأقول: أما صورة المسألة فهي أشهر من أن تُذكر، بل هي تُعْلَمُ بلا اضطرار، فإن حكام زماننا لما أخذوا الرشوة أنكرَت عليهم العقول والفطر بما جبلها الله، من غير أن يعلموا أن الشارع نهى عنها، ولكن إذا جادل المنافق بالباطل فربما يروج على المؤمن، فيحتاج إلى كشف الشبهة، فنقدِّم قبل الجواب مقدمة، وهي:

أن الله سبحانه لما أظهر شيئًا من نور النبوّة في هذا الزمان، وعرف العامة شيئًا من دين الإسلام، وافق أنه قد ترأَّس على الناس رجال من أجهل العالمين،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٨٠) والترمذي (١٣٣٧) وابن ماجه (٢٣١٣) والإمام أحمد (٢/ ١٦٤) من حديث عبد الله بن عمرو. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٥١١٤).

(٢) وهذا مما يدل على أن عداوته للشيخ لأجل أنه حال بينه وبين رغباته الدنيوية. ولهذا قال الشيخ في الفتيا - كما سيأتي -: «إن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين مآكلهم الباطلة المحرّمة الملعونة».

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٠٥).

وأبعدهم عن معرفة ما جاء به محمد ﷺ وقد صاروا في الرياسة بالباطل وفي أكل أموال الناس، ويدّعون أنهم يعملون بالشرع، ولا يعرفون شيئًا من الدين، إلاَّ شيئًا من كلام بعض الفقهاء في البيع والإجارة والوقف والمواريث، وكذلك في المياه والصلاة، ولا يميزون حقه من باطله، ولا يعرفون مستند قائله، وأما العلم الذي بعث الله به محمدًا ﷺ فلم يعرفوا منه خبرًا، ولم يقفوا منه على عين ولا أثر، فقد تزاحمت بهم الظنون ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ومصداق هذا كله أن الداعي لما أمرهم بتوحيد الله، ونهاهم عن عبادة المخلوقين، أنكروا ذلك وأعظموه، وزعموا أنه جهالة وضلالة، مع كون هذه المسألة أبين في دين محمد ﷺ من كون العصر أربعًا والمغرب ثلاثًا، بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمدًا ﷺ دعا الناس إلى ذلك وجادل عليه وقاتل عليه، فهؤلاء الذين يزعمون أنهم علماء اشتد إنكارهم علينا لما تكلمنا بذلك، وزعموا أنه دين ومذهب خامس، وأنهم لم يسمعوه من مشائخهم ومن قبلهم.

وبالجملة فهذا الحق قد خالف أهواءهم من جهات متعددة:

الأولى: أنهم لا يعرفونه، مع كونهم يظنون أنهم من العلماء.

الثانية: أنه فيه مألف عادة نشأوا عليها، ومخالفة العادات شديدة.

الثالثة: أنه مخالف لعلمهم الذي بأيديهم، وقد أُشْرِبُوا حبه، كما أُشْرِبَت بنو إسرائيل حب العجل.

الرابعة: أن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين مآكلهم الباطلة المحرّمة الملعونة.

إلى غير ذلك من الأمور التي يبتلي الله بها العباد، فلما ظهر هذا الأمر اجتهدوا في عداوته وإطفائه بما أمكنهم، وجاهدوا في ذلك بأيديهم وألسنتهم،

فلما غلظ الأمر وبهرهم نور النبوّة، ولم يجئ على عاداتهم الفاسدة، فتفرّقوا فيه كما تفرّق إخوانهم الأوّلون، فبعضهم قال: مذهب ابن تيمية! كما لمزوا رسول الله ﷺ بابن أبي كبشة، وبعضهم قال: كتب باطلة. كقوله: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ وبعضهم قال: هذا يريد الرياسة، كما قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وتارة يرمون المؤمنين بالمعاصي، كما قالوا لنوح، فأجابهم بقوله: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وتارة يرمونه بالسفاهة ونقص العقل، كما قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ فأجابهم الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الآية، وتارة يضحكون من المؤمنين ويستهزئون بأفعالهم التي خالفت العادات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ وتارة يكذبون عليهم الأكاذيب العظيمة، كقوله: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ وتارة يذمون دين الإسلام بما يوجد من بعض المنتسبين إليه، من رثاثة الفهم والمسكنة، كما قالوا: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ وتارة تقطع قلوبهم من الحسرة والغيظ إذا رأوا الله رفع بهذا الدين أقوامًا ووضع به آخرين، كقولهم: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ إلى غير ذلك من الأمور التي يطول ذكرها.

وبالجملة، فمن شرح الله صدره للإسلام، ورزقه نورًا يمشي به في الناس، تبينت له هذه الأمور التي وقعت في وقتنا هذا كثيرًا من معاني القرآن، وتبين له شيء من حكمة الله في ترداد هذا في كتابه لشدة الحاجة إليه، فيقال لهؤلاء المردة آكلي أموال الناس بالباطل، ومُذهبي أديانهم مع أموالهم، ما قال عمر بن عبد العزيز: رويدًا يا ابن نباتة، فلو التقت حلقتا البطان ورُد الفيء إلى أهله لأتفرغنّ لك ولأهل بيتك، حتى أدعهم على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق وأوضعتم في الباطل.

وأما المسألة والجواب عنها فنقول:

قد عُلِمَ بالكتاب والسُّنَّة والفِطر والعقول تحريم الرشوة وقبحها، والرشوة هو ما يأخذه الرجل على إبطال حق وإعطاء باطل. وهذه يسلّمها لك منازعك، وهي أيضًا ما يؤخذ على إيصال حق إلى مستحقه، بل يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة، فهذه حرام منهي عنها بالإجماع، ملعون من أخذها، فمن ادعى حلها فقد خالف الإجماع.

وقوله: بأي شريعة حكمت بتحريم هذا؟

فنقول: حكمت به شريعة رسول الله ﷺ وأجمع على ذلك علماء أمته، وأخل ذلك المرتشون الملعونون.

ومن أنواع الرشوة: الهدايا التي تُدفع إلى الحاكم بسبب الحكم، ولو لم يكن لصاحبها غرض حاضر، لا أعلم أحدًا من العلماء رخّص في مثل هذا، والعجب إذا كان في كتابكم الذي تحكمون فيه: يجب العدل بين الخصمين في لحظِه ولفظه ومجلسه وكلامه والدخول عليه. فأين هذا من أكل عشرة حمران على أحد الخصمين، وإن لم يعطه أخذ بدلها من صاحبه وحكم له! سبحان الله، أي شريعة حكمت بحِلِّ هذا؟ أم أي عقل أجازه؟ ما أجهل مَن يجادل في مثل هذا وأقل حياؤه وأقوى وجهه!

وأمّا أدلّته التي استدلّ بها؛ فلا تنس قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الآية، ولما جادل النصارى رسول الله ﷺ في ألوهية عيسى، واحتجوا عليه بشيء من القرآن، وكذلك الخوارج يستدلون على باطلهم بمتشابه القرآن، وكذلك الذين ضربوا الإمامَ أحمدَ يستدلون عليه بشيء من متشابه القرآن، وما أنزل الله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ إلاّ لما يعلم الله في حاجة عباده إليها.

وأما استدلال هذا الجاهل الظالم بقوله: «**أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**» فجوابه من وجوه:

الأول: أن المؤمنين إذا فسروا شيئًا من القرآن بكلام رسول الله ﷺ وآله وأصحابه، وكلام المفسرين، ليس لهم فيه إلاَّ النقل، اشتد نكيرهم عليهم، ويقول القرآن: لا يحل لكم تفسيره ولا يعرفه إلاَّ المجتهدون. وتارة تفترى الكذب وتقول: إن ابن عباس إذا أراد أن يفسره خرج إلى البريّة خوفًا من العذاب. وأمثال هذه الأباطيل والخرافات، ومرادهم بذلك سد الباب، فلا يُفتح لهم طريق إلى هذا الخير، فيكون نقلنا لكلام المفسرين منكرًا، وتفسيرك كتاب الله على هواك وتحريفك الكلم عن مواضعه حسنًا! هذا من أعجب العجاب.

الوجه الثاني: أن هذا لو كان على ما أوّلته فهو في الأخذ على كتاب الله، وأنتم متبرئون من معرفة كتاب الله والحكم به، وشاهدون على أنفسكم بذلك.

الوجه الثالث: أن هذا لو كان فيما ذهبت إليه لكان مخصوصًا بتحريم الرشوة التي أجمع الصحابة على تحريمها.

الوجه الرابع: أن حمل الحديث على هذا من الفرية الظاهرة والكذب البحت على رسول الله ﷺ، فإن معنى ذلك في الإنسان الذي يداوي المريض بالقرآن، فيأخذ على الطب والدواء، لا على الحكم وإيصال الحق إلى مستحقه، ويدل عليه اللفظ الآخر: «كل فتى أكل برقية باطل فقد أكل برقية حق» والقصة شاهدة بذلك يوضحه.

الوجه الخامس: وهو أن يقال لهذا الجاهل الجهل المركب: مَن استدل قبلك بهذا الحديث على أن الحاكم إذا أراد أن يوصل الحق إلى مستحقه يجوز

له أن يشترط لنفسه شرطين، فإن حصل له وإلا لم يفعل؟ فإن وجده في كتاب فليبين مأخذه، وما ظنه بأهل العلم الأولين والآخرين الذين أجمعوا على ذلك؟ لا يجوز أن يظن أن إجماعهم باطل، وأنهم لم يفهموا كلام نبيهم حتى فهمه هو!

وأما استدلاله بأن الناس فرضوا لأبي بكر ﷺ، لما وُلِّيَ عليهم كل يوم درهمين، فهذا مِن جهله، ومثل هذا مثل مَن يدعي حل الزِّنا الذي لا شبهة فيه، ويستدل على ذلك بأن الصحابة يطؤون زوجاتهم! وهذا الاستدلال مثل هذا سواء بسواء، وذلك أن استدلاله بقصة أبي بكر ﷺ، تدل على شدة جهله بحال السلف الصالح، فإن النبي ﷺ كان يعطي العمال من بيت المال، وكان الخلفاء الراشدون يأكلون من بيت المال ويفرضون لعمالهم، ولا أعلم عاملًا في زمن الخلفاء الراشدين يأكل من ذلك، بل الزكاة التي هي للفقراء جعل الله فيها نصيبًا للعمال الأغنياء، ولكن أبا بكر ﷺ، لما وُلِّيَ واشتغل بالخلافة في الحرفة، وضع رأس ماله في بيت المال، واحترف للمسلمين فيه، فأكل بسبب وضع ماله في بيت المال وبسبب الحرفة، فأين هذا من أكل الرشوة التي حرمها الله ورسوله؟ وأين هذا من الحاكم الذي إذا وقعت الخصومة كان أكثرهم باطلًا؟ ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

فإن قالوا: لما عُدِم بيت المال أكلنا من هذا.

قلنا: هذا مثل مَن يقول: أنا أزني لأني أعزب لا زوجة لي! فهو هذا من غير مجازفة.

وقولهم: نفعل هذا لأجل مصلحة الناس.

فنقول: ما على الناس أضر من إبليس ومنكم، أذهبتم دنياهم وآخرتهم، والناس يشهدون عليكم بذلك، هؤلاء أهل شقَّة شرطوا لابن إسماعيل ثلاثة

وثلاثين أحمر، ويسكت عن الناس، ويريحهم من أذاه، ولا يحكم بين اثنين ولا يفتي، فلم يفعل، واختار حرفته الأولى.

وأما جوابه لمن استدل عليه ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ بقوله: نزلت في كعب بن الأشرف. فهذا ترس قد أعده الجهال الضلال لرد كلام الله إذا قال لهم أحد: قال الله كذا. قالوا: نزلت في اليهود، ونزلت في النصارى، نزلت في فلان.

وجواب هذه الشبهة الجاهلة الظالمة الفاسدة من وجوه:

الأول: أن يُقال: معلومٌ أن القرآن نزل بأسباب، فإن كان لا يُستدل به إلاَّ في تلك الأسباب بطل استدلاله بالقرآن، وهذا خروج من الدين.

الثاني: أنك تقول: لا يجوز لنا تفسير القرآن. فكيف فسرت هذه الآية بأنها خاصة بابن الأشرف؟

الثالث: مَن نَقلتَ عنه من العلماء أن الآية إذا نزلت في رجل كافر أنها لا تعم مَن عمل بها من المسلمين؟ من قال بهذا القول قبلك؟ وعمن نقلته؟

الرابع: أن هذا خروج من الإجماع، فما زال العلماء من عصر الصحابة فمن بعدهم يستدلون بالآيات التي نزلت في اليهود وغيرهم على من يعمل بها، ولكن هؤلاء الجاهلون الظالمون ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

فأما الكلام في الطواغيت مثل إدريس وآل شمسان فالكلام على هذا طويل، ولكن هؤلاء الذين يخاصمونك لا يعبأون بكلام الله ولا كلام رسوله شيئًا، ولا عندكم ما في كتابهم، فقل إذا كان كتابكم قد صرح تصريحًا لا مزيد عليه، ونقل الإجماع على أن من فعل عشر معشار فعل هؤلاء الطواغيت أنه كافر حلال الدم

والمال، وقد صرح بأن مَن شك في كفرهم فهو كافر، فكيف إذا مدحهم وأثنى عليهم؟ فكيف إذا ضم إلى ذلك مدح طريقتهم، مثل ما يفعله ناس من الظالمين في الرياض، يمدحون طريقتهم ويمدحونهم، ويذمون دين الإسلام ويسبونه وأهله، ويسمونه السبابة؟

ومنهم مَن ينصر مذهب ابن عربي وابن الفارض ويدعون إليه، وهؤلاء عند المجادل الذي يدعي أنه يعرف «الإقناع» ويعمل به من الخواص، ولو يقال: لا يُصَلَّى خلفهم ولا تُقْبَلُ شهادتهم، وأنهم فسقة؛ لأنكر علينا هذا الذي يدعي أنه فقيه، بل هم أحبابه وأصحابه وأنصاره، فكيف لو يقال: إنهم كفار مرتدون يجب قتلهم إن لم يتوبوا؟ فخاصمه بكتابه؛ فإن بين من العبادات غير ما فهمنا فيذكره بدليله، وإن زعم أن كتابه باطل؛ فيذكر الدليل على بطلانه، وإن ذكر جوابًا آخر يريد أن يجمع بين كتابه وبين عدم تكفير هؤلاء، فهو كمن يريد أن يجمع بين المجوسية والإسلام، فإن قال: ما رأيناهم فعلوا. قلنا: وأنت أيضًا ما رأيت فرعون ولا هامان كفروا، ولا رأيت أبا جهل وأبا لهب، ولا رأيت ظلم الحجاج، ولا رأيت الذين ضربوا الإمام أحمد، وأنت تشهد بهذا كله. فإن قال: هذا متواتر. قلنا: وكفر هؤلاء وادعاؤهم الربوبية متواتر عند الخاص والعام والرجال والنساء، وهم الآن يُعبدون ويدعون الناس إلى ذلك، ومع هذا كله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، ولكن إذا أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين فلابد من ذلك، والله أعلم.

المسألة السابعة:

سئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه المسائل المفيدة:

الأولى: إذا رأينا حديثًا في بعض الكتب، مثل «الآداب» أو «شرح الأربعين» لابن حجر الهيتمي أو «المنازل» أو «المشارق»[(١)] أو «الإقناع» أو «المنتهى» ونسبه صاحبه إلى الصحيحين أو بعض المساند، هل يسوغ الأخذ به والعمل به ولو لم نقف على الأصل؟

الثانية: إذا وجدنا روايتين عن الإمام أحمد مختلفتين، أو أقوالًا للأصحاب مختلفة، وكُلٌّ يُدْلِي بدليل، هل يجوز العمل بكل منهما؟ وإذا حكى بعض العلماء مثل صاحب «الفروع» أو غيره كلامًا للإمام أحمد، أو للأصحاب وأمثالهم في مسألة، ولم يذكر استدلالهم على ذلك بشيء، أو ذكر أن فلانًا قال كذا، وفلانًا قال كذا بضد القول الأول، ما الحكم في ذلك؟ وإذا قال: الصحيح أو المذهب كذا. هل يعمل به؟

الثالثة: إذا فسر بعض الأصحاب معنى حديث واستدل به على حكم، وفسره آخر بضده واستدل به على حكم يقابل الأول، أو نقل عن الإمام تفسير حديث، أو نقل آخر عنه ضده، مثل حديث الإغلاق؛ قال ابن القيم عن الإمام أحمد: فُسر بالإكراه.

الرابعة: قولهم: لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وعلى مَن اجتهد أو قلّد مجتهدًا حيًّا أو ميتًا. وإذا ورد حديثان متضادان في الحكم، مثل حديث القلتين[(٢)] وبئر بُضاعة[(٣)] ذكر بعض العلماء أن حديث بئر بُضاعة مطلق وحديث

---

(١) لعله: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار»؛ للقاضي عياض.

(٢) أخرجه أبو داود (٦٣) والترمذي (٦٧) والنسائي (٥٢) وابن ماجه (٥١٧) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤١٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٦٦) والترمذي (٦٦) والنسائي (٣٢٦) وصححه الشيخ الألباني (الإرواء ٢٥).

القلتين مقيّد، فيُحمل المطلق على المقيّد، وذكر غيره أن هذا - أي حديث القلتين - استدلوا على صحته، وأن غيره يُحمل عليه، بأنه ﷺ سئل عن إناء ولغ فيه كلب فأمر بإراقته، ولم يسأل: هل تغير أم لا؟

الخامسة: الثلاث طلقات المجموعة، ذكر الشيخ منصور في «شرح الإقناع» وقوعها يروى عن ابن عباس وعن عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر. قال: وعن مالك بن الحارث قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إن عمي طلّق امرأته ثلاثًا. فقال: إن عمك عصى الله وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجًا(١). وروى النسائي(٢) بإسناده عن محمود بن لبيد قال: أخبر رسول الله ﷺ أن رجلًا طلّق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا، فغضب وقال: «**أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم!**» حتى قام رجل فقال: يا رسول الله أفلا أقتله!(٣) انتهى.

وأما ما روى طاووس عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر؛ الثلاث واحدة... إلى آخره، فقال الأثرم: سألت أبا عبد الله عن حديث ابن عباس: بأي شيء أدفعه؟ قال: ادفعه برواية الناس عن ابن عباس بوجوه خلافه. ثم ذكر عن ابن عباس خلافه من وجوه أنها ثلاث(٤). انتهى

السادسة: قول أهل العلم: إن اتفاق الأئمة حجة واختلافهم رحمة، فما معنى كون اختلافهم رحمة؟ واحتج بهذه مَن اتبع المجتهدين.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٢٦٦) وأبو بكر ابن أبي شيبة (٥/ ١١).
(٢) أخرجه النسائي (٣٤٠١) وصححه الشيخ الألباني (غاية المرام ٢٦١).
(٣) كشاف القناع (٥/ ٢٤٠ - ٢٤١).
(٤) كشاف القناع (٥/ ٢٤١).

السابعة: الحلف بالطلاق، ذكر الشيخ منصور في «شرح الإقناع» نقلًا عن اختيارات أبي العباس: قال أبو العباس: تأملت نصوص أحمد فرأيته يأمر باعتزال الرجل امرأته في كل يمين حلف الرجل عليها[(١)] انتهى. فهذا من أبي العباس يدل على أن مذهب الإمام أحمد يدل على صحة الحلف بالطلاق.

الثامنة: مسألة الوقف على الأولاد، ذكر مصنّف «المنتهى» في شرحه عن مسند الحميدي أن أبا بكر وسعدًا وعمرو بن العاص وحكيم بن حزام تصدقوا على أولادهم بدور المدينة.

التاسعة: قوله تبارك وتعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ وقوله: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ ما معنى سوء الظن بالله؟ وقوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ ما معناه؟ وما معنى إدخال البخاري إياه في كتاب الطب؟[(٢)]

وكذلك الحديث الذي أورده «**ما من مسلم يصيبه أذى...**»[(٣)] فإن فسرتم الأذى بجميع المكروهات، كما هو المشهور من معنى اللفظ الأخير «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همّ ولا حزن ولا أذى...**»[(٤)] فعطف الأذى على ما تقدم، والعطف يقتضي المغايرة، هل المراد الذي لم يصدر منه شرك بالكلية أم لا؟

وما معنى قولهم: من الشرك التصنع للمخلوق المسلم، وخوفه ورجاؤه؟

---

(١) الاختيارات الفقهية (١/ ٥٧١) وكشاف القناع (٥/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٠) ومسلم (٢٥٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٧) ومسلم (٢٥٧١).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤١).

وهل المراد به الشرك الأكبر أو الأصغر؟

وقوله: «**أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بي خيرًا فله، وإن ظن بي شرًّا فله**»[١] وما معناه؟

والحديث الذي فيه النهي عن قيل وقال، وعن كثرة السؤال، وإضاعة المال؟[٢]

وقوله ﷺ: «**الشؤم في ثلاثة: في المرأة والولد والفرس**»[٣] ما معناه؟

وترك الخارص الثلث أو الرابع، هل هو صحيح أم لا؟ فإن قلتم: لا. فما معنى الحديث الذي استدل به مَن جوَّزه، وهو قوله للعباس: «**هي عليّ ومثلها معها**»؟[٤]

وقوله: «**الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران**»[٥] هل المراد حفظ حروفه ويحصل الفضل بذلك، أم لا، والحفظ مع فهم المعاني؟ وما معنى المشقة والتعاهد؟

وما معنى قوله: «**طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة**»[٦] أفتونا مأجورين؟

فأجاب رحمه الله:

اعلم، أرشدك الله، أن الله ﷻ بعث محمدًا ﷺ بالهدى الذي هو العلم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٩١) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٣١٥).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٧) ومسلم (٥٩٣).
(٣) أخرجه البخاري (٤٨٠٦).
(٤) أخرجه البخاري (١٤٨٦) ومسلم (٩٨٣).
(٥) أخرجه البخاري (٤٩٣٧) ومسلم (٧٩٨).
(٦) أخرجه مسلم (٢٠٥٩).

النافع، ودين الحق الذي هو العمل الصالح، إذا كان مَن ينتسب إلى الدين منهم مَن يتعانى بالعلم والفقه ويصول به كالفقهاء، ومنهم مَن يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين، ومن أعظم ما امتن الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جوامع الكلم، فيذكر الله تعالى في كتابه كلمة واحدة، تكون قاعدة جامعة، يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصى، وكذلك يتكلم رسول الله ﷺ بالكلمة الجامعة، ومن فهم هذه المسألة فهمًا جيدًا فهم قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهذه الكلمة أيضًا من جوامع الكلم؛ إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة، فعُلم منه بطلان كل محدث بعد رسول الله ﷺ وأصحابه، كما أوصانا بقوله: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(١) فَهِمَ معنى قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله، أي في كتابه، وإلى الرسول، أي إلى سنته، علمنا قطعًا أن مَن رَدَّ إلى الكتاب والسنة ما تنازع فيه الناس وجد فيه ما يفصل النزاع، وهذه كلمات يسيرة تحتاج إلى بسط طويل، وتشير إلى حظ جليل، وإنما قدمتها لأن مَن عرفها انجلى عنه إشكالات كثيرة في مسائل لا تحصر، منها بعض هذه المسائل والمسئول عنها، من ذلك جواب:

المسألة الثانية: إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، فنقول: في محل النزاع التَّرَادُّ إلى الله والرسول، لا إلى كلام أحمد، ولا إلى كلام أصحابه، ولا

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) والإمام أحمد (٤/ ١٢٦) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٥٤٩).

إلى الراجح المرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعًا، وقد يكون صوابًا.

وقولك: إذا استدل كل منهما بدليل. فالدلائل الصحيحة لا تتناقض، بل يصدق بعضها بعضًا، لكن قد يكون أحدهما أخطأ في الدليل، إما مستدلًّا بحديث لا يصح، وإما فهم من كلمة صحيحة مفهومًا مخطئًا.

وبالجملة؛ فمهما رأيت الاختلاف فرده إلى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإن لم يتبين واحتجت إلى العمل فقلّد مَن تثق بعمله ودينه.

وهل يتخير الرجل عند ذلك، أو يتحرى، أو يقلد الأعلم أو الأورع؟ فيه كلام ليس هذا موضعه، فتبين بهذا جواب المسألة الثانية والثالثة والرابعة.

وأما المسألة الأولى: فإن كان صاحب الدلائل ثقة مأمونًا ونسبه إلى الصحيحين وغيرهما جاز العمل بقوله، ولا أحد منع ذلك.

وأما المسألة الخامسة: وهي قول مَن قال: لا إنكار في مسائل الاجتهاد. فجوابها يُعلم من القاعدة المتقدمة، فإن أراد القائل مسائل الخلاف كلها، فهذا باطل يخالفه إجماع الأمة، فما زال الصحابة ومَن بعدهم ينكرون على مَن خالف أو أخطأ كائنًا مَن كان، ولو كان أعلم الناس وأتقاهم، وإذا كان الله قد بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، وأمرنا بالتباعد وترك ما خالفه، فمن تمام ذلك أن مَن خالف من العلماء مخطئًا فيه على خطئه وأنكر عليه.

وإن أريد مسائل الاجتهاد، مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، فهذا كلام صحيح، لا يجوز للإنسان أن يُنكر الشيء لكونه مخالفًا لمذهبه، أو لعادة الناس، فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم، لا يجوز أن يُنكر إلا بعلم، وهذا كله داخل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

وأما المسألة السادسة: وهي قولك إذا ورد حديثان متضادان، مثل حديث

القلتين وحديث بئر بُضاعة. . . الخ، وهذه عبارة لا ينبغي، إلى أن قال: وحاشا كلام الله وكلام رسوله من التضاد، بل كله حق، يُصدق بعضه بعضًا، والواجب على المؤمن في مثل هذا أن يُحسن الظن بكلام الله وكلام رسوله، ويقول كما أمر الله به: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ فإذا تبين له الحق فليقل به ويعمل به، وإلا فليُمسك وليقل: الله ورسوله أعلم. فإن الله تعالى ابتلى الناس بالمتشابه، كما ابتلاهم بالمحكم، ليعلم مَن يقف حيث وقفه الله، ممن يقول على الله بلا علم.

نعم، قد يرد حديثان متضادان، ولكن أحدهما ليس بصحيح، وقد يكون أحدهما ناسخًا، لكنه قليل جدًّا، ومع ذلك لا يرد المنسوخ إلا وقد يرد ما يثبته.

وأما قولك: ما يسوغ لمثلنا؟ فالذي يسوغ، بل يجب، ما وصفت لك، وهو طلب علم ما أنزل الله على رسوله وردّ ما تنازع فيه المسلمون، فإن علّمه الله شيئًا فليقل به، وإلا فليُمسك ويقول: الله أعلم. ويجعله من العلم الذي لا يعرفه، فلو بلغ الإنسان في العلم ما ما بلغ؛ لكان ما علمه قليلًا بالنسبة إلى ما لم يعلمه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وأما المسألة السابعة: فكونها مروية عن الصحابة فمُسلم، ويكفي في ذلك ما ورد عن المُحدَّث المُلْهَم الذي أمرنا باتباع سنته، ثاني الخلفاء، عمر بن الخطاب، ولكن ليس في هذا ما يرد القول الآخر.

وأما الحديث: «**أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟**» فهذا يدل على أن جمع الثلاث لا يجوز.

وأما كونه ألزم بها، فلم يُذكر في الحديث، والذي يقول إنها واحدة لا يقول إن التلفظ بها يجوز، بل يقول هو منكر من القول وزور، كما في الحديث.

وأما رد الإمام أحمد رحمه الله، ذلك بمخالفة رواية له، فهذه مبنية على مسألة

أصولية، وهي أن الصحابي إذا أفتى بخلاف ما روى هل يقدح فيه؟ والصحيح أنه لا يقدح فيه، فإن الحجة في روايته لا في رأيه، وبالجملة فالمسألة مسألة طويلة لعل المذاكرة تقع فيها شفاهًا.

وأما المسألة الثامنة: وهي قول مَن قال: اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة. فليس المراد به الأئمة الأربعة، بل إجماع الأمة كلهم، وهم علماء الأمة.

وأما قولهم: اختلافهم رحمة. فهذا باطل، بل الرحمة في الجماعة، والفرقة عذاب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فلما سمع عمر أن ابن مسعود وأُبيًّا اختلفا في صلاة الرجل في الثوب الواحد، صعد المنبر وقال: اثنان من أصحاب رسول الله ﷺ فعن أي فتياكم يصدر المسلمون؟ لا أجد اثنين اختلفا بعد قيامي هذا إلا فعلت وفعلت[1].

لكن قد روي عن بعض التابعين أنه قال: ما أحسب اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ إلا رحمة للناس، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة، ومراده شيء آخر غير ما نحن فيه، ومع هذا فهو قول مستدرَك؛ لأن الصحابة بأنفسهم ذكروا أن اختلافهم عقوبة وفتنة.

وأما المسألة التاسعة: وهي مسألة الحلف بالطلاق، فغاية ما ذكره أنه مذهب أحمد، ومذهب غيره يخالفه، ومَن كانت الحجة معه فهو المصيب.

وأما مسألة الوقف فالكلام فيها طويل يحتاج إلى مذاكرة.

وبالجملة؛ فلا نُنكر إلا ما خالف أمر الله ورسوله، وطريقة الصحابة

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٧٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٣٨).

وأتباعهم، وأما ما فعله الصحابة فعلى الرأس والعين.

وأما قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ فقد بسط الكلام عليها في «الهدي»[1] على وقعة أُحد، وقد فسره بأشياء كثيرة نقولها ونعتقدها، ولا نظن إلا أنها عقل وصواب، فتأمل كلامه تأملًا جيدًا.

وأما قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ وإدخال البخاري لها في كتاب الطب، فمراد البخاري أن هذه الأمراض التي يكرهها العبد هي مما يُكفر الله بها عن المؤمن سيئاته ويُطهره بها؛ لأن قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ عام في جزاء الدنيا والآخرة. وأما إدخاله هذا في كتاب الطب فواضح، وأهل العلم يذكرون في الباب ما هو أبعد من هذا تعلقًا واستطرادًا.

وأما قوله: «**ما من مسلم يصيبه أذى...**» فهو عام، وأما عطف الأذى على الوصب والنصب والهمّ، فمن عطف العام على الخاص، وهو كثير جدًّا في كلام العرب وفي كلامنا.

وأما سؤالكم: هل هذا في المسلم الذي لم يصدر منه شرك بالكلية؟ أما الشرك الذي يصدر من المؤمن، وهو لا يدري، مع كونه مجتهدًا في اتباع أمر الله ورسوله، فأرجو ألا يُخرجه هذا من الوعد، وقد صدر من الصحابة أشياء من هذا الباب، كحلفهم بآبائهم وحلفهم بالله، وقولهم: ما شاء الله وشاء محمد. وقولهم: اجعل لنا ذات أنواط. ولكن إذا بان لهم الحق اتبعوه، ولم يجادلوا فيه حمية الجاهلية لمذهب الآباء والعادات.

وأما الذي يدعي الإسلام، وهو يفعل من الشرك الأمور العظام، فإذا تليت

---

(١) زاد المعاد (٢/ ١٩٦ - ٢١٢).

عليه آيات الله استكبر عنها، فليس هذا بالمسلم. وأما الإنسان الذي يفعلها بجهالة، ولم يتيسر له من ينصحه، ولم يطلب العلم الذي أنزله الله على رسوله، فقد أخلد إلى الأرض واتبع هواه، ولا أدري ما حاله.

وأما قول مَن قال: من الشرك التصنع للمخلوق. فلعل مراده التصنع بطاعة الله الذي يسمى الرياء، وهو كثير جدًّا، فهذا صحيح في أمور لا يفطن لها صاحبها.

وأما خوف المخلوق، فالمراد به الخوف الذي يحملك أن تترك ما فرض الله عليك، وتفعل ما حرّم الله عليك، خوفًا من ذلك المخلوق.

وأما الرجاء، فلعل المراد الذي يُخرج العبد عن التوكل على الله والثقة بوعده، وكل هذه الأمور كثيرة جدًّا.

وأما قوله: «**الشؤم في ثلاث...**» الخ، فهذا أشكل على مَن قبلنا، حتى إن عائشة كذّبته وقالت: هذا كلام أهل الجاهلية[١]. ولكنه صح، وقد تكلموا في تفسيره، ولم يتبين لي معناه، والله أعلم بمراد رسوله.

وأما ترك الخارص الثلث، فقد سمع الجماعة فيها ما تيسر؛ وبالجملة فأرجح الأقوال فيها عندي قول أكثر أهل العلم أنه غير مطرد، بل يترك قدر ما يأكله ويخرجه رطبًا باجتهاد الخارص، وعلى هذا تجتمع الأدلة، ويصدق بعضها بعضًا.

وأما ما ورد من الفضل في حفظ القرآن: هل المراد حفظه مع حفظ المعاني؟ فلا يحضرني جواب يفصل المسألة، ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد، فهذا

---

(١) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار، مسند علي (٣٧).

من النبي ﷺ والخلفاء لا أعلمه، وأظنه لو وجد في زمانهم لكان مشهورًا، كشهرة الرجل الذي يُسمى عندنا «حمار الفروع»! لما ذكر أنه يحفظ الفروع ولا يفهمه، وقد قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ وذكر ابن القيم[1] أن هذه لو نزلت في التوراة فالقرآن كذلك لا فرق بينهما، ولذلك ذم الذين يقرأون بلا فهم، كقوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ أي: تلاوة بلا فهم. والمراد من إنزال القرآن فهم معانيه والعمل به، لا مجرد تلاوته.

وأما قوله: «**طعام الواحد يكفي الاثنين...**» الخ، فلا أعلم له معنى غير ظاهره.

وأما إغلاق الباب وقت الجذاذ، فلا أتجسر على الجزم بتحريمه، ولكن أظنه لا يجوز في هذا المعنى من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم، من ذلك ما ذكره الله في سورة ﴿نٓ﴾ عن أصحاب الجنة ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ وهم لم يغلقوا الباب، بل تحيلوا بالصرام في وقت يأتي فيه المساكين.

وأما تأخير الزكاة فلا يجوز، ومن استدل بحديث: «**هي عليّ ومثلها معها**» فقد أخطأ خطأ واضحًا، الأول: أن ظني أن الحديث لا يدل على المسألة المسئول عنها، فإن المسألة المسئول عنها أن صاحبِ المال هل يحل له تأخير الزكاة عن وقتها لحاجة أو غيرها؟ والمسألة التي قال بعض أهل العلم: الحديث يدل عليها، ليست هذه، بل إذا رأى الإمام أو الساعي أن يؤخر الزكاة لمصلحة، وهذه مسألة غير الأولى، والدليل أن أحمد سئل عن تأخير الزكاة فمنعه وتشدد فيه، وسئل عن الساعي إذا أراد تأخيرها في سنة مجدبة فرخص له، واستدل بفعل عمر.

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٦٥).

مثال ذلك: أن ولي اليتيم إذا قيل له إنه يجوز له بيع عقاره لمصلحة، هل يحل لأحد أن يستدل بهذه المسألة، إذا كان عندهم ليتيم دار أو عقار لا يعلم بها وليه، فأراد أن يعطي الولي أو اليتيم عنها لمصلحة المعطى، هل يقول أحد إن هذا جائز؟ ولو استدل أحد على جوازه، يبيع وليه عقاره لمصلحة لعده الناس ضحكة.

فينبغي لطالب العلم أن يتفطن لصورة المسألة في الدليل الذي يدل عليها، أو يحيل نظره في ذلك، فإن كثيرًا من الأغاليط وقعت في مسألة واضحة جدًّا، ويستدل بشيء من القرآن أو السنة، وهو لا يدل على ذلك، كما فعله الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية. فنسأل الله تعالى أن يهدينا لما يحبه ويرضاه.

المسألة الثامنة:

سئل الشيخ رحمه الله، عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الصفات، فأجاب:

توحيد الربوبية هو الذي أقرّ به الكفار، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وأما توحيد الألوهية فهو إخلاص العبادة لله وحده من جميع الخلق؛ لأن الإله في كلام العرب هو الذي يُقصد للعبادة، وكانوا يقولون: إن الله سبحانه هو إله الآلهة، لكن يجعلون مع الله آلهة أخرى، مثل الصالحين والملائكة وغيرهم، يقولون: إن الله يرضى هذا، ويشفعون لنا عنده.

فإذا عرفتَ هذا معرفة جيدة؛ تبين لك غربة الدين، وقد استدل عليه سبحانه

بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم، لأنه إذا كان هو المدبر وحده، وجميع مَن سواه لا يملكون مثقال ذرة، فكيف يدعونه؟ أيدعون غيره معه مع إقرارهم بهذا؟

وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات، لكن الكفار أعقل ممن أنكر الصفات، والله أعلم.

المسألة التاسعة:

سُئِلَ رحمه الله: ما قول الشيخ رحمه الله، في تسمية المعبودات أربابًا، إذ الرب يُطلق على المالك، والمعبود على الإله، وكل اسم من أسمائه، جل وعلا، له معنى يخصه بالتخصيص دون التداخل بالتعميم.

والجواب: الرب والإله في صفة الله، تبارك وتعالى، متلازمة غير مترادفة، فالرب من الملك والتربية بالنِعم، والإله من التأله، وهو القصد لجلب النفع ودفع المضرة بالعباد، ولذلك صارت العرب تُطلق الرب على الإله، فسموا معبوداتهم أربابًا من دون الله لأجل ذلك، أي لكونهم يسمون الله ربًّا بمعنى إلهًا.

المسألة العاشرة:

سئل رحمه الله، عن مسائل:

الأولى: أحاديث الوعد والوعيد، وقول وهب بن منبه: «**مفتاح الجنة: لا إله إلا الله...**» الخ[1].

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الجنائز، باب: في الجنائز، ومن كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) انظر: فتح الباري (٣/ ١٠٩) وقال البوصيري: رواه إسحاق بن راهويه بإسناد حسن (إتحاف الخيرة ٨/ ٢٣٠).

الثانية: حديث أنس: «**مَن صلى صلاتنا...**» الخ[١].

الثالثة والرابعة: شيء من أحاديث الوعد والوعيد.

الخامسة: الحديث الذي فيه "**يخرج من ثقيف كذاب...**" الخ[٢].

السادسة والسابعة: قوله: «**ألا أخبركم بأهل الجنة...**» الخ[٣].

فأجاب: الحمد لله، الذي يجب العلم به أن كل ما قال الرسول حق يجب الإيمان به، ولو لم يعرف الإنسان معناه، وفي القرآن آيات في الوعد والوعيد كذلك، وأشكل الكل على كثير من الناس، من السلف ومَن بعدهم، ومِن أحسن ما قيل في ذلك: اقرأوها كما جاءت. معناه: لا تتعرضوا لتفسير لا علم لكم به. وبعض الناس تكلم فيها ردًّا لكلام الخوارج والمعتزلة الذين يُكفرون بالذنوب، ويخلدون أصحابها في النار، أنه ينفي الإيمان عن بعض الناس لكونه لم يتمه، كقوله للأعرابي: «**صلّ فإنك لم تصل**».

والجواب الأول أصوب وأهون وأوسع، وهو الموافق لقوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ الآية.

إذا فهمت ذلك **فالمسألة الأولى** واضحة، ومراده الرد على مَن ظن دخول الجنة بالتوحيد وحده بدون الأعمال، وأما إذا أتى به وبالأعمال، وأتى بسيئات

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٢٠، ٣٩٤٤) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٢٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) ولفظه: «**وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**» قال: «**وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعًا، لا يبتغون أهلا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك**» وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش.

ترجح على حسناته، أو تُحبط عمله، فلم يتعرض وهب لذلك بنفي ولا إثبات، لأن السائل لم يُرِدْهُ.

وأما الثانية: وهي قوله: «مَن صلى **صلاتنا...**» فهو على ظاهره، معناه: لو عُرِفَ منه النفاق، فما أظهره نفاق وعليه وباله، وإلا فمعلوم أن مَن صدَّق مسيلمة، أو أنكر البعث، أو أنكر شيئًا من القرآن، أو غير ذلك من أنواع الردة، أنه لم يدخل في الحديث.

وأما الثالثة والرابعة: التي فيها أحاديث الوعد والوعيد؛ فسبق الجواب عنهما.

وأما قوله: أما الكذاب فقد عرفناه[1]. هو رجل من ثقيف، خرج يطلب بدم الحسين وأهل البيت، وانتصر، وقتل مَن قَتَلَهم، ثم ملك العراق، وغلط مرة فسيّر إليه ابن الزبير عسكرًا، فقتلوه وفتحوا العراق، لأنه أظهر الزندقة وادعى النبوة. وأما المبير، وهو الذي يفني الناس بالقتل، فهو الحجاج المعروف.

وأما السادسة: فلا علمت أن الحديث صحيح.

وأما السابعة: فقوله: «كل ضعيف» فهو ضد القوي. والمتضعف قيل إنه المتواضع، و«العتل» قيل هو الغليظ الجافي، و«الزنيم» المعروف بالشر، والمتكبر معروف، والذي لا زَبْرَ له فسَّره بقوله: «**لا يبتغون أهلًا ولا مالًا**» و«الشنظير» فسره بالغاش، وباقي الأوصاف في الخير والشر معروفة.

المسألة الحادية عشرة:

سُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ، عن الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه، هل هو صحيح أم غير

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢٢٣٣).

ذلك؟ أيضًا: نبهني عبد الوهاب في خطه للموصلي أنك ما رضيت قوله: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في مشيئته وإرادته، حتى إني أفكر فيها، ولا بان لي فيها شيء أيضًا سوى المذكور عند النووي: «**اللهم إني أسلمت نفسي إليك...**» إلخ[1]، بيِّن لي معناه جزاك الله خيرًا.

الجواب: الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه ثابت عند أهل الحديث، فإن كنتَ قد حفظت القرآن أو شيئًا منه ثم نسيته فودي أن تعود إليه.

وأما قوله في الخطبة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في مشيئته وإرادته، فعجب، كيف يخفى عليك هذا؟ والشهادة للألوهية، والمذكور في الخطبة توحيد الربوبية الذي أقر به الكفار.

وأما قوله: «**اللهم إني أسلمت نفسي إليك**» فترجع إلى الإخلاص والتوكل، ولو كان بينهما فروق لطيفة، والله أعلم.

المسألة الثانية عشرة:

قال السائل: عفا الله عنك، خطبتُ ووقفتُ على: (يوم يبعثر من في القبور، ويحصل ما في الصدور)، ثم قلت: جعلنا الله وإياك من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، بارك الله لي ولكم.. إلخ، ولا فطنت إلا بعدما انقضت الصلاة، وأردت أن آمر المؤذن يؤذن ونعيد الخطبة والصلاة، ثم تأملت: (يوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور)، وإذا كأنها آية تقوم بالمعنى وتجزئ، ثم كثر علي الهم والتردد.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١١) ومسلم (٢٧١٠).

وأيضا، عفا الله عنك، عندي دبيش ولي عييل[١]، وحاير، تطمع نفسي لمنزلة الفقراء، ولو لم يكن إلا سبقهم إلى الجنة بما ذكر، ويعارض ذلك: أي الفقير الصابر أو الغني الشاكر أفضل، وقوله ﷺ: «**إن تذر ورثتك...**» الخ[٢] بين لي حد الشكر وحد الصبر.

أيضا قوله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله. صادقا...**» الحديث، واللفظ الآخر «**مخلصا، دخل الجنة**» ما معنى الصدق والإخلاص؟ والفرق بينهما.

أيضا: حديث البطاقة[٣] وما معه من سجلات الذنوب حتى وضعت في كفة، والبطاقة في كفة، فرجحت بتلك السجلات لما تضمنت من الإخلاص.

وما تقول فيمن خالف شيئا من واجبات الشريعة ماذا يقع عليه؟

وما معنى: «**كل ذنب عصى الله به شرك**»؟

وهل يقع في جزء من الكفر؟ والمراد به الكفر بالله أو بالإله مع صغره؟

---

(١) الدبيش: تصغير: الدبش، وهو الحيوان الذي يُقتنى؛ كالإبل والبقر والغنم. والعييل: جمع: العيال.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٥) ومسلم (١٦٢٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٧٧٦)، ونصه: قال ﷺ: «**إن الله سيُخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلًا، لكل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئ؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول الله تعالى: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لاظلم عليك اليوم. فتُخرج بطاقه فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك، فيقول: يارب، ما هذه البطاقه مع هذه السجلات؟ فيقول: فإنك لا تُظلم، فتوضع السجلات فى كفه، والبطاقه فى كفه، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقه، لا يثقل مع اسم الله شيئ**».

وما معنى قول من قال: كفر دون كفر؟ وقول من قال: نعمة أي نعمة؟

أيضا: وماذا ترى في الرؤيا التي ذكرت لك؟

أيضا: تفكرت في الإيمان قوته وضعفه، وأن محله القلب، وأن التقوى ثمرته مركبة عليه، فبقوته تقوى وبضعفه تضعف، وهذا فهمي، ولكن ورد علي شبهة: أعرف ممن خالف دين الإسلام وصد عنه تقوى من بعض التعديات، ولاسيما أموال الناس. وإلا العبادة البدنية والمالية مثل الصلاة والزكاة تكون عادة وفطرة، أي شيء ترى في ذلك منه؟ وما ذكرت لك في أول السؤال صحيح أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق:

أما مسألة الخطبة في الجمعة فلا علمت فيها خلافا، وأرجو أن تكون تامة.

وأما مسألة الغنى والفقر، فالصابر والشاكر، كل منهما من أفضل المؤمنين، وأفضلهما أتقاهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وأما حد الصبر وحد الشكر فلا عندي علم، إلا المشهور بين العلماء أن الصبر عدم الجزع، والشكر أن تطيع الله بنعمته التي أعطاك.

وأما قوله: «**مَن قال: لا إله إلا الله صادقًا**» والحديث الآخر: «مخلصًا» فمسألة الصدق والإخلاص كبيرة، ولما ذكر الإمام أحمد الصدق والإخلاص قال: بهما ارتفع القوم. ولكن يقربها إلى الفهم التفكر في بعض أفراد العبادة؛ مثل الصلاة والإخلاص؛ فالإخلاص فيها يرجع إلى إفرادها عما يخالف كثيرًا من الرياء والطبع والعبادة وغير ذلك، والصدق يرجع إلى إيقاعها على المشروع، ولو أبغضه الناس في ذلك.

وحديث البطاقة ذكر الشيخ أنه رُزِقَ عند الخاتمة قولُها على ذلك الوجه، والأعمال بالخواتيم، مع أن على بقيته إشكالًا، والله أعلم.

وأما معنى: «**كل ذنب عصى الله به شرك أو كفر**» فالشرك والكفر نوع، والكبائر نوع آخر، والصغائر نوع آخر، ومن أصرح ما فيه حديث أبي ذر فيمن لقي الله بالتوحيد قوله: «**وإن زنى وإن سرق**»(١) مع أن الأدلة كثيرة. وإذا قيل: مَن فعل كذا فقد أشرك أو كفر. فهو فوق الكبائر، وما رأيتَ مني ما يخالف ما ذكرت لك فهو بمعنى الذي هو أخفى من دبيب النمل. وقول القائل: كفر نعمة، خطأ رَدَّه الإمام أحمد وغيره. ومعنى أنه ليس يخرج من الملة مع كبره.

والرؤيا أرجو أنها من البشرى، ولكن الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره.

وقولك: إن الإيمان محله القلب؛ فالإيمان أجمع السلف على أن محله القلب والجوارح جميعًا، كما ذكره الله تعالى في سورة الأنفال وغيرها. وأما كون الذي في القلب والذي في الجوارح يزيد وينقص فذاك شيء معلوم؛ فالسلف يخافون على الإنسان إذا كان ضعيف الإيمان سُلِبَ الإيمان كله.

وأما الشبهة التي وردت عليك؛ إذا كان الرجل مخالفًا دين الإسلام ويصد عنه، ولكن فيه ورع عن بعض المحرمات، فأنت خابر أن الإنسان يكفر بكلمة واحدة، فكيف الصد عن سبيل الله؟ واذكر قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ فإذا كانت الكراهة تحبط الورع الذي تذكر، كيف الصد مع الكراهة؟ واليهود والنصارى فيهم أهل زهد أعظم من الورع، والله أعلم.

المسألة الثالثة عشرة:

سُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ: ما يقول الشيخ، شرح الله صدره ويسّر أمره، في مسائل أشكلت عليّ، فيما يجب علينا من معرفة الله إذا كان موجب الإلهية الربوبية، وأشوفك

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٧) ومسلم (٩٤).

قليل التعريج عليها عند تقرير التوحيد للألوهية، ويشكل عليّ أيضًا كون مشركي العرب أقروا به، يكون من غير معرفة لوضوحه، أم توغلوا في التقليد ولم يلتفتوا للحقيقة الموجبة للعبادة، أم زعمتم أن هذا شيء يرضاه الرب، أم كيف الحال؟

وأيضًا كلمة التوحيد كونها محتوية على جميع الدين، من إنزال الكتب وإرسال الرسل، أنها نافية جميع المقصودات المسماة بالآلهة الباطلة، إذا حدها القصد، فتسمى بذلك من غير استحقاق؛ لأنها مخلوقة مربوبة مقهورة، والواحد في القصد هو الواحد في الخلق، أرى بعض الناس تكلم في معناها وعلمها، وأن لفظها مجردة من غير معرفة لا يفيد شيئًا، لكن نظرت في حديث الشفاعة الكبرى عند قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ وإخراجه العصاة من أمته بإذن ربه، حتى قال: «**ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله**»[1] هذا مشكل عليّ جدًّا، وفهمي قاصر عن معرفته، إذا كان كلمة التوحيد هي الغاية وتقييدها بالمعرفة مع العمل، وإخراجه ﷺ مَن كان في قلبه أدنى مثقال ذرة خردل من إيمان، فأنت جزاك الله خيرًا بيِّن لي معنى هذه الكلمة، لا أَضِلّ ولا أُضِلّ. وأخبرك يوم أنا غافل عن الفهم في الربوبية، ما فهمي جيد في الألوهية، فلما بان لي شيء من معرفتها، واتضح لي بعض المعرفة في الألوهية بضرب المثل: أن فيصل ما استعبد لعريعر إلا لأجل كبر ملك عريعر، مع أنه قبيل له[2]، وأظن غالب الناس كذلك، وفيهم مَن لا يرى الربوبية ولا يعتبرها، أويتهاون بها، وهذا نسمعه من بعضهم، فجزاك الله خيرًا، صرِّح لي بالجواب.

فأجاب: إلى الأخ حسن، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣).

(٢) عريعر بن دجين، حاكم الأحساء (ت ١١٨٨هـ). وفيصل، لعله فيصل بن سويط، شيخ قبيلة الظفير (ت ١١٨٩هـ). وقبيل له: أي: مثيل له وفي مكانته.

سرني ما ذكَرتَ من الإشكال، وانصرافك إلى الفكر في توحيد الربوبية، ولا يخفاك أن التفصيل يحتاج إلى طول، ولكن ما لا يُدرك كله لا يُترك جله.

فأما توحيد الربوبية فهو الأصل، ولا يغلط في الإلهية إلا مَن لم يعطه حقه، كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ ومما يوضح لك الأمر أن التوكل من نتائجه، والتوكل من أعلى مقامات الدين ودرجات المؤمنين، وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ الآية، وأما عبادته ﷻ بالإخلاص دائمًا في الرخاء والشدة فلا يعرفونها، وهي نتيجة الإلهية، وكذلك الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان بالكتب والرسل وغير ذلك، وأما الصبر والرضا والتسليم والتوكل والإنابة والتفويض والمحبة والخوف والرجاء فمن نتائج توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الألوهية هو أشهر نتائج توحيد الربوبية، وهذا وأمثاله لا يعرف إلا بالتفكر لا بالمطالعة وفهم العبارة.

وأما الفرق بينهما؛ فإن أفرد أحدهما مثل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ فهو توحيد الإلهية، مثل قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وأمثال ذلك، فإذا قُرن بينهما فُسرت كل لفظة بأشهر معانيها؛ كالفقير والمسكين.

وأما ما ذكرتَ من أهل الجاهلية، كيف لم يعرفوا الإلهية إذا أقروا بالربوبية، فهل هو كذا وكذا، فهو بمجموع ما ذكرت وغيره، وأعجب من ذلك ما رأيتُ وما سمعتُ، ممن يدعي أنه أعلم الناس ويفسر القرآن ويشرح الحديث بمجلدات، ثم يشرح البُردة[1] ويستحسنها، ويذكر في تفسيره وشرحه للحديث

---

(١) القصيدة المشهورة في مدح النبي ﷺ؛ للبوصيري (ت ٦٩٦هـ). وهي محشوة بالغلو والشركيات. انظر نقدها في رسالة «القوادح العقدية في قصيدة البصيري البردية»؛ للشيخ أحمد السلمي، ضمن كتابه «ثلاث رسائل في الدفاع عن العقيدة» (ص ٥ - ٢٧٦).

أنه أشرك، ويموت ما عرف ما خرج من رأسه، هذا هو العجب العجاب، أعجب بكثير من أناس لا كتاب لهم، ولا يعرفون جنة ولا نارًا، ولا رسولًا ولا إلهًا.

وأما كون (لا إله إلا الله) تجمع الدين كله، وإخراج مَن قالها من النار إذا كان في قلبه مثقال ذرة، فلا إشكال في ذلك، وسر المسألة أن الإيمان يتجزأ، ولا يلزم من ذهاب بعضه ذهاب كله، بل هذا مذهب الخوارج، فالذي يقول الأعمال كلها من (لا إله إلا الله) فقوله الحق، والذي يقول: يخرج من النار مَن يقولها وفي قلبه من الإيمان مثقال ذرة؛ فقوله الحق، والسبب ما ذكرتُ لك من التجزؤ، وبسبب الغفلة عن التجزؤ غلط أبو حنيفة وأصحابه في زعمهم أن الأعمال ليست من الإيمان والإسلام.

المسألة الرابعة عشرة:

سُئِلَ رحمه الله، عن معنى قول النبي ﷺ في حديث معاذ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا...**» الخ، إلى أن قال: أفلا أبشر الناس؟ قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**»[1] ومعنى: «**لا يدخل أحدٌ الجنة بعمله**»[2].

أيضًا: ما معنى عقد اللحية والضرب بالأرض، هو الذي نعرف أن بعضهم يخط خطوطًا ثم يعدها: إن ظهرت شفعًا فكذا، وإن ظهرت وترًا فكذا، أم غير ذلك؟

وتفسير الحسن الجبت برنة الشيطان، ما رنة الشيطان؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦).

وحديث: «**ومَن ردته الطيرة فقد أشرك، وكفارة ذلك أن تقول: اللهم لا طير إلا طيرك...**» الخ[١] أم كيف يزول ذلك الشرك؟ فهذا اللفظ مع أن الطيرة مخامرة باطنة، واللفظ وحده لا يفيد، أو فائدة قليلة؟

وما معنى الفخر والطعن؟

وما معنى مكر الله بالعبد؟

وما الفرق بين الروح والرحمة؟

وما معنى: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب**»[٢]، ذاتٌ أورثتها المتابعة ومعرفة الدين، أو إيثار معرفة متابعة الأمر والنهي عند ورود الشهوات.

وأيضًا: كسوة المرأة إذا كانت كسوة عرس، هل للمرأة أن تطلب من الزوج كسوة بدن، أم هي كسوة بدن حتى يحول عليها الحول؟ وأيضًا: قيد الكسوة بالحول صواب؟ وأيضًا: إذا كان صوابًا فهل هو بكل أحد للعالي والمتوسط والداني أم فيها تفصيل؟ وأيضًا: إذا عريت قبل مضي الحول يجب على الزوج أن يكسوها أم لا؟ وأيضًا: إن مضى بعض الحول.

الجواب:

أما حديث معاذ فالمعنى عند السلف: الحلال ظاهر، وهو من الأمور التي يقولون: أَمِرُّوها كما جاءت. أعني نص الوعد والوعيد، لا يتعرضون للمشكل منه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن ابن عمر (٢/ ٢٢٠) وصححه الشيخ الألباني في إصلاح المساجد.

(٢) أخرجه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).

وأما قوله: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**» فتلك مسألة أخرى على ظاهرها، وهو أن الله لو يستوفي حقه كما يستوفي السيد حقه من عبده لم يدخل أحد الجنة، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ الآية.

وعقد اللحية لا أعلمه، ولكن ذكر في الآداب ما يقتضي أنه شيء يفعله بعض الناس في الحرب على وجه التكبر.

وأما الصرف فهو مشهور جدًّا، حتى إن بعض الناس يخط، فمن وافق خطه فذاك، والذي يبدو للذهن أنه عام في كل أنواع الخط، وخط ذلك النبي عُدم، لا يوجد مَن يعرفه.

ورنة الشيطان، لا أعرف مقصود الحسن[1]، بل عادة السلف يفسرون اللفظ العام ببعض أفراده، وقد يكون السامع يعتقد أن ذلك ليس من أفراده، وهذا كثير في كلامهم جدًّا، ينبغي التفطن له.

---

(١) قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في «فتح المجيد» (٢/ ٤٧٩-٤٨٠): «قوله: قال الحسن: رنة الشيطان. قلت: ذكر إبراهيم بن محمد بن مفلح: أن في تفسير بقي بن مخلد: أن إبليس رن أربع رنات: رنة حين لُعن، ورنة حين أُهبط، ورنة حين وُلد رسول الله ﷺ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب. قال سعيد بن جبير: لما لعن الله تعالى إبليس، تغيرت صورته عن صورة الملائكة، و رن رنة، فكل رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة، رواه ابن أبي حاتم. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده. رواه الحافظ الضياء في المختارة. الرنين: الصوت، و قد رن يرن رنينًا. وبهذا يظهر معنى قول الحسن رحمه الله تعالى». قلت: الذي في المسند (٥/ ٦٠): «والجبت، قال الحسن: إنه الشيطان»، ونقله عنه ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾. فلعله الصواب، وأن «رنة الشيطان» محرفة من «إنه الشيطان».

وقوله في الطيرة: «**وكفارة ذلك أن تقول...**» الخ، فالطيرة تعم أنواعًا، منها ما لا إثم فيه، كما قال عبد الله: وما منا إلا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل(١). فإذا وقع في القلب شيء، وكرهه ولم يعمل به، بل خالفه وقال لم يضره، فإن قال من الحسنات شيئًا فهو أبلغ وأتم في الكفارة، فلو قدرنا أن تلك الطيرة من الشرك الخفي، أو الظاهر، ثم تاب وقال هذا الكلام على طريق التوبة فكذلك.

وأما الفخر بالأحساب، فالأحساب الذي يُذكر عن مناقب الآباء السالفين التي نسميها المراجل، إذا تقرر هذا؛ ففخر الإنسان بعمله منهي عنه، فكيف افتخاره بعمل غيره؟

وأما الطعن في الأنساب ففُسر بالموجود في زماننا، ينتسب إنسان إلى قبيلة، ويقول بعض الناس: ليس منهم، من غير بينة، بل الظاهر أنه منهم.

وأما مكر الله؛ فهو أنه إذا عصاه وأغضبه أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه.

وأما الفرق بين الروح والرحمة فلا أعرفه، ولعله فرق لطيف؛ لأن الروح فُسر بالرحمة في مواضع.

وأما قوله: «**لا يؤمن أحدكم...**» الخ، ففُسر بأن المراد اعتقاد ذلك بالقلب، والعمل بذلك الاعتقاد، فإذا كان في القلب ضده وكرهه وصار الكلام والعمل بمقتضى الأمر الممدوح فهو ذلك.

وأما كسوة العرس، وتقييد الكسوة بالحول مطلقًا ومقيدًا، فالذي يُفْتَى به أن هذه الأمور ترجع إلى عُرف الناس، وهو مذهب الشيخ وابن القيم، وأظنه المنقول عن السلف، فأما في العدة فعليه الكسوة والنفقة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦١٤) وابن ماجه (٣٥٢٨) والإمام أحمد (١/ ٤٣٨) مرفوعًا، وصححه الشيخ الألباني (الصحيحة ٤٢٩).

المسألة الخامسة عشرة:

وسئل، عفا الله عنه، عن كون الأذان أوله التكبير وختم بالتكبير.

كذلك قول الله ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ما معنى هذا التكرار؟ هل هو تأكيد أم غير ذلك؟

وعن الإيمان والإسلام، هل هما نوع واحد أم نوعان؟

وعن حديث القرض الذي يقال إنه بثمانية عشر ضعفًا[1] صحيح أم لا؟

الجواب:

ذكروا أن التكبير مناسب في الأذان؛ لأنه مشروع على الأمكنة العالية، كقوله: «كنا إذا هبطنا سبحنا، وإذا علونا كبرنا»[2].

وأما قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ إلى آخره، فذكروا في تفسيرها أن الكلمة الأولى إعلام بأنه سبحانه شهد بهذا، كذلك كل عالم يشهد به، وليس هذا ثناء على نفسه مجردًا، بل هو قيام بالقسط. وأما الكلمة الثانية فهي تعليم وإرشاد.

وأما الإسلام والإيمان هل هما نوع واحد؟ فذكر العلماء أن الإسلام إذا ذُكر وحده دخل فيه الإيمان، كقوله: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ وكذلك الإيمان إذا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢٢) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبًا: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر. فقلت: يا جبريل، ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة» وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف ابن ماجه ٥٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٣).

أُفرد، كقوله في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ فيدخل فيه الإسلام، وإذا ذُكرا معًا كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فالإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة، كما في الحديث: «**الإسلام علانية والإيمان في القلب**»(١) وقوله سبحانه في الحديث: «**أخرجوا مِن النار مَن في قلبه مثقال ذرة...**» إلى آخره(٢) يوافق ما ذكرناه، فإن الإيمان أعلى من الإسلام، ويخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام، ولا يُخرجه من الإسلام إلا الكفر، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام الذي ينفعه، وإن كان ناقصًا، كما في آية الحجرات ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ وحقيقة الأمر أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعًا، وأما الإسلام فقد يستلزمه وقد لا يستلزمه. وحديث القرض لا يصححه الحفاظ، والله أعلم.

المسألة السادسة عشرة:

سُئِلَ رحمه الله تعالى عن مسائل:

الأولى: قوله في باب حكم المرتد: أو استهزأ بالله وكتبه أو رسله كفر. وما وصف هذا الاستهزاء المكفِّر.

الثانية: قول الشيخ: وكان مبغضًا لما جاء به الرسول اتفاقًا. فما معنى هذا؟ وقوله: أو جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويتوكل عليهم. ما وصف هذه الوسائط والتوكل والدعاء والسؤال؟

الثالثة: قولهم: أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين، كَفَرَ. فما

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٣٥) وضعفه الشيخ الألباني (تخريج الطحاوية ٣٩٠).
(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٨٣).

وصف هذا الدين والقول المكفِّر؟

الرابعة قوله: أو نطق بكلمة كُفْرٍ، ولم يعلم معناها، فلا يكفر بذلك. هل المعنى: نطق بها ولم يعرف شرحها. أو: نطق بها ولم يعلم أنها تكفره؟

الخامسة: قولهم: ومَن أطلق الشارع كفره، كدعواه إلى غير الله... إلى آخره، فللعلماء فيه أقوال أيها أقرب إلى الصواب.

السادسة: الذبح للجن؛ قال الشيخ: وأما ما يذبحه الآدمي خوفًا من الجن فمنهي عنه، ونحن لم نفهم إلا هذا من النهي، فإذا قلنا يكفر من ذبح للجن فما دليلنا على المخالف؟

السابعة: قولهم: إذا دعاه إمام أو نائبه. وقولهم: ولا يكفر ولا يقاتل قبل الدعاية. هل المتغلب على بلد حكمه حكم الإمام في الدعاية وإقامة الحدود أم لا؟ وهل يلزمه ذلك شرعًا أم لا؟ فإذا تركه وهو يقدر عليه فما حكمه؟

الثامنة: المسائل الفروعية؛ من الطهارات والصلاة والزكاة والحج والمعاملات والأنكحة والدعاوى، وغيرها عندنا، أتَعَلُّمُها وتعليمُها، بعد معرفة الله وتوحيده وإفراد العبادة له، أنه هو الفقه المتفق على فضله، وهو العلم النافع، وهو الأفضل بعد الجهاد؟ وهل الفتوى من كتب الترجيح المسماة عند أهل العلم أفردوا فيها الراجح عندهم وأورد القول المقابل المقوى عندهم في بعض المسائل، أم الفتوى من المطولات، فربما أطلقوا الأقوال؟ فلم ندرِ ما نفتي به أو نعمل به من الأقوال إلا من كتب المتأخرين وكتب أهل الترجيح، ونحن فرضنا التقليد، فما نفتي به منه؟

التاسعة: بعض الناس يحتج علينا أن المرتد لا يُقتل إلا بعد الاستتابة وقبلها ثبوت الردة، فما الجواب؟

العاشرة: قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالشيوخ والعلماء المتقين. وقولهم: يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح. وقيل: يستحب. قال أحمد إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، وقال أحمد وغيره في قوله ﷺ: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»[١] الاستعاذة لا تكون بمخلوق. فما معنى هذا الكلام؟ وما العمل عليه منهما أم على قوله فما المعنى؟ وقولهم في الشرح: قال إبراهيم الحربي: الدعاء عند قبر معروف الترياق المجرب. فما معنى هذا الكلام؟ قال في «الفروع»[٢]: قال شيخنا: قصده الدعاء عند رجاء الإجابة بدعة لا قربة باتفاق الأئمة. فما معنى هذا الكلام؟

الحادية عشرة: قال في «الإقناع» في آخر الجنائز: ولا بأس بلمسه - أي القبر - باليد، وأما التمسح به والصلاة عنده، أو قصده لأجل الدعاء عنده، معتقدًا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره، أو النذر له ونحو ذلك[٣]. قال الشيخ: وليس هذا من دين المسلمين، بل هو مما أُحدث من البدع القبيحة التي هي من شعب الشرك[٤]. هل هذا شرك أصغر أم أكبر؟ مع قوله هناك في باب النذر: قال الشيخ: النذر للقبور وأهل القبور، كالنذر لإبراهيم عليه السلام أو الشيخ فلان، نذر معصية لا يجوز الوفاء به[٥]. مع قوله في الجنائز قبله: قال في الشرح: يُكره البناء على القبور. إلى أن قال ابن القيم: يجب هدم القباب[٦]. إلى أن قال:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).
(٢) الفروع (٢/ ١٢٧).
(٣) الإقناع (١/ ٢٣٧).
(٤) الإقناع (١/ ٢٣٧).
(٥) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٤٦).
(٦) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٠).

ويُكره المبيت عنده وتجصيصه وتزويقه... إلى آخره[1] إلى أن قال: فالظاهر من هذا الكراهة أو التحريم. فهل يترتب على هذا غير الكراهة أو التحريم؟ أفدنا جزاك الله خيرًا.

فأجاب رحمه الله تعالى بعد السلام: فسرني ما ذكرت، ألهمك الله التوفيق، ولا تعتذر من السؤال، فإن هذا هو الواجب عليك وعلى غيرك، كما قالوا: مفتاح العلم السؤال. ولكن اعلم أن المسائل والعلوم المهجورة لا يفهمها الإنسان إلا بعد المراجعة والمذاكرة، ولو كانت واضحة، وهذه المسائل من العلوم المهجورة، كما ذكرت، فعل الطلبة في باب حكم المرتد مع أن معرفة الله ومعرفة حقه أجلّ العلوم وأشرفها، لا تستحِ من المراجعة وكثرة السؤال، ما بقي عليك شيء من الإشكال، وقولك إن أهل العلم لم يشرحوها فكثير من الكتب لم يوجد عندكم، وإلا جميع ما ذكرت قد شرحوه.

فالمسألة الأولى: قد استدل العلماء عليها بقوله تعالى في حق بعض المسلمين المهاجرين في غزوة تبوك: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية، وذكر السلف والخلف أن معناها عام إلى يوم القيامة، فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول، وصفة كلامهم أنهم قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء[2]. يعنُون بذلك رسولَ الله والعلماءَ في الصحابة، فلما نقل الكلامَ عوفُ بن مالك، أتى القائلُ يعتذر أنه قاله على وجه اللعب، كما يفعل المسافرون، فنزل الوحي أن هذا كفر بعد الإيمان، ولو كان على وجه المزح، والذي يعتذر يظن أن الكفر إذا قاله جادًا أو لاعبًا.

---

(١) كشاف القناع (٢/ ١٤٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ١٧٢) وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩).

إذا فهمتَ أن هذا هو الاستهزاء، فكثير من الناس يتكلم في الله ﷻ، بالكلام الفاحش عند وقوع المصائب، على وجه الجد، وأنه لا يستحق هذا، وأنه ليس بأكبر الناس ذنبًا، وكذلك مَن يدعي العلم والفقه إذا استدللنا عليه بآيات الله أظهر الاستهزاء. وهذه المسألة لعلك لا تحررها تحريرًا تامًّا إلا من الرأس إذا أوقفناك على نصوص أهل العلم ذكروا أشياء لعل كثيرًا من الناس لا ينكرها لو سمعها.

الثانية: قوله: أو كان مبغضًا لما جاء به الرسول، ولم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه، فما هو حال مَن يدعي العلم، ويقرر أنه دين الله ورسوله، ويبغضونه أكثر من دين اليهود والنصارى، بل يعادون مَن التفت إليه، ويُحلون دمه وماله، ويرمونه عند الحكام؟ وكذلك الرسول أتى بالإنذار عن الشرك، بل هو أول ما أنذر عنه، وأعظم ما أنذر عنه، ويقرون أنه أتى بهذا، ويقولون خلق الله ما ينبهون وينصرون بالقلب واللسان واليد والتكفير بالاتفاق فيمن أبغض النهي عنه، وأبغض الأمر بمعاداة أهله، ولو لم يتكلم ولم ينصر، فكيف إذا فعل ما فعل؟

وكذلك مَن جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم، إجماعًا. وذكروا أن هذا بعينه هو الذي يفعله أهل زمانهم عند القبور، فكيف بزماننا؟ يبينه لك قول الشارح لما ذكر هذا، وذكر بعده أنواعًا من الكفر المخرج عن الله، قال: لقد عمّت البلوى بهذه الفِرَق، وأفسدوا كثيرًا من عقائد أهل التوحيد، نسأل الله العفو والعافية[1]. انتهى كلامه في شرح «الإقناع» فإذا كان هذا في زمنه، لم يذكره عن عشرة أو مائة، بل عمت البلوى في مصر والشام في

(١) كشاف القناع (٦/ ١٧١).

زمن الشارح، فأظنك تقطع أن أهل القصيم ليسوا بخير من أهل مصر والشام في زمن الشارح، فتفطن لهذه المعاني وتدبرها تدبرًا جيدًا.

واعلم أن هذه المسألة أمّ المسائل، أو لها ما بعدها، فمن عرفها معرفة تامة تبين له الأمر، خصوصًا إذا عرف ما فعل المويس وأمثاله مع قبة الكواز وأهلها، وما فعله هو وابن إسماعيل وابن ربيعة وعلماء نجد، في مكة سنة الحبس، مع أهل قبة أبي طالب، وإفتاءهم بقتل مَن أنكر ذلك، وأن قتلهم وأخذ أموالهم قربة إلى الله، وأن الحرم الذي يحرم اليهودي والنصراني لا يحرمهم، ثم تفكر في الأحياء الذين صالوا معهم، هل تابوا من فعلهم ذلك، وأسلموا، وعلموا أن عشر معشار ما فعلوا ردة عن الإسلام بإجماع المذاهب كلها، أم هم اليوم على ما كانوا عليه بالأمس؟ والمويس وابن إسماعيل وأحزابهما إلى اليوم علماء يعظَّمون ويُترحَّم عليهم، ومَن دعا الناس إلى التوحيد وترك الشرك هم الخوارج الذين خرجوا من الدين! فالله الله، استعن بالله في فهم هذه المسألة، واحرص على ذلك لعلك أن تخلص من هذه الشبكة، فلو سافر المسلم إلى أقصى المشرق أو المغرب في تحرير هذه المسألة لم يكن كثيرًا والفكرة فيها في أمرين:

أحدهما: في صورة المسألة وما قاله الله ورسوله وقال العلماء.

الفكرة الثانية: إذا عرفت التوحيد الذي دعت إليه الرسل، أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ وأقرَّ به مَن أقرَّ، كيف فعلوا وكيف أحيَوه؟ دخلوا فيه أم عادَوه وصدوا الناس عنه؟ وكذلك لما عرفت ما جاء به من إنكار الشرك والوسائط، وعرفوا قول العلماء إنه الذي عمّت به البلوى في زمانهم، هل فرحوا بالسلامة منه ونهوا الناس عنه، أم زيّنوه للناس وزعموا أن أهله السواد الأعظم، وثبتوه بما قدروا عليه من الأقوال والأعمال، وجاهدوا في تثبيته كجهاد الصحابة

في زواله؟ فالله الله، بادر ثم بادر ثم بادر، فقد قال النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**» فأنت تعرف بدءه يوم قيل للنبي ﷺ: مَن معك على هذا؟ قال: «**حر وعبد**» ومعه يومئذ أبو بكر وبلال.

وقد قال الفضيل بن عياض وهو في زمانه، وهو قبل الإمام أحمد: لا تترك طريق الحق لقلة السالكين، ولا يغرك الباطل لكثرة الهالكين.

ومع هذا وأمثاله من البيان أضعاف أضعاف ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ وما أشكل عليك من هذا فراجع فيه، فإن كلام العلماء في أنه الشرك الأكبر، وأنه اشتهر عند كثير من زمانهم أكثر من أن يحصر.

وأما الثالثة: فالقول الصريح في الاستهزاء بالدين مثل ما قدمت لك، وأما الفعل فمثل مد الشفة، وإخراج أدر من العين، مما يفعله كثير من الناس عندما يؤمر بالصلاة والزكاة، فكيف بالتوحيد؟

الرابعة: إذا نطق بكلمة الكفر ولم يعلم معناها صريحًا واضحًا أنه يكون نطق بما لا يعرف معناه. وأما كونه أنه لا يعرف أنها لا تكفره فيكفي فيه قوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ثم يعتذرون للنبي ﷺ ظانين أنها لا تكفرهم، والعجب ممن يحملها على هذا وهو يسمع قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أيظن أن هؤلاء ليسوا كفارًا؟ ولكن لا تستنكر الجهل الواضح لهذه المسائل لأجل غربتها، ومن أحسن ما يكشف لك الإشكال ما قدمت لك بإجماع العلماء أن هذا كثر في زمانهم، وأيضًا علماء بلدانهم أكثر من علماء بلدانكم.

الخامسة: أن مَن أطلق الشارع كفر بالذنوب، فالراجح فيها قولان:

أحدهما: ما عليه الجمهور أنه لا يُخرج من الملة.

والثاني: الوقف، كما قال الإمام أحمد: أمِرُّوها كما جاءت. يعني لا يقال يخرج ولا ما يخرج، وما سوى هذين القولين غير صحيح.

السادسة: قوله: الذبح للجن منهي عنه، فاعرف قاعدة أهملها أهل زمانك، وهي أن لفظ التحريم والكراهة، وقوله (لا ينبغي) ألفاظ عامة تُستعمل في المكفِّرات والمحرّمات التي هي دون الكفر، وفي كراهة التنزيه التي هي دون الحرام، مثل استعمالها في المكفِّرات قولهم: لا إله إلا الله، لا تنبغي العبادة إلا له. وقوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ولفظ التحريم مثل قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ وكلام العلماء لا ينحصر في قولهم (يحرم كذا) لما صرحوا في مواضع أخر أنه كفر، وقوله (يكره) كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى قوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾ وأما كلام الإمام أحمد في قوله (أكره كذا) فهو عند أصحابه على التحريم.

إذا فهمتَ هذا؛ فهم صرحوا أن الذبح للجن ردة تُخرج، وقالوا: الذبيحة حرام، ولو سمى عليها. قالوا: لأنها يجتمع فيها مانعان:

الأول: أنها مما أُهلّ به بغير الله، **والثاني**: أنها ذبيحة مرتد، والمرتد لا تحل ذبيحته، وإن ذبحها للأكل وسمى عليها، وما أشكل عليك في هذا فراجعني، وأذكر لك لفظهم بعينه.

السابعة: إذا ادعاه إمام أو نائبه، فالأئمة مُجمِعُون في كل مذهب أن مَن تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت

الدنيا، لأن الناس في زمن طويل، قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يُعرف أن أحدًا من العلماء ذكر أن شيئًا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم.

وقولك: هل يجب عليك؟ فنعم يجب على مَن قدر عليه، وإن لم يفعل أثم، ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة في رد ما لا يقدرون على جحده، كما أني لما أمرت برجم الزانية قالوا: لابد من إذن الإمام. فإن صح كلامهم لم يصح ولايتهم القضاء ولا الإمامة ولا غيرها.

الثامنة: مسائل: الحلال والحرام والبيوع والأنكحة وغيرها من أهم أمور الدين وأفضل الأعمال، ولكن تفصيل ما ذكرت من الراجح يحتاج إلى تطويل لا تحتمله الأوراق، ولعله بالمذاكرة إذا التقينا إن شاء الله.

التاسعة: لا يُقتل المرتد إلا بعد الاستتابة، فهذا صحيح، ولم أفعل ذلك مع أحد قاتلناه إلا بعد اللُتيا والتي من الاستتابة.

العاشرة: قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالصالحين. وقول أحمد بالتوسل بالنبي ﷺ خاصة، مع قولهم إنه لا يستغاث بمخلوق، فالفرق ظاهر جدًّا، وليس الكلام مما نحن فيه، فكون بعضٌ يرخص بالتوسل بالصالحين، وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ وأكثر العلماء ينهي عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنه مكروه، فلا نُنكر على مَن فعله، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد، لكن إنكارنا على مَن دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى، ويقصد القبر، ويتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر، أو غيره، يطلب فيه تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصًا له الدين لا يدعو مع الله أحدًا، ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين. أو

يقصد قبر معروف أو غيره، يدعو عنده، لكن لا يدعو إلا الله مخلصًا له الدين، فأين هذا مما نحن فيه؟

الحادية عشرة: في لمس القبر أو قصده للدعاء عنده، فليس هذا من دين المسلمين، فهذا هو الصواب بلا ريب، وكون الشارح ذكر كلام الحربي أن قبر معروف ترياق مجرب(١) فهذا لا يُنكر، لأن العلماء يذكرون في المسألة القولين أو أكثر، ويرجحون الراجح، أو يتوقف بعضهم، ولكن كلام الشيخ بضد كلام الحربي، مخالفٌ له منكرٌ له، ولكن ليكن منك على بال ما أخرج الصحيحان أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات...**»(٢) فتدبر هذا، وأَرْعِهِ سمعك، وأحضِرْ قلبك: إذا كان الرسول ﷺ ما أمره أن يدعوهم إلى الصلوات الخمس، إلا إن استجابوا للتوحيد، فكيف بمن لا يهمه في دينه إلا بعض مسائل الاجتهاد، مع ما يراه من سب الناس للتوحيد، واستحلالهم دم مَن دان به وماله، ودعوتهم إلى الشرك الأكبر، ودعواهم أن أهله السواد الأعظم، ثم مع هذا إذا أخذهم السيف كرهًا قالوا: ما خالفنا، والناس يكذبون علينا، وعرفنا الكذب، وإلا جميع ما جرى منهم لم يُقروا به ولم يتوبوا منه، والرسول ﷺ هذه وصيته لمعاذ، فاتق الله في تدبر هذا الحديث، وتدبر ما عليه أعداء الله من العداوة للتوحيد.

وأما المسائل التي ذكر في الجنائز؛ مِن لمس القبر والصلاة عنده وقصده لأجل الدعاء، أو كذا وكذا، فهذا أنواع:

---

(١) كشاف القناع (٢/ ٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

أما بناء القباب عليها؛ فيجب هدمها، ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر، وكذلك الصلاة عنده، وقصده لأجل الدعاء، فكذاك لا أعلمه يصل إلى ذلك، ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك، فيشتد نكير العلماء لذلك، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١) وذكر العلماء أنه يجب التغليظ في هذه الأمور لأنه يفتح باب الشرك، كما أنه أول ما حدث في الأرض بسبب وَدٍّ وسُوَاعٍ ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرٍ، لما عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم يتذكرون بها الآخرة، ثم بعد ذلك بقرون عُبِدُوا، فكذلك في هذه الأمة كما قال ﷺ: «**لتتبعن سَنَنَ مَن كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» فأول ما حدث الصلاة عند القبور والبناء عليها، من غير شرك، ثم بعد ذلك بقرون وقع الشرك، وأول ما جرى من هذا أن بني أمية لما بنوا مسجد الرسول ﷺ وسَّعُوه واشتروا بيوتًا حوله، ولم يمكنهم إدخال بيت النبي ﷺ الذي فيه قبره وقبر صاحبيه، ولكن أدخلوا البيت في المسجد لأجل توسيع المسجد، ولم يقصدوا تعظيم الحجرة لذلك، لكن قصدوا تعظيم المسجد، ومع هذا أنكره علماء المدينة، حتى قُتل خبيب بن عبد الله بن الزبير بسبب إنكاره ذلك، فانظر إلى سد العلماء الذرائع.

وأما النذر له ودعاؤه والخضوع له فهو من الشرك الأكبر، فتأمل ما ذكره البغوي في تفسير سورة نوح، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ﴾ الآية، وما ذكر أيضًا في سورة النجم في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ أن اللات قبر رجل صالح، فتأمل الأصنام التي بُعثت الرسل بتغييرها، كيف تجد فيها قبور

---

(١) آخرجه البخاري (٤٣٥) ومسلم (٥٢٩).

الصالحين؟ والحمد لله رب العالمين، وهذا آخر ما وُجد في ذلك، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

المسألة السابعة عشرة:

سُئِلَ رَحِمَهُ اللهُ، عن الجد هل يكون بمنزلة الأب في الميراث؟ وما حجة مَن قال بذلك؟ وعن قسم المال جزافًا، وما معنى الاحتساب في نفقة الأهل؟

وعن قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وقوله في كلام البقر والذئب: «**آمنت به أنا وأبو بكر وعمر...**» إلى آخره[1].

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: أما كون الجد أبًا فرُجح بأمور:

أحدها: العموم، واستدل ابن عباس على ذلك بقوله ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾.

الثاني: محض القياس، كما قال ابن عباس: **ألا يتقي الله زيدٌ؛ يجعل ابن الابن ابنًا، ولا يجعل أب الأب أبًا!**.

الثالث: أنه مذهب أبي بكر الصديق.

الرابع: أن الذين ورّثوا الإخوة معه اختلفوا في كيفية ذلك، كما قال البخاري لما ذكر قول الصديق: ويُذكر عن علي وابن مسعود وزيد أقاويل مختلفة.

الخامس: أن الذين ورّثوهم لم يجزموا، بل معهم شك، وأقروا أنهم لم يجدوه في النص، لا بعموم ولا غيره.

السادس: وهو أبينها كلها، أن هذا التوريث وكيفياته لو كان من الله لم يُتصور أن يهمله النبي ﷺ مع صعوبته والاختلاف فيه بالكلية. وأما حجة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢٤).

المخالف منهم فمُقِرُّون أنه محض رأي لا حجة فيه إلا قياسًا، فيما زعموا.

وأما قسم المال جزافًا فأرجو أنه لا بأس به؛ كما في ثمرة النخل.

وأما المساقاة كما أردتم فلا أدري، وأنا أكرهه.

وأما معنى الاحتساب في نفقة الأهل فمُشْكِلٌ عليّ.

وأما قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه، حتى الأنبياء، فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمنًا، فإذا كان محتاجًا إلى الأدلة التي توجب له الطمأنينة فكيف بغيره؟ ولذلك قال ﷺ في الصحيح: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**»(١).

وأما قوله في كلام البقرة والذئب: «**آمنت به أنا وأبو بكر وعمر**» ولَيْسَا في ذلك المكان، فكان هذا من الإيمان بالغيب المخالف للمشاهدة، وذلك أن الناس يشاهدون البهائم لا تتكلم، فلما أخبر ﷺ أن هذا جرى فيما مضى، تعجبوا من ذلك مع إيمانهم، فقال: «**آمنت به أنا وأبو بكر وعمر**» فلما ذكرهما لهذا المقام العظيم، الذي طلب إبراهيم في مثله العيان ليطمئن قلبه، مع كونهما ليسا في المجلس محل ذلك، دل على أن إيمانهما أعلى من إيمان غيرهما، خصوصًا لما قرنهما بإيمانه ﷺ ومع هذا فأمور الإيمان من الأمور الميتة، لكن لعلكم تفهمون منها شيئًا إذا قرأتم في كتاب الإيمان، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

المسألة الثامنة عشرة:

سُئِلَ رحمه الله، عن قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ الآية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣٧) ومسلم (١٥١).

فأجاب رحمه الله: اعلم، رحمك الله، أن الله سبحانه عالم بكل شيء، يعلم ما يقع على خلقه، وما يقعون فيه، وما يرد عليه من الواردات إلى يوم القيامة، وأنزل هذا الكتاب المبارك، الذي جعله تبيانًا لكل شيء، وجعله هدى لأهل القرن الثاني عشر ومن بعدهم، كما جعله هدى لأهل القرن الأول ومن بعدهم، ومن أعظم البيان الذي فيه بيانُ الحجج الصحيحة، والجوابُ عما يعارضها، وبيانُ بطلان الحجج الفاسدة ونفيها، فلا إله إلا الله، ماذا حُرِمَهُ المُعْرِضُون عن كتاب الله من الهدى والعلم؟ ولكن لا معطي لما منع الله.

هذه التي سألت عنها فيها بيان بطلان شبهٍ يحتج بها بعض أهل النفاق والريب، في زماننا هذا، في قضيتنا هذه، وبيان ذلك: أن هذه في آخر قضية آدم وإبليس، وفيها من العبر والفوائد العظيمة لذريتهما ما يجل عن الوصف؛ فمن ذلك أن الله أمر إبليس بالسجود لآدم، ولو فعل لكان فيه طاعة لربه، وشرفًا له، ولكن سولت له نفسه أن ذلك نقص في حقه، إذا خضع لواحد دونه في السن ودونه في الأصل، على زعمه، فلم يطع الأمر، واحتج على فضله بحجة، وهي أن الله خلقه من أصلٍ خيرٍ من أصل آدم، ولا ينبغي أن الشريف يخضع لمن دونه، بل العكس، فعارَضَ النصَّ الصريح بفعل الله، الذي هو الخلق، فكان في هذا عبرة عظيمة لمن رد شيئًا من أمر الله ورسوله، واحتج بما لا يجدي، فلما فعل لم يعذره الله بهذا التأويل، بل طرده، ورفع آدم وأسكنه الجنة، فكان مع عدو الله من الحفظ والفطنة ودقة المعرفة ما يجل عن الوصف، فتحيل على آدم حتى ترك شيئًا من أمر الله، وذلك بالأكل من الشجرة، واحتج لآدم بحجج، فلما أكل لم يعذره الله بتلك الحجج، بل أهبطه إلى الأرض وأجلاه من وطنه، ثم قال: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ يقول تعالى: لَأُجْلِيَنَّكُم عن وطنكم. فإن بعد هذا الكلام وهو أني أرسل إليكم هدى

من عندي، لا أكلكم إلى رأيكم، ولا رأي علمائكم، بل أُنزل عليكم العلم الواضح الذي يبين الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد، والنافع من الضار ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ ومعلوم أن الهدى هو هذا القرآن، فمن زعم أن القرآن لا يقدر على الهدى منه، إلا مَن بلغ رتبة الاجتهاد، فقد كذّب الله بخبره أنه هدى، فإنه على هذا القول الباطل لا يكون هدىً إلا في حق الواحد من الآلاف المؤلفة، وأما أكثر الناس فليس هذا في حقهم، بل الهدى في حقهم أن كل فرقة تتبع ما وجدت عليه الآباء! فما أبطل هذا من قول؟ وكيف يصح لمن يدعي الإسلام أن يظن بالله وكتابه هذا الظن؟

ولما عرف سبحانه أن هذه الأمة سيجري عليها ما جرى على من قبلها، من اختلافهم على أكثر من سبعين فرقة، وأن الفرق كلها تترك هدى الله إلا فرقة واحدة، وأن كل الفرق يقرون أن كتاب الله هو الحق، لكن يعتذرون بالعجز، وأنهم لو يتعلمون كتاب الله ويعملون به لم يفهموا الغموض، قال: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ وهذا تكذيب هؤلاء الذين ظنوا في القرآن ظن السوء.

قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة[(١)]. وبيان هذا أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم لو تركوا طريقة الآباء واقتصروا على الوحي لم يهتدوا بسبب أنهم لا يفهمون، كما قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ فضمن لمن اتبع القرآن أنه لا يضل كما ضل مَن اتبع الرأي، فتجدهم في المسألة الواحدة يحكون سبعة أقوال أو ستة، ليس منها قول صحيح، والذي ذكره الله في كتابه في تلك المسألة بعينها لا يعرفونه.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٨٩).

والحاصل؛ أنهم يقولون: لا نترك القرآن إلا خوفًا من الخطأ، ولم نُقبل على ما نحن فيه إلا للعصمة. فعكس الله كلامهم، وبيَّن أن العصمة في اتباع القرآن إلى يوم القيامة.

وأما قوله: ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ فهم يزعمون أن الله يرضى بفعلهم ويثيبهم عليه في الآخرة، ولو تركوه واتبعوا القرآن لغلطوا وعوقبوا، فقد ذكر الله أن مَن اتبع القرآن أمن من المحذور، الذي هو الخطأ عن الطريق، وهو الضلال، وأمن من عاقبته، وهو الشقاء في الآخرة، ثم ذكر الفريق الآخر الذي أعرض عن القرآن فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ وذكرُ الله هو القرآن الذي بيَّن الله لخلقه فيه ما يُحب ويكره، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ الآيتين، فذكر الله لمن أعرض عن القرآن وأراد الفقه من غيره عقوبتين:

إحداهما: المعيشة الضنك. فسرها السلف بنوعين:

أحدهما: ضنك الدنيا، وهو أنه إن كان غنيًا سُلِّط عليه خوف الفقر، وتعب القلب والبدن في جميع الدنيا، حتى يأتيه الموت ولم يتهنَّ بعيش.

الثاني: الضنك في البرزخ، وهو عذاب البرزخ. وفُسر الضنك في الدنيا أيضًا بالجهل، فإن الشك والحيرة لهما من القلق وضيق الصدر ما لهما، فصار في هذا مصداق قوله في الحديث عن القرآن: «**من ابتغى الهدى من غيره أضله الله**»[1] فبان لك أن الله عاقبهم بضد قصدهم، فإنهم قصدوا معرفة الفقه، فجازاهم بأن أضلّهم وكدّر عليهم معيشتهم بعذاب قلوبهم، لخوف الفقر، وقلة غناء أنفسهم، وعذاب أبدانهم، بأن سلّط عليهم الظلمة والفقر، وأغرى بينهم

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ٢٠٨١).

العداوة والبغضاء، فإن أعظم الناس تعاديًا هؤلاء الذين ينتسبون إلى المعرفة.

ثم قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ والعمى نوعان: عمى القلب، وعمى البصيرة، فهذا المُعرض عن القرآن لما عميت بصيرته في الدنيا عن القرآن، جازاه الله أن حشره يوم القيامة أعمى.

قال بعض السلف: أعمى عن الحجة، لا يقدر على المجادلة بالباطل كما كان يصنع في الدنيا. ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ فذكر الله أنه يقال له: هذا بسبب إعراضك عن القرآن في الدنيا وطلبك العلم من غيره.

قال ابن كثير[١] في الآية ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾: أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه، وأخذ من غيره هداه ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح ولا تنعُّم، وظاهره أن قومًا أعرضوا عن الحق، وكانوا في سعة من الدنيا، فكانت معيشتهم ضنكًا، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مُخلفًا لهم معايشهم، من سوء ظنهم بالله. ثم ذكر كلامًا طويلًا، وذكر ما ذكرته من أنواع الضنك، والله ﷻ أعلم.

المسألة التاسعة عشرة:

سُئِلَ رحمه الله، عن رجل خاشر خشراء[٢]، وطلبوا ضمان أخيه، وقال له أخوه: لا أضمن عليك إلا أن ترهنني رهانة، وأرهنه نصف نخلة في هذا الدَّين الذي ضمن، والنصف الآخر مرهون عند غيره، وعليه دين غير هذا كثير، وذُكر لنا عنك أن الرهن لا يصح، وأن ديّانيه مشتركون فيما عنده، وهذه كثيرة الوقوع،

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٢).
(٢) أي: شارك شركاء.

وغالب مَن يدينونه الديانون فقير، فإن لم يصح له رهن ولا وفاء، إلا من الجميع، ولم يحجر عليه، فاذكر لنا صورة المسألة، وأنا طالعتها، ولا رأيت الاختلاف إلا في التبرعات المالية، كالعتق والصدقة، وذكروا أن مذهب الإمام أحمد وغيره نفوذ تصرفه ولو استغرق ماله، وخالف الشيخ ابن تيمية في ذلك وقال: لا ينفذ؛ لأن عليه واجبًا. وأما غير التبرعات فلا وجدنا شيئًا، فأنت اذكر لنا من مأخذ المسألة، والذي ظهر لنا في هذا أن هذه المسألة إن قيل بها ما احتيج لحجر الحاكم، أو من أن يستغرق الدَّين ماله، لم ينفذ تصرفه، ويلزم على هذا لوازم كثيرة، فأنت اذكر لنا شيئًا نعتمد عليه، فإن الخطب كبير، أفتنا مأجورًا؟

أجاب رحمه الله:

صورة المسألة أن الراجح الذي عليه كثير من العلماء، أو أكثرهم، أن الرهن لا يلزم إلا بالقبض، وقبض كل شيء هو المتعارف، وقبض الدار والعقار هو تسلم المرتهن له، ورفع يد الراهن عنه، هذا هو القبض بالإجماع، ومَن زعم أن قوله مقبوض يصير مقبوضًا، خارج الإجماع، مع كونه زورًا مخالفًا للحس. إذا ثبت هذا فيجوز ما أفتينا بلزوم هذا الرهن، إلا لضرورة وحاجة، فإذا أراد صاحبها أن يأكل أموال الناس، ويخون في أمانته لمسألة مختلف فيها، فالرجوع إلى الفتوى بقول الجمهور في هذه المسألة، فإن رجعت إلى كتاب الله وسنة رسوله في إيجاب العدل وتحريم الخيانة، فهذا هو الأقرب قطعًا، وإن رجعت إلى غالب كلام العلماء فهم لا يلزمون ذلك، إلا برفع يد الراهن، وكونه في يد المرتهن.

وأما قولك: لم أجد الخلاف إلا في الصدقة والهبة. فهذا هو العجب،

أتُرَاهم يُبطلون العتق الذي هو من أحب الأشياء إلى الله، ويسري في ملك الغير، ويردون الصدقة بعدما يأخذها الفقير لأجل العدل ووفاء الدين، ويمنعونه في الرهن ولو كان صحيحًا؟

وأما قولك: إن صح هذا لم يحتج إلى الحجر. فيقال: إن الحجر يمنع تصرفه مطلقًا، ولو كان فيه إصلاح لنفسه أو للغرماء، وأما هذه المسألة فتصرفه صحيح كله، إلا ما عصى الله فيه ورسوله، وخان أمانته، وظلم الناس، فهذا هو المطابق للعقل والنقل، ولكن هذا أوحشته الغربة،كما استُوحش من إنكار الشرك، والله أعلم.

المسألة العشرون:

سُئِلَ رحمه الله، عن هذه المسألة، وهي قلب الدَّين في ذمة المدين بتمر أو غيره.

فأجاب بقوله: من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن عبد الله بن إسماعيل، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد وصل كتابك تسأل عن المسألة التي يفعلها كثير، إذا ورد له على رجل دراهم، وأراد أن يقلبها بزاد، و أخرج من بيته دراهم، وصحح بها وأوفاه بها، وأنا قد ذكرت لك أنها من الحيل الباطلة التي يُنكرها الإمام أحمد وغيره من الأئمة، وأغلظوا القول في أهلها، وذلك أن عندهم لابد من كون رأس مال السَلم مقبوضًا في مجلس العقد، وعندهم أن كونه دينًا - أعني رأس مال السلم - رِبًا، وهذه بعينها مسألتكم، إلا أنه لما اعترف بكونه ربا، أحضر من بيته عدة الدَّين المقلوب وعقد بها، والعارف والشهود ومَن حضرهم يعلمون أن المكتوب هو الدين الحالّ، والتاجر يقول له: أوفني أو اكتبها. والمشتري يقول: ورد له دراهم وكتبتها منه. ويفهمون أن الدراهم الحاضرة غير مقصودة، ويسمون هذا

العقد التصحيح، وهذا لا يُنكره إلا مكابر معاند، وحينئذ فعباراتهم والحيل التي تحل حرامًا أو تُحرم حلالًا لا تجوز في شيء من الدين، وهي أن يُظهرا عقدًا صحيحًا، ومرادهما التوصل به إلى عقد غير صحيح، هذا معنى عبارة «الإقناع» وشرحه، فإن جادلكم أحد في أن هذه الصورة غير داخلة في ذلك؛ فقل له: مثل صورة الحيل المحرمة، فإنه لا يذكر شيئًا من الصور إلا ومسألتكم مثلها أو أشد بطلانًا.

وأعجب من هذا أن ابن القيِّم ذكر في «إعلام الموقعين» في صورة أحسن من هذه وأقرب إلى الحل ما صورته: لو أراد أن يجعل رأس مال السَلم دينًا، يوفيه إياه في وقت آخر، بأن يكون معه نصف دينار، ويريد أن يُسلم إليه دينارًا غير معين في كُر حنطة[(١)]، فالحيلة أن يُسلم إليه دينارًا غير معين، ثم يوفيه نصف الدينار، ثم يعود فيستقرضه منه، ثم يوفيه إياه، فيفترقان وقد بقي له في ذمته نصف دينار، وهذه الحيلة من أقبح الحيل، فإنهما لا يخرجان بها عن تأخير رأس مال السَلم، ولكن توصلا إلى ذلك بالقرض الذي جعلا صورته مبيحة لصريح الربا، ولتأخير رأس مال السَلم، وهذا غير القرض الذي جاءت به الشريعة، وإنما اتخذه المتعاقدان تلاعبًا بحدود الله[(٢)]. انتهى كلامه.

فانظر، فهذا كان كلامه فيمن أراد أن يُسلم إلى رجل مائة محمدية من بيته، باطنًا وظاهرًا، ولكن لم يُحضر في المجلس إلا خمسين، وكتبها عليه، ثم استقرضها وكتبها أخرى، إلى أن يخرج بالخمسين في آخر النهار أو غد، فكيف بكلامه في التحيل على قلب الدَّين وجعله رأس مال السَلم؟ وإذا كان هذا كلامه

---

(١) الكُر - بضم الكاف -: كيل معروف بالعراق.

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٣٠٨ - ٣٠٩).

في «إعلام الموقعين» وهو الذي ينسبون عنه إذا أراد أن يشتري دابة بخمسين، وجاء رجل وربّحه في الخمسين خمسًا، أو أكثر أو أقل، وقال: أنا موكلك، تشتريها ثم تبيعها على نفسك. وهذه الحيلة الملعونة التي هي أغلظ من الربا، واستباح بها إلى الآن أكثر المطاوعة الربا الصريح، وينسبونها إلى «إعلام الموقعين»، وحاشاه منها، بل هذا صفة كلامه في رأس مال السَلم الحاضر إذا تأخر قبض بعضه إلى آخر النهار، فضلًا عن هذه وأمثالها، ومع هذا فالله سبحانه لا مرد لحكمه، ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾، والسلام.

المسألة الحادية والعشرون:

قال رحمه الله: سألني رجل عن وقف نخل تعطل، وبيع نصفه لإصلاح النصف الآخر بمائة أحمر، واستأجروا بمائة الأحمر مَن يسقي النصف الآخر عشر سنين، فمات الذي استأجره لمّا مضى بعض من المدة، وهي سنتان، وأراد ورثته أن يتموا باقي مدته، وأراد المؤجر الفسخ.

فأجبت: أن الإجارة صحيحة ثابتة، لا تنفسخ بموت المستأجر، فإذا تمّم الورثة ما على ميتهم استحقوا ما استحقه، وليس للمؤجر الفسخ، ودليل هذا أن القول بانفساخ الإجارة، أو المساقاة، قول ضعيف رده أهل العلم بالنص الثابت، من ذلك أن النبي ﷺ لما ساقى أهل خيبر لم يجدد الخلفاء بعده عقدًا، فإذا ثبت هذا فقد أمر الله بالوفاء بالعقود بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ وهذا اللفظ عام من جوامع الكلم، فمن ادعى في صورة من العقود أنه لا يجوز، ولا يجوز الوفاء به لأجل موت أو غيره، فعليه الدليل ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾.

المسألة الثانية والعشرون:

قال رحمه الله تعالى: الذي يعلم به ويقف على هذا من الإخوان المتبعين محمدًا ﷺ أن ابن صباح[1] سألني عما يُنسب إليّ فأجبته، فطلب مني أن أكتب له في ورقة، فكتبت له:

الحمد لله، أما بعد: فما ذكره المشركون عني أني أنهى عن الصلاة على النبي ﷺ أو أني أقول أني لي أمر هدمت قبة النبي ﷺ أو أني أتكلم في الصالحين أو أنهى عن محبتهم، فكل هذا كذب وبهتان، افتراه عليّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل، مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس، الذين يأمرون الناس أن ينذروا لهم وينتخوهم ويندبوهم، كذلك فقراء الشياطين الذين ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر رحمه الله، وهو منهم بريء كبراءة علي بن أبي طالب من الرافضة، فلما رأوني آمر الناس بما أمرهم به نبيهم ﷺ ألا يعبدوا إلا الله، وأن مَن دعا عبد القادر فهو كافر، وعبد القادر منه بريء، وكذلك مَن انتخى الصالحين أو الأولياء، أو ندبهم، أو سجد لهم، أو نذر لهم، أو قصدهم بشيء من أنواع العبادة، التي هي حق الله على العبيد، وكل إنسان يعرف أمر الله ورسوله، لا يُنكر هذا الأمر، بل يقرُّ به ويعرفه.

وأما الذي ينكره، فهو بين أمرين؛ إن قال: إن دعوة الصالحين واستغاثتهم والتذلل لهم، وصيرورة الإنسان فقيرًا لهم، أمر حسن، ولو ذكر الله ورسوله أنه كفر. فهذا مُصرح بتكذيب الله ورسوله، ولا خفاء في كفره، فليس معنا له كلام.

---

(١) عبدالله بن صباح، حاكم الكويت في عصر الشيخ (ت ١٢٢٩هـ). انظر: «العلاقات بين الدولة السعودية والكويت»؛ للدكتور عبدالله العثيمين (ص ٨١ - ٨٧)، و«أمراء وعلماء من الكويت على عقيدة السلف»؛ للشيخ دغش العجمي (ص ٣٤ - ٣٥).

وأما كلامنا مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، ويُحب ما أحب الله ورسوله، ويُبغض ما أبغض الله ورسوله، لكنه جاهل، قد لبست عليه الشياطين دينه، ويظن أن الاعتقاد في الصالحين حق، ولو يدري أنه كافر يدخل صاحبه في النار، فنحن نبيّن لهذا ما يوضح الأمر فنقول:

الذي يجب على المسلم أن يتبع أمر الله ورسوله ويسأل عنه، فالله سبحانه أنزل القرآن وذكر لنا فيه ما يحبه وما يبغضه، وبيّن لنا فيه ديننا وأكمله، وكذلك محمد ﷺ أفضل الأنبياء، فليس على وجه الأرض أحد أحب من الصحابة له، فهم يحبونه أكثر من أنفسهم وأولادهم، ويعرفون قدره، ويعرفون أيضًا الشرك والإيمان، فإن كان أحد من المسلمين في زمان النبي ﷺ دعاه، أو نذر له، أو ندب له، أو أحد من أصحابه جاء عند قبره بعد موته يسأله، أو يندبه، أو يدخل عليه ملتجئًا به عند القبر، فاعرف أنه أمر صحيح حسن، ولا تُطِعْني ولا غيري.

وإن كان إذا سألت وجدت أنه ﷺ تبرأ ممن اعتقد في الأنبياء والصالحين، وقتلهم، وسباهم وأولادهم، وأخذ أموالهم، وحكم بكفرهم، فاعرف أن النبي ﷺ لا يقول إلا الحق، ولا يأمر إلا بالحق، والواجب على كل مؤمن اتباعه فيما جاء به.

وبالجملة؛ فالذي أُنكره الاعتقاد في غير الله فيما لا يجوز صرفه لغيره، فإن كنتُ قلته من عندي فارم به، أو من كتاب الله لقيته ليس عليه عمل فارم به كذلك، أو نقلته عن أهل مذهبي فارم به أيضًا. وإن كنتُ قلته عن أمر الله ورسوله، وعما أجمع عليه العلماء في كل مذهب، فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُعرض عنه لأجل أهل زمانه، أو أهل بلده، أو أن أكثر الناس في زمانه أعرضوا عنه.

واعلم أن الأدلة على هذا من كلام الله وكلام رسوله كثيرة جدًّا، لكن أُمثل

لك بدليل واحد ينبهك على غيره، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ ذكر المفسرون في تفسيرها أن جماعة كانوا يعتقدون في عيسى عليه السلام، وعُزير، فقال الله تعالى هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي.

فيا عباد الله تفكروا في كلام ربكم تبارك وتعالى، إذا كان ذكر عن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أن دينهم الذين كفّرهم هو الاعتقاد في الصالحين، وإلا فالكفار يخافون الله ويرجونه ويحجون ويتصدقون، ولكنهم كفروا بالاعتقاد في الصالحين، وهم يقولون: إنما اعتقدنا فيهم ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ ويشفعون لنا، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ فيا عباد الله إذا كان الله ذكر في كتابه أن دين الكفار هو الاعتقاد في الصالحين، وذكر أنهم اعتقدوا فيهم، ودعَوهم، وندبوهم لأجل أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، هل بعد هذا البيان بيان؟

فإذا كان مَن اعتقد في عيسى ابن مريم، مع أنه نبي من الأنبياء، وندبه وانتخاه، فقد كفر، فكيف بمن يعتقد في الشياطين، كالكلب أبو حديدة، وعثمان الذي في الوادي، والكلاب الأُخر في الخرج، وغيرهم في سائر البلدان، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله؟

وأنت يا مَن هداه الله، لا تظن أن هؤلاء يحبون الصالحين، بل هؤلاء أعداء الصالحين، وأنت والله الذي تحب الصالحين، لأن مَن أحب قومًا أطاعهم، فمن أحب الصالحين وأطاعهم لم يعتقد إلا في الله، وأما مَن عصاهم ودعاهم، يزعم أنه يحبهم، فهو مثل النصارى الذين يدعون عيسى ويزعمون محبته، وهو

بريء منهم، ومثل الرافضة الذين يدعون علي بن أبي طالب وهو بريء منهم.

ولنختم الكتاب بكلمة واحدة، وهي أني أقول: يا عباد الله، لا تطيعوني، ولكن تفكَّروا واسألوا أهل العلم من كل مذهب عما قال الله ورسوله، وأنا أنصحكم: لا تظنون أن الاعتقاد في الصالحين مثل الزنا والسرقة، بل هي عبادة الأصنام، مَن فعله كفر، وتبرأ من رسول الله ﷺ، يا عباد الله تفكروا وتذكروا، والسلام.

الثالثة والعشرون:

قال رحمه الله: الذي يعلم به الأخ مقرن بن عبد الله، بعد إبلاغ السلام، أن ابن صالح سألني عن التذكير، فقلت: إنه بدعة، فذكر أن عندنا مَن لا يعرف الجمعة إلا به، وذُكر له أن رسول الله ﷺ أعلم منا بصالح أمته، وهو سَنَّ الأذان، ونهى عن الزيادة، فإذا فتح الله لكم بابًا في اتباع نبيكم ﷺ فلا تتثقلوا من قطع العادات في طاعة الله ورسوله، والسلام.

الرابعة والعشرون:

قال رحمه الله: إلى الأخ سليمان، وبعد:

مسألة الخُمس، فاعلم أن الأمر أمران: أمر تأمر به، وأمر يفعله الغير وتحتاج إلى الإنكار فيه، والثاني نتوسع فيه، إلا أن نرى منكرًا صريحًا.

إذا ثبت هذا، فمسألة الخُمس لا أكره فعلهم، إذا أخذوه باسم الخُمس. وأما سهم النبي ﷺ وذوي القربى ففيه كلام طويل. وقد ذُكر أن أبا بكر وعمر لم يعطيا بني هاشم، فالذي أرى أن يجري في المصالح حتى يتبين فيه حكم. وأما مصرف المصالح عندكم فهذا الذي تذكر أنهم يفعلونه، ما علمت فيه خلافًا،

لكن لا يُقتصر عليه، بل من المصالح ما هو أهم منه. وأما عقوبة مَن تخلَّف وعصى الأمر يأخذ شيئًا من ماله، فقد ذكر ابن القيِّم أن بعض السلف أفتى به، وظاهر كلامه أنه مقرر له، والسلام.

الخامسة والعشرون:

قال رحمه الله: يعلم مَن يقف عليه أني وقفت على أوراق بخط ولد ابن سحيم، يريد أن يصد بها الناس عن دين الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله، فأردت أن أنبه على ما فيها من الكفر الصريح وسب دين الإسلام، وما فيها أيضًا من الجهالة التي يعرفها العامة.

فأما تناقض كلامه فمن وجوه:

الأول: أنه صنّف الأوراق يسبنا، ويردُ علينا في تكفير كل مَن قال (لا إله إلا الله) وهذا عمدة ما يشبّه على الجهال، وعقد لها فصلًا في أوراقه يقول: أما مَن قال (لا إله إلا الله) لا يكفر، ومن أمَّ القبلة لا يكفر. فإذا ذكرنا لهم الآيات التي فيها كفره وكفر أبيه وكفر الطواغيت يقول: نزلت في اليهود، نزلت في النصارى، نزلت في فلان! ثم رجع في أوراقه يُكذب نفسه ويوافقنا ويقول: مَن قال إن النبي ﷺ قال: أملس الكف كفر، ومَن قال كذا كفر، وتارة يقول ما يوجد الكفر فينا، وتارة يقرر الكفر أعجب ليأتيه.

الثاني: أنه ذكر في أوراقه أنه لا يجوز الخروج عن كلام العلماء، وهو صادق في ذلك، ثم ذكر فيها كفر القدرية، والعلماء لا يكفرونهم، فكفر أناسًا لم يكفروا، وأنكر علينا تكفير أهل الشرك!

الثالث: أنه ذكر معنى التوديك أنها تصرف جميع أنواع العبادات، من الأقوال والأفعال، لله وحده، ولا تجعل فيها شيئًا لملَك مقرّب ولا نبي مرسل،

وهذا حق، ثم يرجع يكذب نفسه ويقول إن دعاء شمسان وأمثاله في الشدائد، وينذر له ليبرؤوا المريض، ويفرّجوا عنه المكروه الذي لم يصل إليه عبدة الأوثان، بل يُخلصون لله في الشدائد، ويجعل هذا ليس من الشرك، ويستدل على كفره الباطل بالحديث الذي فيه: «**إن الشيطان يئس أن يعبد في جزيرة العرب...**»[1] إلى آخره.

الرابع: أنه قسّم التوحيد إلى نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ويقول إن الشيخ بيَّن ذلك، ثم يرجع يرد علينا في تكفير طالب الحضر وأمثاله، الذين يُشركون بالله في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ويزعمون أن حسينًا وإدريس ينفعون ويضرون، وهذه الربوبية، ويزعم أنهم يُنتخون ويُندبون، وهذا توحيد الألوهية.

الخامس: أنه ذكر في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أنها كافية في التوحيد، فوحّد نفسه في الأفعال، فلا خالق إلا الله، وفي الألوهية فلا يُعبد إلا الله، وبالأمر والنهي فلا حكم إلا لله، فيُقرر هذه الأنواع الثلاثة ثم يكفر بها كلها ويرد علينا، فإذا كفّرنا مَن قال: إن عبد القادر والأولياء ينفعون ويضرون، قال: كفرتَ الإسلام. وإذا كفرنا مَن يدعو شمسان وتاجًا وحطابًا قال: كفرتم الإسلام. والعجب أنه يقول: إن من التوحيد توحيد الله بالأمر والنهي، فلا حكم إلا لله. ثم يرد علينا إذا عملنا بحكم الله ويقول: مَن عمل بالقرآن كفر، والقرآن ما يُفسّر.

السادس: أنه ينهى عن تفسير القرآن ويقول: ما يُعرف. ثم ينحرف يفسر ويقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيها كفاية، فلما فسرها كفر بها.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢).

السابع: أنه ذكر أن التوحيد له تعلق بالصفات، وتعلق بالذات، وقبل ذلك قد كتب إلينا أن التوحيد في ثلاث كلمات: إن الله ليس على كل شيء، وليس في شيء، ولا من شيء، فتارة يذكر أن التوحيد إثبات الصفات، وتارة يقول ذلك ويقول توحيد إنكار الصفات.

الثامن: أنه ذكر آيات وأحاديث في النهي عن الشرك وقال: المراد بهذه الآيات والأحاديث الشرك الخفي والشرك الجلي، كشرك عبّاد الشمس، لا على العموم كما يتوهمه الجهال، فصرح أن مراد الله ومراد النبي ﷺ لا يدخل فيه إلا عبادة الأوثان، وأن الشرك الأصغر لا يدخل فيه، وسمى الذين أدخلوه (الجهال) ثم في آخر الصحيفة بعينه، قوله: ويُطلق الشرك بعبارات أُخر، وكل ذلك في قوله ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فرد علينا في الصحيفة، وكذب على الله ورسوله في أن معنى ذلك بعض الشرك، ثم رجع يقرر ما أنكره ويقول: إن الشرك الأكبر والأصغر داخل في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

التاسع: أنه ذكر أن الشرك أربعة أنواع: شرك الربوبية، وشرك الألوهية، وشرك العبادة، وشرك الملك، وهذا كلام مَن لا يفهم ما يقول، فإن شرك العبادة هو شرك الألوهية، وشرك الربوبية هو شرك الملك.

العاشر: أنه قال في مسألة الذبح والنذر: ومَن قال إن الذبح والنذر عبادة؛ فهو منه دليل على الجهل؛ لأن العبادة ما أُمر به شرعًا، من غير اطّراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي، والبهم لا يفهم معنى العبادة، فاستدل على النفي بدليل الإثبات.

الحادي عشر: أنه بعد أربعة أسطر أكذب نفسه في كلامه هذا، فقال: مَن ذبح لمخلوق، يقصد به التقرب، أو لرجاء نفع، أو لدفع ضرر، من دون الله، فهذا كفر. فتارة يرد علينا إذا قلنا إنه عبادة، وتارة يُكفر مَن فعله.

الثاني عشر: أنه قرر أن مَن ذبح لمخلوق لدفع ضر أنه كفر، ثم إنه يُقرر أن الذبح للجن ليس بكفر.

الثالث عشر: أنه رد علينا في الاستدلال بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ ثم رجع يقرر ما قلنا بكلام البغوي: كان ناس يذبحون لغير الله، فنزلت فيهم الآية. فيا سبحان الله من عقول تفهم أن هذا الرجل من البقر الذي لا تميز بين التين والعنب.

السادسة والعشرون:

سأله الشيخ أحمد بن مانع عن مسائل، فأجاب بقوله:

من محمد بن عبد الوهاب إلى أخيه أحمد بن مانع، حفظه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فنحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بخير وعافية، أتمّها الله علينا وعليكم في الدنيا والآخرة، وكل مَن تسأل عنه فهو طيب، والأمور على ما تحب، والإسلام يزداد ظهورًا، والشرك يزداد وهنًا، نسأل الله تمام نعمته، وسر الخاطر ما ذكرت من جهة جماعتكم، عسى الله أن يهدينا وإياكم الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم؛ فإنه عليه سهل هين، مع كونه سفت عليه الرياح حتى وارته، وصاحب الورقة الذي اسمه عثمان بن عقيل إن كنت تظن أنه صادق ماهو بمنافق؛ فلا يخلى بلا كشف الشبهة التي أوردها.

وأما المسائل التي ذكرت، فاعلم **أولًا** أن الذي اتضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق، وقد عرفتَ بعض غربة التوحيد الذي هو دين الإسلام، من الصلاة والصوم، ولم يضره ذلك، فإذا فهمتَ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى

ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وتحققتَ أن هذا حتم على المؤمنين كلهم، فاعلم أن مسألة الأوقاف فيها النزاع معروف في كتب المختصرات، ذكر في شرح «الإقناع»[١] حول الوقف أنهم اتفقوا على صحة وقف المساجد والقناطر، يعني نفعها لا الوقف عليهما، واتفقوا فيما سوى ذلك.

إذا تبين هذا؛ فأنت تعلم أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢] وفي لفظ حديث صحيح «**مَن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٣] وتقطع أن الرسول ﷺ لم يأمر بهذا، ولو يكن الصحابة أسبق الناس إليه وأحرصهم عليه، وتقطع أيضًا أن الرسول ﷺ أتى إليه، وهو من أعظم الأشياء ذريعة إلى تغيير حدود الله، هذا على تقدير أن العالم المنسوب إليه هذا يصحح مثل أوقافنا، وأنى ذلك! وحاشا وكلا! بل هم يُبطلون الوقف الذي يُقصد به وجه الله على أمر مباح! ويقولون: لا بد منه على أمر قربة.

وأما كونه جعل ماله بعد الورثة على بر لم يرد إلا بعد انقراضهم، وعادتنا نفتي ببطلان مثل هذا، ولا نلتفت إلى هذا المصرف الثاني، وذكر بطلان مثل هذا في «الشرح الكبير» وغيره.

وأما المسألة الثانية: وهي وقف المرأة على ولدها، وليس لها زوج... الخ، فكذلك تعرف أن الوقف على الورثة ليس من دين الرسول ﷺ ولو شرعه لكان أصحابه أسرع الناس إليه، سواء شرط على قسم الله أم لا، وهذا في الحقيقة يريد أمرين: الأول: تحريم ما أحل الله لهم من بيعه وهبته والتصرف

---

(١) الإقناع (٢/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٨).

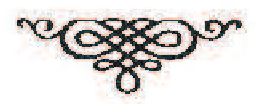
فيه، والثاني: يحرم زوجات الذكور وأزواج الإناث، فيشابه مشابهة جيدة ما ذكر الله عن المشركين في سورة الأنعام، ولكن كون الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر به كافٍ في فساده، صلحت نية صاحبه أم فسدت.

وأما المسألة الثالثة: إذا لم يعرف؛ هل هذا وقف على مَن يرث أم لا؟ ولكن الإفاضة على أنه ممَن يرث، فأنا لا أدري عن هذه المسألة شيئًا، لكن أرى التوقف عنها، ولا يُنزع من يد مَن يأكله إلا ببينة.

وأما المسألة الرابعة: وهي الوقف على المحتاج من ذريته، فهو صحيح، ذكره البخاري عن ابن عمر؛ أنه وقف نصيبه من دار عمر على المحتاج من آل عبد الله[1].

وأما المسألة الخامسة: وهي مسألة الجمعة، فهي باطلة؛ لكونها وقفًا على الورثة، وأيضًا يحرم بعضهم، وأيضًا لم تُشرع.

وأما بيع الإنسان نصيبه من هذه الصُبرة على صاحب العقار أو غيره؛ فلا يجوز، بل الصُبرة باطلة من أصلها، فإن كان هذا الجواب أزال عنك الإشكال، وإلا فلو ذكرت لي طوّلت لك، وذكرت لك العبارات والأدلة، والسلام.



(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٤).

الفصل الخامس
في ذكر كلامه على آيات متفرقة من القرآن، وما فُتح عليه في ذلك من البيان[١]

كان، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجاد على ضريحه من البر مقذفة هامعة، قد أُعطي في القرآن فهمًا وقادًا حديدًا، ومقولًا باهرًا مصيبًا سديدًا، ومنطقًا موفقًا مجيدًا، فكان إذا تكلم على الآيات ونزلها على الواقع بهر السامع كلامه، وكتب على كثير من السور مسائل كثيرة، مثل تفسير سورة يوسف والحجر والزمر والنمل.

ونذكر في هذا الفصل كلامه على الآيات المتفرقة من كل سورة، على ترتيب المصحف الكريم، ونذكر كلامه على سورة الفاتحة بكمالها، لأجل ما فيه من الفوائد العظيمة. وكان سبب تأليفه لسورة الفاتحة أن الأمير عبد العزيز، حفظه الله تعالى، كتب له، وهو إذ ذاك في بلد العيينة، يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة، فكتبها له، وهو إذ ذاك صغير السن، قد ناهز الاحتلام، قال رحمه الله:

اعلم أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال العبد على الله فيها، والسهو عن حضور القلب، ويدل على ذلك الحديث الذي في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق؛ يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعًا لا يذكر**

---

(١) يُنبه هنا إلى أن ابن غنام رحمه الله ينتقي من تفسير الشيخ محمد رحمه الله، ولم يورد جميع كلامه في التفسير. ويُنظر في: «مجموعة مؤلفات الشيخ».

الله فيها إلا قليلًا»[١] فوصفه بإضاعة الوقت بقوله «**يرقب الشمس**» وبإضاعة الأركان بذكره النقر، وبإضاعة حضور القلب بقوله: «**لا يذكر الله فيها إلا قليلًا**» إذا فهمت ذلك فافهم نوعًا واحدًا من الصلاة، وهو قراءة الفاتحة، لعل الله أن يجعل صلاتك في الصلاة المقبولة المضاعفة المكفرة للذنوب، ومن أحسن ما يفتح لك الباب في فهم الفاتحة: حديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله: أثنى عليَّ عبدي. فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال الله: مجدني عبدي. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل» انتهى الحديث[٢] فإذا قال الإنسان هذا، وعلم أنها نصفان، نصف لله، وهو أولها إلى قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ونصف العبد دعاء يدعو به لنفسه، وتأمل أن الذي علّمه هذا هو الله تعالى، وأمره أن يدعو به ويكرره في كل ركعة، وأنه سبحانه من فضله وكرمه ضمن إجابة هذا الدعاء بإخلاص وحضور، قلب؛ تبيَّن له ماذا أضاع أكثر الناس:

قد هيئوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

فأنا أذكر لك معاني هذه السورة العظيمة لعلك تصلي بحضور قلب، ويعلم قلبك ما نطق به لسانك، فإن ما نطق به اللسان ولم يعتقده القلب ليس بعمل

---

(١) أخرجه مسلم (٦٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٣٩٥).

صالح، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وأبدأ بمعنى البسملة، ثم الاستعاذة على طريق الاختصار والإيجاز.

فمعنى «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»: ألوذ وأعتصم بالله، وأستجير بجنابه من هذا العدوان الذي يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أُمرت به، أو يحثني على فعل ما نُهيت عنه. لأنه أحرص ما يكون على العبد إذا أراد عمل الخير، من صلاة أو قراءة أو غير ذلك، وذلك أنه لا حيلة لك في دفعه إلا بالاستعاذة بالله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإذا طلبت من الله أن يعيذك منه، واعتصمت به، كان هذا سببًا لحضور القلب، فاعرف معنى هذه الكلمة، ولا تقلها باللسان كما عليه أكثر الناس.

وأما البسملة، فمعناها: أدخل في هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك «بسم الله» لا بحولي ولا قوتي، بل أفعل هذا الأمر مستعينًا بالله، متبركًا باسمه تبارك وتعالى، هذا في كل أمر، تسمى في أوله، من أمر الدين أو أمر الدنيا. فإذا أحضرت في قلبك أن دخولك في القراءة مستعينًا بالله، متبرئًا من الحول والقوة، كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب وطرد الموانع من كل خير ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: اسمان مشتقان من الرحمة، أحدهما أبلغ من الآخر، مثل العلام والعليم، قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر. أي أكثر من الآخر رحمة.

وأما الفاتحة؛ فهي سبع آيات، ثلاث ونصف لله، وثلاث ونصف للعبد، فأولها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فاعلم أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، فأخرج بقوله (الثناء باللسان) الثناء بالفعل، الذي يسمى (لسان الحال) فذلك من نوع الشكر، وقوله (على الجميل الاختياري) الذي

يفعله الإنسان بإرادته، وأما الجميل الذي لا صنع لك فيه، مثل الجمال ونحوه، فالثناء به يُسمى مدحًا لا حمدًا.

والفرق بين الحمد والشكر، أن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان إحسانًا إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر، لأنه لا يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله يُحْمَدُ على ما له من الأسماء الحسنى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وغير ذلك من الآيات.

وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ والحمد إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه.

والألف واللام في قوله ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ للاستغراق، وجميع أنواع الحمد لله لا لغيره. فأما الذي لا صنع للمخلوق فيه، مثل خلق الإنسان، وخلق السمع والبصر، والسماء والأرض، والأرزاق وغير ذلك، فواضح. وأما ما يُحمد عليه المخلوق، مثل ما نثني به على الصِبا بخير، والأنبياء والمرسلين، وعلى مَن فعل معروفًا، خصوصًا إن أسداه إليك، فهذا كله أيضًا بمعنى خلق ذلك الفاعل، وأعطاه ما فعل به ذلك، وحببه إليه، وقوّاه عليه، أو غير ذلك من أفضال الله الذي لو يخيل منها لم يحمد ذلك المحمود، فصار الحمد كله لله بهذا الاعتبار.

وأما قوله ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فـ(الله) علم على ربنا تبارك وتعالى، ومعنى الإله أي المعبود، لقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: المعبود في السماوات، والمعبود في الأرض، ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى

﴿الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ الآية. وأما (الرب) فمعناه المالك المتصرف. وأما (العالمين) فهم اسم لكل ما سوى الله تبارك وتعالى، فكل ما سواه؛ من ملك ونبي وإنس وجن وغير ذلك، مربوب مقهور، يتصرف فيه، فقير، محتاج إليه، كلهم صامدون إلى واحد لا شريك له في ذلك، وهو الغني الصمد.

وذكر بعد ذلك ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وفي قراءة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وذكر في أول هذه السورة التي هي أول المصحف الألوهية والربوبية والملك، كما ذكره في آخر سورة في المصحف ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى، ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن، ثم ذكرها مجموعة في آخر ما يطرق سمعك من القرآن، فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع، ويبذل جهده في البحث عنه، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن، ثم في آخر القرآن، إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتهما، ومعرفة الفرق بين هذه الصفات، فكل صفة لها معنى غير الصفة الأخرى.

فإذا عرفتَ أن معنى (الله) الإله، وعرفت أن الإله هو المعبود، ثم دعوت الله وذبحت له أو نذرت له، فقد عرفت أن هذا لله، وإن دعوت مخلوقًا، طيبًا أو خبيثًا، أو ذبحت له أو نذرت له، فقد زعمت أنه هو الله، فمن عرف أنه جعل شمسان أو تاجًا برهة من عمره هو الله، عرف ما عرفت بنو إسرائيل لما عبدوا العجل، فلما تبين لهم ارتاعوا وقالوا لما ذكر الله عنهم: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وأما الرب فمعناه المالك المتصرف، فالله تعالى مالك كل شيء وهو المتصرف فيه، وهذا حق، ولكن أقرّ به عبّاد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كما ذكر الله فيهم في القرآن في غير موضع، كقوله: ﴿قُلْ مَن

يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فمن دعا الله في تفريج كربته وقضاء حاجته، ثم دعا مخلوقًا في ذلك، خصوصًا إن قرن بدعائه المخلوق، فنسبه نفسه إلى عبوديته، مثل قوله في دعائه: فلان عبدك. أو قول: عبد عليّ، أو عبد النبي، أو عبد الزبير. قد أنزل بالربوبية في دعائه عليًا أو الزبير بدعاء الله تبارك وتعالى، وأقر له بالعبودية ليأتي له بهذا من شرائع تسميته نفسه عبد الله، قد أقر له بالربوبية، ولم تر بأنه رب العالمين، بل جحد بعض ربوبيته.

فرحم الله عبدًا نصح نفسه وتفطن لهذه المهمات، وسأل عن كلام أهل العلم، وهم أهل الصراط المستقيم، هل فسروا هذه السورة بهذا أم لا؟

وأما الملك فيأتي الكلام عليه، وذلك أن قوله مالك وفي القراءة الأخرى ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فمعناه عند جميع المفسرين كلهم ما فسره الله به بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ فمن عرف تفسير هذه الآية، وعرف تخصيص الملك بذلك، مع أنه ﷻ مالك كل شيء، ذلك اليوم وغيره، عرف تخصيصه بهذه المسألة الكبيرة العظيمة، التي بسبب معرفتها دخل الجنة مَن دخلها، وبسبب الجهل بها دخل النار مَن دخلها، فيا لها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها، فأين هذا المعنى والإيمان بما جاء به القرآن مع قوله ﷺ: «**يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا**»[1] من قول صاحب البردة:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم

(١) أخرجه البخاري (٣٥٢٧) ومسلم (٢٠٥).

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمدًا وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادي آخذًا بيدي فضلًا وإلا فقل يا زلة القدم

فليتأمل الناصح لنفسه هذه الأبيات ومعناها، ومَن فُتِنَ بها من العباد، وممن يدَّعي أنه من العلماء اختاروا تلاوتها على تلاوة القرآن، هل يجتمع في قلب عبد التصديق بهذه الأبيات والتصديق بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ وقوله: «**يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا**» لا والله، لا والله، كما لا يجتمع في قلبه أن موسى صادق، وأن فرعون صادق، وأن محمدًا صادق على الحق، وأن أبا جهل صادق على الحق، والله ما استويا، ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان.

فمن عرف هذه المسألة، وعرف البُردة ومَن فتن بها، عرف غربة الإسلام، عرف أن العداوة لنا واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا ليس عن التكفير والقتال، بل هم الذين بدأونا بالتكفير والقتال، بل عند قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وعند قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ وقوله: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ **الآية**.

فهذه بعض المعاني من قوله: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بإجماع المفسرين كلهم، وقد فسر الله سبحانه في سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ كما قدمتُ لك، فاعلم أرشدك الله أن الحق لا يتبين إلا بالباطل كما قيل: وبضدها تتميز الأشياء

فتأمل ما ذكرتُ لك ساعة بعد ساعة، ويومًا بعد يوم، وشهرًا بعد شهر، وسنة بعد سنة، لعلك أن تعرف ملة إبراهيم ودين نبيك محمد، فتحشر معهما، ولا تُصَدّ عن الحوض يوم الدين كما يُصَدّ عنه مَن صَدَّ عن طريقهما، ولعلك أن تمر على الصراط المستقيم يوم القيامة ولا تزل عنه كما زلّ عنه مَن زلّ عن صراطهما المستقيم في الدنيا، فعليك بإدامة دعاء الله بدعاء الفاتحة مع حضور قلب وخوف وتضرع.

وأما قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالعبادة كمال الخضوع، وكمال المحبة والخوف والذل، وقدم المفعول وهو ﴿إِيَّاكَ﴾ وكرر للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك. وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، فالأول: التبري من الشرك، والثاني: التبري من الحول والقوة، فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إياك نوحد، ومعناه أنك تعاهد ربك ألا تشرك في عبادتك أحدًا، لا ملكًا ولا نبيًا ولا غيرهما، كما قال تعالى للصحابة: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فتأمل هذه الآية، واعرف ما ذكرتُ لك في الربوبية أنها التي نُسبت إلى تاج ومحمد بن شمسان، فإذا كان الصحابة لو فعلوها مع الرسل لكفروا بعد إسلامهم، فكيف بمن فعلها في تاج وأمثاله؟

وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هذا فيه أمران:

أحدهما: سؤال الله الإعانة، وهو التوكل والتبري من الحول والقوة، **وأيضًا**: طلب الإعانة من الله كما مرّ أنها من نصف العبد.

وأما قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فهذا هو الدُّعاء الصريح الذي هو حظ العبد من الله، وهو التضرع إليه، والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم، الذي لم يُعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما منّ الله على رسوله ﷺ بعد الفتح بقوله: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ والهداية هنا الإرشاد والتوفيق، وليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة التي تتضمن العلم النافع والعمل الصالح على وجه الاستقامة بالكمال والثبات إلى أن يلقى الله.

والصراط: الطريق الواضح، المستقيم: الذي لا عِوج فيه. والمراد بذلك الدين الذي أُنزل على رسول الله ﷺ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، فأنت دائمًا في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى

طريقهم. وعليك من الفرائض أن تصدق الله في أنه هو المستقيم، وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم، بل معوجّ، وهذا أول واجبات هذه الآية، وهو اعتقادك ذلك بالقلب.

وليحذر المؤمن من خدع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملًا وتركه مفصلًا، فإن أكثر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق، وأن مَن خالفه على الباطل، فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم يكونون كما قال الله تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾.

وأما قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى، وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون[(١)] ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم، وهو يُقِرُّ أن ربَّه فارِضُه عليهم، وأن يدعو بهذا الدعاء ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله، كيف يُعلمه الله ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائمًا، مع أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أن فعله هذا من ظن السوء بالله! هذا آخر الفاتحة.

وأما قوله: ﴿آمين﴾ فليست من الفاتحة، ولكنها تأمين على الدعاء، ومعناها: اللهم استجب. فالواجب تعليم الجاهل لئلا يظن أنها من كلام الله، والله أعلم. تمت ولله الحمد.

وقال أيضا رحمه الله، في مسائل ذكرها على سورة الفاتحة:

الأولى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيها التوحيد.

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (١٠٤٠) وصححه الشيخ الألباني (تخريج الطحاوية ٥٩٤).

الثانية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فيها المتابعة.

الثالثة: أركان الدين الحب والرجاء والخوف، فالحب في الأولى، وهي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ والرجاء في الثانية، وهي ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ والخوف في الثالثة، وهي ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

الرابعة: هلاك الأكثر في الجهل بالآية الأولى، أعني استغراق الحمد لله، واستغراق ربوبية العالمين.

الخامسة: أول المنعم عليهم، وأول المغضوب عليهم والضالين.

السادسة: في ذكر المنعم عليهم ظهور الكرم والحمد.

السابعة: ظهور القدرة والمجد في ذكر المغضوب عليهم والضالين.

الثامنة: دعاء الفاتحة مع قوله: «**لا يستجيب دعاء من قلب غافل**»[(١)].

التاسعة: قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فيه حجية الإجماع.

العاشرة: ما في الجملة من هلاك الإنسان إذا وكل إلى نفسه.

الحادية عشرة: ما فيها من النص على التوكل إذا وكل الإنسان إلى نفسه.

الثانية عشرة: ما فيها من التنبيه على بطلان الشرك.

الثالثة عشرة: التنبيه على بطلان البدع.

الرابعة عشرة: آيات الفاتحة، كل آية لو يفهمها الإنسان كان فقيهًا، وكل آية أفرد معناها بالتصنيف.

وقال الشيخ رحمه الله ورضي عنه: قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) وحسنه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٢٤٥).

مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ فيه مسائل:

الأولى: كون أناس من أهل الكتاب إذا وقعت المسألة، وأرادوا إقامة الدليل عليها، تركوا كتاب الله كأنهم لا يعلمون، واحتجوا بما في الكتب الباطلة.

الثانية: أن من العجب احتجاجهم بذلك على رسول من الرسل.

الثالثة: أن الكلام يدل على أنهم يعلمون، لقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الرابعة: أن المسائل الباطلة قد تُنسب إلى الأنبياء كذبًا عليهم.

الخامسة: أن الكتب قد تضاف إلى بعض الصديقين.

السادسة: أن ذلك مما تتلو الشياطين على زمان الأنبياء، كما وقع أشياء في زمن النبي ﷺ.

السابعة: أن الشياطين مزجت به الحق في زمن سليمان.

الثامنة: بيان ضلال مَن ضل ممن يدعي العلم في شأن سليمان، ممن نسب ذلك إليه واستحسنه، أو قدح في سليمان، كما ضل أناس كثير في عليّ لما قُتِلَ عثمان.

التاسعة: أن مَن فعل السحر كفر ولو عرف أنه باطل.

العاشرة: أن الشياطين يُعلمونه الناس.

الحادية عشرة: أن العبد لو بلغ ما بلغ في العلم والعمل فلا يأمن مكر الله.

الثانية عشرة: لا ينبغي له التعرض للفتن وثوقًا لنفسه، بل يسأل الله العافية.

الثالثة عشرة: سعة حلم الله ومغفرته ورحمته.

الرابعة عشرة: يجعل بعض نظره إلى القضاء والقدر.

الخامسة عشرة: أن النساء من أكبر الفتن.

السادسة عشرة: أن طاعة الهوى جماع الشر، كما أن مخالفته الخير.

السابعة عشرة: أن الشرك الأكبر مما يخطر بالبال.

الثامنة عشرة: أن التلفظ بالشرك بكلمة واحدة لا يُشترط في كفر مَن تكلم بها عقيدة القلب ولا عدم الكراهة للشرك.

التاسعة عشرة: أن المتكلم لا يُعذر، ولو أراد أن يقضي به غرضًا مهمًّا.

العشرون: أن قتل النفس أعظم من الزنا.

الحادية والعشرون: أن المعاصي بريد الكفر.

الثانية والعشرون: أن بعضها يجر إلى بعض.

الثالثة والعشرون: أن عقوبة المعصية قد تكون أكبر مما يظن العالم.

الرابعة والعشرون: أن قبول التوبة بلا عذاب لا يحصل لكل أحد بل هو فضل من الله.

الخامسة والعشرون: أن من النعيم تعذيبَ العبدِ بذنبه في الدنيا.

السادسة والعشرون: حسن الظن بالله.

السابعة والعشرون: القاعدة التي هي خاصية العقل، وهو ارتكاب أدنى الشرين لدفع أعلاهما، وتفويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما.

الثامنة والعشرون: أن السحر نوعان.

التاسعة والعشرون: أن له تأثيرًا، لقوله: ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾.

الثلاثون: الإرشاد إلى التوكل بكونه لا يضر أحدًا إلا بإذن الله.

الحادية والثلاثون: أن في مَن يدعي العلم مَن اختار كتب السحر على كتاب الله.

الثانية والثلاثون: أنهم يعارضون به كتاب الله.

الثالثة والثلاثون: أن اتباع كتابٍ غير كتاب الله ضلال.

الرابعة والثلاثون: لا تأمن الكتب، ولا مَن ينتسب إلى العلم على دينك.

الخامسة والثلاثون: أن فساد العلماء يُفسد الرعية.

السادسة والثلاثون: أن السحر وقع في زمن خلافة النبوة، حتى إن عمر وغيره أمر بقتل الساحر ولم يستتبه كما استتاب المرتد.

السابعة والثلاثون: أن الحسد سبب لرد كتاب الله.

الثامنة والثلاثون: أن الحاسد قد يُبغض الناصح ويسعى في قتله.

التاسعة والثلاثون: أن الحسد يحمله على رد حظه من الله في الدنيا والآخرة.

الأربعون: أنه من أخلاق اليهود.

الحادية والأربعون: أن المحسود يرفعه الله على الحاسد.

الثانية والأربعون: أن بالطاعة خير الدنيا والآخرة، وبالمعصية العكس.

الثالثة والأربعون: أن في مَن ينتسب إلى العلم مَن يختار الكفر على الإيمان، مع علمه أن مَن اختاره لا حظ له في الآخرة.

الرابعة والأربعون: أن الإنسان يجتمع فيه الضدان: يعلم ولا يعلم.

الخامسة والأربعون: بيان غبنهم والتسجيل على فرط جهلهم في هذا الشرط.

السادسة والأربعون: أن السبب في هذا الشرط اشتراء شيء خسيس تافه من الدنيا.

السابعة والأربعون: أنهم لمحبتهم ما هم عليه من الجاهلية وغرامهم نبذوا كتاب الله الذي عندهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعرفونه.

الثامنة والأربعون: أن الذي حملهم على هذه العظائم أنهم أتاهم أمر من الله موافق لدينهم، لكن مخالف لعاداتهم الجاهلية.

التاسعة والأربعون: الفرق بين المعجزات والكرامات وبين ما يفعله الشياطين تشبهًا بذلك وتشبيهًا.

الخمسون: التنبيه على قول الصحابي: «**أوَ يأتي الخير بالشر؟**» وجوابه ﷺ[١].

الحادية والخمسون: أنه لا ينبغي للإنسان أن يُنكر ما لم يُحط به علمًا، فقد ضل بالتكذيب بهذه القصة فئام من الناس؛ لظنهم أنها تخالف ما علموه من الحق، وتكلم بسببها ناس في نبي الله سليمان بن داود، عليه السلام.

وقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فيه مسائل:

الأولى: كون أناس ممن ينتسبون إلى العلم والدين يجري منهم هذا عمدًا جرأة على الله، وما أكثر مَن ينكر هذا.

الثانية: التنبيه على كثرة هذا الصنف.

الثالثة: كون المنتسب إلى العلم يتمنى إضلال غيره إذا عجز عنه.

الرابعة: أن سبب هذا الأمر الغريب هو الحسد، لا خوف مضرة ولا طلب مصلحة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٥) ومسلم (١٠٥٢).

الخامسة: أن المنتسب إلى العقل والعلم قد يسعى فيما يعلم أنه مصلحة لدنياه ليزيله، وفيما يعلم أنه مضرة لدنياه ليأتي به، فإنهم يعلمون أن زوال المفاسد وحصول المصالح في هذا الدين، وكانوا يستفتحون على مَن ظلمهم، فلما جاء حملهم الحسد على ما ذكر.

السادسة: أن الحسد سبب للكفر، كما وقع لهؤلاء ولإبليس.

السابعة: ذكر العفو الذي هو من أسباب العز وقهر الخصم، كما ورد في الحديث.

الثامنة: الرفق في الأمر وفعله بالتدريج، كما فعل عمر بن عبد العزيز.

التاسعة: أنه سبحانه يُمهل ولا يُهمل.

العاشرة: الإشعار بالنسخ قبل وقوعه.

الحادية عشرة: تسلية المظلوم المحسود.

الثانية عشرة: التنبيه على العلة.

الثالثة عشرة: أن الظالم الحاسد يذله الله، كما جرى لهؤلاء يوم القيامة، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الرابعة عشرة: وهي الاستدلال بالصفات على الأفعال.

الخامسة عشرة: وهي الاستدلال بالقدرة على ما لا يُظَنُّ وقوعه.

السادسة عشرة: وهي الاستدلال بها على جعل العفو سببًا لعز العافي وذلة المعفوّ عنه، عكس ما يظن الأكثر، وأما الاستدلال بها على ما كذَّب به الجهال استبعادًا، مثل عذاب القبر وغيره، أو مثل الصراط والميزان وغيرهما، أو ما يجري في الدنيا من تبديل الأحوال من الغنى إلى الفقر وضده، ومن الذل إلى

العز وضده - فأكثر من أن يُحصر، ولكن مِن أحسن ما فيها.

المسألة السابعة عشرة: وهي تنبيه أعلم الناس على أشكل المسائل بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ والله تعالى أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

ذكر ما في بعض قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ من بيان الحق وإبطال الباطل: الأول: إذا كانت المُحَاجَّة في الله سبحانه مِن أقرب ما يكون إليه من المختلفين في مسألة التوحيد، وبيان ذلك بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه، ومعرفة حالنا وحالكم في مسألة، وذلك أنا مُجْمِعُون على استوائنا وإياكم في العبودية، بخلاف ملوك الدنيا، فإن بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقرابة وغيرها، ومُجْمِعُون أيضًا أنه لا يظلم أحدًا من عبيده، بل كل نفس ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ بخلاف ملوك الدنيا؛ فإنهم يأخذون مال هذا ويعطونه هذا، فإذا كان الأمر كذلك فكيف تَدَّعُون أنكم أولى بالله مِنَّا ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون؟ وكيف يُظَنُّ به أنه يساوي بين مَن قَصَدَه وحده لا شريك له، ومَن قَصَد غيره وأعرض عنه؟ وهل يظن عاقل أو سفيه برجل من بني آدم، خصوصًا إذا كان كريمًا، أن مَن قصده وضاف عنده يَكْرَهُهُ ولا يَضِيفُهُ، ويخص بالرضا والكرامة والضيافة مَن أعرض عنه وضاف عند غيره، مع استواء الجميع في القرب منه والبعد؟ هذا لا يُظَنُّ في الآدمي فكيف يظن برب العالمين؟ فتبيّن بقضية العقل أن ما جاءت به الرسل من الإخلاص هو الموافق للعقل، وما فعل المشركون هو العجاب المخالف للعقل، فيا لها من حجة! ما أعظمها وأبينها، لكن لمن فهمها كما ينبغي.

قال الشيخ رحمه الله: ذكر بعض ما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ إلى الجزء(١)، ففي الآية الأولى مسائل:

الأولى: أنه تعالى حكيم، لا يضع الأشياء إلا في مواضعها، لأنه ما جعله إمامًا إلا بعدما أتم ما ابتلاه به، وسئل بعضهم: أيما: الابتلاء أوالتمكين؟ فقال: الابتلاء ثم التمكين.

الثانية: إذا كان يبتلي الأنبياء، هل يفعلونه أم لا؟ فكيف بغيرهم؟

الثالثة: الثناء على إبراهيم بأنه أتم الكلمات التي ابتلاه بها، وقيل إن الله لم يبتلِ أحدًا بهذا الدين فأتمه إلا إبراهيم، ولهذا قال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾.

الرابعة: أنه سبحانه جازاه على ذلك بأمور: منها أنه جعله للناس إمامًا، ولما علِمَ ﷺ كِبَرَ هذه العطية سألها للذرية، وهي **الخامسة**.

والسادسة: أن الله أجابه أن هذه المرتبة لا ينالها ظالم، ولو من ذرية الأنبياء.

السابعة: أن هذا يدل على أن الإمامة في الدين تحصل لغير الظالم، فليست بمختصة.

الثامنة: معرفة قدر هذه المرتبة التي أكرم بها، وهي الإمامة في الدين.

وأما الآية الثانية(٢) ففيها مسائل:

كونه سبحانه جعل البيت الذي بناه إبراهيم مثابة مع المشاق العظيمة، وذلك من الآيات.

---

(١) قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

الثانية: أنه جعله آمنًا عند الكفار، وذلك من أعجب الآيات.

الثالثة: أمره أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى، وهذا من الخصائص، فيتفطن المؤمن لشبهة المبتدعة؛ لأنه لا يجوز أن يُتخذ من مقام غيره مصلى.

الرابعة: أن فيها الرد على أهل الكتاب الذين لا يعظمونه، مع ما فيه من الآيات، ومع ما عندهم من العلم بذلك.

وأما الآية الثالثة(١) **ففيها مسائل**:

الأولى: ذكره أنه عهد إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهراه لهذه الطائفة، ولذلك أنزل الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾.

الثانية: أن فيها الرد على أهل الكتاب والمشركين.

الثالثة: العجب العجاب معاكستهم هذا الأمر، فلا يردون عنه إلا الطائفة المأمور بتطهيرهم له.

الرابعة: أنه نعتهم بالطُّوَّاف والرُّكَّع السُّجود والعُكُوف، فدل على أن نفس العكوف فيه عبادة.

الخامسة: أن التقدم عند الله بالأعمال الصالحة لا بالنسب، فأمر بتطهيرهم له وإن لم يكونوا من ذريته، وأمر بطرد ذريته عنه إذا لم يكونوا كذلك.

وأما الآية الرابعة(٢) **ففيها مسائل**:

الأولى: دعوة إبراهيم للبلد وأهله، ولا يناقض تحريمه يوم خلق الله السماوات والأرض.

---

(١) الهامش السابق.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

الثانية: دعوة إبراهيم للبلد وأهله بالأمن والرزق.

الثالثة: الآية العظيمة في إجابة هذه الدعوة.

الرابعة: تخصيصه بها من آمن بالله واليوم الآخر.

الخامسة: قوله ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فلما دعا بأمر الدين منع الله الظالم من ذريته، ولما خص بالأمر الآخر ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ قال الله ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ وذلك للفرق بين الدارين.

السادسة: أنه لما أخبر أن ذلك للمؤمن وغيره، فقد يتوهم منه كرامة الجميع، فأخبر أنه لو عم العاصي فيه بالأمن والرزق فإنه يضطره إلى عذاب النار.

السابعة: أن المجاورة عنده كما أنها تنفع المطيع فهي تضر العاصي، لقوله: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ ولذلك انتقل ابن عباس منها إلى الطائف.

وأما الآية الخامسة[1] ففيها مسائل:

الأولى: التصريح بأن الاثنين بَنَيَاه.

الثانية: جلال الله وعظمته في قلوب الذين يعرفونه لدعوتهما بالقبول، وكان بعض السلف إذا قرأها يبكي ويقول: خليل الله يرفع قواعد بيت الله، ويخاف ألا يقبله!

الثالثة: توسلهما بالصفات.

الرابعة: طلبهما أن يرزقهما الله الإسلام، وهُمَا هُمَا! والغفلة عن هذه الكلمة من العجائب.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

الخامسة: إشراكهما في الدعوة بعض الذرية، ففيها رغوب المؤمن وحرصه على صلاح ذريته.

السادسة: طلبهما أن يعلمهما المناسك، ففيها حرصهما على العمل بالنص مع عصمتهما.

السابعة: طلبهما أن يتوب عليهما، وهُمَا هُمَا! ففيها خوفهما من الذنوب.

الثامنة: التوسل بالصفات.

التاسعة: التعليل بكونه التواب الرحيم، ولولا ذلك لاستحقا العقوبة.

العاشرة: الرد على المشركين وأهل الكتاب.

الحادية عشرة: أن دعوتهما بهذه النعمة، التي هي أعظم النعم، للذرية، جعلها الذرية من أعظم المصائب.

وأما الآية السادسة(١) ففيها مسائل:

الأولى: دعوتهما للذرية ببعثة الرسول، فكانت عندهم أعظم البلاء، مع دعواهم أنهم على ملتها.

الثانية: أنهما أرادا بذلك أن يعلمهم الكتاب والحكمة، ويتلو عليهم الآيات ويزكيهم، قيل إن استماع التلاوة والتزكي بها فرض عين، وأما علم الكتاب والحكمة ففرض كفاية.

الثالثة: أن نسبة الزكاة إلى السبب لا بأس به، مع أن المزكي في الحقيقة هو الله وحده.

---

(١) قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

الرابعة: التوسل بالصفات.

وأما الآية السابعة[١] **فهي من جوامع الكلم وأظهر البراهين، فنذكر شيئًا من ذلك**:

الأولى: أنه بيَّن أن ملة إبراهيم هي الإسلام، ومنه تعظيمه وحجه، ومع إقرار علماء أهل الكتاب بذلك يرغبون عنه، وهذه مسألة مهمة، يدل عليها قوله: «**ومن رغب عن سنتي فليس مني**»[٢].

الثانية: أن أكثر الناس رغبوا عن اسم الإسلام، وعندهم لا فضيلة فيه، ولا بد عندهم من نسبة دين خاص.

الثالثة: أعجب من ذلك أنهم لا يعرفون معنى الإسلام، بل هذا عندهم صورة لا معنى لها.

الرابعة: أعجب من الجميع أنهم إذا بُيِّنَ لهم معناه اشتد إنكارهم لذلك، مع قراءة هذه الآية وأمثالها.

الخامسة: التي سيق الكلام لأجلها: أنك إذا عرفت مِلَّته فالواجب الاتباع لا مجرد الإقرار مع الرغوب عنها.

السادسة: أن مَن فعل ذلك لم يضر إلا نفسه.

السابعة: أن ذلك في غاية الجهل والسفه الواضح، مع ادعائهم الكمال في العلم.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).

الثامنة: كيف يطلب أفضل من طريقه، والله سبحانه هو الذي اصطفاه ووعده في الآخرة ما وعده بسبب طريقه.

وأما الآية الثامنة[١] ففيها مسائل:

الأولى: أن مسألة الإسلام الذي هو سبب الكلام والخصومة أن الله سبحانه هو الذي أمره بذلك.

الثانية: أنه استجاب لله فيما أمره فقال ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

الثالثة: وصفه ربه سبحانه بما يوضح المسألة، وهو الربوبية للعالم كله، فانظر رحمك الله إلى هذا التقرير والثناء والتوضيح للإسلام، مع حقارته وإنكاره عند مَن يقرأ هذه الآيات وما بعدها.

وأما الآية التاسعة[٢] ففيها العجب العجاب:

الأولى: أن الله سبحانه ذكر أن إبراهيم وصى بالإسلام ابنَيْهِ، وهُمَا هُمَا!

الثانية: أن يعقوب وصى بها بَنِيه، وهُمْ هُمْ!

الثالثة: تحريضه الذرية على ذلك بأن الله الذي اختاره لهم، فلا ترغبوا عن اختيار الله.

الرابعة: أنه مع هذا التقرير الواضح عند مَن يدَّعي كمال العلم، ويدَّعي اتباع الملة، أحقر الطرائق، ولا مدح فيه، ولا يصير من المسكوت عنه إلا مَن رغب عنه إلى اسم غيره، وإلا مَن اقتصر عليه اتخذوه هزوًا، فاعتقدوا غاية جهله، بل

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

أفتوا بكفره وقتله. وأما قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فحرضوهم على لزوم ذلك إلى الممات، وعدم الزيادة عليه، لما في طبع الإنسان من طلب الزيادة، خصوصًا مع طول الأمل.

وأما الآية العاشرة[(١)] ففيها مسائل:

الأولى: وصية يعقوب عند الموت، ولم يكتف بما تقدم.

الثانية: لبنيه وهُمْ هُمْ!

الثالثة: لشدة التحريض وكبر الأمر عنده أخرجه مخرج السؤال.

الرابعة: أنه قال ﴿مِنۢ بَعۡدِي﴾ لأن الغالب أن الأتباع بعد موت كبيرهم ينقصون.

الخامسة: جوابهم له ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ الآية، لأن في هذا معنى الحجة وظهور الأمر أن مَن اتبع الصالحين يسلك طريقهم، وأما كونه يترك طريقهم بزعمه أنه اتباع لهم؛ فهذا خلاف العقل.

السادسة: قولهم ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ يعنون للخلائق كلهم، لكن مهتد وضال.

السابعة: إخباره لهم بلزومهم الإسلام بعد موته.

الثامنة: ذكرهم له أن ذلك الإسلام لله وحده لا شريك له، ليس لك ولا لآبائك منه شيء.

التاسعة: أن العم أبٌ؛ لأن إسماعيل عمه، لكن مع التغليب.

العاشرة: أن ذلك من أوضح الحجج على ذريتهم، مع إقرارهم بذلك، ومع

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

هذا يزعمون أنهم على ملتهم مع تركها وشدة العداوة لمن اتبعها.

الحادية عشرة: أن فيها ردًّا عليهم في المسألة الخاصة، وهي اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا.

وأما الآية الحادية عشرة[١] ففيها مسائل:

الأولى: المسألة التي ضل بها كثير، وهي ظنهم أن صلاح آبائهم ينفعهم.

الثانية: البيان أن الذي ينفع الإنسان عمله.

الثالثة: أن الذي يضره عمله، ولا يضره معصية أبيه وابنه.

وأما الآية الثانية عشرة[٢] ففيها مسائل وهي من جوامع الكلم أيضًا:

الأولى: أن مَن دعا إلى أي ملة كانت، وهي من الملل الممدوحة السالم أهلها، قيل له: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ لأنها إن كانت باطلة فواضح، وإن كانت صحيحة فملة إبراهيم أفضل، كما قال ﷺ: «**أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة**»[٣].

الثانية: وهي مما ينبغي التفطن لها: أنه سبحانه وصفها بأن إبراهيم حنيفًا بريئًا من المشركين، وذلك لأن كلًّا يدعيها، فمن صدق قوله بالفعل، وإلا فهو كاذب.

الثالثة: أن الحنيف معناه المائل من كل دين سوى الإسلام لله.

---

(١) قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٨٧) وحسنه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٦٠).

الرابعة: أن من الناس مَن يدعي أنه لا يُشرك، وأنه مخلص، ولكن لا يتبرأ من المشركين، وملة إبراهيم الجمع بين النوعين.

وأما الآية الثالثة عشرة[١] ففيها مسائل:

الأولى: أمر الله سبحانه أن نقول ما ذكر في الآية، وليس هذا من إظهار العمل الذي إخفاؤه أفضل.

الثانية: الإيمان بجميع المُنزل.

الثالثة: عدم التفريق بينهم.

الرابعة: التصريح بالإسلام.

الخامسة: التصريح بإخلاصنا ذلك لله، وليس هذا من باب الثناء على النفس، بل من بيان الدين الذي أنت عليه، ولهذا قال بعض السلف: ينبغي لكل أحد أن يُعلِّمَ هذه الآيةَ أهلَ بيته وخَدَمَه.

وأما الآية الرابعة عشرة[٢] ففيها مسائل:

الأولى: قوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ وفيها التصريح أن الإيمان هو العمل.

الثانية: أن هذا الكلام في غاية إنصاف الخصم.

الثالثة: أن الذي لا ينقاد له ليس داؤه داءَ جَهالةٍ بل مُشاقَّة.

---

(١) قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

الرابعة: أنك إذا أنصفته وأصر فهو سبب الانتقام لله منه.

الخامسة: الاستدلال بالصفات.

وأما الآية الخامسة عشرة(١) ففيها مسائل:

الأولى: قوله ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي دين الإسلام. فدل على أن ذلك هو العمل.

الثانية: الدلالة الواضحة، وهي أنه لا أحسن من الدين الذي تولى الله بيانه والأمر به.

الثالثة: أنكم، أيها الخصوم، افتخرتم بإسلامكم للأنبياء والصالحين، فإسلامنا لله وحده، ومعنى ذلك لزوم هذا الدين الذي تولى الله بيانه.

وأما الآية السادسة عشرة(٢) ففيها مسائل:

الأولى: أمر الله لنا أن نُحاجُّهم بهذه الحجة القاطعة، فإذا كان الله رب الجميع، وأيضًا إنه بإقراركم عدل لا يظلم، بل كل عامل فعمله له، وافترقنا في كوننا قاصدينه مخلصين له وأنتم قصدتم غيره، فكيف يساوي بينكم وبيننا، أو يخص بكرامته مَن أعرض عنه دون مَن قصده؟ هذا لا يدخل عقل عاقل.

الثانية: أن الخصوم مُحاجَّتُهم في الله لا في غيره، مع فعلهم هذا في الخصومة.

وأما الآية السابعة عشرة(٣) ففيها مسائل:

الأولى: إن كانت الخصومة في الصالحين، ودعواهم أنهم على طريقهم،

---

(١) قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾.

(٣) قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

فهم لا يقدرون أن يدَّعوا أن رسول الله ﷺ وأصحابه على طريقتهم، فلا يقدرون أنهم على غيرها، ولكن يعتذرون أنهم لا يقدرون عليها، فكيف هذا التناقض؟ يَدَّعُون أنهم تابعوهم مع تحريمهم اتباعهم وزعمهم أن أحدًا لا يقدر عليه!

الثانية: قوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ فهذه لا يقدر أحد أن يعارضها، فإذا سلمها، وسلم لك أن العلم الذي أنزله الله ليس هو لعدم القدرة، فهذا الذي عليه غيره، وهذا إلزام لا محيد عنه.

الثالثة: أن منهم مَن يعرف الحق ويكتمه خوفًا من الناس، مع كونه لا يُنكره، فلا أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله، فكيف بمن جمع مع الكتمان دَفْعَهَا وسَبَّهَا وتكفيرَ مَن آمن بها؟

الرابعة: الوعيد بقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ والله أعلم.

وقال رضي الله عنه: قوله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيتين(١)، إذا عَرفْتَ أن سبب نزولها قول أهل الكتاب: نحن مسلمون نعبد الله، إلا إن كنت تريد أن نعبدك! عَرفْتَ أنها من أوضح ما في القرآن من تقرير الإخلاص والبراءة من الشرك، ومن أعظم ما يبين لك طريق الأئمة المهديين من الأئمة المضلين، وذلك أن الله وصف أئمة الهدى بالنفي والإثبات، فنفى عنهم أن يأمروا أتباعهم بالشرك بهم، أو بالشرك بالملائكة والأنبياء، وهم أصلح المخلوقات، وأثبت

---

(١) قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

أنهم يأمرون أتباعهم أن يصيروا ربانيين، فإذا كان مَن أنزله الله بهذه المنزلة لا يتصور أن يأمر أتباعه بالشرك به، ولا بغيره من الأنبياء والملائكة، فغيرهم أظهر وأظهر، وإذا كان الأمر الذي يأمرهم به كونهم ربانيين، تبين طريقة الأنبياء وأتباعهم من طريقة أئمة الضلال وأتباعهم.

ومعرفة الإخلاص والشرك، ومعرفة أئمة الهدى وأئمة الضلال، أفضل ما حصّل المؤمن، لكن فيه من البيان قول اليهود: إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عَبَدَت النصارى عيسى. وقول النصارى: تريد ذلك إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عَبَدَت اليهود عُزيرًا. إن عبادة غير الله من أنكر المنكرات ببديهة العقل، ولكن الهوى يُعمي ويُصِمُّ.

وفيه: معرفة الإنسان بعيب عدوه، ولا يعرف ما فيه من ذلك العيب بعينه، ولو كان فيه منه أضعاف مضاعفة.

وفيه: ما على مَن قرأ القرآن من الحق؛ مِن تَعَلُّمِ معانيه.

وفيه: أن عليه أن يعمل به.

وفيه: أن يكون ربانيًا.

وفيه: أن سبب ذلك درس الكتاب وعلمه وتعليمه.

وفيه: أن المسلم إذا أشرك بالأنبياء والصالحين كفر بعد إسلامه.

وفيه: معرفة أعداء رسول الله ﷺ بما هو عليه من العدل والتواضع، كيف يتفوهون له بهذا الكلام وهم تحت يده محتاجون له؟

وفيه: أن مَن أشرك بشيء فقد اتخذه ربا.

وفيه: أن قوله في القرآن ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ليس كما يقول الجاهلون، لأن أهل الكتاب لا يتركون عبادة الله.

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الآيتين(١).

فيه: ما هو من أبين الآيات للخاص والعام، وكونه ﷺ مذكورًا مُبشَّرًا به في كتب الأنبياء.

وفيه: حجة على أن دعوته عامة في الظاهر والباطن.

وفيه: أن الإيمان به لا يكفي عن نصرته، بل لا بد من هذا وهذا.

وفيه: أخذه تعالى الميثاق على الأنبياء بذلك، دليل على شدته إلا على مَن يسره الله عليه.

وفيه: أن مَن آتاه الله الكتاب والحكمة أحق بالانقياد للحق إذا جاء به من بعده، بخلاف ما عُرِفَ مِن حال الأكثر مِن ظنهم أنه لو اتبعه غيرهم فهو نقص في حقهم.

وفيه: مزيد التأكيد بقوله: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾.

وفيه: إشهادهم مع شهادته سبحانه.

وفيه: أن مَن تولى بعد ذلك فجُرمه أكبر.

وفيه: أن الآخر مصدق لما معهم لا مخالف له، فإذا كان هذا في أهل الملل فكيف بأهل الملة الواحدة، إذا ضلوا ثم جاءهم من يرشدهم إلى دينهم الذي أنزل الله عليهم، وهو الذي ينتحلونه، فإن تولوا بعد معرفته فأولئك هم

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

الفاسقون، فإن جمعوا مع التولي تكذيبه، فإن جمعوا مع التكذيب الاستهزاء، فإن جمعوا مع ذلك عداوته الشديدة، فإن أضافوا إلى ذلك تكفير من صدق كتابهم ونبيهم واستحلال دمه وماله، فإن أضافوا إلى ذلك كله اتباع دين المشركين أعداء نبيهم، ونصره بما قدروا عليه، وبذل النفوس والأموال في نصرته وعداوة دين نبيهم، وإزالته من الأرض حتى لا يُذكر الله فيها، فالله المستعان، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ﴾.

ومن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

الأولى: سبب النزول يدل على شدة الحاجة لها، فإذا احتاجوا فكيف بغيرهم؟

الثانية: الخوف على مثلهم الردة بذلك، فكيف بمن دونهم.

---

(١) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

الثالثة: أن فيمَن أوتي الكتاب مَن يدعو إلى الردة، مثل ما أن فيهم مَن يدعو إلى الله.

الرابعة: التصريح بأن ذلك بعد الإيمان.

الخامسة: لطف الله تعالى بعبيده بدعوتهم بهذا الوصف.

السادسة: استبعاد الكفر ممن تتلى عليه آيات الله وفيهم رسوله، فإذا مضت الثانية فالأولى باقية.

السابعة: أن آيات الله لا نظير لها في دفع الشر في سائر الكلام، كما أن رسوله لا نظير له في سائر الأشخاص في دفع ذلك.

الثامنة: الرد على أعداء الله الذين يزعمون أن القرآن لا يُفهم معناه.

التاسعة: أن الاعتصام بحبل الله جامع.

العاشرة: أن الطرق فيها المعوجّ وفيها المستقيم.

الحادية عشرة: ذكر حق تقاته.

الثانية عشرة: لطافة الخطاب.

الثالثة عشرة: لزوم الإسلام إلى الممات.

الرابعة عشرة: فيه التنبيه على قوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1] لأن ذلك سبب النزول.

الخامسة عشرة: كون الإسلام طاعة الرسول ومعصية أولئك.

السادسة عشرة: خوفك الردة وإن كنتَ من الصالحين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١) ومسلم (٦٥).

السابعة عشرة: ذكر الاعتصام بحبل الله، وهو القرآن، ففيه دليل على أنه عصمة.

الثامنة عشرة: الأمر بالاجتماع على ذلك.

التاسعة عشرة: تأكيده ما تقدم بالنهي عن الافتراق.

العشرون: تذكيرهم بالنعمة العظمى، وهي إنقاذهم من النار بعد أن كانوا على شفا جُرف منها.

الحادية والعشرون: ذكره هذا البيان الواضح في آياته.

الثانية والعشرون: أن الفائدة في تعليمهم العلم تذكر المتعلم واهتداؤه.

الثالثة والعشرون: ذكر الأمر بطائفة متجردة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الرابعة والعشرون: تخصيصها بالفلاح.

الخامسة والعشرون: نهيه عن مشابهة الذين تفرقوا واختلفوا من بعد مجيء الآيات.

السادسة والعشرون: فيه دليل على أن الله ذكر في دواء هذا الداء ما فيه الشفاء.

السابعة والعشرون: وعيد مَن ارتكب هذا المنهي عنه بالعذاب الأليم.

الثامنة والعشرون: بياض الوجوه وسوادها.

التاسعة والعشرون: أن الذين اسودت وجوههم الذين كفروا بعد إيمانهم، ففيه أن الواقعة كفر بعد الإيمان أو تجر إليه.

الثلاثون: الوعد الجزيل لمن سلم من ذلك.

الواحدة والثلاثون: أن هذه النصائح والمواعظ هي آيات الله.

الثانية والثلاثون: أنه سبحانه يتلوها على رسوله لأجلنا.

الثالثة والثلاثون: تذكيرنا بأن تلك التلاوة بالحق.

الرابعة والثلاثون: الاعتقاد بأنه لا يريد ظلم أحد من العالمين.

الخامسة والثلاثون: تذكيرنا بأن له ما في السماوات وما في الأرض.

السادسة والثلاثون: تذكيرنا بالرجوع إليه.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾، وفيها من المسائل:

الأولى: أمره ﷺ بمحاجتهم بهذه الحجة الواضحة، للجاهل والبليد، لكن بشرط التفكر والتأمل، فيا سبحان الله! ما أقطعها من حجة! وكيف يخالف مَن أقرّ بها!

الثانية: إذا تحققت معنى هذا الكلام، مع ذكر الله تعالى له في مواضع من كتابه، عرفت الشرك الأكبر وعبادة الأوثان.

وقول بعض أئمة المشركين: إن الذي يُفْعَلُ في زماننا شرك أصغر، في غاية الفساد، فلو نُقدر أن في هذا أصغر وأكبر لكان فعل أهل مكة مع العزى، وفعل أهل الطائف مع اللات، وفعل أهل المدينة مع مناة، هو الأصغر، وفعل هذا هو الأكبر، ولا يستريب في هذا عاقل، إلا أن طُبع على قلبه.

الثالثة: أن إجابة دعاء مثل هؤلاء وكشف الضر عنهم لا يدل على محبته لهم ولا أن ذلك كرامة، وأنت تفهم لو يجري شيء من هذا في زماننا على يدي بعض الناس ما يظن فيه أهل العلم، مع قراءتهم هذا ليلًا ونهارًا.

الرابعة: معرفة العلم النافع والعلم الذي لا ينفع، فمع معرفتهم أن ما يكشفه إلا الله، ومن معرفتهم بعجز معبوداتهم، ونسيانهم إياها ذلك الوقت، يعادون الله هذه المعاداة، ويوالون آلهتهم تلك الموالاة، قال تعالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، ففيها مسائل:

الأولى: ذكر سنته سبحانه في خلقه.

الثانية: أن ذلك تسليطه البأساء وهو القحط والمجاعة، والضراء وهو الأمراض.

الثالثة: أنه سبحانه أخبرنا بمراده أنه سلَّط ذلك عليهم ليتوبوا فيُحصِّلُوا سعادة الدنيا والآخرة، وليس مراده تعذيبهم على عِظَمِ جهالتهم وعُتُوِّهِم كيف لم يتضرعوا لما جاءهم ذلك، ليعرفك أن هذا من أعظم الجهالة والعُتُوّ.

الرابعة: ذكر السبب الذي منعهم من ذلك، مع اقتضاء العقل والطبع له، وهو قسوة القلب، وكون عدوهم زيَّن لهم ما أغضب الله عليهم، فلم يعرفوا قبحها بل استحسنوها.

الخامسة: أنهم لما فعلوا هذه الفعلة العظيمة فُتِحت عليهم أبواب كل شيء، فيا لها من مسألة!

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

السادسة: أنهم استبشروا بسبب عذابهم كما استبشر قوم لوط بسبب أضيافه.

السابعة: أنه لم يأخذهم حتى وقع الفرح.

الثامنة: أن ذلك الأخذ بغتة.

التاسعة: أنه بعد ذلك النعمة.

العاشرة: أنه سبحانه المحمود على إنعامه لأوليائه ونصرهم.

وأما قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[(١)]، ففيها مسائل:

الأولى: أمر الله سبحانه رسوله أن يخبرهم بأنه بريء من ادعاء خزائن الله.

الثانية: إخبارهم بالبراءة من ادّعاء علم الغيب.

الثالثة: إخبارهم بالبراءة من دعوى أنه مَلَك، وأنت ترى مَن ينتسب إلى العلم كيف اعتقاده في هذه المسائل بالمعاكسة.

الرابعة: الاقتصار على ما يوحى إليه، واليوم عند الناس هُوَ هُوَ!

الخامسة: أن الذي يقتصر على الوحي هو البصير، وضده الأعمى ومَن يدعي

---

(١) قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

العلم، بالعكس في هذه والتي قبلها، ولست أعني العمل بل عقيدة القلب.

السادسة: حثه سبحانه على التفكر، الذي هو باب العلم، كما حث عليه سبحانه في غير موضع.

السابعة: الإنذار الخاص لهذه الطائفة المنعوتة بهذين الوصفين.

الثامنة: أن مَن فقدهما لم تنفعه النذارة.

التاسعة: فائدة الإنذار وثمرته واحتياج هذه الطائفة لها.

العاشرة: النهي عن طرد المتصفين بما ذكر.

الحادية عشرة: شأن صلاة العصر والصبح.

الثانية عشرة: عظمة الإخلاص.

والثالثة عشرة: كون الأمر اليسير كبيرًا مع الإخلاص.

الرابعة عشرة: ذكر القاعدة الكلية المأخوذة منها هذه الجزئية، وهي: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

الخامسة عشرة: أن طردهم يخاف أن يوصل الرجل الصالح إلى درجة الظالمين، ففيه التحذير من إيذاء الصالحين.

السادسة عشرة: أن حسن النية في ذلك ليس عذرًا.

السابعة عشرة: أن منعهم من الجلوس مع العظماء في مجلس العلم هو الطرد المذكور.

الثامنة عشرة: ذكر فتنته سبحانه بعض خلقه ببعض.

التاسعة عشرة: ذكر بعض الحكمة في ذلك.

العشرون: أن من ذلك رفعة مَن لا يظن الناس فيه ذلك.

الحادية والعشرون: أن الدين إن صح فهو المنة العظيمة التي لا يساويها من الدنيا.

الثانية والعشرون: أن من الفتنة حرمانه سبحانه مَن لا يظن الناس أنه يُحرمها.

الثالثة والعشرون: المسألة العظيمة الكبيرة، وهي الاستدلال بصفات الله على ما أشكل عليك من القدرة، لأنه سبحانه رد عليهم ما وقع في أنفسهم من استبعاد كون الله حرمهم، وخص هؤلاء بالكرامة.

الرابعة والعشرون: جلالة هذه المسألة، وهي مسألة علم الله، لأنه سبحانه رد بها على الملائكة لما قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآية، كما ترى.

الخامسة والعشرون: أنه متقرر عند الكفار عبدة الأوثان منكري البعث أن الله سبحانه حكيم يضع الأشياء في مواضعها، والأشعرية يزعمون أنه لا يفعل شيئًا لشيء. والله أعلم.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1]، ففيه أربعة عشر جوابًا لمن أشار عليك بموافقة السواد الأعظم على الباطل؛ لأجل ما فيه من مصالح الدنيا، والهرب من مضارها. ولكن ينبغي أن تعرف أولًا أن الكلام مأمور به مؤمن نفيه.

(١) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

فالأول: أن تجيبه بقوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ وهذا تصوره كاف في فساده.

الثاني: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ وهذا أيضًا كذلك.

الثالث: هذا المثل الذي هو أبلغ ما يُرغبك في الثبات، ويُبغض إليك موافقته.

الرابع: قولك، إذا زعم أن الهدى في موافقة فلان وفلان، بدليل الأكثر، فتجيبه ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾.

الخامس: أن تجيبه بقوله ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإذا أمرتني بالإسلام لفلان وفلان، فالله أمرني بما لا أحسن منه.

السادس: أن تقول: وأمرنا بإقامة الصلاة، وهذه خصلة مسلمة لا جدال فيها، ولا يقيمها إلا الذي أمرتني بتركه، والذين أمرتني بموافقتهم لا يقيمونها.

السابع: أنّا مأمورون بتقوى الله، وأنت تأمرني بتقوى الناس.

الثامن: أن هذا الذي أمرتني بتركه أمره هو الذي إليه تحشرون، كما قال السحرة لفرعون لما دعاهم إلى ذلك ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

التاسع: أنه هو الذي خلق السماوات والأرض بالحق، وهذا مقتضى ما نهيتني عنه، والذي تأمرني به يقتضي أنه خلقها باطلًا.

العاشر: أن هذا الذي تأمرني بترك أَمْرِهِ حَشْرُ هذا الخلق العظيم ما دونه إلا قوله ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

الحادي عشر: أن هذا الذي أمرتني بترك أمره ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ وقد قال ما لا يخفى عليك، ووعد عليه بالخلود في النعيم، ونهى عما أمرتني به، وتوعد عليه بالخلود في الجحيم، وهو لا يقول إلا الحق، فكيف مع هذا أطيعك؟

الثاني عشر: أن له المُلك يوم يُنفخ في الصور، فإذا أقررت بذلك اليوم، وأن عذابه ونعيمه دائمان، فما ترجو في الشفاعات كلها باطلة ذلك اليوم، وقد بيّن تعالى معنى ملكه لذلك اليوم في آخر الانفطار.

الثالث عشر: أنه عالم الغيب والشهادة، فلا يمكن التلبيس عليه، بخلاف المخلوق، ولو أنه نبي.

الرابع عشر: أنه هو الحكيم الخبير، فلا يجعل مَن اتبع أمره، ولو خالف الناس، كمن ضيّع أمره موافقة للناس، حاشاه من ذلك! ولهذا يقول الموحدون يوم القيامة إذا قيل لهم قد ذهب الناس: فارقناهم في الدنيا أحوج ما كنا إليهم... إلى آخره، والله أعلم.

ومن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾(1).

---

(١) قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ
عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ
هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً
قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ
لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى
ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ
بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟
إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا
وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ

الأولى: قوله ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ السؤال عن معنى الآلهة، فإنها جمع إله، وهو أعلى الغايات عند المسلم والكافر، فكيف يتخذ جمادًا، وهذا أعجب وأبعد عن العقل من جعل الحمار قاضيًا؛ لأن الحيوان أكمل من الجماد، فإذا كان هذا من خشب أو حجر لم يعص الله، فكيف بمن اتخذ فاسقًا إلهًا مثل نمرود وفرعون، فإن كان اتخذه بعد موته فأعجب وأعجب!

الثانية: القدح في حجتهم؛ لأن السواد الأعظم، ليس لهم حجة إلا هي، فيدل على الرسوخ في مخالفتهم بالأدلة اليقينية لقوله ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

الثالثة: قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإن ذلك من أعظم الأدلة على المسألة ببديهة العقل؛ لأن مَن رأى نخلًا كثيرًا لا يتخالجه شك أن المدبِّرَ له ليس نخلة واحدة منه، فكيف بملكوت السماوات والأرض؟

الرابعة: أن هذا النفي إنما نفي لأجل الإثبات.

الخامسة: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ فلم يكمل غيره حتى كمل.

السادسة: عظم مرتبة اليقين عند الله، لجعله التعليم علة لإيصاله إليه.

السابعة: براءته من شركهم، نفى أولًا كونها لا تُستحقُّ، وثانيًا عن نفسه الالتفات إليها.

نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾.

الثامنة: نفي النقائص عن ربه.

التاسعة: ذكر توجهه الذي هو العمل.

العاشرة: ذكر الدليل الذي دله على النفي والإثبات.

الحادية عشرة: تحقيقه ذلك بكونه حنيفًا، وهذه المسألة التي قال الله في ضدها ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

الثانية عشرة: تصريحه لهم بما ذكر، ولم يُدارِ مع كثرتهم ووحدته.

الثالثة عشرة: تصريحه بالبراءة منهم بقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

الرابعة عشرة: قوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ ولم يذكر حجتهم؛ لأن كلامه كاف عن كل ما يقولون.

الخامسة عشرة: أنهم لما خُصموا رجعوا إلى التخويف، كفعل أمثالهم، فذكر أنه لا يخاف إلا الله؛ لتفرده بالضر والنفع، بخلاف آلهتهم، فذكر النفي والإثبات.

السادسة عشرة: سعة العلم، وما قبله سعة القدرة، وهما اللتان خلق العالم العلوي والسفلي لأجل معرفتنا لهما.

السابعة عشرة: مَن ادعى معرفتهما وأشكل عليه التوحيد فعجب، ولذلك قال: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

الثامنة عشرة: قوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ إلى آخره، يدل على أنها حجة عقلية تعرفها عقولهم.

التاسعة عشرة: قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يدل على أن مَن أشكلت عليه هذه الحجة فليس له علم.

العشرون: البشارة العظيمة والخوف الكثير في فصل الله هذه الخصومة إذا عرف ما جرى للصحابة وما فسرها لهم به النبي ﷺ.

الحادية والعشرون: تعظيمه سبحانه هذه الحجة بإضافتها إلى نفسه، وأنه الذي أعطاها إبراهيم عليه السلام عليهم.

الثانية والعشرون: أن العلم بدلائل التوحيد وبطلان الشبه فيه يرفع الله به المؤمن درجات.

الثالثة والعشرون: معرفة أن الرب تبارك وتعالى حكيم يضع الأشياء في مواضعها.

الرابعة والعشرون: كونه عليمًا بمن هو أهل لها، كما قال تعالى: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾.

الخامسة والعشرون: ذكر نعمته على إبراهيم بالذرية التي أنعم عليهم بالهداية.

السادسة والعشرون: أن العلم والهداية أفضل النعم؛ لقوله: ﴿وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ﴾.

السابعة والعشرون: هدايتهم وأصولهم وفروعهم ومَن في درجتهم.

الثامنة والعشرون: ذكره الذين هداهم الله، وهو الصراط المستقيم، وهو المقصود من القصة.

التاسعة والعشرون: التنبيه على استقامته.

الثلاثون: القاعدة الكلية أن هذا الطريق هو هدى الله، ليس للجنة طريق إلا هو.

الحادية والثلاثون: التنبيه على أن الهداية إليه بمشيئته، ليظهر العجب وتُشكر النعمة.

الثانية والثلاثون: العظيمة التي لم يعرفها أكثر مَن يدعي الدين، وهو تكفير مَن أشرك وحبوط عمله، ولو كان من أزهد الناس وأعبدهم.

الثالثة والثلاثون: أنه أعطاهم ثلاثة أشياء: الكتاب والحكم والنبوة، فلا يرغب عن طريقهم إلا مَن سفه نفسه.

الرابعة والثلاثون: ما في قوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى آخره، من التحريض على الحرص على طلب العلم من طريقهم، وما فيه من التنفير من الجهل وتقبيحه.

الخامسة والثلاثون: قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ أن دينهم واحد، وأن شرعهم شرع لنا.

السادسة والثلاثون: النهي عن البدع، فإن في التحريض عليه نهيًا عن ضده.

السابعة والثلاثون: كون النذير البشير مع مقاساة الشدائد في ذلك لم يطلب منا أجرًا عليه.

الثامنة والثلاثون: كونه ذكرى، ففيه الرد على مَن يقرأ بلا تدبر.

التاسعة والثلاثون: قوله: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه تكذيب مَن قال: لا يعرفه إلا المجتهد.

الأربعون: الحصر فيما ذكر. والله سبحانه أعلم.

ومن كلامه رحمه الله، على آيات من سورة الأعراف:

الآية الأولى[1]: فيها: وصفه بأنه كتاب.

---

(١) قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.
وهي الآية الثانية من السورة. فالشيخ بدأ بها، متجاوزًا الآية الأولى من السورة: ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾؛ لأنها من الحروف المقطعة. فليُتنبه لهذا في عد الآيات التالية.

الثانية: كونه منزلًا إليه.

الثالثة: النهي عن الحرج.

الرابعة: التفريع.

الخامسة: ذكر الحكمة في ذلك، وهي الإنذار العام والذكرى الخاصة.

الآية الثانية(١): فيها الأمر باتباعه.

الثانية: التحريض على ذلك بأنه منزل إلينا من ربنا.

الثالثة: النهي عن اتباع ما سواه.

الرابعة: أنه لابد من هذا وهذا.

الخامسة: ذكر أن التذكر منا قليل.

الآية الثالثة(٢): ذكر عقوبات مَن لم يفعل.

الثانية: أن ذلك كثير.

الثالثة: أن البأس جاءهم وقت الغفلة.

الآية الرابعة(٣): فيها: ذكر إقرارهم بالظلم عند نزوله.

الثانية: أن ذلك الإقرار ليس لهم دعوى غيره.

الآية الخامسة(٤): فيها: لما ذكر عقوبات الدنيا توعد بالحساب.

الثانية: أن الحساب متوقف على الرسالة.

---

(١) قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾.

(٣) قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

(٤) قوله تعالى: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

الثالثة: أنه عام حتى المرسلين.

وفي الآية السادسة[١]: أنه يقص عليهم ما فعلوا.

الثانية: أنه شهيد على الجزئيات.

وفي الآية السابعة والثامنة[٢]: الوعيد بالميزان.

الثانية: أنه الحق لقطع الأطماع.

الثالثة: أن الفلاح بسبب ثقله.

الرابعة: أن الخسارة بسبب خفته.

الخامسة: ذكر سبب الخفة.

الآية التاسعة[٣]: ذكر نعمته بالتمكين في الأرض.

الثانية: ذكر نعمته بما فيها من المعايش.

الثالثة: ذكر قلة شكرهم[٤].

وأما قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ إلى آخر القصة[٥]، قال ابن القيم[٦]:

---

(١) قوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

(٤) يُنظر تكملة كلامه على بقية الآيات في: «مجموعة مؤلفات الشيخ» (٤ / ٧١ - ٧٦).

(٥) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأعراف ١١ - ٢٧.

(٦) الروح (١/ ١٧١).

قال ابن عباس: ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ يعني آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾ لذريته، ومثال هذا ما قال مجاهد: ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ يعني آدم ﴿صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾ يعني في ظهر آدم(١). وفي الحديث المعروف أنه أخرجهم من ظهر آدم في صورة الذر(٢) ونظيره ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ والله سبحانه يخاطب الموجودين، والمراد آباؤهم، كقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وغير ذلك من الآيات، وقد يستطرد سبحانه من الشخص إلى النوع، كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ إلى آخره، فالمخلوق من سلالة آدم، ومِن نطفةٍ ذريتُه. وقيل إن ﴿صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾ لآدم أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾ فأضاف النفخ إلى نفسه، وفي الصحيح في حديث الشفاعة: «**فيقولون: أنت آدم، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء**»(٣) فذكروا له أربع خصائص، فالمنفوخ منه الروحُ المضافةُ إلى الله إضافة تخصيص وتشريف، والله هو الذي نفخ في طينته عن تلك الروح، هذا الذي دل عليه النص، وأما كون النفخة مباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده، أو أنها بأمره، كقوله في مريم ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ مع قوله ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ إلى آخره، فهذا يحتاج إلى دليل، فإنه أضاف النفخ في مريم لكونه بأمره، وإلى المَلَك لكونه المباشر للنفخ.

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٣٢٠).
(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٨) والإمام أحمد (١/ ٢٧٢) والحاكم (١/ ٨١) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٧٠١).
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧٦).

وفي القصة فوائد عظيمة وعِبَرٌ لمن اعتبر:

منها: أنه خلق آدم من تراب، من أبين الأدلة على المعاد، كما استدل عليه سبحانه في غير موضع، وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وهيبته وإنعامه وكرمه، وغير ذلك من صفاته.

ومنها: أنها من أدلة الرسل عامة، ومن أدلة محمد ﷺ خاصة.

ومنها: الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفاتهم.

ومنها: الدلالة على القدر خيره وشره، فقد اشتملت على أصول الإيمان الست في حديث جبريل.

ومنها: وهو أعظمها، أنها تفيد الخوف العظيم الدائم في القلب، وأن المؤمن لا يأمن حتى تأتيه الملائكة عند الموت تبشره، وذلك من قصة إبليس، وما كان فيه أولًا من العبادة الطاعة، ففي ذلك شيء من تأويل قوله ﷺ: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع...**» إلى آخره[(١)].

ومنها: ألا يأمن عاقبة العذاب، ولو كان قبله طاعات كثيرة، وهو ذنب واحد، فكيف إذا كانت الذنوب بعدد رمل عالج؟ ومن هذا قول بعض السلف: نضحك ولعل الله اطلع على بعض أعمالنا فقال: اذهبوا فلا أقبل منكم عملًا! أو كلامًا هذا معناه، وأبلغ منه قوله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه**»، قال علقمة: كم من كلامٍ مَنَعَنِيهُ حديثُ بلال[(٢)]. يعني هذا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٦٩) من حديث بلال بن الحارث. وأخرجه البخاري (٦٤٧٨) ومسلم (٢٩٨٧) من حديث أبي هريرة.

ومنها: أنها تخلع من القلب داء العُجب، الذي هو أشد من كثير من الكبائر.

ومنها: وهي من أعظمها، أنها تعرف المؤمن شيئًا من كبرياء الله وعظمته وجبروته، ولا يُدْلَى عليه ولو بلغ في الطاعة ما بلغ، وقد وقع في هذه الورطة كثير من العباد، فمستقل ومستكثر.

ومنها: التحذير من معارضة القدر بالرأي، لقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ وهذه بلية عظيمة، لا يتخلص منها إلا مَن عصمه الله، لكن مكثر ومقلل.

ومنها، وهو من أعظمها: تأدب المؤمن من معارضة أمر الله ورسوله بالرأي، كما استدل بها السلف على هذا الأمر، ولا يتخلص من هذا إلا مَن سبقت له من الله الحسنى.

ومنها: عدم الاحتجاج بالقدر عند المعصية، لقوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ بل يقول كقول أبيه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية.

ومنها: معرفة قدر المتكبر عند الله، خصوصًا مع قوله: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾.

ومنها: الفخر بالأصل، وقد ورد عن النبي ﷺ التشديد في ذلك[1] والفخر منهي عنه مطلقًا، ولو كان بحق، فكيف إذا كان بباطل؟

ومنها: الشهادة لما كان عليه السلف أن البدعة أكبر من الكبائر؛ لأن معصية اللعين كانت بسبب الشبهة، ومعصية آدم بسبب الشهوة.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري حدثه أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة».

ومنها: عدم الاغترار بالعلم، فإن اللعين كان من أعلم الخلق، فكان من أمره ما كان.

ومنها: عدم الاغترار بالرتبة والمنزلة، فإنه كان له منزلة رفيعة، وكذلك بلعام وغيره ممن له علم.

ومنها: معرفة العداوة التي بين آدم وذريته، وبين إبليس وذريته، وأن هذا سببها لما طُرِدَ عدوُّ الله، ولكن بسبب آدم لما لم يخضع له. وهذه المعرفة مما يَغْرِسُ في القلب محبة الرب جل جلاله، ويدعوه إلى طاعته، وإلى شدة مخالفة الشيطان؛ لأنه سبحانه ما طرد إبليس ولعنه، وجعله بهذه المنزلة الوضيعة بعد تلك المنزلة الرفيعة، إلا لأنه لم يخضع لنا، فليس من الإنصاف والعدل موالاته وعصيان الْمُنعِمِ، جل جلاله، كما ذكر هذه الفائدة بقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾.

ومنها: معرفة شدة عداوة عدو الله لنا، وحرصه على إغوائنا بكل طريق، فيعد المؤمن لهذا الحرب عدته، ولا يعلم قوة عدوه وضعفه عن محاربته إلا بمعونة الله، كما قال قتادة: إن عدوًّا يَرَانا هو وقَبِيلُهُ من حيث لا نراهم إنه لشديد المؤنة، إلا من عصم الله. وقد ذكر الله عداوته في القرآن في غير موضع، وأمرنا باتخاذه عدوًّا.

ومنها: وهو من أعظمها، معرفة الطرق التي يأتينا منها عدو الله، كما ذكر الله تعالى عنه في القصة أنه قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ وإنما يعرف عظمة هذه الفائدة بمعرفة شيء من معاني هذا الكلام: قال جمهور المفسرين: انتصب «صراط» بحذف «عليّ» التقدير: لأقعدن لهم على صراطك.

قال ابن القيم[(١)]: والظاهر أن الفعل مضمر، فإن القاعد على الشيء ملازم له، فكأنه قال: لألزمنه ولأرصدنه. ونحو ذلك، قال ابن عباس[(٢)]: دينك الواضح ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني الدنيا أو الآخرة، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ يعني الآخرة أو الدنيا ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ قال ابن عباس: أُشَبِّهُ عليهم أمْرَ دينهم[(٣)]. وعنه أيضًا: مِن قِبَلِ الحسنات[(٤)]. وقوله ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ الباطل، أُرَغِّبُهُم فيه. قال الحسن: السيئات، يحثهم عليها ويزينها في أعينهم[(٥)]. قال قتادة: أتاك الشيطان يا بن آدم من كل وجه، إلا أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله[(٦)].

وهذا يوافق قول مَن قال: ذكر هذه الأوجه للمبالغة في التوكيد. أي أتصرف لهم في الإضلال من جميع جهاتهم. ولا يناقض ما ذكر السلف، فإن ذلك على جهة التمثيل، فالسبل التي للإنسان أربعة فقط، فإنه تارة يأخذ على جهة شماله، وتارة على يمينه، وتارة أمامه، وتارة يرجع خلفه، فأي سبيل من هذه سلكها وجد الشيطان عليها راصدًا له، فإن سلكها في طاعة ثبطه، وإن سلكها بالمعصية حداه.

وأنا أمثل لك مثالًا واحدًا لما ذكر السلف، وهو أن العدو، الذي من بني آدم، إذا أراد أن يمكر بك لم يستطع أن يمكر إلا في بعض الأشياء، وهي

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٠٢ - ١٠٣).
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٩).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٧٩).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٨٠).
(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٨١).
(٦) تفسير الطبري (١٢/ ٣٣٩).

الأشياء الغامضة، والأشياء التي ليست بعالية، فلو أراد أن يمكر بك في أمر واضح بيِّن، مثل التردي من جبل أو بئر، وأنت ترى ذلك، لم يستطع، خصوصًا إذا عرفت أنه قد مكر بك مرات متعددة، ولو أراد ليمكر بك لتتزوج عجوزًا شوهاء، وأنت تراها، لم يستطع ذلك، وأنت ترى اللعين، أعاذنا الله منه، يأتي الآدمي في أشياء واضحة بيِّنة أنها من محارم الله، فيحمله عليها حتى يفعلها، ويزينها في عينه حتى يفرح بها، ويزعم أن فيها مصلحة، ويذم مَن خالفه، كما قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

وهذا معنى قول مَن قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مِن قِبَلِ الدنيا[(١)]. فإنهم يعرفونها وعيوبها، ومجمعون على ذمها، ثم مع هذا لأجلها قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، وفعلوا ما فعلوا. وهذا معنى قول مجاهد: ﴿مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من حيث يبصرون[(٢)]. فهو لم يقنع بإتيانه من الجهة التي يجهلون أنها معصية، مثل ما فسر به مجاهد ﴿خَلْفَهُمْ﴾ قال: من حيث لا يبصرون[(٣)]. ولا من جهة الغيب، كما قال فيها بعضهم: الآخرة، أُشَكِّكُهُم فيها[(٤)]. لم يقنع بذلك عدو الله حتى أتاهم في الأمور التي يعرفونها عيانًا أنها النافعة، وضدها الضار، وفي الأمور التي يعرفون أنها سيئات، وضدها حسنات، ومع هذا أطاعوه في ذلك، إلا من شاء الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٧٨).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٧٨).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٧٩).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٧٩).

وقال تعالى حكاية عنه: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ الآية، قال الضحاك: ﴿مَّفْرُوضًا﴾ معلومًا[١]. وحقيقة الفرض التقدير، والمعنى أن مَن اتبعه فهو من نصيبه المفروض، فالناس قسمان: نصيب الشيطان ومفروضه، وحزب الله وأولياؤه.

وقوله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ يعني عن الحق ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ قال ابن عباس: تسويف التوبة وتأخيرها. وقال الزجاج: أجمَعُ لهم مع الإضلال أن أُوهِمُهُم أنهم ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة.

وقوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ البتك: القطع. وهو هاهنا قطع آذان البَحِيرة.

وقوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: دين الله[٢]. وقال ابن المسيب والحسن وإبراهيم وغيرهم[٣]: معنى ذلك أن الله فطر عباده على الفطرة، وهي الإسلام، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية، وفي الصحيح: «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة، وأبواه يهودانه...**» الحديث[٤] فجمع ﷺ بين الأمرين؛ تفسير الفطرة بالتهويد وغيره، وتغيير الخلقة بالجدع، وهما اللذان أخبر إبليس أنه لابد أن يغيرهما.

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٢١٢).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٢١٨).
(٣) تفسير الطبري (٩/ ٢١٩ - ٢٢٠).
(٤) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

ثم قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ فوَعْدُهُ ما يصل إلى قلب الإنسان، نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا وتعلو، والدنيا دُوَل، ستكون لك. ويطوِّل أمله، ويعده الحسنى على شركه ومعاصيه، ويمنِّيه الأماني الكاذبة على اختلاف وجوهها، فالوعد في الخير، والتمني في الطلب والإرادة.

ومنها: أن معرفة هذه القصة تزرع في قلب المؤمن حب الله تعالى، الذي هو أعظم النعم على الإطلاق، وذلك من صنعه بالإنسان وتشريفه، وتفضيله على الملائكة، وفعله بإبليس ما فعل لمّا أبى أن يسجد له، وخلقه إياه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسكانه جنته.

وقد خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الموجودين في زمن النبي ﷺ بما فعل مع آبائهم، وذكَّرهم بذلك واستدعاهم به، وذكر أنه فعل بهم، كقوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ وغير ذلك. وذكر النعم هي أصل الشكر، الذي هو الدين، لأن شكرها مبني على معرفتها وذكرها، فمعرفة النعم من الشكر، وهي أم الشكر، كما في الحديث: «**من أُسْدِيَ إليه معروفٌ فذكره فقد شكره، فإن كتم فقد كفره**»[1] هذا في الأشياء التي تصدر من بني آدم، فكيف بنعم المنعم على الحقيقة والكمال؟ واجتمع الصحابة يومًا في دار يتذاكرون ما منّ الله عليهم به من بعثة محمد ﷺ وجلس الفضيل وابن أبي ليلى يتذاكرون.

ومنها: أن التأويل الفاسد في رد النصوص ليس عذرًا لصاحبه، كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي ألقاها، كما لم يعذر مَن خالف النصوص متأولًا مخطئًا، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١٤) من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «**من أبلي بلاء فذكره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره**» وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٥٩٣٣).

ومنها: أن مثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه ويبينوا له الحق، كما يفعلون مع المخطئ المتأول، بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التي يستحقها بقدر ذنبه، والإعراض عنه إن لم يقدر عليه، كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا، فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته فعل به ما فعل، ولما عتب على الملائكة في قيلهم أبدى لهم شيئًا من حكمته وتابوا.

وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله ﷺ في غزاته التي فتح الله فيها مكة، فإنه لما أعطى المؤلفةَ قلوبُهُم وجدت عليه الأنصارُ، عاتبهم واعتذروا، وقَبِلَ عذرهم وبيّن لهم شيئًا من الحكمة[(١)]. ولما قال له الرجل العابد: اعدل. قال له كلامًا غليظًا، واستأذنه بعض الصحابة في قتله، ولم ينكر عليه، لكن ترك قتله لعذرٍ ذكره[(٢)]. ولما فعل خالد بن الوليد ببني جذيمة ما فعل[(٣)] رد عليهم ما أخذ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٢) ومسلم (١٠٥٩) من حديث أنس بن مالك قال: لما فتحت مكة قسم الغنائم في قريش فقالت الأنصار: إن هذا لهو العجب؛ إن سيوفنا تقطر من دمائهم، وإن غنائمنا ترد عليهم! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجمعهم فقال: «**ما الذي بلغني عنكم؟**» قالوا: هو الذي بلغك. وكانوا لا يكذبون، قال: «**أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم! لو سلك الناس واديًا أو شعبًا، وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا، لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار**».

(٢) أخرجه البخاري (٣١٣٨) ومسلم (١٠٦٣) من حديث جابر بن عبد الله قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة، منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل. قال: «**ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل! لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**» فقال عمر بن الخطاب ﷺ: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق! فقال: «**معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه!**».

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٨٤) من حديث ابن عمر قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا (أسلمنا) فجعلوا يقولون =

منهم ووَدَاهم ولا نعلم أنه عاتب خالدًا، ولا منعه ذلك من تأميره على الناس.

ومنها: أن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان لا عذر لصاحبها، فإن الخوض معه في إبطالها تضييع للزمان وإتعاب للحيوان، مع أن ذلك لا يَرْدَعُه عن بدعته، وكان السلف لا يخوضون مع أهل الباطل في رد باطلهم، كما عليه المتأخرون، بل يعاقبونهم إن قدروا، وإلا أعرضوا عنهم، وقال أحمد لمن أراد أن يرد عليهم: اتق الله، ولا تنصب نفسك لهذا، فإن جاءك مسترشدٌ فأرشده.

وهو سبحانه لما قال اللعين: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ قال: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ولما قالت الملائكة ما قالت قال: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم بيّن لهم ما بيّن حتى أذعنوا.

ومنها: معرفة قدر الإخلاص عند الله، وحماية الله أهله، لقول اللعين: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فعرف عدو الله أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص.

ومنها: أن كشف العورة مستقر قُبْحُهُ في الفطر والعقول، لقوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ وقد سماه الله فاحشة.

ومنها: أنه لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بالفجرة، بل يكون على حذر منهم، ولو قالوا ما قالوا، خصوصًا أولياء الشيطان، الذين تسبق شهادةُ أحدِهم يمينَه، ويمينُهُ شهادتَه، فإن اللعين حلف ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

= (صبأنا، صبأنا) فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره! حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يديه فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» مرتين.

ومنها: أن زخرفة القول قد تُخْرِج الباطل في صورة الحق، كما في الحديث: «**إن من البيان لسحرًا**»(١) فإن اللعين زخرف قوله بأنواع؛ منها تسمية الشجرة شجرة الخلد، ومنها تأكيد قوله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ وغير ذلك ما ذكر في القصة، فينبغي للمؤمن أن يكون من زخرف القول على حذر، ولا يقنع بظاهره حتى يَعْجُمَ العودَ.

ومنها: أن في القصة شاهدًا لما ذكر في الحديث: «**إن من العلم جهلًا**»(٢) أي من بعض العلم ما العلمُ به جهلٌ، والجهل به هو العلم، فإن اللعين من أعلم الخلق بالحيل التي لا يعرفها آدم، من أن الله علّمه الأسماء كلها، فكان ذلك العلم من إبليس هو الجهل، وفي الحديث: «**إن الفاجر خِبٌّ لئيم، وأن المؤمن غِرٌّ كريم**»(٣) وأبلغ من ذلك وأعم منه قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فقيل لهم ما قيل وعوتبوا، فكانت توبتهم أن قالوا: ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ فكان كمالهم ورجوعهم عن العَتْبِ وكمال علمهم أن أقروا على أنفسهم بالجهل، إلا ما علّمهم سبحانه، ففي هذه القصة شاهد للقاعدة الكبرى في الشريعة، المُنَبَّهِ عليها في مواضع، منها قوله ﷺ: «**وسَكَت عن أشياء رحمةً لكم، غير نسيان، فلا تبحثوا عنها**»(٤).

ومنها: أنه لا ينبغي أن يغتر بخوارق العادة، إذا لم يكن مع صاحبها استقامة

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠١٢) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٩٩١).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٩٠) والترمذي (١٩٦٤) وحسنه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٦٦٥٣).

(٤) أخرجه الدارقطني (٤/ ١٨٥) والحاكم (٤/ ١٢٩) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٥٩٧).

على أمر الله، فإن اللعين أنظره الله تعالى، ولم يكن ذلك إلا إهانة له، وشقاء له، وحكمة بالغة يعلمها العليم الخبير، فينبغي للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها، ويعلم أن الكرامة هي لزوم الاستقامة.

ومنها: أن الأمور التي يحرصون عليها أهل الدنيا قد تكون عقوبة ومحنة، الجاهل يظنها نعمة، مثل المال والجاه وطول العمر، فإن الله أعطى اللعين من النَّظِرَةِ ما أعطاه.

ومنها: أن يعلم المؤمن أن الذنوب كثيرة، ولا نجاة له منها إلا بمعونة الله وعفوه، وأن كثيرًا منها قد لا يعلمه من نفسه، فإن أكثر الكبائر القلبية؛ مثل الرياء والكبر والحسد وترك التوكل والإخلاص وغير ذلك، قد يتلطخ بها الرجل وهو لا يشعر، ولعله يتورع عن بعض الصغائر الظاهرة، وهو في غفلة عن هذه العظائم.

ومنها: أن يعرف قدر معصية الحسد، وكيف آل باللعين حسده إلى أن فعل به ما فعل.

ومنها: وهو من أحسنها، أن يعرف صحة ما ذُكِرَ عن بعض السلف أن مَن لم يجاهد في سبيل الله ابتُلِيَ بالجهاد في سبيل الشيطان، ومَن بَخِل في إنفاقه المالَ في طاعة الله ابتُلِيَ بإنفاقه في المعاصي وفيما لا ينفعه، ومَن لم يَمْشِ في طاعة الله خطوات مَشَى في معصية الله أميالًا، وأشباه ذلك. والدليل من القصة شيء أبلغ من هذا بكثير، فإن اللعين أبى أن يسجد لزعمه أن ذلك نقصًا في حقه، ثم صار بعد ذلك يَكْدَح جَهْدَه في القيادة والدياثة وأنواع الرذائل.

ومنها: أن في القصة معنى قوله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدَانه أو ينصِّرَانه أو يمجِّسَانه...**» إلى آخره[1] ومن ذلك قوله حكاية عن

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

إبليس: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ فإنهم ذكروا في معناه، أي: آمرهم بتغيير خلق الله، وهي فطرته التي فطر عباده عليها، وهي الإسلام لله وحده لا شريك له.

ومنها: أن فيها معنى القاعدة الكبرى في الشريعة المذكورة في مواضع، منها قول النبي ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(١) وهي من قوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ فإنهم ذكروا أن معناه قطع آذان البَحِيرة تقربًا إلى الله على عادات الجاهلية.

ومنها: أن تفيد المعنى العظيم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ وما في معناه من النصوص، وذلك مستفاد مِن مَنْعِ اللعين، فإنه مع علمه بجبروت الله وأليم عذابه، وأنه لا محيص له عنه، ويعرف من الأمور ما لا يعرفه كثير من أهل العلم، ومع ذلك لم يَتُبْ ولم يرجع، بل أصر وعاند، وطلب النَّظِرَةَ لأجل المعصية، مع علمه بعقابه، وعدم مصلحة مِن فعله. وهذا باب عظيم من معرفة الرب وقدرته، وتقليبه القلوب كيف يشاء، وتيسيره كل عبد لما خلق له، فيفعله باختياره.

ومنها: أن الله سبحانه قد يعاقب العبد، إذا غضب عليه، بعقوبات باطنة في دينه وقلبه، لا يعرفها الناس، مع إمداده إياه في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ كما فعل إبليس.

ومنها: أن فيها شهادة لما ذكر عن بعض السلف أن من عقوبة السيئةِ السيئةُ بعدها.

ومنها: أن تفيد القاعدة المعروفة أن الجزاء من جنس العمل، وذلك أن قَصْدَهُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

الترفعُ، فقيل له: اخرج إنك من الصاغرين. فقَصَدَ العزَّ؛ فأذله الله بأنواع الذل.

ومنها: الشهادة لصحة الكلام المذكور عن بعض السلف في قوله: والله إن معالجةَ التقيِّ التقوى أهونُ من معالجة غيرِ التقيِّ الناسَ. وقول مَن قال: مصانعة وجهٍ واحدٍ أهون من مصانعة ألف وجه. وبيان ذلك أن اللعين لما تخيّل أن عليه من أمر الله شيئًا من النقص، فلو قدَّم طاعة الله وآثرها على هواه وسجد لآدم، فلو قدِّر أن ما تخيله صحيح، وأن ذلك غضاضة، لكان في جنب ما أتاه من الشر والهوان والصغار جزءًا يسيرًا، والله المستعان، فكيف ولو فعل ذلك لكان فيه شرفه وسعادته، كما هو عادة الله في خلقه أن «**مَن تواضع لله رفعه**»[(١)].

ومنها: أن الفاجر قد يعطيه الله سبحانه كثيرًا من القوى والإدراكات في العلوم والأعمال، حتى في صحة الفراسة، كما ذُكِرَ عن اللعين، حيث تفرَّس فيهم أن يُغْوِيَهُم إلا المخلَصِين، فصدَّق الله فراسته في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإن قيل: في الحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله**»[(٢)] ولا يناقض ما ذكرناه، بل يدل على أن المؤمن أتم في هذه الخصلة من غيره وأصدق، كما كان في العلم والإيمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك، ولو كان للفجار شيء من هذا.

ومنها: الشهادة للقاعدة المعروفة في الشريعة؛ أن كل عمل لا يُقْصَدُ به وجه الله فهو باطل، لاستثنائه المخلَصِين.

ومنها: الشهادة للقاعدة الثانية؛ وهي أن كل عمل على غير اتباع الرسول غير مقبول، لقوله في القصة: ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ الآية، فقسّم

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٣٠٧) وحسنه الشيخ الألباني (الصحيحة ٢٣٢٨).
(٢) أخرجه الترمذي (٣١٢٧) وضعفه الشيخ الألباني (ضعيف الجامع ١٢٧).

الناس إلى قسمين؛ إلى أهل الجنة، وهم الذين اتبعوا الهدى المنزَّل من الله، وأهل الشقاق والضلال، وهم مَن أعرَض عنه. فانتظمت هذه القصة لهاتين الآيتين العظيمتين، اللتين هما من أكبر قواعد الشريعة على الإطلاق؛

القاعدة الأولى: فيها حديث عمر: «**إنما الأعمال بالنيات**»(١).

والقاعدة الثانية: فيها حديث عائشة: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منها فهو رد**»(٢).

الثامنة عشرة(٣): فيها: تذكيره ما يواري السوأتين.

الثانية: تذكيره بإنزال الريش.

الثالثة: تذكيره بإنزال لباس التقوى.

الرابعة: إخباره بخير اللباسين.

الخامسة: ذكره أن ذلك من آياته.

السادسة: ذكره الحكمة في ذلك.

التاسعة عشرة(٤): إخباره وإنذاره عن فتنة الشيطان.

---

(١) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) هكذا في المخطوط والطبعة الهندية. ويعني: قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾. وهي الآية (٢٦) من السورة. قال محققو «مؤلفات الشيخ» (٤ / ٧٦): «في هذا الموضع من المخطوطة شيء من الخطأ في عد الآيات». فليُتنبه لما يأتي من الآيات.

(٤) قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

الثانية: تمثيله بما لا يستطيع أحد دفعه.

الثالثة: ما جرى في طاعته من التعب العاجل.

الرابعة: نزعه عنهما لباسهما.

الخامسة: مراده في ذلك.

السادسة: تنبيه هذا على المهم، وهو كونهم يروننا ولا نراهم.

السابعة: القاعدة الكلية، وهي من مسائل الصفات.

العشرون[(١)]: فيها: إنكاره عليهم هذه الفاحشة.

الثانية: الرد على مَن أنكر التحسين والتقبيح العقلي.

الثالثة: إنكار حجتهم الأولى والثانية.

الرابعة: أمره بالقول الذي فيه تنزيه الله عن ذلك.

الخامسة: اشتمال هذا الكلام على ما لم يُحْصَ من المسائل.

السادسة: أن معرفة الله نفي ما لا يجوز عليه.

السابعة: إنكاره القول عليهم بلا علم.

الحادية والعشرون[(٢)]:

الأولى: أمره أن تقول هذا الإثبات.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

الثانية: الاستدلال بالصفات على الأفعال.

الثالثة: الاستدلال بالعموم.

الرابعة: ذكر أمره بالعدل.

الخامسة: إقامة الوجه عند كل مسجد.

السادسة: دعوته بالإخلاص.

السابعة: ذكر المعاد.

الثامنة: الاستدلال عليه بالمبدأ.

التاسعة: ذكر الإيمان بالقدر، بذكر الهداية والإضلال.

العاشرة: الإشارة إلى الأمرين.

الحادية عشرة: ذكر الأمر العظيم، وهي اتخاذهم الشياطين أولياء.

الثانية عشرة: ذكر حسبانهم أنهم مهتدون.

الثالثة عشرة: أن ذلك ليس عذرًا.

الثانية والعشرون(١): ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد.

الثانية: ذكر الأكل والشرب.

الثالثة: ذكر النهي عن السرف.

الرابعة: ذكره أنه لا يحب المسرفين.

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا

---

(١) قوله تعالى: ﴿۞ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١)، هذه الآيات ذكرها الله سبحانه بعدما رد على الكفار عبادات يتقربون بها إليه ولم يشرعها:

منها: أنهم إذا حجوا طافوا بالبيت عراة، يقولون: الثياب التي عصينا الله فيها لا نطوف فيها. فقال الله ردًّا عليهم: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ والفاحشة في هذا الموضع إخراج العورة للعبادة، مثلما يفعل كثير من الناس، يكشف عورته للاستنجاء، وغيره ينظره، يريد بالاستنجاء في هذه الحالة التقرب إلى الله، فلما رد عليهم الباطل، أخبرهم بالحق الذي شرعه، فقال: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ وهو العدل ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وهو إقامة الصلاة بحقوقها ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ﴾ يقول: ادعوه بهذا الشرط، لا تدعوا مع الله أحدًا، يقول: الأمور التي تعبدوني بها ما أمرتكم بها، والأمور التي أمرتكم بها لا تفعلونها، فالظلم والبغي ضد القسط، وهو جاهكم وسمتكم الذي تبذلون فيه الأعمار والأموال، وإقامة الوجه عند كل مسجد لا تفعلونها، بل إن فعلتم صلَّيتم صلاة لا تُجْزِي، والإخلاص ليس عندكم، ودينكم الذي ترجون عليه الثواب هو الشرك. إذا فهمت هذا فتأمل أحوال من تعرف، ونزِّل هذه الآية على أحوالهم ترى العجب!

ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي لابد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفة. ثم قال: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ﴾ فهذا القدَرُ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فجمع في هذه الآية الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان

(١) سبقت.

بالشرع، والإيمان بالقدر، وذكر فيها تفصيل الشرع الذي أمر به، وذكر حال مَن عكس الأمر، فجعل المنكر معروفًا والمعروف منكرًا.

ثم ختم الآية بهذه المسألة العظيمة، وهي: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فلا أجهل ممن هرب عن طاعة الله واختار طاعة الشيطان، ومع هذا يحسب أنه مهتدٍ مع هذا الضلال الذي لا ضلال فوقه. والله أعلم.

الثالثة والعشرون: ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد.

الثانية: إضافتها إلى الله.

الثالثة: تنبيهه على العلة بقوله ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾.

الرابعة: أمره أن نقول هذا القول.

الخامسة: ذكر تفصيل الآيات.

السادسة: ذكر أهل هذا التفصيل.

الرابعة والعشرون: أمر أن نقول هذا القول.

الثانية: حصر المحرمات فيما ذكر.

الثالثة: تحريم الفواحش.

الرابعة: تحريم الإثم والبغي بغير الحق.

الخامسة: تحريم الشرك.

السادسة: ذكر هذا القيد العظيم.

السابعة: تحريم القول على الله بلا علم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ الآية[١]، فيه مسائل:

الأولى: تفصيل شيء من قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾.

الثانية: معنى قوله: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعِثْتُ إلى الناس عامة**»[٢].

الثالثة: الملاطفة في الدعوة إلى الله لقوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ أضافهم إلى نفسه.

الرابعة: التي أرسلت الرسل وخلقت الخلق لأجلها.

الخامسة: تفسير الإله.

السادسة: دعاؤهم بالرغبة.

السابعة: دعاؤهم بالتخويف.

الثامنة: جواب الملأ لهذا الكلام بهذه الجهالة.

التاسعة: كون أهل الباطل ينسبون أهل الحق إلى الجهالة، بل إلى السفاهة، بل إلى السحر، بل إلى الجنون.

العاشرة: حسن جوابه لهم ومقابلته الإساءة بالتي هي أحسن.

الحادية عشرة: تعريفهم بأنهم إنما ردوا وعصوا رب العالمين.

---

(١) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١).

الثانية عشرة: تعريفهم بما فيه من الخصال التي لا غناء لهم عنها.

الثالثة عشرة: تعريفهم أن تلك الخصال لا تقتضي الحسد، بل تقتضي المحبة والانقياد.

الرابعة عشرة: لما عرّفهم أن الرسالة التي أتتهم منه وعظهم بأنه رب العالمين.

الخامسة عشرة: تعريفهم أن هذا الذي استغربوا، ونسبوا مَن قاله إلى الجهالة والجنون، هو الواجب في العقل، وهو أيضًا حظهم ونصيبهم من الله، ففي هذا الكلام من أوله إلى آخره؛ مِن تحقيقِ الحق وذِكْرِ أدلته العقلية، وإبطالِ الباطل وذِكْرِ الأدلة العقلية على بطلانه، ما لا يخفى على مَن له بصيرة.

السادسة عشرة: ذكر أنهم كذبوه مع هذا البيان، ففصل الله الخصومة بما ذكر أنه فعل بالفريقين.

السابعة عشرة: ذكر أن ذلك بسبب التكذيب بآياته، فدل على أنه أتاهم بآيات الله.

الثامنة عشرة: أن السبب في ذلك التكذيب هو العمى والجهالة، فهي وصفهم لا وصف خصومهم.

وأما قصة عاد[1] فنذكر ما فيها من الفوائد خاصة:

الأولى: التبيين أن أعظم التقوى اتقاء الشرك.

الثانية: وصفه الملأ منهم بالكفر.

الثالثة: وصفهم نبيهم بالسفاهة التي هي أبلغ من الجهل.

(١) قوله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأعراف ٦٥-٧٢.

الرابعة: وصفهم إياه بالكذب.

الخامسة: استعطافه إياهم بأمانته.

السادسة: وعظه إياهم بتلك الآية الواضحة العظيمة.

السابعة: فيه ما يدل على أنهم يعلمون ذلك، لقوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟﴾.

الثامنة: وعظه إياهم بتذكيرهم نعمة الله باستخلافهم في الأرض بعد قوم نوح.

التاسعة: وعظه بزيادة النعمة على أهل زمانهم بزيادتهم في الخلق بسطة.

العاشرة: ذكر أن ذلك لا يدل على الكرامة، بل قد يكون السبب للإهانة.

الحادية عشرة: ذكر أن هذا الذي كرهوه هذه الكراهة هو سبب فلاحهم.

الثانية عشرة: ذكر ما أجابوا به عن هذا الكلام الذي هو في غاية الحسن.

الثالثة عشرة: ذكره أن هذا الخلاف بينه وبينهم في توحيد العبادة لا في أصل العبادة.

الرابعة عشرة: ذكر أن عمدتهم اتباع السواد الأعظم.

الخامسة عشرة: زيادة العقوبة لهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾.

السادسة عشرة: ذكر أن الصدق ممدوح عندهم، وكذلك الكذب مذموم عندهم.

السابعة عشرة: ذكر المسألة المهمة، وهي إنكاره عليهم الاعتماد على ذلك الدليل، مع كونه لم ينزل فيه نص من الله.

الثامنة عشرة: كونه بيّن لهم كبر جهالتهم؛ كيف تجاسروا على الجدال بذلك.

التاسعة عشرة: معرفة الأشياء التي لا حقيقة لها من الحقائق.

العشرون: كون الشيء معمولًا به قرنًا بعد قرن، من غير نكير، لا يدل على صحته.

الحادية والعشرون: أمره إياهم بانتظار الوعيد.

وأما قصة ثمود[(١)] فنذكر ما فيها من الزوائد على القصتين أيضًا:

الأولى: وعظه إياهم بالآية العظيمة.

الثانية: استعطافهم بذكر ربوبية مَن جاءت منه لهم.

الثالثة: ذكر إضافة الناقة إلى الله.

الرابعة: تفسير البينة لهذا.

الخامسة: تخصيص الله إياهم بناقته.

السادسة: العجب العجاب من كراهتهم الأمر المطلوب منهم، وهو كف الأذى عن ناقة الله التي فيها من نعم الدين والدنيا لِمَن قَبِلَها ما لا يظنه الظانون.

السابعة: أنه مع هذا توعدهم بالوعيد الشديد إن لم يكفوا عنه الأذى.

الثامنة: تذكيرهم بنعمة الله عليهم بالقصور في السهل.

التاسعة: نعمة الله عليهم في هذه القوة العظيمة، وهي قدرتهم على نحت الجبال بيوتًا.

العاشرة: تذكيرهم بنعم الله، فدل على أنهم يعرفون ذلك.

الحادية عشرة: وعظه إياهم أن الذي ينهاهم عنه هو الفساد في الأرض، وهو قبيح بإجماع العقلاء.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ إلى قوله: ﴿تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ سورة الأعراف ٧٣ - ٧٩ .

الثانية عشرة: ذكر قبح جوابهم لهذه الموعظة البليغة التي جمعت لهم خير الدنيا والآخرة.

الثالثة عشرة: نعته الملأ منهم بالكِبر.

الرابعة عشرة: أن الذي استجابوا للحق هم الضعفاء، وأما الملأ المستكبرون فهذا جوابهم وفعلهم.

الخامسة عشرة: جمعهم بين هذه الثلاث: عقر الناقة، والعتو عن أمر ربهم، وقولهم لرسولهم هذا.

السادسة عشرة: ذكر قولهم: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فلم يذكر إنكارهم الرسل من حيث الجملة.

السابعة عشرة: ذكر توليهم عنهم لما وقع عليهم ما استعجلوه.

الثامنة عشرة: ذكره أنه لم يبق من الحرص على دنياهم وعلى آخرتهم ممكن.

التاسعة عشرة: ذكر أن العلة في عدم القبول عدم المحبة للناصح لا عدم البيان.

وأما قصة لوط[1] **فسنذكر أيضًا ما فيها من الزيادة على القصص الثلاث:**

الأولى: التصريح أن هذا الفعل لم يُفعل قبلهم.

الثانية: موعظة نبيهم إياهم بذلك، فدل على أنه متقرر عندهم أن أول مَن ابتدع القبيح ليس لغيره.

الثالثة: تعظيم هذه الفاحشة بمخاطبتهم بالاستفهام.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ سورة الأعراف ٨٠ - ٨٤.

الرابعة: تغليظها بالألف واللام، فدل على الفرق بينها وبين الزنا، لقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾.

الخامسة: تنبيههم على مخالفة العقول والشهوة، لقوله: ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ فتتركون موضع الشهوة مع حسنه عقلًا ونقلًا، وتتبدلون به غير المشتَهى مع قبحه عقلًا ونقلًا.

السادسة: تنبيههم على العلة أنها ليست الشهوة بل السَرف.

السابعة: هذا الجواب العجاب، تلك النصيحة والبيان بأدلة العقل والنقل.

الثامنة: إقرارهم أن آل لوط الطيبون، وأنهم الأخابث.

التاسعة: تصريحهم أن هذا هو الذي نقموه عليهم وجعلوه سببًا لإخراجهم من البلد.

العاشرة: ما في إهلاك امرأته من الدلالة على التوحيد، والدلالة على أن مَن أحب قومًا حُشِرَ معهم وإن لم يعمل عملهم.

الحادية عشرة: ذكر الأمر بالنظر في عاقبة المجرمين.

وقوله ﷻ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾(١)، فيه مسائل:

الأولى: معرفة أن لا إله إلا الله؛ كما في قصة آدم وإبليس، ويعرف ذلك مَن عرف أسباب الشرك، وهو الغلو في الصالحين، والجهل بعظمة الله.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾.

الثانية: معرفة أن محمدًا رسول الله، يعرفه مَن عرف عداوة علماء أهل الكتاب له.

الثالثة: معرفة الدين الصحيح والدين الباطل، لأنها نزلت في إبطال دينهم الذي نصروا، وتأييد دينه الذي أنكروا.

الرابعة: معرفة عداوة الشيطان ومعرفة حِيله.

الخامسة: أن مَن انسلخ من الآيات أدركه الشيطان، ومَن لم ينسلخ منها حَمَتْهُ منه، ثم صار أكثر مَن انتسب إلى العلم يظن العكس.

السادسة: خوف الخاتمة، كما في حديث ابن مسعود.

السابعة: عدم الاغترار بغزارة العلم.

الثامنة: عدم الاغترار بصلاح العمل.

التاسعة: عدم الاغترار بالكرامات وإجابة الدعاء.

العاشرة: أن الانسلاخ لا يُشترط فيه الجهل بالحق أو بغضه.

الحادية عشرة: أن مَن أخلد إلى الأرض واتبع هواه، لو عرف الحق أحبه ولوعرف الباطل أبغضه.

الثانية عشرة: معرفة الفتنة، فإنه لا بد منها، فليتأهب ويسأل الله العافية، لقوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ الآيتين[1].

الثالثة عشرة: عدم أمن مكر الله.

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

الرابعة عشرة: عقوبة العاصي في دينه ودنياه.

الخامسة عشرة: ذكر مشيئة الله، وذكر السبب من العبد.

السادسة عشرة: أن محبة الدنيا تكون سببًا لردة العالم عن الإسلام.

السابعة عشرة: تمثيل هذا العالِم بالكلب في اللهث على كل حال.

الثامنة عشرة: أن هذا مثَل لكل مَن كذّب بآيات الله، فليس مختصًّا.

التاسعة عشرة: كونه سبحانه أمر بقص القصص على عباده.

العشرون: ذكر الحكمة في الأمر به.

الحادية والعشرون: قوله: ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ كقوله: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾[(١)].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه ثمان حالات:

الأولى: ترك عبادة غير الله مطلقًا، ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة، كما جرى لسعد مع أمه.

الحال الثانية: أن كثيرًا من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه، لا يَفْطِنُ لما يريد الله من قلبه؛ من إجلاله وإعظامه وهيبته، فذكر هذه الحال بقوله: ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ﴾.

الحال الثالثة: إن قدَّرنا أنه ظن وجود الذكر والفعل منه، فلابد من تصريحه

---

(١) قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

بأنه من هذه الطائفة، ولو لم يَقْضِ هذا الفرض إلا بالهرب عن بلاد كثير من الطواغيت الذين لا يبلغون الغاية في العداوة، حتى يُصرح بأنه من هذه الطائفة المحاربة لهم.

الحال الرابعة: إن قدَّرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث، فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين والجد والصدق، وهو إقامة الوجه للدين.

الحال الخامسة: إن قدَّرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع، فلابد له من مذهب ينتسب إليه، فأُمِرَ أنْ يكون مذهبه الحنيفية، وتَرْكُ كل مذهب سواها ولو كان صحيحًا، ففي الحنيفية عنه غنية.

الحال السادسة: أنَا إن قدَّرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس، فلابد أن يتبرأ من المشركين، فلا يُكَثِّرْ سوادهم.

الحال السابعة: إنَّا إن قدَّرنا أنه ظن وجود الحالات الست، فقد يدعو من غير قلبه نبيًا أو غيره لشيء من مقاصده، ولو كان دينًا يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا أو كذا خصوصًا عند الخوف أنه لا يدخل في هذا الحال.

الحال الثامنة: إن ظن سلامته من ذلك، لكن غيره من إخوانه فعله خوفًا، أو لغرض من الأغراض، هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين، أو يقول: كيف أكفره وهو يحب الدين ويبغض الشرك؟ وما أعَزَّ مَن تَخَلَّص من هذا! بل ما أَعَزَّ مَن يفهمه وإن لم يعمل! بل ما أَعَزَّ مَن لا يظنه جنونًا! والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم: ذكر ما في صدر سورة هود[1] من العلوم:

الأولى: ذكرمعرفة الله.

---

(١) قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ سورة هود ١ - ١١.

ذكر أنه حكيم.

الثانية: أنه خبير.

الثالثة: أنه قدير.

الرابعة: أنه ذكر شيئًا من تفصيل العلم في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ الآية.

الخامسة: ذكر شيئًا من تفاصيل القدرة في قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ الآية.

السادسة: خلق السماوات والأرض في ستة أيام.

السابعة: كون عرشه على الماء.

الثامنة: ذكر شيئًا من تفصيل الحكمة في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

التاسعة: كونه وكيلًا على كل شيء.

الثاني(١): الإيمان باليوم الآخر.

ذكر: أنه إليه المرجع.

الثاني: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ﴾.

الثالث: ذكر الجنة والنار.

الرابع: ذكر العرض عليه.

الخامس: كلام الأشهاد.

السادس: ضل عنهم افتراؤهم.

---

(١) يعني: العلم الثاني.

السابع: كونهم هم الأخسرون في الآخرة.

الثالث[1]: تقرير الرسالة.

ذكر أولًا: المسألة الكبرى.

الثانية: أنه نذير من الله وبشير لنا.

الثالثة: تقرير صحة رسالته باعتراضهم بقولهم إنها ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ مع موافقتها للعقل.

الرابعة: تقريرها بقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾.

الخامسة: تقريرها بمعرفة العلماء بها.

السادسة: تقريرها بالتحدي.

السابعة: تقريرها بأنها الحق من الله.

الرابع[2]: ذكر الوعد والوعيد.

ذكر: المتاع الحسن لمن قبله.

الثاني: ذكر عذاب اليوم الكبير لمن أبى.

الثالث: ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾.

الرابع: وعيد مَن أراد الدنيا.

الخامس: وعيد مَن افترى عليه.

السادس: وعد المؤمنين المخبتين.

---

(١) يعني: العلم الثالث.

(٢) يعني: العلم الرابع.

السابع: وعيد مَن كفر.

الثامن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ بالقرآن.

الخامس[١]: ذكر الأمر والنهي.

فذكر: النهي عن الشرك والأمر بالإخلاص.

الثانية: الأمر بالاستغفار والتوبة.

الثالثة: الأمر بالمضي على أمر الله، وإن اعترضوا بالشبهة الفاسدة.

الرابعة: أمره بالتحدي.

الخامسة: نهيه عن الفِرْيَة فيه.

السادس[٢]: أمور مدحها لنفعلها.

منها: الصبر.

الثانية: عمل الصالحات.

الثالثة: مدح العلم الصادر عن اليقين.

الرابعة: مدح معرفة القرآن.

الخامسة: ذكر نتيجة الأمرين.

السادسة: الإيمان.

السابعة: الإخبات إلى الله.

السابع[٣]: أمور كَرِهَها، ذَكَرَها لِتُتْرَكَ.

---

(١) يعني: العلم الخامس.

(٢) يعني: العلم السادس.

(٣) يعني: العلم السابع.

منها: التولِّي.

الثانية: ثني الصدر.

الثالثة: الاعتراض على الحق الصريح.

الرابعة: استبطاء وعيد الله.

الخامسة: كون الإنسان يئوسًا عند الضراء.

السادسة: كونه كفورًا عندها.

السابعة: كونه فرحًا عند النعماء.

الثامنة: فخورًا عندها، ولو كانت بعد ضراء، والتي قبلها ولو كانت بعد سراء.

التاسعة: نتيجة معرفة الإيمان.

العاشرة: فائدة النتيجة.

الحادية عشرة: كونه يريد الدنيا.

الثانية عشرة: كونه يفتري على الله الكذب.

الثالثة عشرة: الصد عن سبيل الله.

الرابعة عشرة: بغي العوج لها.

الثامن[1]: المنثور.

ذكر: أن الأكثر لا يؤمنون.

الثانية: ذكر مثل المؤمنين.

---

(١) يعني: العلم الثامن.

الثالثة: ذكر مثل الكافرين.

الرابعة: التنبيه على التذكير بالحالين.

الخامسة: كونهم ما يستطيعون السمع.

السادسة: الفرق بين العالم والجاهل.

السابعة: كون عرشه على الماء.

وقوله ﷻ، ولما ذكر قصة نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، إذا تأمل الإنسان حاله أولًا، وما تعلم من العلوم من أهله، ثم تفكر في هذه القصة، هل علم منها زيادة على ما عنده أولا؟ عرف مسائل:

الأولى: عظمة الشرك، ولو قصد ما فيه صاحبه التقرب إلى الله، وذلك ما فعل الله بأهل الأرض لما عبدوا ودًّا وسُوَاعًا ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا.

الثانية: شدة بطشة الله وعقوبته، حيث أرسل الطوفان فأهلك الطيور والدواب وغير ذلك.

الثالثة: معرفة آيات رسول الله ﷺ حيثما قصه، مع كونهم يعلمون أنه لم يأخذ ممن يعلم ما عند أهل الكتاب، فلم يستطيعوا أن يردوا عليه مع شدة العداوة.

الرابعة: التحقيق بكون المخلوق ليس له من الأمر شيء، ولو كان نبيًا مرسلًا، لسبب ما فيها من قصة ابن نوح.

الخامسة: تبيين الله سبحانه الحجج الباطلة، والتحذير منها، مع أنها عندنا أولى، وعند أكثر الناس حجج صحيحة.

السادسة: تبرؤ الرسل من دعوى أن عندهم خزائن الله، أو علم الغيب، مع أن الطواغيت في زمننا ادَّعوا ذلك وصُدِّقُوا وعُبِدُوا لأجل ذلك.

السابعة: التحذير من استحقار الفقراء والضعفاء، لقوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، مع أنه سائغ ممن يدعي العلم ويستحسنه الناس منهم.

الثامنة: وهي من أعظم الفوائد، التحذير من الشبهة التي أَدْخلت أكثرَ الناس النارَ، وهي السواد الأعظم، والنفرة من القليل، لقوله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

التاسعة: معرفة شيء من عظمة الله في تأديبه الرسل، لما قال لنوح: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

العاشرة: وهي من أهمها، أن فيها شاهدًا لقول الحسن: نضحك، ولعل الله اطّلع على بعض أعمالنا وقال: لا أغفر لكم. وذلك من قوله: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ مع سخريتهم منه.

الحادية عشرة: التحذير من اتباع رؤساء الدنيا، وقبول حججهم، لقوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ وهم الأشراف والرؤساء.

الثانية عشرة: بيان الله تعالى لتلك الحجج، فقوله: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ فيه القياس الفاسد، وقولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ احتجاج بما ليس حجة، وقولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ احتجاج برؤيتهم، وهو مِن أفسد الحجج، وقولهم: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ احتجاج بالظن.

الثالثة عشرة: أنهم لم يُصرحوا بأن هذا الذي عليه نوح وأتباعه أمر الله ثم

جاهروا بعصيانه، بل قالوا: ﴿نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ وقالوا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ وغير ذلك، وأنت ترى الذي يكون من أهل العلم والعبادة، كيف يُقِرُّون ويجادلون بالكفر، ويحسبون أنهم مهتدون!

وقال رضي الله عنه، في الكلام على قوله حكايةً عن يوسف: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾:

دعاهم يوسف عليه السلام، إلى التوحيد بأنواع من الأدلة:

أحدها: أنه ذكر أن هذا العلم الذي تميّز به عليهما، وعلى غيرهما، أنه من تعليم ربه إياه، فالذي يعطي ويمنع هو الذي يستحق العبادة.

الثاني: أنه حكيم، يضع الأشياء في مواضعها، فشرفني بسببين: ترك الشرك، وفعل التوحيد.

الثالث: أن ذلك الفعل والترك هو ملة الأنبياء.

الرابع: أن الشرك لم يُرخص فيه لأحد من الأنبياء كما قد يُرخص في غيره.

الخامس: أنه منفي عما سوى الله، فليس يصح منه شيء لغيره ولو علت درجته.

السادس: أن الهداية إلى ذلك مجرد منة الله على العبد، وهو أفضل النعم.

السابع: أن الله إذا يسر لك العلم لذلك فهو من فضله عليك.

الثامن: أن الإسلام واتباع ملة الأنبياء هو العلم بذلك والعمل به، لا مجرد العلم.

التاسع: أنه ذكر لهم ما يُحرضهم على القبول، وهو أن الداعي من أهل ذلك البيت.

العاشر: أن مع هذا البيان الواضح فأكثر الناس لا يشكر.

ثم قرره بالأدلة العقلية، وذلك من وجوه:

الأول: أن الله خير من المخلوقين.

الثاني: أنه واحد، وأولئك أرباب متفرقون.

الثالث: أنه قهار، وهم عاجزون.

الرابع: العجب العجاب، إعراضكم عنه بإقبالكم على أسماء لا حقيقة لها.

الخامس: أن تلك الأسماء أنتم ابتدعتموها.

السادس: نفي الأدلة عنها، وهي إنزال الله الحجة بذلك.

السابع: تقرير القاعدة الكلية أن أمر التشريع من الله لا غيره.

الثامن: أن الذي له الحُكْمُ حَكَمَ بهذا وألزَمَ به، واختُصَّ به عن جميع ما سواه.

التاسع: أن هذا هو الدين الصحيح فقط.

العاشر: أن مع وضوحه بالنقل والعقل وإجماع الأئمة وغير ذلك لا يعلمه إلا قليل.

ومن قصة أول سورة الكهف(١):

ذكر ابن عباس أن سبب نزولها أن قريشًا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعَيط إلى أحبار يهود فقالوا: سَلُوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، فإنهم أهل الكتاب الأول. ففعلوا، فقالوا: سَلُوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ

(١) قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ سورة الكهف ١ - ٩ .

مرسل، وإلا فهو مُتَقوِّل، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، فإن لهم حديثًا عجيبًا، وسلوه عن طوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح. فأقبَلَا فقالا: جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد. فسألوه عن الثلاث فقال: «أخبركم» ولم يستثن، فمكث خمس عشرة ليلة لا يأتيه جبريل، فشق ذلك عليه، حتى جاء بالسورة، فيها المعاتبة على حزنه عليهم، وخبر مسائلهم[1].

ففي الآية مسائل:

الأولى: حمده نفسه على إنزاله الكتاب، الذي هو أكره شيء أتاهم في أنفسهم، مع كونه أَجَلَّ ما أعطاهم من النعم.

الثانية: أن الإنزال على عبده فيه إبطال مذهب النصارى والمشركين، وفيه نعمة عليهم حيث أنزل على رجل منهم.

الثالثة: أنزله معتدلًا لا عوج فيه، ففيه معنى قوله: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾.

الرابعة: أن الأعداء والمشبهين لا يجدون فيه مغمزًا، بل ليس فيه إلا ما يكسرهم.

وقوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ ذكر الفائدة في إنزاله، فذكر ثلاثًا:

الأولى: ليُنذر عذاب الله، فيصير سببًا للسلامة منه.

الثانية: بشارة مَن انقاد إليه بالحظ المذكور.

الثالثة: الإنذار عن الكلمة العظمى التي تَفَوَّهَ بها مَن تَفَوَّهَ تقربًا إليه بتعظيم الصالحين.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٩٢ - ٥٩٣).

الرابعة: الدليل على أن كلامهم لم يصدر عن علم، لا منهم ولا ممن قبلهم.

الخامسة: تعظيم الكلمة، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾.

السادسة: أن الكذب يُسمى كذبًا، ويُسمى صاحبه كاذبًا، ولو ظن أنه صادق، ويصير من أكبر الكذابين المفترين.

وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ أي: قاتلها أسفًا على هلكتهم. ففيه ما عليه رسول الله ﷺ من الشفقة عليهم، وتسلية الله سبحانه له.

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ فيه مسائل:

الأولى: التسلية للمؤمن عمن أدبر.

الثانية: أن حكمة الله التزيين ليبين الأحسن عملًا من غيره.

الثالثة: أن جميعها يصير صعيدًا جُرزًا، أي لا ينبت فيه.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ يعني أن قصتهم مع كونها عجيبة فيها مسائل جليلة، أعظمها الدلالة على التوحيد، وبطلان الشرك، والدلالة على نبوته ﷺ ومَن قَبْلَه، والدلالة على اليوم الآخر، ففي الآيات المشاهَدَة مِن خلق السماوات والأرض وغير ذلك ما هو أعجب وأدل على المراد من قصتهم، مع إعراضهم عن ذلك.

وأما دلالتها على التوحيد وبطلان الشرك فواضح.

وأما دلالتها على النبوات فكذلك، كما جعلها أحبار يهود آية لنبوته.

وأما دلالتها على اليوم الآخر، فمِن طول مكثهم لم يتغيروا، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾.

وقوله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ الآية، فيه مسائل:

الأولى: كونهم فعلوا ذلك عند الفتنة، وهذا هو الصواب عند وقوع الفتن؛ الفرار منها.

الثانية: قولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي من عندك، لا نحصلها بأعمالنا ولا بحيلتنا.

الثالثة: قولهم: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ طلبوا من الله أن يجعل لهم من ذلك العمل رَشدًا، مع كونه عملًا صالحًا، فما أكثَرَ ما يقصِّر الإنسان فيه، أو يرجع على عقبه، أو يثمر له العُجب والكبر، وفي الحديث «**وما قَضَيْتَ مِن قضاء فاجعل عاقبته رشدًا**»[1].

وقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ إلى قوله: ﴿مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[2]، ففيه مسائل:

الأولى: من آيات النبوة، وإليه الإشارة بقوله «الحق».

الثانية: أنهم فتية، وهم الشبان، وهم أقبل للحق من الشيوخ، عكس ما يظن الأكثر.

الثالثة: قوله إنهم ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ فلم يَسْبِقُوا إلا بالإيمان بالله.

الرابعة: ما في الإضافة إلى ربهم من تقرير التوحيد.

الخامسة: في قوله: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ أن مِن ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها، ومَن عمل بما يَعلَم أورثه الله تعالى علم ما لا يعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٣٩) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٠٤٧).

(٢) قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾ إلى قوله: ﴿أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ سورة الكهف ١٣ - ١٦ .

السادسة: أن المؤمن أحوج إلى أن يربط الله على قلبه، ولولا ذلك الربط افتتنوا.

السابعة: قولهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهذه الربوبية هي الألوهية.

الثامنة: المسألة الكبرى، أن مَن ذبح لغير الله ودعا غيره فقد كذب بقول «لا إله إلا الله» وقد دعا إلهين اثنين واتخذ رَبَّيْنِ.

التاسعة: المسألة العظيمة المشكلة على أكثر الناس، مع أنه إذا وافقهم بلسانه، مع كونه مؤمنًا حقًّا كارهًا لموافقتهم، فقد كذب في قوله «لا إله إلا الله» واتخذ إلهين اثنين، وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها.

العاشرة: أن ذلك لو يصدر منهم، أعني موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم، مع كراهتهم لذلك فهو قوله: ﴿شَطَطًا﴾، والشطط الكفر.

الحادية عشرة: قوله: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ فهذه المسألة مفتاح العلم، وما أكبر فائدتها لمن فهمها.

الثانية عشرة: قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ففيه أن مثل هذا مَن افترى الكذب على الله، وأنه أعظم أنواع الظلم، ولو كان صاحبه لا يدري، بل قصد رضاء الله.

الثالثة عشرة: قوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فيه اعتزال أهل الشرك، واعتزال معبوديهم، وأن ذلك لا يجرك إلى ترك ما معهم من الحق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾.

الرابعة عشرة: قوله: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ فيه شدة صلابتهم في دينهم، حيث عزموا على ترك الرياسة العظيمة، والنعمة العظيمة، واستبدلوا بها كهفًا في رأس جبل.

الخامسة عشرة: حسن ظنهم بالله، ومعرفتهم ثمرة الطاعة، ولو كان مباديها ذهاب الدنيا، حيث قال: ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾.

السادسة عشرة: الدليل على الكلام المشهور؛ أن التعب يُثمر الراحة، والراحة تُثمر التعب.

السابعة عشرة: عدم الاغترار بصورة العمل الصالح، فرُب عمل صالح في الظاهر لا يُثمر خيرًا، أو عمل صالح يهيئ لصاحبه مرفقًا.

العشرون: قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ فيه مسائل:

الأولى: كما أماتهم سبحانه لحكمة بعثهم لحكمة.

الثانية: أن الصواب في المسائل المُشكلة عدم الجزم بشيء، بل قول «الله أعلم» فالجهل بها هو العلم.

الثالثة: التورع في المآكل.

الرابعة: كتمان السر.

الخامسة: المسألة العظيمة، وهي قولهم: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ عرفوا أنه لابد من أمرين: إما الرجم وإما الإعادة في الملة، فإن وافقوا على الثانية لم يُفلحوا أبدًا، ولو كان في قلوبهم محبة الدين وبغض الكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾[1]، فيه مسائل:

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ سورة الكهف ٢١ .

الأولى: أن الإعثار عليهم لحكمة.

الثانية: معرفة المؤمن إذا أُعْثِرَ عليه أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها، كما رد سبحانه موسى إلى أمه لتعلم أن وعد الله حق، فتأمل هذا العلم ما هو!

الثالثة: أن ﴿ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ لما وقع بينهم النزاع، وذلك أن بعض الناس يزعم أن البعث للأرواح خاصة، فأَعْثَرَ عليهم ليكون دليلًا على بعث الأجساد.

الرابعة: أن الذين غلبوا على أمرهم قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ فإذا تأملتَ ما قالوا، وأن الذي حملهم عليه محبة الصالحين، ثم ذكرت قوله ﷺ: **«أولئك إذا مات الرجل الصالح بَنَوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»**(١) عرفت الأمر.

وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الآية(٢)، فيه مسائل:

الأولى: إخبار بالغيب.

الثانية: بيان الجهل والباطل بالتناقض.

الثالثة: الإنكار على المتكلم بلا علم.

الرابعة: إسناد الأمر في هذه المسائل إلى علم الله سبحانه.

الخامسة: الرد على أهل الباطل بالإسناد إليه.

السادسة: أن مِن العلماء مَن يعرف عدتهم، لكنهم قليل.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧) ومسلم (٥٢٨).

(٢) قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ سورة الكهف ٢٢ .

السابعة: النهي عن المراء في شأنهم.

الثامنة: الاستثناء.

التاسعة: النهي عن استفتائنا أحدًا من هؤلاء فيهم.

العاشرة: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، فيه مسائل:

الأولى: النهي عن مثل هذا الكلام.

الثانية: الرخصة مع الاستثناء.

الثالثة: الأمر بذكر الله عند النسيان.

الرابعة: الاستثناء يقع في مثل هذا.

الخامسة: هذا الدعاء عند النسيان، إن صح التفسير بذلك.

وقوله: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ إلى آخر الكلام[1]، فيه مسائل:

الأولى: النص على مدة لبثهم.

الثانية: الرد على المخالف بقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾.

الثالثة: الرد عليه بقوله: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

الرابعة: الرد عليه بقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾.

الخامسة: قولهم: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾.

السادسة: كونه لا يشرك في حكمه أحدًا.

السابعة: النهي عن إشراك مخلوق في حكم الله، على قراءة الجزم.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ سورة الكهف ٢٥ - ٢٩.

الثامنة: الحث على تلاوة الوحي، وإن عارضه شبهة أو شهوة.

التاسعة: تقريره ذلك بقوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾.

العاشرة: تقريره ذلك بقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾.

الحادية عشرة: الكبيرة، وهي أمره نبيَّه أن يصبر نفسه مع مَن ذكر.

الثانية عشرة: لا يضر المؤمن كراهة نفسه لذلك إذا جاهدها.

الثالثة عشرة: أن بلوغهم هذه الرتبة بسبب فعلهم ما ذكر.

الرابعة عشرة: أن صلاة البَردين بإخلاص توصل إلى المراتب العالية.

الخامسة عشرة: فيه قوله: «**رُبَّ أُشْعَثَ أُغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ، لا يُؤْبَهُ له، لو أقسَمَ على الله لأَبَرَّهُ**»[1].

السادسة عشرة: النهي عن طلوع العين عنهم إرادةً لمجالسة الأجلاء.

السابعة عشرة: المسألة الكبرى، وهي اختلاف أمر الدنيا والآخرة عند الله.

الثامنة عشرة: أنه لما ذكر المحثوث على مجالستهم ذكر ضدهم.

التاسعة عشرة: نهيه عن طاعة الضد.

العشرون: سبب ذلك.

الحادية والعشرون: ذكر الخصال الثلاث: إغفال القلب عن ذكر الله، واتباع الهوى، وانفراط الأمر.

الثانية والعشرون: إثبات القَدَر، وهو الإغفال.

الثالثة والعشرون: لا يخرجه من الذم أن قلبه يفهم غير ذلك فهمًا جيدًا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٥٤) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ٤٥٧٣).

الرابعة والعشرون: قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الآية.

وأما قصة موسى والخضر ﷺ[1]، ففيها مسائل:

الأولى: ما يتعلق بجلال الله وعظمته. وفيه مسائل:

الأولى: سعة العلم بقوله: «**ما نقص علمي وعلمك**»[2] وهذا من أعظم ما سمعنا من عظمة الله.

الثانية: الأدب مع الله لقوله: «فعتب الله عليه».

الثالثة: الأدب معه أيضًا في قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾.

الرابعة: معرفة أنواع سعة جود الله تعالى، ومن ذلك العلم اللدني.

الخامسة: الأدب معه تعالى بمعرفة أن له أسرارًا في خلقه تخفى على الأنبياء، فلا ينبغي الغفلة عن هذه المهمة.

السادسة: الأدب معه في تعليق الوعد بمشيئة الله مع العزم.

السابعة: معرفة شيء من عظيم قدرة الله من إحياء الموتى، وجعله سبيل الحوت في الماء طريقًا، وغير ذلك، ومعرفة هذا مع الأُولَى هما اللتان خُلِقَ العالم العلوي والسفلي لأجل معرفتنا بهما.

الثاني: ما يتعلق في أحوال الأنبياء. وفيه مسائل:

الأولى: أن النبي يجوز عليه الخطأ.

الثانية: أنه يجوز عليه النسيان.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ سورة الكهف ٦٠ - ٨٢.

(٢) هو حديث الخضر وموسى، الطويل المشهور، أخرجه البخاري (١٢٢) ومسلم (٢٣٨٠).

الثالثة: فضل نبينا ﷺ بعموم الرسالة، لقوله: «موسى بني إسرائيل».

الرابعة: ما جُبِلَ عليه موسى عليه السلام من الشدة في أمر الله.

الخامسة: أنه لا يُنْكَرُ إصابة الشيطان للأنبياء بما لا يقدح في النبوة، لقوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ مع قوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

السادسة: ما عليه الإنسان من البشرية، ولو كان نبيًّا، وذلك من أدلة التوحيد، وذلك من وجوه، منها قوله: ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾.

الثالث: مسائل الأصول، وفيه مسائل، أعظمها التوحيد، ولكن سبق آنفًا، فنقول:

الأولى: الدليل على اليوم الآخر؛ لأن من أعظم الدلالة إحياءَ الموتى في دار الدنيا.

الثانية: إثبات كرامات الأولياء، على القول بعدم نبوة الخَضِرِ.

الثالثة: أنه قد يكون عند غير النبي ﷺ ما ليس عند النبي.

الرابعة: إذا احتمل اللفظ معانيَ فأظهَرُها أَوْلَاها، كما قال الشافعي.

الخامسة: إثبات الصفات كما هو مذهب السلف.

الرابعة: ما فيها من التفسير:

الأولى: أن المذكور هو الخضِر، لا كما قال الحر بن قيس.

الثانية: موسى هو المشهور عليه السلام، خلافًا لِنَوْفٍ(١).

---

(١) نوف البكالي، أحد التابعين. أخرج البخاري (٤٧٢٥) عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخر، فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبيّ بن كعب عن =

الثالثة: أن النبي ﷺ فسر لهم ألفاظ القرآن كلها كما بلغها.

الرابعة: قوله: ﴿أَلَمْ أَقُل﴾.

الخامسة: أن قوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، المراد: سفينة سالمة من العيب.

السادسة: أن غداءهما هو الحوت.

السابعة: أن قوله: ﴿عَجَبًا﴾ أي لموسى وفتاه.

الثامنة: لا يجوز تفسير القرآن بما يؤخذ من الإسرائيليات، وإن وقع فيه مَن وقع.

= النبي ﷺ: «أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى، لي عبدٌ بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب، ومن لي به؟ قال: تأخذ حوتًا فتجعله في مكتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثَمّ، وأخذ حوتًا فجعله في مكتل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة، وضعا رؤوسهما، فرقد موسى واضطرب الحوت، فخرج فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار مثل الطاق، فقال هكذا مثل الطاق، فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، ولم يجد موسى النصَب حتى جاوز حيث أمره الله، قال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا، فكان للحوت سرَبا ولهما عجَبا، قال له موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصا، رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم موسى، فرد عليه، فقال: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما عُلمت رشدا، قال: يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، قال: هل أتبعك؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تُحط به خُبرا..، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، كلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر؛ فحملوه بغير نول.. - الحديث -».

التاسعة: أن السلف يشددون في ذلك تشديدًا عظيمًا، لقوله: «كذب عدو الله».

العاشرة: أن الوعد على العمل الصالح ليس مختصًّا بالآخرة، بل يدخل فيه أمور الدنيا، حتى في الذرية بعد موت العامل.

الخامس: أدب العالم مع المتعلم، ففيه مسائل:

الأولى: تسمية التلميذ الخادم فتى.

الثانية: أن تلك الخدمة مما يرفع الله بها كما رفع.

الثالثة: تعلم العالم ممن دونه.

الرابعة: اتخاذ ذلك نعمة يبادر إليها، لا نعمة يُبغضها.

الخامسة: التعلم بعد الرياسة.

السادسة: الرحلة في طلب العلم.

السابعة: رحلة الفاضل إلى المفضول.

الثامنة: ركوب البحر لطلب العلم.

التاسعة: اشتراط الشيخ على المتعلمِ الشروطَ.

العاشرة: التزام المتعلم للشروطَ.

الحادية عشرة: الاعتذار بالنسيان.

الثانية عشرة: قبول الاعتذار.

الثالثة عشرة: قبول المتعلم، لقوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ إلى آخره.

الرابعة عشرة: قبول نصيحة الشيخ؛ لعلمه منك ما لا تعلمه من نفسك، وإن كنتَ أفضل منه.

الخامسة عشرة: أن من المسائل ما لا يجوز السؤال عنه.

السادسة عشرة: أن من المسائل ما لا ينبغي للمسئول أن يجيب عنه.

السابعة عشرة: إعفاء المتعلم مما يكره.

الثامنة عشرة: مفارقة المتعلم إذا خالف الشرط.

التاسعة عشرة: احتمال المشاق في طلب العلم، لقوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾.

السادس: ما فيها من مسائل الفقه:

فالأولى: عمل الإنسان في مال الغير بغير إذنه إذا خاف عليه الهلاك.

الثانية: من شرط الجواز خوف الهلاك، بل قد يجوز للإصلاح، لقصة الجدار.

الثالثة: أنه ليس من شرط المسكين في الزكاة أنه لا مال له.

الرابعة: أنه استدل بها على أنه أحسن حالًا من الفقير.

الخامسة: أنه لا بأس بالسؤال في بعض الأحوال، لقوله: ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾.

السادسة: أن مَن لم يُعْطَ يَتَعَزَّ بهذه القصة، وكم ممن هان على الناس وهو جليل عند الله، وقد قيل:

فإن رُدِدْتَ فما في الرد منقصة   عليك قد رُدَّ موسى قَبْلُ والخَضِرُ[1]

السابعة: أن الإجارة تجوز بغير بعض الشروط التي شرط بعض الفقهاء.

---

(١) البيت لابن الوردي.

الثامنة: أنه يجوز أخذ الأجرة على العمل الذي لا يُكلف، خلاف ما توهمه بعضهم.

التاسعة: الترحم على الأنبياء، وأنه لا ينقص من قدرهم، بل هو من السُّنَّة.

العاشرة: أن تمني العلم ليس من التمني المذموم.

الحادية عشرة: أن السلام ليس من خصائص هذه الأمة.

الثانية عشرة: كيف الجواب إذا سئل: أي الناس أعلم؟

الثالثة عشرة: خطأ مَن قال: تخلو الأرض من مجتهد.

الرابعة عشرة: التعزي باختيار الله، وحسن الظن فيما تكره النفوس.

الخامسة عشرة: الخوف من مكر الله عند النعم.

السادسة عشرة: قوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ لا يعد من الشكوى.

السابعة عشرة: الفَرَقُ من المسألة المأمور بها والمنهي عنها، وإن كان معذورًا بل مأجورًا.

الثامنة عشرة: سفر الاثنين من غير ثالث للحاجة.

التاسعة عشرة: أن الخضِر معروف في ذلك الزمان، لقوله: «لما عرفُوه حَمَلُوه بلا نَوْلٍ».

العشرون: أن احتمال المنة في مثل هذا لا بأس به.

الحادية والعشرون: شكره نعمة الخلق.

السابع: المنثور الجامع:

الأول: القصة بجملتها من أعجب ما سُمِعَ، ولا يُعْرَفُ في نوعها مثلُهَا.

الثانية: عين الحياة، وما لله من الأسرار في بعض المخلوقات.

الثالثة: ما ابتُلِيَ به موسى عليه السلام، مما لا يحتمله، وعده الصبر وتعليقه بالمشيئة.

الرابعة: نسيان الفتى الحوت في ذلك اليوم، وتلك الليلة، ونصف اليوم الثاني، مع أنه لم يُكَلَّفْ إلا ذلك، ومع أن زادهما يُحْمَلُ على الظهر.

الخامسة: الأمر العظيم في الماء لما صار طاقًا(١)، حتى قيل إن هذا لم يقع إلا له منذ خُلقت الدنيا.

السادسة: أن الشيطان يتسلط تسلطًا لا يُعْرَفُ، لكونه تسلط على يوشع بالنسيان العجيب.

السابعة: الفرق بين العبودية الخاصة والعبودية العامة.

الثامنة: الرد على منكري الأسباب، لأنه سبحانه قادر على إنجاء السفينة، وتثبيت أَبَوَيْ الغلام، وإخراج الكنز له بدون ما جرى.

التاسعة: الرد على مَن قال إن موسى لا يجوز له السكوت عنه، لأنه اعتذر من النسيان، ولأنه لا يعد من نفسه ترك واجب.

العاشرة: الحكم بالظاهر، لقوله عليه السلام: ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾.

الحادية عشرة: تسمية المدينة قرية.

الثانية عشرة: أن التأويل في كلام الله وكلام العرب غير ما يريد المتأخرون.

الثالثة عشرة: أن المال قد يكون رحمة، وإن كان مكنوزًا.

الرابعة عشرة: فائدة طلب العلم للرشد.

---

(١) قال النووي في «شرح مسلم» (١٥/ ١٣٨): «الطاق عقد البناء، وجمعه طيقان وأطواق، وهو الأزج، وما عُقد أعلاه من البناء، وبقي ما تحته خاليًا».

الخامسة عشرة: نصيحة العالم المتعلم إذا أراد السؤال عما لا يحتمله.

السادسة عشرة: أن ذلك الممنوع قد يكون أفضل ممن يعرف ذلك.

السابعة عشرة: أن الكلام يقتصر على المتبوع، لقوله: ﴿فَانطَلَقَا﴾ كما قيل: ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾.

وقوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، فيها خمس مسائل:

الأولى: كون الله فرض على نبيه أن يخبرنا عن نفسه الخبر، الذي تصديقه ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بتوحيد الألوهية، وإلا فتوحيد الربوبية لم ينكره الكفار الذين كذبوه وقاتلوه.

الثالثة: تعظيمه بقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ كما تقول لمن خالفك: كلامي مع مَن يدعي أنه من أمة محمد.

الرابعة: أن من شروط الإيمان بالله واليوم الآخر ألا يُشرك بعبادة ربه أحدًا، ففيه التصريح بأن الشرك في العبادة ليس في الربوبية، وفيه الرد على مَن قال: أولئك يستشفعون بالأصنام، ونحن نستشفع بالصالحين. لأنه قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ فليس بعد هذا بيان.

وافتتح الآية بذكره براءة النبي ﷺ الذي هو أقرب الخلق إلى الله وسيلةً، وختمها بقوله: ﴿وَاحِدًا﴾.

اعلم، رحمك الله، أنه لا يعرف هذه الآية المعرفة التي تنفعه إلا من يميز بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية تمييزًا تامًا، وأيضًا يَعرف ما عليه غالب الناس؛ إما طواغيت ينازعون الله في توحيد الربوبية الذي لم يصل شرك المشركين إليه، وإما مصدِّق لهم تابع لهم، وإما رجل شاكٌّ لا يدري ما أنزل الله على رسوله،

ولا يميز بين دين الرسول ودين النصارى. والله أعلم.

وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ الآيتين[1]، فيه مسائل:

الأولى: أن الله أمر الرسل بهذا، مع اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، فيدل على أنه من عظيم الأمور.

الثانية: أن الرسل إذا أُمِرُوا بذلك فغيرهم أولى بالحاجة إلى ذلك، فأفاد أن هذا يحتاج إليه أعلم الناس حاجة شديدة.

الثالثة: إذا فُرِضَ هذا على الرسل، مع اختلاف الأزمنة والأمكنة، فكيف بأمة واحدة، نبيها واحد، وكتابها واحد؟

الرابعة: أن خطاب الرسل عامٌ للأمم، بدليل قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم﴾.

الخامسة: الأمر بالأكل من الطيبات، ففيه رد على الغُلَاة الذين يمتنعون عنها، وفيه رد على الجُفَاة الذين لا يقتصرون عليها.

السادسة: الأمر بالإصلاح والعمل مع الأكل من الطيبات، ففيه رد على ثلاث طوائف:

أولها: الآكلون الطيبات بلا شكر، والشكر هو العمل المرضيّ.

وثانيهم: مَن يعمل العمل غير الخالص، مثل المرائي وقاصد الدنيا.

وثالثهم: الذي يعمل مخلصًا لكنه على غير الأمر.

السابعة: المسألة العظيمة التي سبق الكلام لأجلها، وهي فرض الاجتماع في المذهب وتحريم الافتراق، فإذا فرضه على الأنبياء مع اختلاف الأزمنة

---

(١) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

والأمكنة، فكيف بأمة واحدة، ونبيها واحد، وكتابها واحد، ودينها واحد؟

الثامنة: ذِكْرُهُ سبحانه فِعْلَهم الذي صَدَر منهم، بعدما عرفوا الوصية العظيمة بالاجتماع والنهي عن الافتراق، وأنهم تقطعوا أمرهم بينهم زُبرًا كل حزب بما لديهم فرحون، فذكر أنهم قابلوا الوصية بعدما سمعوها بما يضادُّها غاية المضادّة، وهو أنهم تركوا الاجتماع وتفرقوا، ثم بعد ذلك كل فرقة صنَّفَت لها كتبًا غير كتب الآخرين، ثم قال: كل فرقة فَرِحَت بما تَرَكَت من الهدى، وفَرِحَت بما ابتَدَعَتْهُ من الضلال. كما قيل:

حَلَفَت لنا ألا تَخُونَ عهودها فكأنها حَلَفَت لنا ألا تَفِي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسٓمٓ ① تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ② لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[1]، فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على جلالة القرآن وعظمته.

الثانية: التنبيه على وضوحه، وقوله ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ فيه علامة النبوة.

الثالثة: أن العلم بيِّن، يعرفه أهل القرآن والإيمان، وإن جهله غيرهم.

قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى آخره.

فيه: ذم العلو في الأرض.

الثانية: ذم جعل الرعية شِيَعًا.

الثالثة: التنبيه على كبر هذا الظلم.

---

(١) سيفسر الشيخ الآيات (من ١ - ٤٢) من سورة القصص، وهي قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾.

الرابعة: التسجيل عليه أنه من هذه الطائفة، فمن أراد من الرؤساء أن يكون منهم مثله فهذا فِعْلُهُ، ومَن أراد اتِّباع الخلفاء الراشدين فقد بان فعلهم.

وقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى آخره.

هذه الإرادة القدرية، بخلاف قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ وأمثالها، فهي إرادة شرعية.

الثانية: أن ابتلاءهم بالاستضعاف سبب المنة عليهم، وكونهم أئمة، وكونهم الوارثين، والتمكين لهم في الأرض، وتعريف عدوهم بما يحذره، فهذه خمس فوائد نتيجة تلك البلوى.

الثالثة: تبيين قدرته العظيمة لعباده.

الرابعة: أن الحذر لا يفك من القدر[1].

وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ إلى آخره.

هذا وحي إلهام، ففيه إثبات كرامات الأولياء.

الثانية: أنها أُمِرَت بإلقائه في اليم وبُشِّرت بأربع.

وقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾.

فيه: حكمة هذا الالتقاط.

الثانية: أن اللام لام العاقبة.

الثالثة: أن الإنسان قد يختار ما يكون هلاكه فيه.

الرابعة: أن ذلك القدر بسبب خطايات سابقة.

وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ إلى آخره.

---

(١) أي: لا ينفع.

فيه أن المرأة الصالحة قد يتزوجها رجل سوء.

الثانية: قولها: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ فيه محبة الفأل.

الثالثة: ذكر الترجي.

الرابعة: عدم الشعور.

وقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا﴾ الآية.

فيه: ما ابتليت به.

الثانية: لولا منة الله عليها بالربط.

الثالثة: لتكون من المؤمنين.

الرابعة: أن الإيمان يزيد وينقص.

وقوله: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ الآية.

فيه: أن التوكل واليقين لا ينافي السبب.

الثانية: تسبب الأخت أيضًا.

الثالثة: عدم شعورهم مع ذكائهم وظهور العلامات.

وقوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ الآية.

هذا التحريم قدري، وأما قوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وأمثالها، فتحريم شرعي.

الثانية: أن هذه العلامة الظاهرة في كلامها، ولم يفهموه مع فطنتهم.

وقوله: ﴿فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ إلى آخره.

فيه: أن الرد لثلاث فوائد.

الثانية: تفاوت مراتب العلم لقوله: ﴿وَلِتَعۡلَمَ﴾.

الثالثة: أن بعض المعرفة لا يسمى علمًا، يصح نفيه من وجه وإثباته من وجه.

الرابعة: المسألة العظيمة الكبيرة، تسجيل الله تبارك وتعالى على الأكثر أنهم لا يعلمون أن وعده حق.

وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾.

فيه: أن ذلك لا يتأتى إلا بعد بلوغ الأشد والاستواء.

الثانية: الفرق بين العلم والحكم.

الثالثة: ذكره أنه يفعل ذلك بالمحسنين، كما فعل ضده مع الذين كانوا خاطئين.

الرابعة: ترغيب عباده في الإحسان.

الخامسة: أن من جزاء الحسنةِ الحسنةَ بعدها.

السادسة: فيه أسرار القدر.

وقوله: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾ إلى آخره.

فيه: أن الرجل الصالح قد يتسخر له الفاجر ويُنَشَّأُ في حجره.

الثانية: قد ييسر الكمال العظيم بسبب أعظم المكروهات.

الثالثة: أن قتل الرجل صار ذنبًا.

الرابعة: نسبة ذلك إلى عمل الشيطان.

الخامسة: قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾.

السادسة: ذكر توبته ﷺ.

السابعة: ذكر مغفرة الله له.

الثامنة: ذكر سبب المغفرة.

التاسعة: شكر نعمة الخلق.

العاشرة: كون شكرها عدم مظاهرة المجرمين.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ إلى آخره.

فيه: أن هذا الخوف غير المذموم في قوله: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾.

الثانية: أن ذلك الترقب لا يُذَمُّ.

الثالثة: ما جبل عليه ﷺ من الشدة.

الرابعة: قوله لذلك الرجل: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ أن مثل ذلك لا يُذَمُّ.

الخامسة: العمل بالقرائن.

السادسة: الفرق بين الصلاح بالقوة وبين إرادته الفساد في الأرض بالتجبر.

وقوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ إلى آخره.

فيه: قوة ملكهم.

الثانية: ما عليه الرجل من محبة الحق وأهله.

الثالثة: تأكيده عليه بالأمر بالخروج، وذكره أنه له من الناصحين بعد النذارة.

وقوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾

فيه: أن ذلك الخوف والترقب لا يُذَمُّ.

الثانية: استغاثته بالله مع فعله السبب.

الثالثة: أن كراهة الموت لا تُذَمُّ.

الرابعة: أن الظالم يوصف بالظلم، وإن كان في تلك القضية غير ظالم.

وقوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ إلى آخره.

فيه: أنه توجه من غير سبب.

الثانية: سؤاله الله أن يدخله الطُّرُقَ.

الثالثة: أن «عسى» في هذا الموضع سؤال.

وقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ إلى آخره.

فيه: ما أعطي عليه السلام من القوة.

الثانية: إحسانه إليهما في هذا الحال.

الثالثة: مخاطبة النساء لمثله.

الرابعة: ظهور النساء في خدمة أموالهن للحاجة.

الخامسة: تأدبهما في عدم مزاحمة الرجال.

السادسة: ذكرها له السبب.

السابع: أن المانع له عدم القوة لا الترتيب.

الثامنة: سؤاله ربه.

التاسعة: تأدبه في السؤال بذكر حاله للاستعطاف، العاشرة أن الشكوى لا تُذَمُّ.

وقوله: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ إلى آخره.

فيه: التنبيه على الحياء.

الثانية: الثناء على المرأة.

الثالثة: إرسالها إلى الرجل المجهول للحاجة.

الرابعة: عدم إنكاره للأجرة على العمل الصالح.

الخامسة: قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ لأنهم ليس لهم سلطان عليهم.

السادسة: كونهم معروفين بالظلم عندهم.

وقوله: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ إلى آخره.

فيه: أن المرأة قد تصيب وجه الرأي.

الثانية: ما أُعْطِيَت من الذكاء.

الثالثة: أن طاعتها في مثل هذا لا تُذَمُّ.

الرابعة: الولاية لها ركنان: القوة والأمانة، فالأمانة ترجع إلى خشية الله، والقوة ترجع إلى تنفيذ الحق.

الخامسة: أن الاحتياط للمال لا يذم.

وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ﴾ إلى آخره.

فيه: أن هذه الإجارة صحيحة، بخلاف قول كثير من الفقهاء مِن مَنْعِهِم الإجارة بالطعام والكسوة للجهالة.

الثانية: أن المنفعة يصح جعلها مهرًا للمرأة، خلافًا لمن منع ذلك.

الثالثة: أن هذه المهنة لا نقص فيها، كيف وقد قال ﷺ: **«ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم»**[1].

الرابعة: أنها صفة كمال لا يكمل إلا بها.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦٢).

الخامسة: أن ذكر مثل هذا في الإجارة، وهي قوله: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ لا يُبطل الإجارة.

السادسة: المسألة الكبيرة الدقيقة، وهي قوله ﷺ: «**قضى أطيب الأجلين، أن رسول الله إذا قال فعل**»[١].

السابعة: تأكيد العقد بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾

فيه: أنه قام هذه المدة أجرتُه فيها طعام بطنه وعفة فرجه.

الثانية: تسمية ذلك النور نارًا.

الثالث: هذا الفرج بعد الشدة الذي أُفرد بالتصنيف، ولم يذكروا لهذه نظيرًا ولا ما يقاربها.

الرابعة: أنهم مع هذه الشدة بالبرد ولا نار معهم.

الخامسة: أنهم ضلوا الطريق.

السادسة: جواز مثل هذا السفر للحاجة.

السابع: ذكر الموضع الذي ناداه منه.

الثامنة: إثبات الصفات.

التاسعة: الرد الواضح على الجهمية في قولهم هذا عبارة.

العاشرة: تقريبه نجيًا، فذكر النداء والمناجاة لاختصاص موسى بهذه المرتبة، ولذلك ذكرها إبراهيم ﷺ إذ طُلِبَت منه الشفاعة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٣٨).

الثانية عشرة: كونه أُمِرَ بإلقاء العصا فصارت آية.

الثالثة عشرة: كونه أُمِرَ بإدخال اليد آية أخرى.

الرابعة عشرة: كونه ولَّى مُدْبِرًا ولم يُعَقِّبْ.

الخامسة عشرة: قوله: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾.

السادسة عشرة: تبشيره أنه من الآمنين.

السابعة عشرة: كونه أُمِرَ بضم جناحه من الرهب.

الثامنة عشرة: تسميتها برهانًا.

التاسعة عشرة: كونه من ربك.

العشرون: كونها إلى فرعون وملئه.

الحادية والعشرون: التعليل بأنهم قوم ظالمون.

الثانية والعشرون: هذه العطية العظيمة في تلك الشدة العظيمة.

الثالثة والعشرون: اعتذاره بقتل النفس والخوف منهم.

الرابعة والعشرون: اعتذاره برثاثة لسانه.

الخامسة والعشرون: طلبه الاعتضاد بأخيه.

السادسة والعشرون: طلبه الرسالة.

السابعة والعشرون: تعليله بخوف تكذيبهم.

الثامنة والعشرون: إجابة الله إياه.

التاسعة والعشرون: تبشيره أنه يجعل لهما سلطانًا فلا يَصلون إليهما.

الثلاثون: تبشيره بغلبته وغلبة أتباعه.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ إلى آخره.

فيه: أنه أتاهم بآيات منسوبة إلى الله، وأنها بينات.

الثانية: أنهم قابلوها بما ذكر.

الثالثة: أنهم احتجوا بقولهم فيها بعدم سماعهم لهذا في آبائهم.

الرابعة: جواب موسى عليه السلام.

وقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ إلى آخره.

هذا الإنكار الذي هو غلبة الكفر.

الثانية: قوله لهامان: ﴿فَأَوْقِدْ لِى﴾ كيف اجترأ على الله في قول العاصين.

الثالثة: استدل بها الأئمة على الجهمية.

وقوله: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

وصفهم بأن فيهم المُهْلِك، وأنهم عدموا المَنْجى، ولذلك أخذهم بما ذكر.

الثانية: أمر المؤمن بالنظر في عاقبتهم.

الثالثة: أنه أتى بلفظ الظالمين ليبين أن ذلك مختص بهم.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾

هذا الجَعْلُ القدري، وأما قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ وأمثاله، فهذا الجَعْلُ الشرعي.

الثانية: أن معرفة هذا يوجب الحرص على النظر في الأئمة، إذا كان منهم مَن جعله الله يدعو إلى النار، ومنهم مَن قال فيه: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.

الثالثة: ذكر مآلهم في القيامة.

الرابعة: ما أبقى على ألسنة الناس في الدنيا.

الخامسة: مآلهم في الآخرة.

وأما الزيادة التي في سورة طه[1]؛ **فالأولى**: استفهام التقرير الدال على عظمة القصة والتحريض على أفهامها.

الثانية: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ دليل على أنه ضل الطريق.

الثالثة: أُمر بخلع النعلين.

الرابعة: إخباره أنه بذلك الوادي.

الخامسة: الإخبار بأنه مطهَّر.

السادسة: تبشيره بأن الله اختاره.

السابعة: أمره بالاستماع.

الثامنة: أن أول ذلك المسائل على الإطلاق التوحيد، وهو إفراده بالعبادة.

التاسعة: أمره بإقامة الصلاة.

العاشرة: تعليل ذلك.

الحادية عشرة: وقت الإقامة.

الثانية عشرة: قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ إلى آخره، لما ذكر الإيمان بالله ذكر الإيمان باليوم الآخر.

الرابعة عشرة: أن علته الإيمان.

الخامسة عشرة: مبالغته سبحانه في إخفائها.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ سورة طه ٩ - ٧٥.

السادسة عشرة: الحكمة في إقامتها.

السابعة عشرة: تحذيره من صاحب السوء.

وقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ إلى آخره.

فيه: سؤاله عنها، وهو أعلم.

الثانية: جوابه عليه السلام.

الثالثة: أمره بأخذها ولا يخاف، فإنه سيعيدها.

الرابعة: أن ذلك من الآيات الكبرى.

الخامسة: تعليله الذهاب إلى فرعون بطغيانه.

السادسة: سؤاله عليه السلام.

السابعة: أنه لم يسأل حَلَّ لسانه بل عقدةً منه.

الثامنة: أن مراده ليفقهوا كلامه.

التاسعة: أنه علّمه ما سأله لأجل يُسَبِّحَانِهِ ويذكرانه كثيرًا.

العاشرة: تعليله بقوله: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾.

الحادية عشرة: إجابة سؤاله.

الثانية عشرة: ذكر مِنَّتِهِ عليه مِن قِبَلِ ثمانية أمور.

الثالثة عشرة: نهيهما ألا يَنِيَا في ذكره.

الرابعة عشرة: رفقه سبحانه ومحبته للرفق.

الخامسة عشرة: شكواهما إلى الله تعالى الرفق.

السادسة عشرة: الفرق بين التذكر والخشية.

السابعة عشرة: شكواهما.

وقوله: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ إلى آخره، فيه من الرفق والتلطف أمور:

أحدها: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، فإن أطعت ما أطعت إلا هو.

الثانية: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ فالمطلوب أن يرسل جيرانه ورعيته ولا يعذبهم.

الثالثة: ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾، قد قطع عذرك.

الرابعة: إضافته إلى الله.

الخامسة: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾، أي هذا هو الذي فيه السلامة، التي هي مطلوبة لكل أحد، خصوصًا الملوك.

السادسة: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾، أي: كما دللناك على أمور السلامة دللناك على طريق الهلاك.

السابعة: لم يقولا: إن العذاب لك إذا توليت. بل كلام عام.

الثامنة: ذكر سبب العذاب.

التاسعة: الفرق بين التكذيب والتولي.

وقوله: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ إلى آخره.

هذا: جواب اللعين بهذا الكلام اللين.

الثانية: جواب موسى عليه السلام الجواب الباهر.

الثالثة: التفكر في الخلق والهداية.

الرابعة: جواب اللعين عن هذه.

الخامسة: جواب موسى عليه السلام عن شبهته، وهي أن العلم أجل الفوائد عند المناظرة.

السادسة: ذكر العلم والكتاب.

السابعة: أن ذلك الكتاب ليس لخوف نسيان أو خطأ.

الثامنة: الاستدلال بالآيات الأرضية والسماوية.

التاسعة: ذكر إسباغ نعمته.

العاشرة: ذكر أن في ذلك لآيات لكن لهذه الطائفة.

الحادية عشرة: لما ذكر الأرض ذكر ما جرى لنا وما يجري لنا فيها.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾

فيه: الفرق بين التكذيب والتولي والإباء.

الثانية: ما أكثر الله له ولقومه من الآيات.

الثالثة: مكابرته في تسمية ذلك سحرًا.

الرابعة: رميه موسى بنية طلب الملك.

الخامسة: معارضة آيات الله بالسحر.

السادسة: اهتمامه بذلك الموعد.

السابعة: دعاء الإنصاف بقوله: ﴿سُوًى﴾.

الثامنة: إجابة موسى إياه.

التاسعة: ذكر جميع كيده قبل إتيانه.

العاشرة: وعظه إياهم.

الحادية عشرة: كونه يقول: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

الثانية عشرة: قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ كلمة جامعة.

الثالثة عشرة: سرهم بينهم بما ظنوه في موسى وأخيه.

الرابعة عشرة: اغترارهم بطريقتهم.

الخامسة عشرة: ذكرهم الاجتماع والإتيان صفًّا.

السادسة عشرة: قوله: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾.

السابعة عشرة: دعواهم الإنصاف في الخصومة.

الثامنة عشرة: احتضار إلقائهم أولًا.

التاسعة عشرة: هذا السحر العظيم.

العشرون: إيجاس الخيفة في مثل هذا غير مذموم.

الحادية والعشرون: بشارة الله إياه.

الثانية والعشرون: أمره له بإلقاء العصا.

الثالثة والعشرون: ما فعلت العصا.

الرابعة والعشرون: القاعدة الكلية، ما فعلوا ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.

الخامسة والعشرون: ما فعلوا السحرة من سرعة انقيادهم لما عرفوه فعلهم وقولهم.

السادسة والعشرون: كون الإيمان برب هارون وموسى.

السابعة والعشرون: قولهم وما ذكر أنه يفعل بهم.

الثامنة والعشرون: جوابهم لهذا الطاغي الغادر، وهي سبع جمل، كل جملة مستقلة.

وفي سورة الأعراف من الزيادة(١): قوله ﷺ: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾.

الثانية: استعظام الله سحرهم.

الثالثة: قوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ الآيتين.

الرابعة: قوله لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ لهذا.

الخامسة: قولهم: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

السادسة: قولهم: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ إلى آخره.

السابعة: سؤالهم الله هذه المسألة.

الثامنة: كلام الملأ له.

التاسعة: جوابه لهم.

العاشرة: نصيحة موسى لقومه فيها أمران وثلاثة أخبار.

الحادية عشرة: ردهم على موسى.

الثانية عشرة: جوابه لهم.

الثالثة عشرة: إخبار الله أنه أخذهم بالسنين ونقص من الثمرات.

الرابعة عشرة: ذكر الحكمة في ذلك.

الخامسة عشرة: أنهم لم يفهموا مراد الله بالحسنة والسيئة التي تأتيهم، بل عكسوا الأمر.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ سورة الأعراف ١٠٤ - ١٣٧.

السادسة عشرة: قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

السابعة عشرة: كون الأكثر لا يعلمون هذه المسألة.

الثامنة عشرة: شدة عنادهم.

التاسعة عشرة: ذكره إرسال الآيات عليهم.

العشرون: كونهم مع ذلك استكبروا.

الحادية والعشرون: قوله: ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

الثانية والعشرون: كلامهم لموسى لما وقع عليهم الرجز.

الثالثة والعشرون: نكثهم ما قالوا.

الرابعة والعشرون: قوله: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالفاء.

الخامسة والعشرون: ذكره السبب.

السادسة والعشرون: ذكره فضله على الضعفاء.

السابعة والعشرون: أن ذلك سبب صبرهم.

الثامنة والعشرون: تدمير ما استعملوا وما كانوا يَعْرِشُون.

وأما في سورة الشعراء من الزيادة[1]: قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾.

الثانية: جواب موسى عليه السلام.

الثالثة: قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

الرابعة: جواب موسى عليه السلام.

الخامسة: قوله: ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾.

---

(١) قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ سورة الشعراء ١٨ - ٦٨.

السادسة: جواب موسى عليه السلام.

السابعة: قوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ إلى آخره.

الثامنة: جواب موسى عليه السلام.

التاسعة: كونه فزع إلى القدرة لما بهرته الحجة.

العاشرة: جواب موسى عليه السلام.

الحادية عشرة: جوابه لموسى عليه السلام.

الثانية عشرة: عناده لما أتته الآيات.

الثالثة عشرة: قوله: ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾.

الثالثة عشرة: توسلهم بعزة فرعون.

الرابعة عشرة: قولهم: ﴿لَا ضَيْرَ﴾.

الخامسة عشرة: قولهم: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ الآية.

السادسة عشرة: كونه أمره أن يسري بهم.

السابعة عشرة: كونه ذكر لهم أنهم متَّبعون.

الثامنة عشرة: إرساله في المدائن حاشرين.

التاسعة عشرة: ذكره لرعيته لما حشرهم.

العشرون: ذكره المقام والنعيم والكنوز والجنات التي سُلبوا.

الحادية والعشرون: كونه أورث الجميع بني إسرائيل.

الثانية والعشرون: اتّباعهم إياهم مشرقين.

الثالثة والعشرون: قولهم: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ﴾.

الرابعة والعشرون: جواب موسى عليه السلام لهم.

الخامسة والعشرون: ذكره أنه أمره أن يضرب بعصاه، فكان ما كان.

السادسة والعشرون: ذكره صفة نجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء.

السابعة والعشرون: تنبيه العباد علي فائدة القصة.

الثامنة والعشرون: هذا العجب العجاب؛ عدم إيمان الأكثر مع ذلك.

التاسعة والعشرون: ذكره: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وأما ما في سورة النمل من الزيادة(١)؛ فقوله: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

الثانية: تسبيحه في هذا المقام.

الثالثة: قوله: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

الرابعة: الاستثناء.

الخامسة: ذكره أن اليد في جملة تسع آيات.

السادسة: جحدهم الآيات مع اليقين.

السابعة: أن سببه الظلم والعلو.

وأما ما في سورة يونس من الزيادة(٢)؛ قول موسى: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ إلى آخره.

الثانية: قوله: ﴿لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾.

---

(١) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ﴾ إلى قوله: ﴿عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ النمل ٨ - ١٤.

(٢) قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ﴾ يونس ٧٧ - ٩٢.

الثالثة: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

الرابعة: قوله: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾.

الخامسة: القاعدة الكلية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

السادسة: كونه يحق الحق بكلماته.

السابعة: ولو كره المجرمون.

الثامنة: ما آمن لموسى إلا من ذكر.

التاسعة: أنه على خوف من فرعون وملئه.

العاشرة: وصف فرعون بالعلو والإسراف.

الحادية عشرة: نصيحة موسى.

الثانية عشرة: التوكل من لوازم الإسلام والإيمان.

الثالثة عشرة: جوابهم وقبولهم النصح.

الرابعة عشرة: دعاؤهم وما فيه من الفوائد.

السادسة عشرة: قوله: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا﴾ إلى آخره.

السابعة عشرة: كون المؤمن داعيًا.

الثامنة عشرة: قوله في هذا المقام: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ إلى آخره.

التاسعة عشرة: كلام فرعون عند الغرق.

العشرون: ما أجيب به.

الحادية والعشرون: ذكر غفلة الجميع عن آياته.

وفي سورة هود[١]: قوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾.

الثانية: كونه يوم القيامة يقدمهم ويوردهم النار.

وفي سورة الإسراء[٢]: ذكر أن التسع كلها بينات.

الثانية: أمره نبيه ﷺ بسؤال بني إسرائيل.

الثالثة: قول فرعون له.

الرابعة: جوابه.

الخامسة: أنه عوقب بنقيض قصده.

السادسة: قوله: ﴿وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ إلى آخره.

وفي سورة الحج[٣]: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ إلى آخره.

وفي سورة الصافات[٤]: كون فعل فرعون معهم كرب عظيم.

وفي سورة المؤمن[٥]: قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾.

الثانية: إلى الثلاثة.

الثالثة: جوابهم له.

الرابعة: ما قالوه لما جاءهم الحق من عند الله.

الخامسة: أن ذلك الكيد في ضلال مبين.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ هود ٩٦ - ٩٨ .

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ الاسراء ١٠١ - ١٠٤ .

(٣) قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ إلى قوله: ﴿كَانَ نَكِيرِ﴾ الحج ٤٢ - ٤٤ .

(٤) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الصافات ١١٤ - ١١٥ .

(٥) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ غافر ٢٣ - ٤٦ .

السادسة: قوله: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ الآية.

السابعة: قول موسى.

الثامنة: كلام المؤمن وما فيه من الفوائد.

التاسعة: جواب فرعون.

العاشرة: قول المؤمن الثاني، وما فيه من الأصول، ووصف القيامة، وتذكيرهم برسالة يوسف وما فعلوا.

الحادية عشرة: قول: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾ إلى آخره.

الثانية عشرة: كون كيده في تباب.

الثالثة عشرة: قول المؤمن الثالث وما فيه من المعارف.

الرابعة عشرة: وقاية الله له مكرهم.

الخامسة عشرة: كونهم يُعْرَضُون على النار.

السادسة عشرة: استدلال العلماء على عذاب القبر.

وفي سورة الزخرف(١): مقابلتهم آيات الله بالضحك منها.

الثانية: قوله: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ﴾ إلى آخره.

الثالثة: قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

الرابعة: خطبة فرعون وما فيه من استدلاله على النفي والإثبات.

الخامسة: قوله: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ﴾ إلى آخره.

السادسة: قوله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا﴾ إلى آخره.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾ الزخرف ٤٦ - ٥٦ .

وفي سورة الدخان[١]: قوله: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾.

الثانية: وصفه نفسه بالأمانة.

الثالثة: نهيه إياهم عن العلو على الله.

الرابعة: قوله: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ إلى آخره.

الخامسة: قوله: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾.

السابعة: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾.

الثامنة: عدم الإنظار.

التاسعة: أن فعله لهم عذاب مهين.

وفي سورة المؤمنين[٢]: كونهم كلهم قومًا عالين.

الثانية: حجتهم على عدم الإيمان لهما.

الثالثة: التنبيه على أنهم من جملة من أهلك ليس مختصًا بهم.

وفي سورة الذاريات[٣]: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾.

الثانية: قوله: ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

وفي سورة القمر[٤]: تكذيبهم بالآيات كلها.

الثانية: تكذيبهم بالنذير.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ إلى قوله: ﴿الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ الدخان ١٧ - ٣٠.

(٢) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ المؤمنون ٤٥ - ٤٨.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ الذاريات ٣٨ - ٣٩.

(٤) قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ۝٤٢ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ القمر ٤١ - ٤٣.

الثالثة: ذكر العبرة لهذه الأمة فيهم.

وفي سورة المزمل(١): المسألة الكبيرة لهذه الأمة.

وفي النازعات(٢): قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى آخره.

الثانية: قوله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾

الثالثة: الكلمة العظيمة.

الرابعة: الجمع بين الآخرة والأولى.

الخامسة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٣)، فيه مسائل:

الأولى: الجواب عن قول المشركين: هذا في الأصنام، وأما الصالحون فلا.

قوله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ عام فيه ما سوى الله.

الثانية: أن المسلم إذا أطاع مَن أشار عليه في الظاهر كفر، ولو كان باطنه يعتقد الإيمان، فإنهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته، ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الإسلام في إظهار الموافقة للمشركين خوفًا منهم، ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارهًا.

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ المزمل ١٥ - ١٧.
(٢) قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ إلى قوله: ﴿لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ النازعات ١٥ - ٢٦.
(٣) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر ٦٤ - ٦٧.

الثالثة: أن الجهل وسخافة العقل موافقتهم في الظاهر، وأن العقل والفهم والذكاء هو التصريح بمخالفتهم، ولو ذهب مالُكَ، خلافًا لما عليه أهل الجهل من اعتقاد أن بذل دينك لأجل مالك هو العقل، وذلك في آخر الآية ﴿أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾.

وأما الآية الثانية ففيها مسائل:

الأولى: شدة الحاجة إلى تعلم التوحيد، فإذا كان الأنبياء يحتاجون إلى ذلك ويحرصون عليه، فكيف بغيرهم، ففيها رد على الجهال الذين يعتقدون أنهم عرفوه فلا يحتاجون إلى تعلمه.

الثانية: المسألة الكبرى، وهي كشف الشبهة لعلماء المشركين الذين يقولون: هذا شرك، ولكن لا يكفر من فعله؛ لكونه يؤدي الأركان الخمسة. فإذا كان الأنبياء لو يفعلونه كفروا فكيف بغيرهم.

الثالثة: أن الذي يكفِّر المسلم ليس عقيدة القلب خاصة، فإن هذا الذي ذكرهم الله لم يريدوا منه ﷺ تغيير العقيدة، كما تقدم، بل إذا أطاع المسلم مَن أشار عليه بموافقتهم، لأجل ماله أو بلده أو أهله، مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم، فهذا كافر، إلا من أُكره.

وأما الآية الثالثة؛ ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ قرأها على المنبر، وقال: «**إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين، وتكون السماوات بيمينه**» ثم ذكر تمجيد الرب تبارك وتعالى نفسه، وأنه يقول: «**أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك العزيز، أنا الكريم**» قال ابن عمر: فرجف برسول الله ﷺ حتى قلنا: لَيَخِرَّنَّ به[1].

(١) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في السنن الكبرى (٤/ ٤٠٢).

وفيها ثلاث مسائل أيضًا:

الأولى: التنبيه على سبب الشرك، وهو أن المشرك بان له شيء من جلالة الأنبياء والصالحين، ولم يعرف الله ﷻ، وإلا لو عرفه لكفاه وشفاه من المخلوق، وهذا معنى قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية.

المسألة الثانية: ما ذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل هذا، وهذا قدر ما تحتمله العقول، وإلا فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل، كما قال: «**ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم**»[(١)] فمَن هذا بعضُ عظمته وجلاله كيف يُجْعَلُ في رتبته مخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا! هذا هو أظلم الظلم وأقبح الجهل، كما قال العبد الصالح لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

الثالثة: أن آخر الآية، وهو قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ينبهك على الحكمة في كونه سبحانه يغفر الكبائر، ولا يغفر الشرك، وتزرع بُغض الشرك وأهله، ومعاداتهم في قلبك، وذلك أن أكبر مسبة بعض الصحابة، مثل أبي بكر وعمر، لو يُجعل في منزلته بعض ملوك زماننا، مثل سليمان أو غيره، مع كون الكل منهم آدمي، والكل ينتسب إلى دين محمد، والكل يأتي بالشهادتين، والكل يصوم رمضان ويصلي، فإذا كان من أقبح المسبة في زماننا لأبي بكر أن يسوَّى بينه وبين بعض الملوك في زماننا، فكيف يُجعل للمخلوق من الماء المهين ولو كان نبيًّا بعض حقوق من هذا بعض عظمته وجلاله، من كونه يُدْعَى كما يُدْعَى، ويُخَاف كما يُخَاف، ويُعْتَمَد عليه كما يُعْتَمَد عليه؟ هذا أعظم الظلم

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٣٢٤) من قول ابن عباس.

وأقبح المسبة لرب العالمين، وذلك معنى قوله في آخر الآية: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ولكن رحم الله مَن تنبه للكلام، وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات، من كون المسلم يوافقهم في شيء من دينهم الظاهر، مع كون القلب بخلاف ذلك، فإن هذا هو الذي أرادوا من النبي ﷺ فافهمه فهمًا حسنًا، لعلك تعرف شيئًا من دين إبراهيم عليه السلام، الذي بادر أباه وقومه بالعداوة عنده، والله أعلم.

وهذه مسائل مستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

قال الشيخ رحمه الله: فيها عشر درجات:

الدرجة الأولى: تصديق القلب أن دعوة غيره باطلة، وقد خالف فيها مَن خالف. الثانية: أنها منكر يجب فيها البغض، وقد خالف فيها من خالف.

الثالثة: إنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة، وقد خالف فيها من خالف.

الرابعة: إن هذا هو الشرك بالله الذي لا يغفره، وقد خالف فيها من خالف.

الخامسة: إن المسلم إذا اعتقده أو دان به كفر، وقد خالف فيها من خالف.

السادسة: أن المسلم الصادق إذا تكلم به هازلًا أو خائفًا أو طامعًا كفر بذلك، وأنى ينزل القلب هذه الدرجات ويصدقه بها؟

السابعة: أنك تعمل معه عملك مع الكفار؛ من عداوة الأب والابن وغير ذلك.

الثامنة: أن هذا معنى لا إله إلا الله، والمألوه والإلهية عمل من الأعمال، وكونه منفيًا عن غير الله ترك من التروك.

التاسعة: القتال على ذلك؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

العاشرة: أن الفاعل للدعوة لغير الله لا تُقبل منه الجزية كما تُقبل من اليهود،

ولا تُنكح نساؤهم كما تُنكح نساء اليهود؛ لأنه أغلظ من اليهود كفرًا. وكل درجة من هذه الدرجات إذا نزلتها تخلّف عنك بعض من كان معك، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مسائل مستنبطة من سورة «اقرأ»:

الأولى: الأمر بالقراءة.

الثانية: الجمع بين التوكل والسبب، خلافًا لغلاة المتفقهة وغلاة المتصوفة.

الثالثة: السر الذي في الإضافة في قوله ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ المقتضي للتوكل.

الرابعة: وصفه سبحانه بالخلق الذي هو أظهر آياته.

الخامسة: ذكر خلقه الإنسان خاصة.

السادسة: كونه من علق.

السابعة: تكرير الأمر بالقراءة.

الثامنة: الوصف بأنه الإكرام.

التاسعة: ذكر التعليم بالقلم الذي هو في المرتبة الرابعة.

العاشرة: تعليم الإنسان خاصة ما لم يعلم.

الحادية عشرة: أن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده.

الثانية عشرة: الحث على التواضع لقوله: ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾.

الثالثة عشرة: معنى: اعرف نفسك تعرف ربك.

الرابعة عشرة: معنى أن العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما إلى يوم القيامة[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٠٤) من قول معاذ بن جبل. وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترمذي).

الخامسة عشرة: الجمع بين الخلق والتعليم.

السادسة عشرة: الدلالة على النبوة.

الثامنة عشرة: الرد على الجهمية.

التاسعة عشرة: أن الاستحالة تُطَهِّرُ.

العشرون: الرد على القدرية.

الحادية والعشرون: الرد على الجبرية.

الثانية والعشرون: أن العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية.

الثالثة والعشرون: ذكر شرف العلم.

وأما آخرها(١): ففيه مسائل:

الأولى: أن الغنى من أسباب الطغيان.

الثانية: أنه ينشأ عن رؤية الغنى لا عن الغنى.

الثالثة: التنبيه على الفرق بين طلب العلم وطلب المال.

الرابعة: أن هذا وصف الإنسان، فإن خرج عن طبعه فبفضل الله وبرحمته.

الخامسة: الإيمان باليوم الآخر.

السادسة: الوعظ بذلك اليوم عن الطغيان.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾.

السابعة: تسلية المَطْغِيِّ عليه بذلك.

الثامنة: كونه إلى رب محمد، ففيه الجزاء على الأعمال.

التاسعة: تقرير الشرع بالعقل، لقوله: ﴿أَرَءَيْتَ﴾.

العاشرة: كون ذلك النهي عن آثار الطغيان.

الحادية عشرة: تقرير ذلك بتصوير الحادثة أنه نهى عبدًا صلى لوبه.

الثانية عشرة: التوقف عما لا يعلم، وإلا فلا يلوم إلا نفسه.

الثالثة عشرة: أن ذلك عام فيمن تنكر عليه، فيما يفعله، وفيما يأمر به غيره.

الرابعة عشرة: الاستدلال على الناهي واستجهاله بقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾.

الخامسة عشرة: الاستدلال بالقاعدة الكلية على المسائل الجزئية.

السادسة عشرة: أن العلم بذلك ليس هو الإقرار.

السابعة عشرة: أن العلم بالأسماء والصفات أجل العلوم.

الثامنة عشرة: الدلالة على التوحيد.

التاسعة عشرة: الدلالة على النبوة.

العشرون: أن السورة فيها ذكر الإيمان بالأصول الخمسة.

الحادية والعشرون: كون العقوبة قد تُعَجل في الدنيا.

الثانية والعشرون: ما يُرجى للحق من نصر الله للضعفاء على الأقوياء.

الثالثة والعشرون: أن المال والقوة قد يكونان سببًا لشر الدنيا والآخرة.

الرابعة والعشرون: أن بعض أعداء الله قد يُكْشَفُ له، فيرى بعينه من الآيات ما لا يراه المؤمن، كالسامري.

الخامسة والعشرون: الجمع بين قوله: ﴿كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ فوصفه بفساد القول والعمل.

السادسة والعشرون: أنه لو دعا ناديه أو دنا من النبي ﷺ لعوجل، ولكن رُفِعَ عنه ذلك لكونه ترك ما في نفسه.

السابعة والعشرون: النهي عن طاعة مثل هذا.

الثامنة والعشرون: أنه ختمها بالسجود الذي هو أشرف أفعال الصلاة، وافتتحها بالقراءة التي هي أشرف أقوالها.

التاسعة والعشرون: الأمر بالاقتراب من الله، ففيه معنى **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»**[(١)].

الثلاثون: تسلية المُحِقِّ إذا سُلِّطَ عليه مثل هذا، وأَمْرُهُ بالصلاة.

وأما قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ الآيات، ففيه مسائل:

الأولى: الدعوة إلى الله، لا يقتصر على نفسه.

الثانية: خطابه بالمدثر.

الثالثة: أن الداعي يبدأ بنفسه فيصلح عيوبها.

الرابعة: تعظيم الله سبحانه علمًا وعملًا.

الخامسة: هجران الرجز.

السادسة: قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

السابعة: قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ فأمره بالطريق إلى القوة، على ما تقدم، فهو الصبر خالص.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢).

ففيها آداب الداعي؛ لأن الخلل يدخل على رؤساء الدين من ترك هذه الوصايا أو بعضها:

فمنها: الحرص على الدنيا، فنهى عنه بقوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

ومنها: عدم الجد، فنبه عليه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.

ومنها: رؤية الناس فيه العيوب المنفرة لهم عن الدين كما هو الواقع.

ومنها: التقصير في تعظيم العلم الذي هو من التقصير في تعظيم الله.

ومنها: عدم الصبر على مشاق الدعوة.

ومنها: عدم الإخلاص.

ومنها: عدم هجران الرجز والتقصير في ذلك، وهو من أضرها على الإنسان، وهو من تطهير الثياب، لكن أفردت بالذكر كنظائره.

فأول «اقرأ» فيه الأمر بطلب العلم، وأول «المدثر» فيه الأمر بالعمل به.

الثانية: أول «اقرأ» فيه معرفة الله، وأول «المدثر» فيه الأدب مع الله.

الثالثة: أول «اقرأ» فيه الاستعانة، وأول «المدثر» فيه الصبر.

الرابعة: أول «اقرأ» فيه الإخلاص، والاستعانة وأول «المدثر» فيه إخلاص الصبر.

الخامسة: أول «اقرأ» فيه الاستعانة، وأول «المدثر» فيه العبادات.

السادسة: أول «اقرأ» فيه فضله عليك، وأول «المدثر» فيه حقه عليك.

السابعة: أول «اقرأ» فيه أدب المتعلم، وأول «المدثر» فيه أدب العالم.

الثامنة: أول «اقرأ» فيه معرفة الله ومعرفة النفس، وأول «المدثر» فيه الأمر والنهي.

التاسعة: أول «اقرأ» فيه معرفتك نفسك وبربك، وأول «المدثر» فيه العمل المختص والمتعدي.

العاشرة: أول «اقرأ» فيه أصل الأسماء والصفات، وهما العلم والقدرة، وأول «المدثر» فيه أصل الأمر والنهي، وهو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.

الحادية عشرة: في أول «اقرأ» ذكر العلم الذي لا يستقيم العمل إلا به، وأول «المدثر» فيه ذكر الصبر الذي لا يستقيم العمل إلا به.

الثانية عشرة: في أول «اقرأ» ذكر التوكل، وأنه يفتح المغلق، وأول «المدثر» فيه الصبر الذي يفتحه.

الثالثة عشرة: في أول «اقرأ» العمل المختص، وأول «المدثر» فيه العمل المتعدي.

الرابعة عشرة: في «اقرأ» ست مسائل من الخبر، وأول «المدثر» ست مسائل من الإنشاء.

الخامسة عشرة: في أول «اقرأ» ذكر بدء الخلق، وأول «المدثر» ذكر الحكمة فيه.

السادسة عشرة: في أول «اقرأ» ذكر أصل الإنسان، وأول «المدثر» فيه كماله.

السابعة عشرة: في أول «اقرأ» الربوبية العامة، وأول «المدثر» الربوبية الخاصة.

الثامنة عشرة: في أول «اقرأ» شاهد لقوله: «اعقلها واتكل»، وفي أول المدثر الصبر الذي هو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

التاسعة عشرة: في أول «اقرأ» ابتداء النبوة، وأول «المدثر» ابتداء الرسالة.

العشرون: في السورتين شاهد لقوله: العلم قبل القول والعمل.

ومن «اقرأ» إلى آخره[١]:

أن قريشًا صريح آل إبراهيم، وأيضًا ولاة البيت الحرام، وأيضًا خُصُّوا بنعم؛ مثل الرحلتين ودفع الفيل، وأما أهل الكتاب فأهل العلم، وذرية الأنبياء، وجرى من الكل على رسالة الله ما جرى.

الثانية: أن هذا من الرئيسين؛ أبي لهب وأبي جهل، ذُكر عنهما ما ذكر.

الثالثة: أن أهل الكتاب لم يتفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم.

الرابعة: أنهم لم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول، وبما ينبغي للعاقل أن يلتزمه ولا يبغي به بدلًا لحسنه وسهولته.

الخامسة: أن الذي استدلوا به من أشق الأشياء وأكثرها عذابًا، وينبغي للعاقل البعد عنه لقبحه وصعوبته.

السادسة: أن مع سهولة الذي تركوا وحسنه، وقبح الذي انتقلوا إليه ومشقته، أُشْرِبُوه في قلوبهم، فلم ينتقلوا عنه إلا بعد كذا وكذا.

السابعة: أنه سبحانه توعد بالنار الذين كفروا من أهل الكتاب، ومن العامة، وقدم أهل الكتاب في الذكر.

الثامنة: أن العامة أُشْرِبُوا حب دينهم، وصبروا على المشقة فيه، مع أنهم لا يعرفون جنة ولا نارًا، وهذا من العجائب.

التاسعة: التنبيه على كبر النعمة بإنزال الكتاب بذكر الليلة التي أنزل فيها.

العاشرة: أن له سبحانه خصائص من الأزمنة كما له من الأمكنة.

---

(١) أي السور القصيرة بعدها.

الحادية عشرة: أن الأعمال تتضاعف، وإن تساوت في الظاهر، بما يجل عنه الوصف.

الثانية عشرة: عطف الروح على الملائكة.

الثالثة عشرة: أن خشية الله جامعة للدين كله.

الرابعة عشرة: النص على العبادة بالإخلاص.

الخامسة عشرة: ذكر الحنفاء.

السادسة عشرة: عطف العبادتين على ذلك.

السابعة عشرة: نصه أنه دين القيمة.

الثامنة عشرة: بيان أن من ساء عمله شر من الجُعْلَان ولو علم.

التاسعة عشرة: كون الضد خير البرية.

العشرون: الآية الجامعة الفاذة.

الحادية والعشرون: ذكر شيء من تفاصيل القيمة؛ من شهادة الأرض وغير ذلك.

الثانية والعشرون: معاملة الإنسان ربه لقوله: ﴿لَكَنُودٌ﴾.

الثالثة والعشرون: كونه شاهدًا لذلك.

الرابعة والعشرون: نعته بشدة حب المال.

الخامسة والعشرون: ما فيها من ذكر الحساب والحوض والميزان، ورؤية النار، في الموقف.

السادسة والعشرون: إخلاص الصلاة.

السابعة والعشرون: إخلاص النحر.

الثامنة والعشرون: الأمر بختم العمل بالتسبيح والاستغفار.

التاسعة والعشرون: الأمر بالتصريح للكفار بالبراءة من معبوديهم.

الثلاثون: التصريح لهم ببراءتهم من عبادة الله.

الحادية والثلاثون: التصريح لهم بالبراءة من معبوديهم.

الثانية والثلاثون: التصريح لهم بالرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا.

الثالثة والثلاثون: بيان العقيدة السلفية.

الرابعة والثلاثون: البراءة من عقيدة المتكلمين.

الخامسة والثلاثون: الأمر بالاستعاذة مما ذكر في سورة الفلق.

السادسة والثلاثون: الأمر بالاستعاذة من الشيطان.

الرابعة والثلاثون: التنبيه على شدة الحاجة إلى ذلك، لكونه أفرد له سورة وختم بها المصحف.

التاسعة والثلاثون: النهي عن الهمز واللمز.

الأربعون: النهي عن الاغترار بالمال.

الحادية والأربعون: النهي عن دعّ اليتيم.

الثانية والأربعون: النهي عن عدم الحض على طعام المسكين.

الثالثة والأربعون: النهي عن السهو عن الصلاة.

الرابعة والأربعون: النهي عن الرياء.

الخامسة والأربعون: النهي عن البخل.

السادسة والأربعون: النهي عن شنآنه ﷺ.

السابعة والأربعون: الاعتبار بأبي لهب، في كون المال والولد وشرف البيت والسيادة يُعْطَاه مَن هو من أكفر الناس.

الثامنة والأربعون: النهي عن حمل الحطب.

التاسعة والأربعون: النهي عن النميمة.

الخمسون: النهي عن الحسد.

الحادية والخمسون: النهي عن النفث في العقد.

الثانية والخمسون: النهي عن الوسوسة في صدور الناس.

الثالثة والخمسون: الإخبار برؤية الجحيم ثم رؤيتها.

الرابعة والخمسون: السؤال عن النعيم.

الخامسة والخمسون: خسران الإنسان، إلا المستثنى.

وفيها: ذكر النار ذات اللهب وصَلْيِها، واطِّلَاعها على الأفئدة، وكونها مؤصدة.

وفيها: من الأعمال الممدوحة الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والحث على الشكر بذكر الرحلتين.

وفيها: أن النعم إذا كانت خاصة فلها شكر خاص، والحث على الاعتبار بأيام الله بقصة الفيل.

وفيها: من القصص قصة الفيل والرحلتين، وقصة أبي لهب، وقصة سحر اليهود.

وفيها: من الوعظ العجب العجاب.

وأما أدلة التوحيد ففي مواضع، وأما أدلة النبوة ففي مواضع.

وقال رحمه الله ورضي عنه: قصة سبب نزول ﴿تَبَّتْ﴾ إلى آخرها، ففيها مسائل:

الأولى: ما فيها من دلائل الإلهية.

الثانية: ما فيها من دلائل النبوة.

الثالثة: ما فيها من فضائل الرسول ﷺ وقوله الحق الذي لا يقدر غيره يقوله.

الرابعة: أن هذا هو العقل والصواب، أعني صعود الجبل والصياح في هذه المسألة(١) ولو عَدَّه أكثر الناس سفهًا، بل جنونًا.

الخامسة: شدة الخطر العظيم فيمن عذل من فعل ذلك.

السادسة: لعل الكلمة الذي لا يلقي لها بالًا يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه، ولعله يعتقدها نصيحة أو صلة رحم.

السابعة: مراقبة العواقب في إعطاء الله نعم الدنيا؛ من المال والولد والبيت الرفيع والرياسة.

الثامنة: تعظيم أمر النميمة.

التاسعة: أن الولد من الكسب، ففيه دليل على «**إن أطيب ما أكلتم من**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٨) من حديث بن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: «يا صباحاه!» فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد. فاجتمعوا إليه، فقال: «**يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب**» فاجتمعوا إليه، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقيّ؟**» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**» قال: فقال أبو لهب: تبًا لك! أما جمعتنا إلا لهذا! ثم قام، فنزلت هذه السورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾.

كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم»[1].

العاشرة: أن الله سبحانه لم ينزل هذا إلا مصلحة للأمة إلى يوم القيامة.

والله ﷻ أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

قال رحمه الله في تفسير سورة «الإخلاص»:

عن عبد الله بن حبيب قال: خرجنا في ليلة مطر مظلمة، فطلبت النبي ﷺ ليصليَ لنا، فأدركناه، فقال: «قل» فلم أقل شيئًا. قال: قلت: يا رسول الله، ما أقول؟ قال: «**قل هو الله أحد والمعوذتين، حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء**»[2] قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

والأحد: الذي لا نظير له. والصمد: الذي تصمُدُ الخلائق كلها إليه في جميع الحاجات، وهو الكامل في صفات السؤدد. فقوله ﴿أَحَدٌ﴾ نفي للنظير والأمثال، وقوله ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ إثبات صفات الكمال، وقوله ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ نفي للصاحبة والعيال ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ نفي للشركاء لذي الجلال.

تفسير سورة الفلق:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٥٨) وابن ماجه (٢٢٩٠) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الجامع ١٥٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢) والترمذي (٣٥٧٥) وصححه الشيخ الألباني (صحيح الترغيب ٦٤٩).

فمعنى أعوذ: أعتصم وألتجئ وأتحرز. وتضمنت هذه الكلمة مستعاذًا به ومستعاذًا منه ومستعيذًا به.

فأما المستعاذ به، فهو الله وحده رب الفلق، الذي لا يستعاذ إلَّا به، وقد أخبر الله عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رَهقًا، وهو الطغيان، فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

والفلق هو بياض الصبح إذا انفلق من الليل، وهو من أعظم آيات الله الدالة على وحدانيته.

وأما المستعيذ فهو رسول الله ﷺ وكلُّ مَن اتبعه إلى يوم القيامة.

وأما المستعاذ منه فهو أربعة أنواع:

الأول: قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وهذا يعم شرور الأولى والآخرة، وشرور الدين والدنيا.

والثاني: قوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ والغاسق: الليل، إذا وقب: أي أظلم ودخل في كل شيء، وهو محل تسلط الأرواح الخبيثة.

الثالث: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ وهذا من شر السحر، فإن النفاثات السواحر اللاتي يَعقِدن الخيوط ويَنْفُثْنَ على كل عقدة حتى ينعقد ما يريد من السحر. والنفاثات مؤنث، أي الأرواح والأنفس، لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة.

الرابع: شر الحاسد إذا حسد، وهذا يعم إبليس وذريته؛ لأنهم أعظم الحُسَّاد لبني آدم.

أيضًا وقوله: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ لأن الحاسد إذا أخفى الحسد، ولم يعامل أخاه إلا بما يحبه الله، لم يضره ولم يضر المحسود.

تفسير سورة الناس:

بسم الله الرحمن الرحيم

وأما قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فقد تضمنت أيضًا ذكر ثلاثة:

الأولى: الاستعاذة، وقد تقدمت.

الثاني: المستعاذ به.

والثالث: المستعاذ منه.

فأما المستعاذ به؛ فهو الله وحده لا شريك له (رب الناس) الذي خلقهم ويرزقهم، ودَبَّرَهم، وأوصل إليهم مصالحهم، ومنع عنهم مَضارَّهم ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ أي المتصرف فيهم، وهم عبيده ومماليكه، المُدَبِّرُ لهم كما يشاء، الذي له القدرة والسلطان عليهم، فليس لهم مَلِكٌ يهربون إليه إذا دهمهم أمر، يَخْفِضُ ويَرْفَعُ، ويَصِلُ ويقطع، ويعطي ويمنع ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ أي معبودهم الذي لا معبود لهم غيره، فلا يُدْعَى ولا يُرْجَى ولا يَخْلُقُ إلّا هو، فخلقهم وصورهم وأنعم عليهم، وحماهم مما يضرهم بربوبيته، وقَهَرهم، وأمرهم ونهاهم، وصرَّفَهم كما يشاء بملكه، واستعبدهم بإلهيته الجامعة لصفات الكمال كلها.

وأما المستعاذ منه؛ فهو الوسواس، وهو الخفي الإلقاء في النفس، إمَّا بصوت خفي لا يسمعه إلَّا مَن ألقى إليه، وإمَّا بصوت، كما يوسوس الشيطان إلى العبد.

وأما الخناس؛ فهو الذي يَخْنَسُ ويتأخر ويختفي، وأصل الخنوس الرجوع إلى وراء، وهذان وصفان لموصوف محذوف، وهو الشيطان، وذلك أن العبد إذا غفَل جثَم على قلبه وبذَر فيه الوساوس، التي هي أصل الشر، فإذا ذكَر العبدُ ربَّه واستعاذ به خنَس.

قال قتادة: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب، فإذا ذكَر العبدُ ربَّه خنَس. ويقال: رأسه كرأس الحية، يضعه على ثمرة القلب، يُمَنِّيه ويُحَدِّثه، فإذا ذكَر اللهَ خنَس. وجاء بناؤه على «الفَعَّال» الذي يتكرر منه، فإنه كلما ذُكِرَ اللهُ انخنس، وإذا غفل عاد.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ يعني أن الوسواس نوعان: إنس وجن، فإن الوسوسة الإلقاء الخفي، لكن إلقاء الإنس بواسطة الأذن، والجني لا يحتاج إليها، ونظير اشتراكهما في الوسوسة اشتراكهما في الوحي الشيطاني، في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ والله أعلم.

والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

آخر ما وجدنا من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضي عنه، بمنه وكرمه، آمين.

